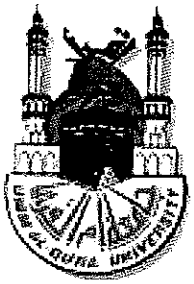

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى – مكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
شعبة الثقافة الإسلامية
الدراسات العليا
مرحلة الماجستير

الجهـود الثقافية للشيخ محبّ الدين الخطيب (رحمه الله)

دراسة تحليلية

رسالة علمية مقدمة إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لنيل درجة الماجستير في تخصص الثقافة الإسلامية

إعداد الطالب
أسامة بن أحمد بن عبد الله الهادي الجيزاني
الرقم الجامعي: ٤٣٢٨٨٠٧١

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور
حمـود بن جابر الحـارثي
الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة وأصول الدين

١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله، والصلاة والسلام على خيرِ عباد الله، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه، أمَّا بعد: فهذا البحث بعنوان "جهود الشيخ محب الدين الخطيب الثقافية، دراسة تحليلية"

اسم الباحث: أسامة بن أحمد بن عبد الله الهادي الجيزاني.

فكرة الموضوع: دراسة الجهود الثقافية للشيخ محب الدين الخطيب (رحمه الله)

هدف الدراسة:التعريف بالجهود الثقافية للشيخ محب الدين الخطيب، وإبراز جهوده في خدمة الثقافة الإسلامية، والاستفادة من جهوده.

ما اشتمل عليه البحث:اشتمل البحث على مقدِّمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة.

المقدِّمة:وفيها بيان لأهمية الموضوع وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ومشكلة وأهداف البحث، ومنهج البحث فيه، وصعوبات البحث وخطته.

التمهيد:ويشتمل على التعريف بمفردات عنوان البحث، وعصر الشيخ ومؤلَّفاته وحياته.

الفصل الأول:جهوده في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية؛ في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتراث السلف الصالح، والتاريخ الإسلامي، ومنهجه في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية.

الفصل الثاني:جهوده في خدمة القضايا الإسلامية؛ في التعليم، والشباب المسلم، والمرأة، والترجمة، ومنهجه في خدمة القضايا الإسلامية.

الفصل الثالث:جهوده في مقاومة الغزو الفكري؛ في التنصير، والاستشراق، والتغريب، ومنهجه في مقاومة الغزو الفكري.

الفصل الرابع:جهوده في مواجهة الفرق المنحرفة؛ في الرافضة، والبهائية، والصوفية، ومنهجه في مواجهة الفرق المنحرفة.

الفصل الخامس:جهوده في مواجهة المذاهب الفكرية المنحرفة؛ في الإلحاد، والعلمانية، والقومية، والقاديانية، ومنهجه في مواجهة المذاهب الفكرية المنحرفة.

ثم الخاتمة، وأهم التوصيات، والنتائج، والفهارس.

Summary

Thank goodness، peace and prays be upon his prophet، his relatives and companions.

Title of the study: "The Cultural Efforts By Sheikh Mohammed Mohuibbudin"

Researcher:OSAMA AHMED ABDULLAH ALHADI ALJAIZANI

Idea of the subject: to study the cultural efforts of one scholar Muslim.

Objective of the study: to identify The Cultural Efforts By Sheikh Mohammed Mohuibbudin and illustration of his efforts in service of Islamic culture and benefit of his efforts.

Components of the research: it included introduction، preface، five chapters and conclusion.

Introduction: it included the importance of the subject and reasons of choice، previous studies، problem and adjectives، methodology، plan and difficulties of the research.

Preface: included the definition of vocabularies، era and volumes of sheikh.

Chapter one: his efforts in serving Sunnah and Islamic culture، in the holy book، heritance of ancestors، Islamic history، his methodology in serving sources of Islamic culture.

Chapter two: his efforts in serving Islamic issues، in education، Muslim youth، woman، translation، his efforts in serving Islamic issues.

Chapter three: his efforts in serving intellectual invasion، in Christianity، westernization، alienation، his methodology in defense of intellectual invasion.

Chapter four: his efforts in defense of deviated groups، Alrafedah، Albahaeiah، Alsowfiah، his methodology in defense of deviated groups.

Chapter five: his efforts in defense of deviated intellectual creeds، in atheism، Secularism، nationalism، Qadianiyyah، his methodology in defense of intellectual invasion.

Conclusion: included recommendations، results and indexes.

المقدمـــة

بسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، وليِّ المتقين، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله، الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيُّه وخليله، وخيرته من خلقه، أرسله الله مبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد:

فإنَّ من فضل الله ومَنِّه وكرمه، أنْ هيَّأ لدين الإسلام رجالاً يخدمونه، ويذودون عن حماه، ويتفانون في الدفاع عنه بكل طاقاتهم، وإنَّ من حقهم علينـــا حفـــظ جهـــودهم، والإشادة بأعمالهم، ودراسة سيرتهم، وإنَّ من بين هؤلاء العلماء، العلامة الشـــيخ: محـــبُّ الدين الخطيب رحمه الله، الذي جنَّد نفسه لخدمة الدين، والدفاع عنه، متنقلاً من بلد إلى بلد، مبلِّغًا دعوة الله جلَّ جلاله، وباحثًا عن العوامل المناسبة لنشر الدين الإسلامي، علـــى منهج أهل السنة والجماعة، ومنافحًا عن الثقافة الإسلامية، ومدافعًا عنها، ومؤصِّلاً لهـــا، ومبيِّنًا أهميتها، ومفعّلاً لدورها. وحرصًا مني في إبراز هذا العلاَّمة، أحببتُ أنْ أُشـــير إلى جهوده، وبالذات في خدمة الثقافة الإسلامية؛ وذلك لحاجتنا في هذا العصر إلى تفعيل دور الثقافة الإسلامية في كلِّ المجالات، ولقد وجدتُ شخصية الشيخ محبِّ الدين الخطيب مـــن أكثر وأندر الشخصيات ثراءً في خدمة الثقافة الإسلامية، فاخترتُ هذه الشخصية الفـــذَّة؛ لتكون موضوع رسالتي في مرحلة الماجستير، وهي بعنوان: "**الجهود الثقافية للشيخ محبِّ الدين الخطيب، دراسة تحليلية**".

- **أهمية الموضوع:**
  - أهمية دراسة الشخصيات الإسلامية المؤثِّرة في العصر الحاضر.
  - إبراز جهود عالم من علماء الأمة الإسلامية؛ ليكون قدوة للشباب المعاصر.
- **أسباب اختيار الموضوع:**
  - الكشف عن عَلَم من أعلام الأمة البارزين، ممَّن لم يُكتَب عنهم.

- معرفة إسهامات الشيخ رحمه الله في خدمة الثقافة الإسلامية، والاستفادة منـــها، وإثراء المكتبة الإسلامية بجهوده الثقافية.

- **أهداف الدراسة:**

- إبراز نشأة الشيخ، وحياته، وفكره، وأهم مؤلّفاته.
- إبراز جهوده في خدمة الثقافة الإسلامية.
- إبراز معالم المنهج الفكري للشيخ محبِّ الدين الخطيب رحمه الله.
- استخلاص النتائج العلمية والمعرفية والمنهجية من هذه الجهود.

- **مشكلة الدراسة:**

لا يمكن الحكم على الشيخ إلاَّ من خلال دراسة ما ورّثه من تراث، وما ورَّثه الشيخ محبُّ الدين الخطيب رحمه الله جدير بالبحث والدراسة، إضافة إلى سعة مؤلفات الشـــيخ وتنوعها، وهذه هي مشكلة هذا البحث، الذي سيسعى البحث إلى الإجابة عليها.

- **تساؤلات الدراسة:**

- كيف كانت حياة الشيخ محبِّ الدين الخطيب؟ وكيف كان عصره؟ ومـــا أبـــرز مؤلّفاته؟
- ما جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية؟
- ما جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في خدمة القضايا الإسلامية؟
- ما جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في مقاومة الغزو الفكري؟
- ما جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في مواجهة الفِرَق المنحرفة؟
- ما جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في مواجهة المذاهب الفكرية المنحرفة؟
- ما منهج الشيخ محبِّ الدين الخطيب في خدمة الثقافة الإسلامية؟
- ما أبرز النتائج والتوصيات بعد دراسة جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب الثقافية؟

- **منهج البحث:**

- اعتمدتُ في دراستي هذه على المنهج الاستقرائي، والاستنباطي، والتحليلي، وذلك من خلال قراءة أغلب مؤلفات الشيخ ومقالاته، وإبراز الجوانب الثقافية، وتصنيفها ضمن خطة البحث.

- **عملي في البحث:**

اتَّبعت في كتابة هذا البحث طريقة؛ أرجو من الله جلَّ جلاله أن أكون قد وُفِّقت فيها، وألخِّصها في نقاط:

- اجتهدتُ في الحصول على أغلب مؤلَّفات الشيخ ومقالاته.
- قمتُ بقراءة ما أعانني الله جل جلاله على جمعه، وكلِّ ما وقع بين يديَّ كان جديرًا بالدراسة والبحث، ومتوافقًا مع خطة البحث بفضل الله.
- اقتصرتُ على ما كتبه الشيخ، واهتمَّ به، ورجعتُ إلى المصادر الأخرى للتوثيق والترجمة.
- كتبتُ في الهامش كلمة (المرجع السابق)، لآخر مصدر ذُكر.
- كتبتُ معلومات المرجع كاملة عند الاستفادة من المرجع لأول مرة، وإذا تكرَّر المرجع، فإنِّي أكتب اسم المرجع، والمؤلِّف، والصفحة، وإذا كان المرجع لا يحتوي على تاريخ نشر، فإنِّي أكتب: (بدون تاريخ للنشر).
- كتبتُ الآيات القرآنية من المصحف الشريف، بالخط العثماني، وأكتب في الهامش اسم السورة ورقم الآية.
- ما كتبته بالنصِّ، أضعه بين علامتيْ تنصيص " "، مع عزوه لمصدره مباشرة في الحاشية، وما استفدتُ منه، أو كتبته بمعناه، أو تصرَّفت فيه، فإنِّي أكتب في الهامش كلمة: (انظر).
- خرَّجتُ الأحاديث النبوية.

- ترجمتُ للأعلام الوارد ذكرهم في البحث لأول مرة، واهتممت في تعريفي بغير المشتهرين، ولم أعرِّف بالمشتهرين من الصحابة رضوان الله عليهم.
- عرَّفتُ بالأماكن والبقاع الغير مشتهرة، ولم أعرِّف بالدول ولا بالأماكن المشتهرة.

- **الدراسات السابقة:**

بعد البحث والتقصِّي في جامعات المملكة العربية السعودية، لم أطَّلع على رسالة علمية، تناولت الشيخ محبِّ الدين الخطيب، ولكنِّي تحصَّلت على رسالة ماجستير، من كلية الإمام الأوزاعي، ببيروت لبنان، بعنوان: (قضايا الإصلاح والنهضة عند محبِّ الدين الخطيب)، للطالبة: رغداء محمد أديب زيدان، ولقد وجدتُ خطة البحث مختلفة اختلافًا تامًا عن خطة بحثي، ولقد استفدت من هذه الرسالة في بعض المواضع.

الصعوبات التي واجهتني في البحث:

واجهت في بحثي صعوبة واحدة، ولقد أعانني الله على تجاوزها، وهي:

- عدم توفُّر مؤلَّفات الشيخ في المملكة العربية السعودية، إلاَّ الترر اليسير، ولقد تواصلت مع حفيد الشيخ في القاهرة، ووفَّر لي ما أحتاجه.

- **خطة البحث:**

جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب الثقافية، دراسة تحليلية. ويشتمل على:

- **مقدِّمة:** وفيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف الدراسة، ومشكلة الدراسة، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث، وعملي في البحث، والدراسات السابقة، والصعوبات التي واجهتني في البحث.
- **تمهيد:** ويشتمل على:

أولاً: التعريف بمفردات عنوان البحث.

ثانيًا: الشيخ محبُّ الدين الخطيب: عصره، وحياته، ومؤلَّفاته.

الفصل الأول: جهود الشيخ محبُّ الدين الخطيب في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية،

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: جهوده في خدمة القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: جهوده في خدمة السنة النبوية.
- المبحث الثالث: جهوده في خدمة تراث السلف الصالح.
- المبحث الرابع: جهوده في خدمة التاريخ الإسلامي.
- المبحث الخامس: منهجه في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية.

الفصل الثاني: جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في خدمة القضايا الإسلامية،

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: جهوده في خدمة قضايا التعليم.
- المبحث الثاني: جهوده في خدمة قضايا الشباب المسلم.
- المبحث الثالث: جهوده في خدمة قضايا المرأة.
- المبحث الرابع: جهوده في الترجمة.
- المبحث الخامس: منهجه في خدمة القضايا الإسلامية.

الفصل الثالث: جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في مقاومة الغزو الفكري،

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: جهوده في مقاومة التنصير.
- المبحث الثاني: جهوده في مقاومة الاستشراق.
- المبحث الثالث: جهوده في مقاومة التغريب.
- المبحث الرابع: منهجه في مقاومة الغزو الفكري.

الفصل الرابع: جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في مواجهة الفِرَق المنحرفة، وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: جهوده في بيان بُطلان مذهب الرافضة.
- المبحث الثاني: جهوده في بيان بُطلان مذهب البهائية.
- المبحث الثالث: جهوده في بيان بُطلان مذهب الصوفية.
- المبحث الرابع: منهجه في مواجهة الفِرَق المنحرفة.

الفصل الخامس: جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في مواجهة المذاهب الفكرية المنحرفة، وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: جهوده في مواجهة الإلحاد.
- المبحث الثاني: جهوده في مواجهة العلمانية.
- المبحث الثالث: جهوده في مواجهة القومية.
- المبحث الرابع: جهوده في مواجهة القاديانية.
- المبحث الخامس: منهجه في مواجهة المذاهب الفكرية المنحرفة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العلمية: وتشتمل على الفهارس التالية:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام المترجَم لهم.
- فهرس البلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

وأسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل.

شكر وتقدير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، نبينا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

فإني أشكر الله جلَّ جلاله على ما منَّ به عليّ من تيسير سُبُل هذا البحث، فلقد كانت تسايرني معية الله جلَّ جلاله من لحظات التقديم للدراسة، إلى الانتهاء من هذا البحث، فلله الحمد من قبل ومن بعد، وله الشكر والثناء والامتنان.

كما أتوجَّه بالشكر والثناء لوالدي الكريم، ولوالدتي الحنون، وألتمس منهما العفو والصفح لانشغالي بالدراسة والبحث عن خدمتهما، وأدعو الله جلَّ جلاله أن يرزقني برَّهما ورضاهما، وأن يمتِّعهما بالصحة والعافية، فلقد آثرا مصلحتي على حاجتهما، حيث كانا يأمراني بالتفرُّغ للدراسة والبحث.

ثم إني أشكر شيخي المبارك: أ. د. عبد الرافع الفقي، مرشدي في دراستي، ولن أنسى وقفاته المشرِّفة، وتوجيهاته السديدة، حفظه الله، وبارك له في دنياه وأُخراه.

كما أتقدَّم بالشكر الوافر، والثناء العاطر، لوالدي وشيخي والمشرف على الرسالة، الأستاذ الدكتور حمود بن جابر الحارثي، الذي غمرني بلطفه، وأكرمني بمجالسته، وجاد عليّ بوقته، وفتّق ذهني بتوجيهاته النيّرة، مع ما كان يمرُّ به من ظروف صحية، فأسأل الله —جلَّ جلاله أن يحفظه بحفظه، وأن يحرسه بعينه التي لا تنام، وأن يصلح له نيَّته، وزوجه، وذريته، ودنياه، وأُخراه.

ولا يفوتني أن أشكر فضيلة الوالد، الشيخ الدكتور، سعيد بن مسفر القحطاني على حضه المتواصل، ودعمه المعنوي المستمر، ونصائحه المتكررة، وأسأل الله أن يمد في عمره على طاعته، وأن يكتب أجره جزاء حسنا لما قدمه من خدمة للإسلام والمسلمين.

ولا أنسى أن أتقدَّم بالشكر لزوجتي الغالية أم رفيف، التي صبرت علـــى انشـــغالي، وكانت لي نعم المعين بعد الله، فأسأل الله جلَّ جلاله أن يكتب أجرها، ويُعلي مراتبها في الدنيا والآخرة.

كما أشكر إخواني، وأخواتي، وزملائي، وكلَّ مَن علَّمني، ووجَّهني، واهتمَّ لأمري، وأخصُّ في المقام الأول جامعة أم القرى، متمثِّلة في كلية الدعوة وأصول الـــدين، قســـم الثقافة الإسلامية، وأسأل الله أن يوفِّق الجميع لما يحبُّه ويرضاه.

وأشكر بُنيَّاتي رفيف، وطيف، وسلاف، على مشاكستهن، وبراءتهن، وأسأل الله أن يجعلهن صالحات مصلحات، حافظات لكتابه الكريم.

ولا يفوتني أن أدعو بالرحمة والمغفرة للشيخ الفاضل، والعالم الجليل، الشيخ محـــبِّ الدين الخطيب، الذي أنستُ بتراثه، واستفدتُ من أفكاره، وتعايشـــتُ مـــع جهـــوده، وارتشفتُ من نضاله وجهاده، وتعلَّمتُ من صبره وحكمته وتفانيه، فأســـال الله جلَّـــت قدرته أن يُترِل على قبره شآبيب الرحمات، وأن يجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة.

كما أشكر مَن سيناقش هذه الرسالة، وأسأل الله -جل جلاله- أن ينفعني بعلمهما، وأن يجعلنا جميعًا ممَّن يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه. وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنـــا محمد وآله وصحبه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

التمهيـــد

ويشتمل على:

- أولا: التعريف بمفردات عنوان البحث.
- ثانيا: الشيخ محب الدين الخطيب: عصره، وحياته، ومؤلفاته.

أولاً: التعريف بمفردات عنوان البحث.

جهود:

الجهد: الوسع والطاقة، وجهد الرجل في كذا: أي جدّ فيه وبالغ. والتجاهد: بذل الوسع[١]، قال الله جلَّ جلاله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾[٢]والمقصود بالجهد في هذا البحث: ما قام به الشيخ بطاقته، وبوسعه، من أجل خدمة الثقافة الإسلامية.

الثقافية:

الثقافة لغة:

ثقف الشيء: حذقه، ورجل ثقف: حاذق فهم، وثقفته: إذا ظفرت به، والتثقيف: تقويم ما فيه عوج، ويستعار لفظ التثقيف للتأديب والتهذيب[٣]، قال الله –جلَّ جلاله:﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٤]، والمراد: ما حذقه الشيخ، وفهمه، وظفر به، ووظَّفه، لخدمة الثقافة الإسلامية.

---

(١) انظر: "لسان العرب"، ابن منظور، ٧٠٨/١. مادة (جهد)، دار المعارف، بدون تاريخ للنشر. وانظر: "القاموس المحيط"، مجد الدين الفيروز آبادي، ٢٧٥/١، مكتبة لبنان، ١٩٨٩م. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ: ٢٠٠٥م. وانظر: "مختار الصحاح"، محمد الرازي، ص: ٦٣، مكتبة لبنان، ١٩٨٩م. وانظر: "المغرب في تاريخ المعرب" المطرزي، ١/ ١١٨ ، تحقيق محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، ط١، مكتبة أسامة بن زيد –حلب، ١٩٧٩م.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٣.

(٣) انظر: "لسان العرب"، ٤٩٢/١، مادة (ثقف). دار المعارف، بدون تاريخ للنشر وانظر: "مختار الصحاح"، محمد الرازي، ص ٧٥، مكتبة لبنان، ١٩٨٩م. وانظر: "القاموس المحيط"، مجد الدين الفيروز آبادي، ٧٩٥/١، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ: ٢٠٠٥م

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٥٧.

اصطلاحًا:

الثقافة الإسلامية:

للثقافة الإسلامية تعاريف متعدِّدة، منها:

١- هي الصورة الحية للأمة الإسلامية، فهي التي تحدِّد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة، وتحدِّد اتِّجاهها فيها، إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونُظُمها التي تعمل على التزامها، وتراثها الذي تخشى عليه الضياع والاندثار، وفكرها الذي تودُّ له الذيوع والانتشار، فإذا انطمست هذه الملامح، فإنه لن يكون للأمة الإسلامية شخصية تميِّزها، وستصبح تبعًا لغيرها(١).

٢- هي جملة العقائد والتصوُّرات والأحكام، والتشريعات والقِيَم والمبادئ، والعوائد والأعراف والفنون والآداب، والعلوم والمخترعات، التي تشكل شخصية الفرد المسلم، وهوية الأمة الإسلامية، وِفْق أُسُس وضوابط الإسلام(٢).

٣- وهناك تعريف للشيخ للثقافة الإسلامية، هو:(كلُّ ما تستمده الأمة الإسلامية من دينها، ومن مألوفها، ومن ذوقها، ومن مواريثها الأدبية، ومن ظروفها الجغرافية، ومن ضروراتها الإقليمية، ومن حاجاتها الاجتماعية، ومن تاريخها، ومن آدابها، ومن أخلاقها، فالثقافة الإسلامية مضبوطة بضوابط أحكام الإسلام وسننه في شتى مناحي الحياة، وهي تختلف اختلافًا كاملاً عن أيِّ ثقافة سواها، ولا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال أن تكون هناك ثقافة عالمية، وأما الدعوة إلى الثقافة العالمية الموحَّدة فهي ليست إلاَّ دعوة صارخة، ومحاولة يائسة، لطمس هوية الثقافة الإسلامية الأصيلة،

---

(١) انظر: "لمحات في الثقافة الإسلامية"، عمر عودة الخطيب، ص: ١٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣ ١٣٩٩هـ: ١٩٧٩م.

(٢) انظر: "الثقافة الإسلامية"، د/ علي عمر با دحدح، ود/ محمد أحمد با جابر، ص: ١٥، دار حافظ، جدة، ط ١، ١٤٢٥هـ.

والربانية، والفريدة، والشاملة)[١].وهذا التعريف في تقديري هو الأعمُّ والأصحُّ؛ وذلك لاشتماله على عناصر وجزئيات لم ترِد في التعريفيْن السابقيْن؛ كأهمية الموقع الجغرافي، وضرورة الاستقلال بالثقافة الإسلامية عن الثقافات الأخرى، والتحذير من الأعداء الذين يتربَّصون بالثقافة الإسلامية، ويقترحون اقتراحات ماكرة، تضرُّ بالثقافة الإسلامية.

ثانيًا: عصر الشيخ محبِّ الدين الخطيب

أولاً: الحالة السياسية في عصره.

لا ريب أنَّ الدولة العثمانية قد قامت بدور هام وبارز في نشر الإسلام في أوروبا، رغم ما تعرَّضت له من تكتُّلات صليبية حاقدة ضد الإسلام والمسلمين، وتبادلت الدولة العثمانية مع أعدائها الهزائم والانتصارات، إلاَّ أنها قدَّمت خدمات جليلة للمسلمين عربًا وعجمًا، وقامت بحماية الشرق العربي والإسلامي من الغزو الاستعماري لمدة ثلاثة قرون[٢].

وبمقابل ذلك كانت: ((أوروبا تقابل العثمانيين على أنهم مسلمون، لا بصفتهم أتراكًا، وتقف في وجههم بحقد صليبي، وترى فيهم أنهم أحيوا الروح الإسلامية القتالية، وأنهم أثاروا الجهاد في النفوس بعد أن خمد مدة من الزمن، وترى فيهم مدًّا إسلاميًّا جديدًا، بعد أن ضعف المسلمون ضعفاً جديّاً، وتنتظر أوروبا قليلاً لتدميرهم))[٣].

فأخذوا يدبّرون المكائد لهذه الدولة الإسلامية، فتداعت عليها عوامل الضعف والهدم من كلِّ حدب وصوب، ووقع لهم ما يريدون، وتحقَّقت آمال الأعداء في إسقاط دولة

---

(١) انظر: "منهج الثقافة الإسلامية"، محب الدين الخطيب، نشرها: قصي محب الدين الخطيب، ص: ١٧- ١٩، دار أم القرى للطباعة، بدون تاريخ للنشر.

(٢) انظر: "الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث"، د/ إسماعيل ياغي، ص: ٢٣٥، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٢، ١٩٩٨م.

(٣) المرجع السابق، ص: ٢٥٧.

الإسلام، فكان حدثًا زلزل القلوب، وهزَّ وجدان المسلمين، وكان لسقوطها آثار مفجعة في تغيير حياتهم، كيف لا؟، والدولة العثمانية هي التي حمت—بعد الله الشرق العربي والإسلامي من الغزو الاستعماري لمدة ثلاثة قرون، وهي التي وقفت عَقبة منيعة في وجه أوروبا الصليبية المتطلِّعة إلى تدمير العالم الإسلامي واستزاف خيراته، ووقفت في وجه مطامع الصهيونية التي خطّطت طويلًا لإنشاء بلد لهم في الأرض المقدَّسة بفلسطين(١).

فترتّب على سقوط الخلافة الإسلامية تعاوُن الشعوب الأوروبية، التي كانت خاضعة للدولة العثمانية مع دول أخرى لم تخضع، ولكن جمع بينهم وحدة الهدف في القضاء على النفوذ العثماني الإسلامي الذي غزاهم في عقر دارهم، ((وأطلقوا على السلطان العثماني شتّى الأوصاف، فهو رجل أوروبا المريض أحيانًا، والمريض الذي لا يُرجَى شفاؤه حينًا ثانيًا، والمريض الذي يجب الإجهاز عليه، شفقة به ورحمة عليه حتى يستريح ويريح، حينًا ثالثًا))(٢).

وقد اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى(٣)بين بريطانيا، وفرنسا، وإنجلترا وحلفائها من جهة، والنمسا، وألمانيا، والدولة العثمانية من جهة أخرى، فهُزِمت النمسا وألمانيا والدولة العثمانية وحلفاؤهم، وقُسِّمت أملاك كلٍّ منهما، واجتاح المستعمر البلاد

---

(١) انظر: "الإسلام والحضارة الغربية"، د/محمد حسين ص: ١٣٢، دار الفرقان، بدون تاريخ للنشر.

(٢) الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، د/ إسماعيل أحمد ياغي، ص: ٢٥٢.

(٣) الحرب العالمية الأولى: وقعت هذه الحرب بين عامي: ١٩١٤: - ١٩١٨م، وكانت الشرارة الأولى المسببة لهذه الحرب هي اغتيال ولي عهد النمسا وزوجته في سراييفو بتاريخ ٢٨ يونيو — حزيران ١٩١٤م، وكان الاغتيال على يد رجل صربي، وكانت صربيا أقلية واقعة تحت حكم إمبراطورية النمسا، فأعلنت النمسا الحرب على صربيا، فاستنجدت صربيا بروسيا، وكانت روسيا على تحالف مع فرنسا وبريطانيا، فتحالفت النمسا مع ألمانيا والإمبراطورية العثمانية، فبدأت الحرب، واتسع نطاقها، وازداد أعداد المتحالفين لكل طرف، وكان من نتائج الحرب العالمية الأولى نهاية النمسا وحلفائها بمن فيهم الإمبراطورية العثمانية. انظر: "التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى"، د/ عبد العزيز سليمان نوار، ود/ محمود محمد جمال الدين، ص: ٤٤٦، دار الفكر العربي، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

الإسلامية، وأبرمت دول الاستعمار العديد من المعاهدات والاتفاقيات، وقسّمت بموجبها العالمَيْن الإسلامي والعربي إلى مناطق، كان من أخطر تلك المعاهدات معاهدة سايكس بيكو[١] السرية عام ١٣٣٤هـ ١٩١٦م[٢].

وقد احتلت انجلترا مصر منذ عام: ١٨٨٢م[٣]، وكان لاحتلالها نتائج سيِّئة، حيث بثَّ المستعمر سمومه، من الإلحاد، والتغريب، واستهداف المرأة المسلمة، والشباب المسلم، والتعليم، ولمَّا أقام الشيخ في مصر، كان له الدور البارز في معالجة الآثار السيئة للاحتلال، في كل شؤون الحياة، خاصة الشأن الإسلامي والثقافي[٤].

وأمَّا سوريا وهي بلد المنشأ للشيخ، فقد أعلنت فرنسا تجزئة سوريا ولبنان إلى دولتيْن منفصلتيْن، وقُسِّمت سوريا إلى أجزاء، وكانت سياسة التفتيت هذه سببًا في سيطرة الفرنسيين على الحكومات والإدارات، فرفعوا العلم الفرنسي، وأعلنوا اللغة الفرنسية لغة رسمية، وأثاروا النعرات القبلية والطائفية، وقضوا على الحكم الوطني في البلاد، وبمحاربة الصناعات الوطنية انتعش الاقتصاد الفرنسي، وتدهور الاقتصاد السوري، ولكن الشعب السوري لم يستسلم، ولم يفتر عن مقاومة المستعمر، فقامت بعض الحركات والثورات

---

(١) سايكس بيكو: هي المعاهدة السّريّة الّتي قامت بين فرنسا وبريطانيا، وعقدت في ١٦ /١٩١٦/٥م، وتتألّف من اثني عشر مادة، قسّم الطّرفان بموجبها البلاد العربيّة إلى أجزاء، استولى كلّ واحد منهما على عدد منها، انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رسالة ماجستير، رغداء زيدان، كلية الإمام الأوزاعي، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، بيروت – لبنان، ص: ١٥٧. وانظر: "الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن"، لأمين سعيد، ١٨٤/١- ١٨٧، مكتبة مدبولي، بدون تاريخ للنشر.

(٢) انظر: "الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث"، د/ إسماعيل أحمد ياغي، ص: ٢٢٣.

(٣) عانت مصر اثنين وسبعين عاما من الاحتلال البريطاني، انظر: "التاريخ السري لاحتلال انجلترا لمصر"، ألفه: مستر الفريد سكاونبلنت، راجعه ووافق على ما فيه الشيخ محمد عبده، ص: ٣، مكتبة الآداب، بدون تاريخ للنشر.

(٤) انظر: "تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر"، د/ إسماعيل أحمد ياغي، ومحمود شاكر، ١٧٣/١، دار المريخ للنشر.بدون تاريخ للنشر.

ضد الاستعمار، إلاَّ أنَّ القوات الفرنسية لم تدَّخر جهدًا في قمع هذه الثورات بالقوة، فقصفت دمشق بالمدفعية، واستخدمت أبشع أنواع التعذيب، فتدخَّلت بريطانيا خوفًا على مصالحها، وخوفًا من أن تفقد الودَّ العربي إلى الأبد، وتحقيقًا لأهدافها الاستراتيجية في المنطقة، فاستجابت فرنسا للإنذار البريطاني وانسحبت من الأراضي السورية، وكان عهد الاستقلال عام ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م، واحتفلت سوريا بجلاء المستعمر عن أراضيها[١].

وقد مرّت بعد عهد الاستقلال بثلاث مراحل، هي:

١- مرحلة الانقلابات العسكرية: فبعد الاستقلال بفترة، برزت ظاهرة الانقلابات العسكرية.

٢- مرحلة الوحدة الشكلية مع مصر: أدركت سوريا ضعفها عن مواجهة المؤامرات الدولية، واضطرَّت إلى التقرُّب من مصر، فنتج عنه قيام الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م، ولكنها لم تدُم طويلًا، فاستقلَّت سورية عن مصر عام ١٣٨٠هـ ١٩٦١م، بعد (٤٤) شهرًا من قيامها، وأيَّد حركة الانفصال حزب البعث، الذي طالب بالوحدة[٢].

٣- مرحلة وصول حزب البعث إلى الحكم: وصل حكم البعث إلى السلطة عام ١٣٨٢هـ: ١٩٦٣م، (وقد وُلد حزب البعث في أحضان الاستعمار الفرنسي، وكانت فرنسا هي مَن احتضنته، وغذّته، وزرعت في نفوس أعضائه الحقد على الإسلام والمسلمين) [٣].

ولقد كان لهذه الأحداث تأثير كبير في حياة الشيخ، حيث أبرزت جهوده العلمية، وجعلته ممَّن حمل همّ الإسلام، وممَّن تبصّر بحال المسلمين، واهتم بقضاياهم، فكان مدافعًا

---

(١) انظر: "تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر"، د/ إسماعيل أحمد ياغي، ومحمود شاكر، ١/١٧٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١/١٤٣.

(٣) حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، ص: ١٩٨-٢٠٠، دار المجتمع، ط ٤، بدون تاريخ نشر.

عن الإسلام، داعيًا إلى التمسُّك بشرع الله تعالى، مقاومًا للاستعمار وخططه، متَّخذًا من قلمه وجهده وفكره وسيلة لتوضيح الإسلام، وغرس روح الدفاع عنه في نفوس المسلمين.

ثانيًا: الحالة الاجتماعية:

المجتمع الإسلامي هو ذاك المجتمع الذي تميَّز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة، وتعاليمه الإسلامية، وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجَّهون إلى قبلة واحدة، ولهذا المجتمع وإنْ تكوّن من أقوام متعدِّدة وألسنة متباينة خصائص مشتركة، وأعراف عامة، وعادات موحَّدة، ففيه مقوِّمات المجتمع القوي المتماسك، والمطبوع بطابع واحد متميِّز[1].

وقد بقي العالم الإسلامي كذلك إلى أن اجتمعت عدة عوامل من الداخل ومن الخارج؛ لهدم كيانه الاجتماعي، وتعرّض للعزلة والجمود، وأُصِيب بالفقر والمرض والجهل في أخلاقه، ولم يعد المجتمع المسلم جسدًا واحدًا، فقد قُطّعت أوصاله، وظهر الانحلال في سلوك بعض أفراده، من ممارسة ما حرَّمه الشرع الحكيم، من الخمور والقمار، وتبعها تهاونٌ في العبادات، إضافةً إلى الانهيار الأخلاقي، فانتشر الكذب والغشُّ والنفاق، وأصبحت الرذيلة مطلب بعض الشاب، وقد ساعد على ذلك إعلام فاجر، لا يراعي الله، فمسخ القِيَم الإسلامية بمواده الإعلامية الفاجرة، فأصبحت العلاقات الجنسية والإباحية أبرز أهداف ذلك الإعلام، ثم شهد العالم الإسلامي موجة من التغيير الاجتماعي، بل انقلابًا اجتماعيًّا، وهو ما يُعرَف بالتغريب، الذي كان يستهدف عقائد المجتمعات الإسلامية وأخلاقها، وقد أدّى هذا التغيير إلى ضعف الهوية الإسلامية، حيث نظر مَن تعرّض لهذا التغيير إلى الحضارة الغربية بنظرة الإعجاب والانبهار، ممّا جعله يتباهى

---

(١) انظر: "حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة"، د/ جميل عبدالله محمد المصري، ١/١٧٣، دار أم القرى، الأردن، ط ٣، ١٤١٧هـ: ١٩٩٦م.

بالانسلاخ عن دينه، ووطنه، وعقيدته، وتوجَّه الماكرون إلى بيوت المسلمين، فنادوا بفكرة تحرير المرأة، وأنَّ الإسلام قد تسبّب في هضم حقها، فأتوا بدعوى المساواة بينها وبين الرجل، في جميع مجالات الحياة، فأخرجوها من عفتها وحيائها بفكرة الاختلاط، فتفكَّكت بعض الأُسَر المسلمة، وانهارت بعض أحكام الإسلام(١). ولقد كان للشيخ الجهود البارزة في إصلاح ما حلَّ بالمجتمع الإسلامي من العوامل الداخلة عليه، فجنّد نفسه للحفاظ على ما تبقَّى من القِيَم، وساهم في إصلاح ما أُفسِد، ووضع الخطط المستقبلية للحفاظ على الأجيال المسلمة القادمة.

ثالثًا: الحالة العلمية والفكرية في عصره.

الفكر ركيزة هامة في حياة الأمم، ودليل على حيويتها وتقدمها، أو على جمودها وتخلُّفها في جميع المجالات، الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والأمة القوية هي التي يجتمع أبناؤها على عقيدة واحدة، ومبادئ واحدة، فتكون لها وجهة نظر واحدة؛ أي تتمتَّع بوحدة الفكر(٢).

ولقد سلك الاستعمار إلى تغيير المجتمعات الإسلامية كلَّ سبيل، وتغلغل في كلِّ الميادين، فجاءت الأهداف السياسية ممزوجة بالأهداف الدينية، في محاولة تحويل العقول المسلمة عن دينها الذي ارتضاه الله لها، ومن أجل ذلك كانت (جميع الحروب الأوروبية التي شُنّت فيما بعد على الدولة العثمانية حروبًا دينية صليبية في أساسها)(٣).

ولا شكَّ أنَّ فهم الإسلام الفهم الصحيح هو الذي مكّن المسلمين من بناء حضارة عملاقة، فوصلوا بالإسلام إلى أسمى الدرجات، واشتغلوا بمختلف العلوم، ونبحوا في شتّى مجالات الحياة، فكانت المدارس والجامعات منتشرة في أرجاء العالم الإسلامي، وكان العلم

---

(١) انظر: "الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث"، د/ إسماعيل أحمد ياغي،ص: ١٦٩.

(٢) انظر: "حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة"، د/ جميل عبدالله محمد المصري، ١/١٧٣.

(٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د/ مصطفى خالدي، و د/ عمرو فروخ، ص: ١١٥.

مفتوحًا للراغب فيه دون قيد أو شرط، ولذا نبغ كثير من العلماء والأدباء، ولقد شهدت بلاد المسلمين نهضة علمية كبيرة، ممثّلةً في المدارس، والجامعات، والمكتبات المفتوحة أمام أبناء المسلمين وغيرهم، ممَّن أراد الاستزادة من هذه المكتبات، وبعد هذا التقدُّم والتفوُّق، تعرّض العالم الإسلامي إلى نكبات، ومؤامرات داخلية وخارجية، أدّت إلى ركود وجمود علمي، وانكماش في الحركة العلمية والفكرية، على نقيض ما كان في أوروبا(١).

وكان من أهم أسباب هذا الجمود:

١- عدم نزوع التطوُّر العلمي بوجه عام إلى التطوير النافع، والتجديد المفيد والابتكار.

٢- عدم مواكبة التطوُّر العلمي في العالم، وعدم اقتباس ما جدَّ في المعرفة الصحيحة العالمية ممّا له طابع التقدُّم الحضاري السليم، الخالي من زيف الأفكار الناقصة للتعاليم الربانية والأخلاق الإسلامية.

٣- عدم الاهتمام بالعلوم التي يعتمد عليها البناء الحضاري المادي، والتي يعتمد عليها إنتاج الوسائل المادية، وإهمال جوانب التطبيق والتجربة فيها.

٤- عدم الاهتمام ببيان وجوه الحكمة المستندة إلى نظرات الفكر الثاقب والتجارب الإنسانية، والتي تظهر كمال الإسلام في أحكامه ونظمه، بالمقارنة بينها وبين الأحكام الوضعية والنُّظُم العالمية الأخرى(٢).

وهكذا فقد بقي أثر الاستعمار الغربي في التعليم الإسلامي حتى بعد رحيله، ((ففي سورية مثلًا لم تغيِّر الحكومات الوطنية كثيرًا من مناهج التعليم التي وضعها المستعمر في سياسته وأهدافه، باستثناء ما يتَّصل بالعواطف الوطنية والمشاعر القومية، لكنها اضطرَّت

---

(١) انظر: "حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة"، د/ جميل عبدالله محمد المصري، ١/٦٠.

(٢) انظر: "غزو في الصميم"، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص: ٢٣، دار القلم بدمشق، وبيروت، ط ٢ ١٤٢٠هـ.

إلى الاستجابة لبعض مطالب الجماهير المسلمة فيما يتَّصل بمادة التربية الإسلامية، والدراسات الشرعية، فارتفعت حصص التربية الإسلامية إلى حصتيْن في الأسبوع)) [١].

وقد بعُد كثير من الناس عن العقيدة الصحيحة، وانتشرت الخرافات، وصُرِفت أنواع من العبادة إلى غير الله-جلَّ جلاله، وحُصِر مفهوم العبادة في الشعائر التعبُّدية، وظهرت العصبيات القبلية، وتفاوتت المفاهيم، وأُسِّست الآراء التي فرّقت المسلمين، وكان لهذه المواقف نتائج ظاهرة؛ منها تفرُّق الأمة الإسلامية، حيث قسَّموا أملاك الرجل المريض (الدولة العثمانية)، كما يسمِّيها أعداؤها، واحتل الإنجليز فلسطين، وسلموها لليهود، وزرعوا الخلافات الحدودية مع البلاد المحيطة، وقسَّموها إلى دويلات ضعيفة متعادية متنابذة، لا وزن لها في عالم الحرب، ولا عالم السياسة، ولا عالم الاقتصاد، وبعد ذلك كله، سلَّطوا عليها الغزو الفكري، واستخدموا كلَّ وسائل التمييع، حتى يخرجوها من دينها الذي كان سبب سيادتها وريادتها للعالم، فقد أدخلت المذاهب الفكرية: القومية، والعلمانية وغيرها لتكون البديل الفكري عن الإسلام[٢].

وأيضًا: فقد كان للدور السياسي الاستعماري أثر في إفساد الحياة الدينية، فقد استجابت الدول الغربية إلى رغبة مبشِّريها، ومن أجل ذلك، كانت هذه الدول تضغط على الدولة العثمانية بين الحين والحين من أجل مبشِّريها، فتلين الدولة العثمانية أمام هؤلاء المبشِّرين، وقد أراد الأتراك مرةً إغلاق بعض مدارس المبشِّرين، ولكنهم تراجعوا أمام ضغط سياسي أوروبي[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص: ٥٨.

(٢) انظر: "كيف ندعو الناس"، محمد قطب، ص: ٣٤-٣٥، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: "التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي"، د/ مصطفى خالدي، ود/ عمرو فروخ، ص:١١٧- ١١٨.

ويمكن إيضاح الحالة العلمية والفكرية في عصر الشيخ على النحو الآتي:

١- تيقَّن الأعداء من فشلهم في القضاء على العقيدة الإسلامية بالحروب الصليبية، لذلك فقد شنّوا غارات فكرية لإفساد العقيدة والقِيَم والمفاهيم، وتمييع الثقافة؛ وذلك لأنهم يدركون أهمية الفكر في بناء الأمة، فراحوا ينشرون الأفكار الإلحادية، واستغلُّوا الصحف والمجلات التي هدفت إلى تنشئة جيل التالي من الصحفيين على هذه المبادئ العلمانية، وهو الجيل الذي ربَّى بدوره جيلاً آخر، وجاءت من بعده أجيال على شاكلته، فلم يأت منتصف القرن العشرين، حتى كانت الصحافة كلها في أيدي العلمانيين [١].

٢- أقاموا المدارس والمعاهد التبشيرية في دول العالم الإسلامي، وسعوا إلى إفساد مناهج التعليم والإعلام، ونقلوا مظاهر الحضارة الغربية، حتى يضعف اعتزاز المسلم بدينه، ومن ثَمَّ يُصَاب بالانهزامية أمام هذه الحضارة، وقاموا بدراسة اللغة العربية؛ لأنها في نظرهم الوسيلة للقضاء على القرآن الكريم، واصطنعوا حركات هدَّامة للأمة، فشجَّعوا حركات الهدم، التي كان من أهدافها القضاء على الجهاد الإسلامي، والعمل على تشويه صورة الإسلام ورجاله، والمناداة بالأخوة الإنسانية بدلًا من الأخوَّة الإيمانية، واتَّخذوا من أبناء المسلمين بعد ابتعاثهم وتغذيتهم بالفكر الغربي مَن يعينهم على تنفيذ تلك المخطَّطات، فنجحوا بذلك، فحُورِب الإسلام من أهله [٢].

وأخذ المستعمر يجاهد بالنَّفس والنفيس، والمكر والدهاء؛ لإفساد العقائد والأخلاق، والطعن في مقوِّمات هذه الأمة، وتقطيع الروابط التي تربط بين أبنائها وشعوبها، وجعلها لقمة سائغة في أفواه الطامعين، وعلى الرغم من ذلك، فما تزال هذه الأمة خير الأُمم، ودينها خير الأديان، والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون.

---

(١) انظر: "الإسلام والحضارة"، د/ محمد محمد حسين، ص: ٥٥.

(٢) انظر: "حاضر العالم الإسلامي"، د/ علي جريشة، ص:٥٢.

حياته:

- **اسمه ونسبه:**

هو محبُّ الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب[١].

ويعود نسب الشيخ محبِّ الدّين إلى أسرة آل الخطيب الحسني الشّهيرة في دمشق، التي انتقلت إليها قبل مائتي سنة من بلدة "عذراء"[٢]في الغوطة الشّرقيّة لدمشق، وأوّل مَن انتقل إلى المدينة من آل الخطيب جدّ الأسرة الشّيخ عبد الرّحيم بن محمّد الخطيب[٣]، وأسرة الشّيخ عبد الرّحيم هذا في "عذراء" هم أشرافها، وكانوا قد قدِموا إليها من "حماة"، ويحتفظ جماعة "عذراء" و"حماة" بشهادة نسبهم، الذي يعود إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني[٤]، ثمّ إلى الصحابي الجليل الحسن بن علي سبط النّبيﷺ.وقد أُكِّد هذا النّسب،

---

(١) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري". ٢: ٨٤٧. محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه. قدم له د/ شكري فيصل، دمشق، دار الفكر. ١٤٠٦هـ : ١٩٨٦م. وانظر: "أعلام التراث في العصر الحديث"، محمود الأرناؤوط، ص: ١١٧، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ودار ابن العماد للنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ: ٢٠٠١م.

(٢) عذراء: هي بلدة عدرا الآن، تقع إلى الشّمال من دمشق، وتبعد عنها مسافة عشرين كيلو مترا، وقد ذكرها ياقوت الحمويّ في معجم البلدان بقوله: "وهي قريّة بغوطة دمشق، إذا انحدرت في ثنيّة العقاب، وأشرفت على الغوطة، فتأمّلت على يسارك رأيتها أوّل قريّة تلي الجبل ". انظر: "معجم البلدان"، ياقوت الحموي، ٤: ٩١، تحقيق أحمد فريد الرّفاعي، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٧هـ: ١٩٨٧م،

(٣) عبد الرّحيم الخطيب: مدفون في الجنوب الغربي من مقبرة الدّحداح، في دمشق، توفي سنة ١١٩٩هـ: ١٧٨٥م. انظر: "محب الدين الخطيب حياته بقلمه"، ص: ٣، دمشق، مطبوعات جمعيّة التّمدن الإسلاميّ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٤) عبد القادر الجيلاني: مؤسس الطريقة القادريّة، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان ٤٧١هـ: ١٠٧٨م،وانتقل إلى بغداد، برع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، توفّي سنة:٥٦١هـ: ١١٦٦م، انظر: "سير أعلام النّبلاء"، الذّهبي، ٢٠: ٤٥١. تحقيق شعيب أرناؤوط، ومحمّد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ط ٩، بدون تاريخ للنشر.

وصُدِّق عليه، بكتابة ما يزيد عن مائة شخص، من كبار أشراف وعلماء وأعيان دار الخلافة العثمانيّة الإسلاميّة، ومكّة المكرّمة، والمدينة المنوّرة، وبلاد الشّام، وبلاد المغرب، والأفغان، واليمن، وغيرها، وأسرة الخطيب هي إحدى أُسَر دمشق الكبيرة، ومازالت تحتفظ بمكانتها العلميّة والدّينيّة البارزة والمميَّزة فيها،وهناك صور لما كتبه بعض الأشراف والأعيان والوجهاء والعلماء الّذين وقّعوا وصدّقوا هذا النّسب، وأكّدوا صحّته. وقام بعض أفراد آل الخطيب برسم شجرة نسب للعائلة، تبيّن تسلسلها وتفرُّعها، وتذكر أفراد العائلة بصورة مفصّلة[١].

- **ولادته:**

وُلِد بدمشق في حي القيمرية[٢]، في شوال سنة ١٣٠٣ هـ: آخر تموز ١٨٨٦م[٣].

والده: أبو الفتح الخطيب بن عبد القادر الخطيب[٤].

ووالدته هي: آسية الجلاّد[٥]، كانت تقية صالحة ذات فضائل، تُوفِّيت بين مكة والمدينة أثناء عودتها من فريضة الحج، ودُفِنت بالفلاة، وكان الشيخ محبُّ الدين صغيرًا في حجرها ساعة موتها، فشمله أبوه برعايته ليعوِّضه حنان الأم[٦].

---

(١) انظر: "محب الدين الخطيب حياته بقلمه"، ص: ٣. وانظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٣٨.

(٢) حي القيمرية: حي في دمشق، من الأحياء العريقة، ويقع شرقي الجامع الأموي، تنسب تسميته إلى المدرسة القيمرية الّتي أنشأها فيه الأمير ناصر الدّين أبو المعالي حسين القيمري، أحد قادة الملك الناصر يوسف الأيوبي الثاني، المتوفى سنة: ٦٦٥هـ، انظر: "معجم دمشق التاريخي"، الشهابي، ٢٢١/١، دمشق، منشورات وزارة الثّقافة، ١٤١٩هـ: ١٩٩٩م.

(٣) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه،٢: ٨٤٧. وانظر: "موسوعة بيت الحكمة في القرنين التاسع عشر والعشرين"، مجموعة مؤلفين، ٤٣٥/١، ط ١، بغداد، ١٤٢٠هـ: ٢٠٠٠م.

(٤) هو أبو الفتح الخطيب بن عبد القادر الخطيب، ولد سنة ١٢٥٠هـ : ١٨٣٤م، أخذ عن بعض علماء عصره مثل الشيخ حسن الشطي، وتصدر للتدريس والوعظ في الجامع الأموي، عين محافظاً لدار الكتب الظاهرية، وتولى الخطابة والإمامة، وتوفي سنة: ١٣١٤هـ: ١٨٩٧م، انظر:"غرر الشام"، عبد العزيز الخطيب، ٥٦٢/١، دمشق، دار حسان، ١٤١٧هـ: ١٩٩٦م.

(٥) آسية الجلاد: هي آسية بنت محمد بن أحمد بن شحادة الجلاد، والدها من أصحاب الأملاك الزراعية، وإخوتها من أهل التجارة والزراعة، انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه،٢: ٨٤٧.

(٦) انظر: المرجع السابق. وانظر: "أعلام التراث في العصر الحديث"، محمود الأرناؤوط، ص: ١١٨.

- **نشأته:** كان من إرادة الله جلَّ جلاله أن ينشأ الشيخ يتيمًا يُتْم الأم، فلمَّا تُوفِّيت والدته، كان قد مضى من عمره سبع سنوات تقريبًا، ثم تُوفِّي والده بعد ما مضى من عمره أربع عشرة سنة تقريبًا، فاحتوته أخته لأبيه[١][٢].

- **دراسته:**

بعد ما رجع الشيخ من رحلة الحج التي تُوفِّيت فيها والدته، ألحقه أبوه بمدرسة الترقِّي النموذجية[٣]، وحصل منها على شهادة إتمام المرحلة الابتدائية بتقدير (علي الأعلى)؛ أي ما يعادل جيِّد جدًا، وذلك في ٢٣ : ١ : ١٣١٤هـ.

ثم التحق بمدرسة مكتب عنبر[٤]، وبعد سنة من دخوله المدرسة، تُوفِّي والده، فرأت أسرته وأقاربه أن يترك المدرسة، فتركها ولازم دروس العلماء[٥].

---

(١) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه،٢: ٨٤٧. وانظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٤٠.

(٢) أخته هي: باهية الخطيب، بنت أبي الفتح الخطيب، ولدت سنة ١٢٨٨هـ، وهي الأخت الكبرى للشيخ، وقد ربّته، واعتنت به بعد وفاة والده، وكانت إمرأة صارمة، شديدة، انظر: "ذكريات علي الطّنطاوي"، علي الطنطاوي، دارالمنارة – جدة، ١٤٠٥ – ١٩٨٢،عددالمجلدات: ٨.ص: ١١٩.

(٣) التّرقي النّموذجية: مدرسة ابتدائية حكومية في الدولة العثمانية، عنوانها بالتركي "نمونة ترقي" تقع في بناء كبير، تقوم في الجانب القبلي منه دار الكتب الظاهرية في دمشق القديمة، انظر: "محب الدين الخطيب حياته بقلمه"، ص: ٥.

(٤) مكتب عنبر: نسبة إلى الخواجة يوسف عنبر، الثري اليهودي، الذي عجز عن إتمام بنائه فصادرته الدولة العثمانية، وجعلت منه أول مدرسة تجهيزية (إعدادية) في دمشق، وكان ذلك سنة: ١٣٠٤هـ: ١٨٨٦م، وعرفت باسم المدرسة الملكية الإعدادية، وفي مطلع القرن العشرين صارت مدرسة حكومية للفنون، انظر: "معجم دمشق التاريخي"، الشهابي، ٣٢١/٢.

(٥) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه،٢: ٨٤٨.وانظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٤١.

- **مرحلة ما بعد تركه للدراسة:**

كان والد الشيخ، أمين وناظر دار الكتب الظاهرية[١]، وكانت هذه الدار تحت إشراف الشيخ طاهر الجزائري[٢]، ولقد كانت هناك علاقة بين والد الشيخ محبِّ الدين بحكم عمله أمينًا للدار – وبين الشيخ طاهر الجزائري – بحكم إشرافه على الدار. فلمَّا تُوفِّي والد الشيخ محبِّ الدين، كان الشيخ طاهر الجزائري مسافرًا، فلمَّا عاد الشيخ طاهر الجزائري من سفره، احتوى الشيخ محبَّ الدين وعطف عليه، وفتح عينيْه على قراءة التراث العربي، وبثَّ فيه حب الدعوة الإسلامية، وإيقاظ العرب؛ ليقووا على حمل رسالة الإسلام، ولقد سعى الشيخ طاهر الجزائري بأن يحلَّ الشيخ محبُّ الدين مكان والده أمينًا وناظرًا لدار الكتب الظاهرية، ولكن بعد أن يبلغ الشيخ محبُّ الدين سن الرشد، وخلال فترة الانتظار، كان الشيخ طاهر الجزائري ينتقي لتلميذه الشيخ محبِّ الدين مخطوطات من تأليف أعلام المسلمين، فيكلِّفه بنسخها لتتوسَّع ثقافته، وينتفع بأجر النسخ، ثم وجَّهه للالتحاق ثانيةً بمكتب عنبر، كما أشار عليه أن ينتفع بالشيخ أحمد النويلاتي[٣]، الذي

---

(١) دار الكتب الظاهرية: تأسست سنة: ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م، على يد الشيخ طاهر الجزائري، وهي دار عامة للكتب، تحوي مخطوطات كثيرة، وكتبا مفيدة،وكانت تعد من المكتبات الهامة إلى وقت قريب، غير أن كثيرا من محتوياتها قد نقل إلى مكتبة الأسد الوطنية بعد ذلك، انظر: "كنوز الأجداد"، محمد كرد علي، ص:٩، دمشق، دار الفكر، ط ٢، سنة: ١٤٠٤هـ: ١٩٨٤م.

(٢) طاهر الجزائري: هو طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري، ولد سنة: ١٢٦٨هـ: ١٨٥٢م، هاجر والده إلى دمشق سنة: ١٢٦٣هـ، أتقن العربية والفارسية والتركية والفرنسية والسريانية والعبرانية والحبشية والبربرية، أولع باقتناء المخطوطات، وأنشأ المكتبة الظاهرية، والمكتبة الخالدية في القدس، عين مفتشا عاما للمدارس الابتدائيّة سنة:١٢٨٥هـ، فألف كتب التدريس للصفوف الابتدائية، من مؤلفاته: مدخل الطلاب إلى علم الحساب، ورسالة في النحو، والتبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، وغير ذلك، يعد من ألمع علماء القرن التاسع عشر، توفي سنة: ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م، انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٣: ٢٢٢.

(٣) أحمد النّويلاتي: ولد في دمشق، سنة: ١٢٨٥هـ: ١٨٦٨م، وشب عصاميا، عكف على طلب العلم، لازم الشيخ طاهر الجزائري مدة طويلة، وتأثر به، كان مدرسا في مدرسة الملك الظاهر، تولى الخطابة في مسجد باب السلام، كان واعظا ومدرسا في الجامع الأموي، توفي سنة: ١٣٥٧هـ: ١٩٣٨م، انظر:"موسوعة أعلام سورية في القرن العشرين"، سليمان البواب، ٤: ٣٧٠، بيروت، دار المنارة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

كانت له غرفة يعتزل بها في مدرسة عبد الله باشا العظم[١]، كما كانت للشيخ طاهر الجزائري أيضًا فيها غرفة، وكذلك غرفة للشيخ جمال الدين القاسمي[٢]، فكان الشيخ محبُّ الدين يتردَّد إلى هذه الغرف، وينهل من علم أصحابها[٣].

- **تأثير الشيخ أحمد النويلاتي على الشيخ محبِّ الدين:**

لازم الشيخ محبُّ الدين الشيخ أحمد النويلاتي، فقرأ عليه شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وأتقن على يديْه قراءة القرآن الكريم، كما استفاد منه الأخلاق الكريمة[٤].

- **أسباب نبوغ الشيخ محبِّ الدين:**

لقد نبغ الشيخ في سنٍّ مبكِّرة، وكان لهذا النبوغ مؤثِّرات:

- أهمها وأبرزها فضل الله جلَّ جلاله.
- ارتباطه الوثيق بروَّاد الفكر في الشام في ذلك العصر.
- مطالعاته المتواصلة في دار الكتب الظاهرية.
- نسخ المخطوطات وتحقيقها.
- ما اقتناه شخصيًا من الكتب الإسلامية.
- اطِّلاعه على المجلات الكبرى في العالم الإسلامي[٥].

---

(١) مدرسة عبد الله باشا: بناها الوالي محمد باشا، سنة: ١١٩٣هـ، ووقف لها ثلاث مائة كتاب، وقام عبد الله باشا بن محمد باشا بتوسيعها فسميت باسمه، وكان طلاب مكتب عنبر يتلقون فيها دروس اللغة العربية على يد أساتذتها لتمكنهم منها. انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٣٠٣.

(٢) جمال الدين القاسمي: إمام الشام في عصره علما بالدين، وتضلعا في فنون الأدب، ولد في دمشق،سنة:١٢٨٣/١٨٦٦م، رحل إلى مصر، ونشر بحوثا كثيرة في المجلات والصحف، من مصنفاته: "دلائل التوحيد"، و"ديوان خطب"، وغيرها، توفّي سنة: ١٣٣٢هـ: ١٩١٤م، انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه،١/٢٩٨.

(٣) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه، ٢: ٨٤٧.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: المرجع السابق.

- **بداية العمل والجهاد الثقافي للشيخ محبِّ الدين الخطيب:**

بدأ الشيخ العمل والجهاد الثقافي في سنٍّ مبكرة، وكان ذلك تحت إشراف شيخه الشيخ طاهر الجزائري، وكانت هذه المرحلة الأولى التي لم يلمع فيها نجم الشيخ، ولقد بدأ لمعان نجم الشيخ خلال دراسته الثانوية، حيث كان يعرِّف زملاءه وأقرانه من الأذكياء برسالة الإسلام الخالدة، ويُشعِرهم بمكانة اللغة العربية ومكانة العرب، وكان يطرح هذه الأفكار لرفاقه في حلقة صغيرة، وكان يلقِّح الأفكار التي يطرحها لرفاقه بالأفكار التي كانت تُطرَح في حلقة شيخه الشيخ طاهر الجزائري، حيث كان الشيخ محبُّ الدين مواظبًا على الحضور فيها، ولقد بدأ الشيخ يمرِّن قلمه على بعض المقالات العلمية، والقطع الأدبية التي يعربها عن اللغة التركية، وكان يرسل بما يترجمه وما يكتبه إلى صحيفة ثمرات الفنون[١]، وكان يوقِّع على المقالات بالحروف الأولى من اسمه، ثم ما لبث أن وقع باسمه الصريح لما آنس القبول[٢].

- **خروج الشيخ محبِّ الدين الخطيب من دمشق:**

لَّما كان الشيخ في السنة السادسة بمكتب عنبر وهي السنة قبل الأخيرة رأى أحد المدرسين في درجه كتبًا تحوي قصائد وكتابات تتغنَّى بالحرية، وتتمجَّد بها، فنقل هذا المدرس الأمر للإدارة، وأُجرِي معه تحقيق، حسموا على أثره درجتيْن من السلوك، وتعمَّدوا أن يُرسِّبوه في امتحان الدور الأول، ولَّما خشي الشيخ من التحامُل عليه في الدور الثاني، طلب نقله على حالته إلى بيروت، فقدَّم فيها الدور الثاني، ونجح بتفوُّق، وأتمَّ فيها

---

(١) ثمرات الفنون: صحيفة صدرت في بيروت، سنة: ١٨٨٥م، واستمرت إلى سنة: ١٩٠٨م، لصاحبها: عبد القادر القباني، ويحررها أحمد حسن طبارة، انظر: "الإعلام"، محمد منير سعد الدين، ص: ١١٦، بدون تاريخ للنشر.

(٢) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه،٢: ٨٤٩.

سنته السابعة والأخيرة، وكان للشيخ في بيروت نشاطه البارز، حتى نال الشهادة الثانوية في ٦ جمادى الأولى، سنة: ١٣٢٣ هـ[١].

- **ذهاب الشيخ محبِّ الدين الخطيب إلى تركيا:**

قصد الشيخ تركيا، والتحق بكليتي الآداب والحقوق في آنٍ واحد، وهذا يدلُّ على قدراته العقلية الكبيرة، ونزل في حي يكثر فيه أبناء العرب، وطلاب العلم، والوظائف؛ لقربه من المدارس، وقد هاله أن يرى الطلاب العرب في تركيا يجهلون قواعد لغتهم وإملائها، فضلاً عن آدابها وثقافتها، ويتكلَّمون فيما بينهم باللغة التركية، وليس لأحدهم رسالة سامية في الحياة، ولا مطمع إلاَّ أن يجيد اللغة التركية ويندمج في أهلها، ثم يكون مستعبدًا للوظيفة التي يرجو الحصول عليها، فبدأ الشيخ يعمل مع طلائع الشباب العربي، وجعل يبثُّ في نفوس الطلاب العرب حب العربية، ويتدارس معهم تاريخ التمدُّن الإسلامي، وتخيَّر من الشباب طائفة، أقنعها بتعلم العربية وآدابها، واتَّفق مع صديقه الأمير عارف الشهابي[٢]أن يقتسما هؤلاء الشباب لتعليمهم، وتقوية لغتهم الأم، وكان التعليم بالمجان، ثم كاشف الشيخ محبُّ الدين هؤلاء الشباب أنَّ ما هم فيه يبشِّر بنهضة مباركة، واقترح أن يُسمَّى عملهم باسم (جمعية النهضة العربية)[٣]، ورغَّبهم بمطالعة الصحف التي

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) عارف الشّهابي: من أمراء الأسرة الشهابية، ولد سنة: ١٣٠٦هـ: ١٨٨٩م في حاصبيّا، وتلقى دراسته الإعدادية في دمشق، وتابع دراسته في بيروت، سافر إلى الأستانة وحصل على الشهادة من كلية الحقوق، احترف المحاماة، وشارك في إصدار جريدة المفيد، وكان من أعضاء جمعية العربية الفتاة، نفذ فيه حكم الإعدام بسبب التحاقه بهذه الجمعية، سنة: ١٣٣٤هـ: ١٩١٦م، له كتاب: تاريخ الإسلام، وكتاب: قصائد وخطب، انظر: "شهداء الحرب العالمية الكبرى"، أدهم الجندي، ص: ١٢١، دمشق، مطبعة العروبة، سنة: ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

(٣) جمعية النهضة العربية: أسسها الشيخ محب الدين، وصديقه عارف الشهابي، وهي أول جمعية عربية منظمة نشأت في البلاد العثمانية، وكان لها تأثير واضح في ترسيخ أهمية العروبة في نفوس شباب العرب، وكان بداية تأسيسها في القسطنطينية، حيث ألف الشيخ مع صديقه عارف الشهابي حلقتين لتعليم أبناء العرب اللغة العربية وآدابها، وفي السابع من ذي القعدة سنة ١٣٢٤هـ: ٢٤ أيلول ١٩٠٦م كاشف الشيخ الطلاب المتميزين من

=

كان قد اتَّفق مع صديقه الأستاذ محمد كرد علي[1] أن يرسلها إليه في البريد، ورأى الشيخ محبُّ الدين توسيع العمل في هذه الجمعية، فاتَّفق مع أعضائها على جذب الشباب إلى أحد المقاهي؛ لميلهم إليها، فاتَّفقوا مع صاحب القهوة التي تمَّ اختيارها، ووعدوه بتحسين حال قهوته، وجلبوا إلى القهوة مكبِّر الصوت، فأخذ الشباب يُقبِلون على المقهى، وانعقدت صداقات بين أعضاء الجمعية التي أخذت تتوسَّع، وشعر الشباب بحاجتهم إلى حفل متَّسع؛ لتبادل المشاعر والأفكار الجديدة، والآمال المتفتِّحة، بعيدًا عن عيون المراقبة التركية، فتمَّ الاتِّفاق على الاجتماع، وأُقِيم الحفل على خفية من السلطات التركية، واشتدَّ هذا النشاط الطارئ، وشعرت به الرقابة التركية، وأمسكوا بخيوطه، ففتَّشت السلطات التركية غرفة الشيخ، فوجدوا فيها أوراقًا، وجرائد عربية، ومجلات، وكتبًا غير كتب الدراسة، وهذه تعتبر إدانة وجُرم، تعاقب عليه السلطات التركية، ومن فضل الله أنَّ الذي تولَّى مهمة تفتيش غرفة الشيخ، ضابط كانت تربطه بأسرة الخطيب رابطة وثيقة، فحذَّره ووجَّهه إلى وجوب التخلُّص ممَّا يثير الشبهات، وأعلمه أنه مراقب هو وزملاؤه منذ مدة، وأنه إذا لم

=

شباب الحلقتين أن عملهم يبشر بنهضة مباركة، واقترح أن تسمى الحلقتان باسم جمعية النهضة العربية، وكان أول احتفال بإنشاء هذه الجمعية في القسطنطينية، في مقهى، في حديقة، بتاريخ: ٥: ٦: ١٣٢٥هـ، ثم عمل الشيخ على توسيع هذه الجمعية، وإنشاء فروع لها في دمشق، واليمن، ثم علمت سلطات الدولة العثمانية بنشاط الجمعية، فضيقت عليها وعلى أصحابها، وبدأت بملاحقتهم، فغادر الشيخ إلى دمشق، والتحق بفرع الجمعية في دمشق، وألغى مركزها الرئيسي في القسطنطينية، وحينما أعلن الدستور العثماني سنة: ١٩٠٨م أعلنت الجمعية عن نفسها في دمشق باسم جمعية النهضة السورية، أملا في الحصول على ترخيص لعملها، وبعد عامين من محاولات الحصول على ترخيص، حصلت عليه الجمعية بعد التعديل على موادها بصرف الاهتمام عن أي عمل له علاقة بالسياسة، حتى حصلت الجمعية على الترخيص سنة ١٩١٠م، واستمرت الجمعية في عملها حتى بعد رحيل الشيخ من دمشق، وكان آخر أيام الجمعية مع بداية الحرب العالمية الأولى. انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٢٧٣-٢٨٢.

(١) محمد كرد علي: ولد في دمشق، سنة: ١٢٩٣هـ: ١٨٧٦م، وهو رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤسسه، صاحب مجلة المقتبس، هاجر إلى مصر، وقام بتحرير مجلة الظاهر، وعمل في المؤيد، وولي وزارة المعارف مرتين، منكتبه: خطط الشّام، الإسلام والحضارة العربيّة، كنوز الأجداد، المعاصرون، وغيرها. توفّي سنة: ١٣٧٢هـ: ١٩٥٣م، انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٦: ٢٠٢ -٢٠٣.

يغيِّر ما هو فيه، وقع ما لا يُحمَد عقباه، بعد ذلك اكتفى الشيخ بكلية الحقوق، وانقطع عن كلية الآداب؛ وذلك لانشغاله، واتِّساع عمله، ونشاطه الصحفي والجمعياتي، ولمَّا نجح إلى السنة الثالثة في كلية الحقوق، كانت خطة الشيخ أن يتفرَّغ في العطلة المدرسية لمواصلة العمل في جمعية النهضة، لكن شدة الرقابة، والخطر الذي كاد أن يقع بالشيخ، أجبره باقتراحٍ من إخوانه أن يغادر تركيا، ويعود إلى دمشق، فسافر إلى دمشق في صيف ١٣٣٥ هـ: ١٩٠٧م، وبقي فيها سنة كاملة، وذلك حتى تهدأ الحالة في تركيا، وتنقطع الرقابة على الجمعية وأعضائها[١].

- **ذهاب الشيخ محبِّ الدين إلى اليمن:**

في أثناء بقاء الشيخ محبِّ الدين في دمشق، طلبت القنصلية البريطانية في الحديدة باليمن من القنصلية في دمشق أن تختار لها شابًا يُتقِن العربية والتركية، وأن يكون له إلمام بالقوانين العثمانية وشؤون القضاء، فالتحق الشيخ بالقنصلية البريطانية في الحديدة باليمن، ورآها فرصة للتعرُّف على اليمن، ومرَّ في طريقه إلى اليمن بمصر؛ ليلتقي بشيخه الشيخ طاهر الجزائري، وصديقه محمد كرد علي، والتقى بزعماء النهضة العربية في مصر، وقبل أن يغادر الشيخ إلى اليمن، أُقِيم له احتفال بمناسبة تأسيس جمعية النهضة العربية، وبمناسبة وداعه؛ ليسافر إلى أُفُق جديد من آفاق العمل، ولم يسافر إلاَّ بعد أن توطَّدت أمور الجمعية، واطمأنَّت القلوب إلى مستقبلها، وفي مصر أيضًا اتَّصل بالأعلام والأدباء، واجتمع بأركان (جمعية الشورى العثمانية)[٢]الذين كانوا يطالبون للبلاد بالحكم النيابي،

---

(١) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري". محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه،٢: ٨٥٢. وانظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٤٥.

(٢) جمعية الشورى العثمانية: هي جمعية سرية، أسسها محمد رشيد رضا، ورفيق بك العظم، وحقي بك العظم، ولهذه الجمعية ثلاثة عشر فرعا في أنحاء البلاد العثمانية، ولما التحق الشيخ بهذه الجمعية أسس الفرع الرابع عشر في اليمن، وكان لهذه الجمعية تأثير كبير في تقريب وجهات النظر، بين حاكم اليمن الإمام يحيى، وبين الدولة

=

وإعلان الدستور، ووضع حدٍّ للحكم الفردي، وكان منهم: رفيق العظم[١]، ومحمد رشيد رضا[٢]، وغيرهما، ولقد ذكر هؤلاء للشيخ أنَّ لجمعيتهم في البلاد العثمانية ثلاثة عشر فرعًا، وأنهم يرغبون في توسيع نشاطهم داخل البلاد العربية، فوعدهم أنه سيعمل لذلك في اليمن، وكتبوا له تفويضًا؛ ليختار لجمعيتهم من العثمانيين الرجال الصالحين، والسعي لتأسيس الفرع الرابع عشر، ولَّما وصل الحديِّدة، اهتمَّ الشيخ أن يعرف البلد الذي هو فيه، وأن يتَّصل بأهل الثقافة والنباهة والضباط العثمانيين في الحديِّدة، وكان يقصد لأجل ذلك

=

العثمانية، واستمر الاتفاق حتى قيام الحرب العالمية الأولى، وانتهاء حكم الدولة العثمانية، كما كان لهذه الجمعية الأثر في إخبار الشعب اليمني بإعلان الدستور العثماني. انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٢٨٥- ٢٨٨.

(١) رفيق العظم: عالم، وباحث، ومن رجال النهضة الفكرية في سورية، ولد في دمشق، سنة: ١٢٨٤هـ: ١٨٦٧م، واستقر في مصر، واشترك في كثير من الأعمال والجمعيات الإصلاحية والسياسية والعلمية، صنف كتابه المشهور: أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، وكتاب: البيان في كيفية انتشار الأديان، وغيرها، أهدى خزانة كتبه للمجمع العلمي العربي بدمشق، وهي نحو ألف مجلد، توفي سنة: ١٣٤٣هـ: ١٩٢٥م، انظر: "الأعلام"،الزركلي، ٣: ٣٠.

(٢) محمد رشيد رضا: هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، ولد في القلمون، سنة: ١٢٨٢هـ: ١٨٦٥م، ونشأ بها، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب، ومن العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، تعلم في القلمون وفي طرابلس، وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة: ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ على يديه، وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت، ثم أصدر مجلة المنار لبث آرائه فيا لإصلاح الديني والاجتماعي، وأصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، ولما أعلن الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ زار بلاد الشام، ثم عاد إلى مصر، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد، ثم قصد سورية في أيام الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيسا للمؤتمر السوري، فيها، وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها (سنة١٩٢٠م) فأقام في وطنه الثاني مصر مدة، ثم رحل إلى الهند، والحجاز، وأوروبا، وعاد فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة وهو في مركبته بعد أن كان راجعا من السويس إلى القاهرة، بعد أن قابل الأمير سعود بن عبد العزيز، ودفن بالقاهرة، أشهر آثاره مجلة المنار، أصدر منها ٣٤ مجلدا، وتفسير القرآن الكريم، طبع منه اثنا عشر مجلدا ولم يكمله، توفي سنة: ١٣٥٤ هـ: ١٩٣٥م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٦: ١٢٦. وانظر: "مشاهير علماء نجد وغيرهم"، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله، ٢٨٨/١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط ١، ١٣٢٩هـ: ١٩٧٢م.

مقهى يمرُّ به بعد الظهر أغلب الموظفين والضباط، وانعقدت بين الشيخ وبين قائد الحديِّدة صداقة وثيقة، وكاشفه بأمر جمعية الشورى العثمانية، فاهتمَّ بها، وأرشده إلى طائفة من الضباط الأحرار الذين كان إبعادهم إلى اليمن عقوبة لهم؛ لكراهيتهم تسلُّط الدولة العثمانية، فلم يلبث أن افتتح الفرع الرابع عشر لهذه الجمعية، وكان عمل الشيخ حضور جلسات في المحاكم عندما تكون فيها لأحد رعايا القنصلية البريطانية قضية؛ ليطمئنَّ باسم القنصلية على سير العدالة فيها، ولقد انتفع الشيخ من عمله بالمحاكم بالتعرُّف على كثيرٍ من الشخصيات، التي ساعدته كثيرًا في إيصال كتاباته إلى الآفاق، وكان من خلال هذه الكتابات يتعهَّد جمعية النهضة العربية، ولا سيَّما مركزها الجديد في دمشق، ومتعهدًا كذلك جمعية الشورى العثمانية. ولمَّا أُعلِن الدستور العثماني[1] في أواسط تموز سنة ١٩٠٨م، تجاهلت الجهات الرسمية في اليمن كلَّ ذلك، وكأنه لم يكن، فعمل الشيخ محبُّ الدين متَّفقًا مع إخوانه الضباط على وضع السلطات تحت الأمر الواقع، فأحضروا صواريخ الابتهاج، ومشاهد الزينة، وأقاموا احتفالات، وألقوا خطبًا بالتركية والعربية، ودعوا إلى انتخاب مَن ينوب عن الأمة في مجلس المبعوثان[2]، مع التبليغ بهذا العمل سائر المدن اليمنية عن طريق البرق، ممَّا أوقع المفاجأة في قلوب المسؤولين.

---

(١) الدستور العثماني: هو الحكم النيابي على الطراز الحديث، حيث تحكم الأمة نفسها بنفسها، مع حفظ حقوق الخليفة، ولقد تميز هذا الدستور بالحيلولة دون تسلط الخليفة واستبداده وبطشه، وتكفّل أيضا بحفظ حقوق الرعية. انظر: "الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده"، سليمان البستاني، ص: ١٥، مطبعة الأخبار، أكتوبر ١٩٠٨م.

(٢) مجلس المبعوثان: هو مجلس النواب العثماني، نص على تأسيسه الدستور العثماني، وهو المعروف باسم (مجلس مبعوثان عثماني)، أسسه السلطان عبد الحميد، وكان أول اجتماع لهذا المجلس في: ٤ ربيع الأول، سنة: ١٢٩٤هـ: ١٩ مارس ١٨٧٧م. انظر: "الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري"، خالد الدبيان،١/٧١، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٩هـ.

وكان ممَّا لاحظه الشيخ أثناء إقامته باليمن مدرسة أميرية تافهة، ومديرها شبه عامي، فدعا أصدقاءه أعضاء جمعية الشورى العثمانية ليتطوَّعوا للتدريس في هذه المدرسة بالمجان، فوافقوا، وطلب من أصدقائه التجار التبرُّع بأقمشة خفيفة لصنع ملابس رسمية للتلاميذ، وبشراء أحذية لهم، وأنشأ الشيخ لهم أناشيد، وأعطاه شوقي المؤيّد العظم ضابطًا عسكريًا؛ ليعلِّم التلاميذ الرياضة، والتعليم العسكري، فزاد عدد التلاميذ حتى صاروا ٣٠٠ تلميذ، تُلقَى عليهم أرقى المقرَّرات، ومن أعمال الشيخ في الحديِّدة، تأسيس حركة صحافية وطباعية تنهض بالمستوى الفكري والثقافي، فأسَّس شركة مساهمة، قيمة كلِّ سهم جنيه استرليني ذهبي، وذلك من أجل العمل على إصدار جريدة باسم (جريدة العرب)، وأنشأ مطبعة باسم (مطبعة جريدة العرب)، وقبل البدء في التنفيذ، تلقَّى الشيخ رسائل من دمشق، تلحُّ عليه بضرورة العودة، فتوقَّف عن العمل، ووزَّع الأسهم على أصحابها، وقبل أن يغادر الشيخ اليمن إلى دمشق، حدث حادث سياسي، وهو ثورة حاكم اليمن الإمام يحيى مع رجاله على الدولة العثمانية، فرأت جمعية الشورى العثمانية بمَن فيهم الشيخ أن يكتبوا للإمام يحيى، يعرضون عليه اقتراحًا بأن تتولَّى جمعية الشورى العثمانية الكتابة إلى استانبول والمراجع العليا، بأنَّ الإمام يحيى لم يثُر ضد الدولة، بل ضد الظلم، وهو مستعد للتفاهُم معها على أن تعترف له في اليمن بمثل المركز الذي لشريف مكة في الحجاز، وأن يكون الإمام يحيى هو المرجع في الشؤون الدينية والأوقاف، وللدولة الشؤون السياسية والعسكرية والمالية. وبالفعل تمَّ اختيار الشيخ للكتابة، وتمَّ الإرسال، واتَّفق الطرفان على اقتراح الشيخ[1].

- **مغادرة الشيخ محبِّ الدين اليمن متوجِّهًا إلى دمشق:**

غادر الشيخ الحديِّدة في اليمن متوجِّهًا إلى دمشق، وكان توجُّهه إلى دمشق؛ بنيَّة العمل على تجديد نشاط جمعية النهضة العربية داخل نطاق الدستور العثماني، وحرص على

(١) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه، ٢: ٨٥٤.

أن يتعرَّف العرب على عروبتهم، ويحيوا مآثرها وأخلاقها في ظل حكم الدولة العثمانية، ولَّما وصل الشيخ إلى دمشق، تأكَّدبأنَّ الحكومة لا تريد الاعتراف بجمعية النهضة العربية، بل إنَّ الحكومة أجبرت الجمعية على أن تجعل اسمها جمعية النهضة السورية، وفي هذه الأثناء تسنَّى له أن يساهم في تحرير جريدة (طار الخُرج)[١]،[٢].

- **مغادرة الشيخ محبِّ الدين دمشق إلى بيروت:**

لَّما أوشكت الحكومة في دمشق أن تعرف الحقيقة، وهي أن الشيخ كاتب هذه الجريدة، سافر الشيخ إلى بيروت، فكتبت الحكومة في دمشق إلى المسؤولين في بيروت لملاحقته[٣].

- **مغادرة الشيخ محبِّ الدين بيروت إلى تركيا:**

لَّما علم الشيخ بملاحقة المسؤولين له في بيروت، توجَّه إلى استانبول، وسكن مع بعض أصدقائه، ولكن الملاحقة لا تزال مستمرة من قِبَل الحكومة السورية، فلاحقته أيضًا في تركيا بتهمة الجريدة، فاقترح أصدقاء الشيخ عليه السفر إلى مصر؛ ليستقر بها[٤].

- **مغادرة الشيخ محبِّ الدين تركيا، وتوجَّهه إلى مصر:**

---

(١) طار الخُرج: صحيفة هزلية فكاهية، أصدرها الشيخ محب الدين في أواخر سنة: ١٩٠٨م، وبداية سنة: ١٩٠٩م، في دمشق، ولم يكتب عليها اسمه، ولم يتمكن إلا من إصدار جزء واحد فقط، وموضوعها الأساسي هو انتقاد الحكومة العثمانية، والوالي العثماني، ومدير المعارف، ولقد لاحقت السلطات العثمانية الشيخ بسبب هذه الصحيفة، فاضطر إلى مغادرة دمشق إلى بيروت. انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٧٧- ٨٨.انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظه،٢: ٨٥٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص: ٨٥٥.

(٣) انظر:"قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٧٧- ٨٨.انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظه،٢: ٨٥٧.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص: ٨٥٦.

وصل الشيخ إلى القاهرة في رجب ١٣٢٧هـ: ١٩٠٩م، ولَّما وصل إلى القاهرة، أسَّس المكتبة السلفية بقيمة دار له، باعها في دمشق، ثم تأسَّس في القاهرة سنة ١٣٣١هـ: ١٩١٣م (حزب اللامركزية العثماني)[١]، برئاسة رفيق العظم، وكان الشيخ عضو مجلس الإدارة، وكاتم السر الثاني.

ولَّما تأسَّست في بيروت جمعية (العربية الفتاة)[٢]، كان الشيخ محبُّ الدين يمثِّل هذه الجمعية بمصر، وينفِّذ قراراتها التي لها علاقة بحزب اللامركزية.

وفي نفس السنة، أسَّس رشيد رضا (مدرسة دار الدعوة والإرشاد)[٣]، فوقع اختياره على الشيخ محبِّ الدين ليدرس علم طبقات الأرض[١].

---

(١) حزب اللامركزية العثماني: تأسس في القاهرة، سنة: ١٣٣٠هـ: ١٩١٢م، وكان من أبرز القائمين به: الشيخ محب الدين، ورشيد رضا، ورفيق العظم، وهو حزب علني في مسماه، سري في نشاطه وتوجهاته، حيث كان يدعو إلى اللامركزية في الإدارة، وكان الشيخ أمينا ثانيا للسر، انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٦٠. وانظر: "الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري"، ص: ٧١- ٨٤.

(٢) جمعية العربية الفتاة: تأسست هذه الجمعية سنة ١٣٢٧هـ: ١٩٠٩م، وتأسست على يد بعض الشبان العرب الذين يواصلون دراستهم في باريس، وكانت هذه الجمعية على غاية من التنظيم والسرية، وكان الشيخ العضو رقم ثمان وعشرين، وبعد انضمام الشيخ إلى هذه الجمعية، أصبح صلة الوصل بين حزب اللامركزية العثماني وبين جمعية العربية الفتاة، وكانت الأهداف بين الجمعية والحزب مشتركة، وهي العمل على نيل العرب حقوقهم، ورفع الظلم عنهم، واستعادة مجدهم وعزهم وحضارتهم. انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، ص: ٦٠-٦١. وانظر: "الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري"، خالد الدبيان، ١/١٠٢- ١١٦، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، ١٤١٩هـ.

(٣) مدرسة دار الدعوة والإرشاد: أنشأها الشيخ رشيد رضا لتخريج الدعاة، وذلك لمواجهة التنصير والاستعمار، حيث اعتمد التنصير والاستعمار على إنشاء المدارس في بلاد المسلمين كأداة فاعلة للتنصير وتسهيل مهمة الاستعمار، ولقد وردت إلى الشيخ رشيد رضا رسائل من بعض الأقطار الإسلامية، منها بلاد جاوة، والسودان، تتضمن تلك الرسائل الطلب من الشيخ إرسال علماء مسلمين لدعوة الناس وتفقيههم في دينهم، فاضطر الشيخ رشيد إلى تحقيق فكرة إنشاء مدرسة لتخريج الدعاة، فغادر مصر متوجها إلى استانبول لتكون

=

- **دور الشيخ محبِّ الدين الخطيب في الحرب العالمية الأولى:**

لَّما وقعت الحرب العالمية الأولى، اختِير الشيخ محبُّ الدين للإيفاد إلى زعماء العرب، وكان الشيخ ممثِّلاً للجمعيات السرية، ورجالات القومية العربية، وكان إيفاده من أجل أن يتَّخذ الزعماء العرب موقفًا ملائمًا مشتركًا يعود على البلاد الإسلامية والعربية بالخير، فسافر الشيخ برفقة أحد تلاميذه إلى عدن، ثم إلى بومباي، حيث ضُرِبت عليهما رقابة دقيقة حتى أبحرا إلى الكويت، فاعتقلهما ضابط بريطاني، ومكثا في السجن تسعة أشهر، دون أن يتمكَّن الشيخ محبُّ الدين من إتمام مهمته، وعاد بعد إطلاق سراحه إلى مصر، حيث كانت الحرب على أشدِّها، والاضطهاد للعرب في ذروته على يد الطبقة الحاكمة العلمانية في تركيا[٢].

- **مغادرة الشيخ محبِّ الدين مصر إلى مكة المكرمة:**

بعد إعلان الثورة العربية الكبرى[٣]، طلب الشريف الحسين الشيخ محبَّ الدين

=

المدرسة نظامية، ولكن السلطات العثمانية لم توافق على إنشائها، فعاد إلى مصر، وعزم على أن تكون المدرسة أهلية، وأن تعتمد على تبرعات أهل الخير والمتطوعين، وأنشئت المدرسة بتاريخ: ١٢: ٣: ١٣٣٠هـ- ١٩١٢م في القاهرة، في جزيرة الروضة، واستمرت هذه المدرسة في العمل حتى بداية الحرب العالمية الأولى، ولم تفتح أبوابها بعد ذلك. انظر: "رشيد رضا، الإمام المجاهد"، د/ إبراهيم أحمد العدوي، من سلسلة: "أعلام العرب" رقم ٣٣،ص: ١٨٥- ١٨٨، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ للنشر.

(١) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظه، ٢: ٨٥٧.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) الثورة العربية الكبرى: قام بها الشريف الحسين بن علي بمعاونة الإنجليز ضد الدولة العثمانية، واستغل الشريف الحسين الإعلان للثورة في أثناء انشغال الدولة العثمانية بالقتال في الحرب العالمية الأولى، حيث كان إعلان الثورة في مكة، يوم السبت ٩ شعبان، سنة: ١٣٣٤هـ: ١٠ يونيو سنة: ١٩١٦م، وبالفعل بدأ العرب بالاستقلال عن الأتراك بعد معارك طاحنة في أنحاء الجزيرة العربية، بين العرب والترك، ثم بدأ الإنجليز

=

ببرقية، فسافر إليه في مكة المكرمة؛ ليؤسِّس (المطبعة الأميرية)[١]، وليُصدر (جريدة القبلة)[٢]؛لتصبح الجريدة الرسمية لحكومة الحجاز، وكان الشريف حسين يستشيره في أكثر أموره الخارجية، ويترل عند رأيه، إن كان رأيه يوافق هواه، وإلاَّ خالفه، وعلى إثر هذا التعامل من الشريف حسين تجاه الشيخ، فإنَّ الشيخ وجد في هذا التعامل تهميشًا لرأيه، وخيبة أمل، ومفاجأة لم تكن في حسبانه[٣].

=

بالتفاوض مع الشريف الحسين على المرحلة المقبلة، وفي نفس الوقت كان الإنجليز يتفاوضون مع الفرنسيين والروسيين على تقاسم أملاك وبلاد الدولة العثمانية، وبعد مؤتمرات، ومشاورات، ومكاتبات عديدة، تمت كلها في سنة واحدة، بدأ الإنجليز بمماطلة الشريف الحسين، ونقضوا العهود التي تم الاتفاق عليها، ولما أيقن الشريف الحسين بغدر الإنجليز أنشأ الجيش العربي، ولما خشي الإنجليز وحلفاؤهم من خروج الشريف الحسين من بين أيديهم، عادوا مرة أخرى إلى التعاون معه، فطرد الشريف الحسين والجيش العربي وحلفاؤه من الإنجليز والفرنسيين والروس الترك وحلفاؤهم من الألمان من الجزيرة العربية وفلسطين والعراق والشام، وأعلن استقلال العرب عن الترك بقيادة الشريف الحسين وأبناؤه في يوم ٢٠ صفر سنة ١٣٣٥هـ. انظر: "الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن"، أمين سعيد، ١: ١٤٧- ٢٩٠، مكتبة مدبولي، بدون تاريخ للنشر.

(١) المطبعة الأميرية: أسسها الشيخ محب الدين في مكة المكرمة، في أثناء قيام الشريف الحسين بالثورة ضد الأتراك، ولقد طبع الشيخ ونشر في هذه المطبعة الكثير من كتب التراث، كما كان يطبع فيها جريدة القبلة. انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، ص: ٣٠٩ـ ٣١١. وانظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، ٢: ٨٥٧.

(٢) جريدة القبلة: كانت الصّحيفة الرّسميّة لمملكة الشريف الحسين، تأسست بأمرٍ من الشّريف الحسين عام ١٩١٦م، وتوقّفت في عهد الملك عبد العزيز بن سعود، انظر:"تاريخ الصّحافة العربيّة، نشأتها، وتطوّرها" الفيكونت فيليب دي طرازي – تاريخ الصحافة العربية – دار صادر – بيروت – طبعة مصورة عن المطبعة الأدبية سنة ١٩١٣م.،ص:١٥٠.

(٣) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع حافظ ونزار أباظه،٢: ٨٥٧.

- **ذهاب الشيخ محبِّ الدين إلى دمشق:**

لَّما دخل الجيش العربي دمشق بقيادة الأمير فيصل بن الشريف الحسين، وتمَّ جلاء الأتراك من دمشق، استأذن الشيخ الشريف الحسين لزيارة دمشق، ولَّما وصل الشيخ لدمشق، استقبلته جمعية العربية الفتاة، ليكون عضوًا في لجنتها المركزية، التي تُشرِف على إدارة دولة الأمير فيصل الحديثة من وراء ستار، وأُنيط به إدارة وتحرير الجريدة الرسمية للحكومة باسم (العاصمة)[١]، وأُبيح له أن يكتب مقالات توجيهية كما يشاء بلا مراقبة[٢].

- **عودة الشيخ محبِّ الدين من دمشق إلى مصر:**

لَّما قامت المشكلات ضد الأمير فيصل في دمشق، وتحديدًا في معركة ميسلون[٣]، وتمَّ احتلال الفرنسيين دمشق، توارى الشيخ عن الأنظار، ثم تخفَّى، وسافر برًّا مع قافلة تاجر جمال بصفة تاجر، حتى وصل إلى القاهرة[٤].

---

(١) جريدة العاصمة: تأسست جريدة العاصمة في ٣٠ أيلول ١٩١٨م، في سوريا، وهي جريدة رسمية تنطق باسم حكومة الملك فيصل بن الحسين، انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، ص: ٩٤.

(٢) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظه،٢: ٨٥٧.

(٣) معركة ميسلون: هي معركة وقعت في سوريا، في منطقة تسمى ميسلون، وقعت المعركة بتاريخ: ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠م، بين متطوعين سوريين بقيادة يوسف العظمة، وبين فرنسا بقيادة هنري غورو، وكانت النتيجة هزيمة المتطوعين، واستشهاد قائدهم، وانتصار الفرنسيين، ودخولهم دمشق واحتلالها، ومن ثم استعمار سوريا. انظر: "أوراق الثورة العربية، (٣) ميسلون نهاية عهد"، صبحي العمري، رياض الريس للكتب والنشر، لندن- قبرص، ط ١، ديسمبر ١٩٩١.

(٤) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظه،٢: ٨٥٨.

بعد عودة الشيخ إلى مصر، اشتغل بالتحرير في جريدة الأهرام[١]، نحـوًا مـن خمـس سنوات، وذلك حتى أواخر سنة ١٩٢٥م، وكان خلال ذلك قد أسَّس مجلة الزهراء[٢]، دامت خمس سنوات بدءًا من المحرم ١٣٤٣هـ: آب ١٩٢٤م. ثم أسَّس جريدة الفتح[٣]في ٢٢ ذي الحجة ١٣٤٤هـ: أيار ١٩٢٦م، وبقيت تصدر حتى أواخر سنة: ١٣٦٧هـ: ١٩٤٨م، ثمَّ تولَّى أخيرًا تحرير مجلة الأزهر[٤]لسبع سنوات تقريبًا، وفي سنة ١٣٤٦هـ: ١٩٢٧م، دارت

---

(١) جريدة الأهرام: أنشأها سليم تقلا، سنة ١٨٧٥م، في مصر، وهو شاب سوري فر من سوريا بسبب ظلم الولاة العثمانيين الذين طبقوا قانونا يحد من الحرية الصحفية تحت مسمى قانون المطبوعات، بدأت هذه الجريدة في عملها، وصارت تتحدث في السياسة، فصدر الأمر من السلطات المصرية بإغلاقها، ثم صدرت الموافقة على مزاولة عملها مرة أخرى بعد شفاعات من داخل مصر وخارجها، ولا تزال هذه الجريدة في إصداراتها حتى يومنا هذا. انظر: "الصحافة المصرية في مائة عام"، د/ عبد اللطيف أحمد حمزة، ص: ٥٨، دار القلم، بدون تاريخ للنشر.

(٢) "مجلة الزهراء": أنشأها الشيخ محب الدين الخطيب، في مصر، ولقد صدر العدد الأول منها بتاريخ ١٥: ١ : ١٣٤٣هـ: ١٥: آب : ١٩٢٤م، وهي مجلة علمية أدبية اجتماعية، تصدر كل شهر مرة، وتعنى بالأبحاث الإسلامية والعربية والشرقية، وكان للشيخ افتتاحية لكل عدد، إضافة إلى بعض الأبحاث المطولة في ثنايا الأعداد، وكان الشيخ يهتم بنشر كل جديد ومفيد، استمرت في الصدور خمس سنوات، ثم توقف الشيخ عن إصدارها، وبرر لذلك بأن الأوضاع العامة لا تسمح باستمرارها. انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٩٨.

(٣) جريدة الفتح: أنشأها الشيخ محب الدين الخطيب، في مصر، استمرت في الصدور من سنة: ١٣٤٤هـ: ١٩٢٦م، وحتى سنة: ١٣٦٧هـ: ١٩٤٨م، كانت تصدر أسبوعيا، وفي السنتين الأخيرتين واجهت تحديات وصعوبات كثيرة، مادية، وسياسية، واجتماعية، فاضطر الشيخ إلى إصدارها في الشهر مرتين، ثم في الشهر مرة، ثم توقفت عن الصدور، ولقد صدر منها ما لا يقل عن ثمانمائة وخمسة وستين عددا، وتعتبر أعدادها وما تحتويه ثروة فكرية في شتى القضايا الإسلامية، بل هي خلاصة فكر الشيخ وجهوده، ومنبره الذي سخره لخدمة الإسلام والمسلمين. انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ١٠٥.

(٤) "مجلة الأزهر": صدرت "مجلة الأزهر" تحت إشراف الجامع الأزهر، في محرم سنة ١٣٤٩هـ: أيار ١٩٣٠، وكان اسمها نور الإسلام، وبعد ثلاث سنوات تم تغيير اسمها إلى الأزهر، وهي مجلة شهرية جامعة، تصدر أول كل شهر عربي، وكان الكتاب فيها من المتخصصين، وأساتذة الجامعة الذين يعملون في الأزهر، ولقد تولى الشيخ محب الدين رئاسة تحرير "مجلة الأزهر" اعتبارا من شهر صفر ١٣٧٢هـ: أكتوبر ١٩٥٢م، واستمر في

=

في نفسه فكرة إنشاء جمعية للشبان المسلمين في القاهرة وغيرها، وذلك ردًّا على جهود المبشِّرين في بلاد المسلمين، فأنشأها خلال صعوبات وعقبات كثيرة، وكان الشيخ كاتمًا للسر في جمعية الشبان المسلمين[1]، وأحدث قيام الجمعية ردَّة فعل لدى دعاة الإلحاد، والقائمين على التبشير، فتربَّصوا به، حتى وجَّهوا أنظار الدولة المصرية إلى مقال كتبه بعنوان: الحرية في بلاد الأطفال، نال فيه من مصطفى كمال أتاتورك[2]، فقُبِض على الشيخ بجناية اتِّهام رئيس

=

رئاسة التحرير حتى شهر شعبان من سنة ١٣٧٨هـ: فبراير ١٩٥٩م، وكان الذي عينه هو شيخ الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين، ولقد اشتهر عن الشيخ محب الدين المقدرة الفائقة في إدارة المجلة، إضافة إلى معالجة القضايا الإسلامية وتبصير المسلمين عامة، والأزهريين خاصة، بما يجب عليهم تجاه قضاياهم. انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٩٦.

(١) جمعية الشبان المسلمين: تأسست في القاهرة، سنة: ١٣٤٦هـ: ١٩٢٧م، وانتخب لها مجلس للإدارة، وكان الشيخ محب الدين كاتما للسر العام، واستؤجرت للجمعية دار كبيرة، ولم يدرك دعاة التبشير والإلحاد قيام هذه الجمعية إلا بعد أن أصبح عدد أعضائها يزيد على الثلاثمائة، وكانت هذه الجمعية بداية الدعوة المنظمة التي تبعها فيما بعد تنظيمات كثيرة. انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٦٢.

(٢) مصطفى كمال أتاتورك: ولد سنة: ١٨٨٠م، ومات سنة: ١٩٣٨م، ولد في مدينة سلانيك، وهي مدينة يهودية، ينسب رسميا إلى كمال، ولكنه لا يعترف بأن والده كمال، أمه هي زبيدة، حملت به سفاحا من شخص آخر غير زوجها كمال، كان في طفولته عنيدا ومشاكسا، ومصدر إزعاج وقلق لوالديه، ومن العجيب أن والدته التي عرف عنها السفاح، ألحقته بمدرسة دينية لتعلم الدين الإسلامي، ولكنه رفض هذا النوع من التعليم، فترك المدرسة، والتحق بمدرسة أخرى تهتم بتعليم العلوم الزمنية، ثم طرد منها لكثرة مشاكساته، ولما أصبح عمره خمسة عشر عاما التحق بالمدرسة العسكرية في سلانيك سنة ١٨٩٣م، وتدرج في العسكرية حتى وصل إلى رتبة رائد وهو لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره، أنشأ جمعية الوطن والحرية، وكون أعضاءها من الضباط، وهدفها العمل ضد الدولة العثمانية، ومهاجمة السلطان عبد الحميد، وتحرير الشعب التركي من الدين الإسلامي، وتحرير المرأة من الحجاب، وتم اكتشاف أمر هذه الجمعية، وألقي القبض على مصطفى كمال وبعض أعضائها، وألقي بهم في سجن تحت الأرض، ثم أطلق سراح مصطفى كمال ومن معه، وبعد خروجه من السجن انضم بجنوده إلى جمعية الاتحاد والترقي، ثم انفصل عنها بعد خلاف مع معهم، وبعد عزل السلطان عبد الحميد أصبح الحكم بيد جمعية الاتحاد والترقي، فبدأ مصطفى كمال بالدس لجمعية الاتحاد والترقي، فألقي

=

دولة صديقة لمصر بالعيب، وهذه تهمة يعاقب عليها القانون المصري، وبذل أصدقاؤه الجهد في المرافعة، فحُكِم عليه بالحبس شهرًا مع وقف التنفيذ.

وهكذا، وعلى هذا المنوال أمضى الشيخ حياته في مصر، كان خلال أربعين سنة يعيش في القاهرة في دار تضم مكتبة ومطبعة، وكان يعمل بدأب أكثر ساعات اليوم، يشارك العمال أعمالهم، ولا ينام إلاَّ قبيل الفجر، ويحرِّر ويؤلِّف ويطبع بنفسه إذا اضطرَّ الأمر، وقد كان في الليلة التي تُوفِّي فيها رحمه الله يصحِّح صفحات كتابه الأخير (توضيح الجامع الصحيح) للإمام البخاري[١] رحمه الله [٢].

- **وفاته:**

تُوفِّي الشيخ محبُّ الدين الخطيب –رحمه الله في القاهرة ٢٢ شوال، سنة: ١٣٨٩هـ: ٣٠ كانون الأول ١٩٦٩م، بعد أن أُدخِل إلى المشفى[٣]،ولقد كان لوفاته

=

القبض عليه وعلى بعض أنصاره، وتم إعدامهم، ونفي مصطفى كمال، ووصل بعد ذلك إلى رتبة لواء في الجيش، وتم تعيينه قائدا لجبهة فلسطين، فأتم صفقة مع الإنجليز انسحب على إثرها من موقعه، وعرض جنوده للقتل والأسر، وذلك بسبب خيانته وخضوعه للإنجليز، ثم تم انتخاب مصطفى كمال رئيسا لتركيا، وبدأ في سياسته الحاقدة على الإسلام والمسلمين، من الإلحاد، والتغريب، وإبطال شرع الله، وإلغاء اللغة العربية، وغيرها من الأعمال المشينة. انظر: "الصنم، بحث علمي يتناول حياة مصطفى كمال أتاتورك، ودوره في هدم الخلافة الإسلامية"، فتحي بشير البلعاوي، الجامعة الإسلامية، غزة المحاصرة- فلسطين المحتلة، ٢٠٠٨م. وانظر: "أعلام وأقزام في ميزان الإسلام"، جمع وترتيب د/ سيد بن حسين العفاني، ٤٠٠/١، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، السعودية- جدة، بدون تاريخ للنشر.

(١) الإمام البخاري: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، صاحب الصحيح، ولد سنة ١٩٤هـ، وتوفي سنة ٢٥٦هـ، انظر: "سير أعلام النبلاء" الذهبي، ١٢: ٥٦٧. تحقيق د بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة.

(٢) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظه، ٢: ٨٥٩. وانظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٣٥.

(٣) انظر: المرجع السابق.

الأثر الكبير على الساحة الثقافية الإسلامية، التي طالما نافح وكافح وجاهد في خدمة قضاياها، ومقارعة أعدائها، والتنظير لأنصارها، وتوعية شبابها، ومناصحة أولياء الأمر، فقد كانت حياته حافلة بالنضال والكفاح، والتفاني والصبر، وبُعد النظر، وقول كلمة الحق، مع التحلّي بالحكمة، والتروّي تارةً، والإقدام تارةً، وكان مدرسة في التعامل، والتعاطي مع القضايا، وقد رثاه الكثير من أنحاء العالم الإسلامي، رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في دار كرامته.

مؤلّفاته:

ترك الشيخ محبُّ الدين الخطيب ثروة فكرية كبيرة، وهي حصيلة جهاده ونضاله وتفانيه، وهي:

- الخطوط العريضة للأُسُس التي قام عليها دين الاثنى عشرية.
- اتِّجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب.
- قصر الزهراء بالأندلس.
- تقويمنا الشمسي.
- تاغور.
- البهائية.
- حملة رسالة الإسلام الأولون.
- الإسلام دعوة الحق والخير.
- ذو النوريْن عثمان بن عفان.
- الجيل المثالي.
- توضيح الجامع الصحيح للإمام البخاري.
- العواصم من القواصم لابن العربي.
- المنتقَى من منهاج الاعتدال لابن تيمية باختصار الذهبي.
- مختصر التحفة الاثنى عشرية اختصار الألوسي.
- أيمان العرب في الجاهلية للنجيرمي.

- الميسر والقداح لابن قتيبة.
- الحديقة.
- الدولة والجماعة، لأحمد شعيب.
- مذكرات غليوم الثاني.
- الغارة على العالم الإسلامي، للمسيو شاتليه.
- رواية قميص من نار، لخالدة أديب.
- المقالات: تميَّز الشيخ بأسلوبه الواضح والمشرق في الكتابة، إضافةً إلى أنه أسلوب أديب متمكِّن من قلم خصب جذَّاب غير متكلَّف، ولقد أثرى المكتبات والصحف والمجلات والدوريات بمقالاته الرائعة، والمتوقِّدة حماسة وغيرة، والطامحة إلى التغيير من حال الضعف والخور والتقاعس والتباطؤ، إلى واقع الإخلاص والجد والعمل المنظَّم المتواصل الذي لا يعرف الملل، ومن الصحف والمجلات التي كتب فيها الشيخ:

الفتح

الزهراء

ثمرات الفنون

طار الخرج

المؤيّد

العاصمة

المسلمون

القبلة

الأهرام

الإخوان المسلمون

الأزهر.

الفصـــل الأول

جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: جهوده في خدمة القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب.
- المبحث الثاني: جهوده في خدمة السنة النبوية، وفيه خمسة مطالب.
- المبحث الثالث: جهوده في خدمة تراث السلف الصالح، وفيه ثلاثة عشر مطلبًا.
- المبحث الرابع: جهوده في خدمة التاريخ الإسلامي، وفيه ستة مطالب.
- المبحث الخامس:منهج الشيخ في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية، وفيه أربعة مطالب.

المبحث الأول:

جهوده في خدمة القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تصحيح المفاهيم الخاطئة نحو آيات القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مسالك.
- المطلب الثاني: الردُّ على اليهود في إنكارهم قولهم عُزير ابن الله.
- المطلب الثالث: التصدِّي لمسألة ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية.

المطلب الأول:
تصحيح المفاهيم الخاطئة نحو آيات القرآن الكريم

وقد احتوى على ثلاثة مسالك:

المسلك الأول: تصحيح مفهوم خاطئ نحو الآيات الكونية في القرآن الكريم.

حرص الشيخ على حماية نصوص القرآن الكريم من التلاعُب بها، ومن تأويلها تأويلاً فاسدًا، ولقد حدد الشيخ المنهج الصحيح الذي يجب اتباعه عند تأويل الآيات القرآنية، حيث قسّم نصوص القرآن التي يحاول المؤولون تأويلها إلى ثلاثة أقسام:(١)

١- ما يتعلّق بخلق الله جلَّ جلاله وآياته في خلقه، ممَّا قد تكون حقيقته العلمية مجهولة من الناس في بعض العصور، ثم يكشف الله جلَّ جلاله لهم علمها بالتجارب العملية والدلائل القاطعة؛ كاستدارة الكرة الأرضية، وحركات الأفلاك، وتكوُّن الأمطار، وحياة النبات والحيوان، فاكتشاف المطابقة بين هذا النوع من النصوص الإسلامية وبين الحقائق العلمية القاطعة بلا تعسُّف ولا تصنُّع لا يرى الشيخ فيه بأسًا، بل إذا جاء ذلك من أهل الرسوخ في علم الدين ومعرفة هذه الحقائق الكونية، يعدُّه الشيخ من خدمة كتاب الله جلَّ جلاله التي لا يقل ثوابها عن العبادة، بشرط الابتعاد عن النظريات التي يحتمل ظهور بطلانها في المستقبل.

٢- ما يتعلّق بمخلوقات الله جلَّ جلاله المحجوبة عنا بحجاب الغيب، ممَّا لا تتناوله حواس البشر؛ كالملائكة، والجن، ومعجزات الأنبياء، فهذا ممَّا لا يجوز لنا تأويله وتكييفه إلاَّ بنص ثابت في الشريعة.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦٨٥، ص: ١، مقال بعنوان: هل الشيطان معناه نزغات الشر المنبثة في العالم؟، القاهرة، ١٠ ذي القعدة، سنة: ١٣٨٥هـ.

٣- فيما يتعلّق بأسماء الله جلَّ جلاله وصفاته، فإنَّ ما ورد في ذلك ينقسم إلى قسميْن:

أ) قسم انفرد الله جلَّ جلاله به؛ كالخالق، والبارئ.

ب) قسم مشترك؛ كالعلم، والسمع، والبصر، والاستواء، والعلوّ، والنزول، فهذه الصفات إذا اتَّصف بها الله جلَّ جلاله، كانت صفات كمال نزّهها عن مشابهة صفات المخلوقين الناقصة، وما لم يرِد في تفسير ما وصف الله جلَّ جلاله به نفسه، أو وصفه به نبيه عليه الصلاة والسلام نص يحدِّد معنى هذا الوصف أو تفسيره، فإنَّ الصحابة والأئمة الأربعة كانوا يرَوْن أنَّ انطباق السماء على الأرض أهون عليهم من الجرأة على صرف البيان الإلهي عن إطلاقه إلى تخصيصهم، وعن ألفاظه القرآنية أو النبوية إلى ألفاظهم البشرية، وما دام اعتقاد أنَّ الله -جلَّ جلاله- ليس كمثله شيء مخالطًا اللحم والدم، فإنَّ المؤمن يتهيَّب من الجرأة على التأويل، ولا يشعر في نفسه بحاجة إليه[١].

ولذا قام بالرد على من لم يتقيد بالمنهج الصحيح في تأويل الآيات القرآنية، ومن هؤلاء المغرمون بالآراء الحديثة، والمتكلِّفون في معالجة نصوص القرآن الكريم، حتى يجعلوها تنطبق على معنى محدَّد في أذهانهم، حتى وإن كانت هذه المعاني لم يُعنَ بها القرآن الكريم، ولم يلتفت لها، ولم يترل من أجلها، ولا هي من مقاصده، بل وتخالف التفسير الصحيح للآيات القرآنية، ولقد ظهر في مصر بعض العلماء المهتمين بعلم الفلك، وقاموا بالاستدلال على الظواهر الفلكية بآيات من القرآن الكريم، ولكن استدلالهم لم يكن في مكانه-بصفة دائمة، بل جانب الصواب، ولقد سمَّى الشيخ هذا التصرُّف تكلُّفًا[٢]، وعزى سبب هذا التكلُّف إلى أمريْن:

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦٨٥، ص: ١، مقال بعنوان: هل الشيطان معناه نزغات الشر المنبثة في العالم؟، القاهرة، ١٠ ذي القعدة، سنة: ١٣٨٥هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ١٥،ص ٣-٤، مقال بعنوان: المغرمون بالآراء الحديثة والاستدلال عليها بكلام الله تعالى، القاهرة، الخميس ١٦ ربيع الأول، سنة: ١٣٤٥هـ.

الأمر الأول: حب الدّين، حب الذي يريد أن ينفع فيضر، فهو يظن أنَّ عدم نص القرآن على تلك العلوم نقص بالقرآن، فيهرب به من ذلك النقص إلى تلك المعالجات، فبدل أن يجعل القرآن الكريم هو المرجع الذي إليه التحاكُم، جعل ما في نفسه من النظريات الحديثة هو المرجع، فهو لا يفهم القرآن الكريم الفهم الصحيح، وإنَّما يفهم أشياء ليس لها مبلغها من الحق، ثم يجتهد أن يجعل القرآن الكريم موافقًا لها، ومنطبقًا عليها، ويؤكِّد الشيخ بأنَّ هذا طريق خاطئ لفهم كلام ربنا –جلَّ جلاله.

الأمر الثاني: أنَّ سبب الوقوع في هذا التكلُّف: هو الرغبة في أن يقول الناس عمَّن يحاول ذلك،إنه عالم عصري، أمكنه علمه أن يجعل القرآن الكريم يمشي مع العلوم الحديثة جنبًا إلى جنب، واستطاع بحذقه وتبحُّره في الدين أن يجعل الدين يساير التجدُّد خطوة خطوة، وأنَّ علماء الدين ليسوا بجامدين ولا بعيدين عن الجديد. ويحذِّر الشيخ من نتائج هذا التكلُّف بأنَّ فيه تعريضًا للقرآن أن يكذب يومًا ما؛ لأنَّ هذه العلوم صرّح أربابها بأنها قابلة لأنْ تظهر مخالفتها للواقع، فالذي يحاول أن يوفِّق بين القرآن الكريم وبين علم الفلك، يعرّض القرآن لأن يكذب وقتًا ما، ويُترك ويُرجَع عنه(١).

ثم حذَّر الشيخ من أن يُفهَم كلامه على غير وجهه، فيظن بعضهم أنه عدو لعلم الفلك، يحرّم البحث فيه والوصول إلى حقائقه، ويردُّ على ذلك بقوله: "والذي أريد أن أقوله أنَّ دين الإسلام لم يجيء لشرح هذه الأسرار، وإنما جاء لغيرها، والذي جاء له وفَّاه حقه، وما لم يجيء له، وجّه الأفكار إليه، ووعد بالثواب الجزيل مَن تعرَّض له بالتفكير فيه، ولست أعني كذلك كلَّ مَن يستدلون بكتاب الله تعالى على المسائل الكونية، ولو كانت قطعية، قام البرهان القاطع على صحتها، وإنما أعني قومًا يعلمون أنَّ أفكارهم أفكار بشرية

(١) انظر:"مجلة الفتح"، العدد ١٥،ص ٣-٤، مقال بعنوان: المغرمون بالآراء الحديثة والاستدلال عليها بكلام الله تعالى، القاهرة، الخميس ١٦ ربيع الأول، سنة: ١٣٤٥هـ.

جائز جدًا أن تفهم الشيء مقلوبًا، ومع ذلك إذا أدركوا من الكونيات شيئًا هو عندهم في درجة التخمين، ولم يتجاوزوا أبدًا مرتبة الظن، يسرعون فيعتقدونه حقيقة لا مرية فيها، ويأخذون في الاستدلال عليه بكلام الله تعالى، هذا ما أحاربه وأحمل عليه وأدعو كلَّ مؤمن أن يحمل عليه"[١]. وضرب الشيخ على ذلك التكلُّف مثالاً: وهو استدلال بعضهم على أنَّ الأرض تدور بقول الله —جلَّ جلاله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾[٢]، فلقد تخطَّى هذا الذي يستدل بهذا الدليل على دوران الأرض خطوط العقيدة وأقوال المفسِّرين، وتجاهل صلة الآية بما بعدها، حيث إنَّ الدوران في هذه الآية من أهوال يوم القيامة[٣].

المسلك الثاني: تصديه لمحاولات إلغاء حكم تعدد الزوجات الوارد في القرآن الكريم.

اعتنى الشيخ بأحكام القرآن ودافع عنها، ومن ذلك عنايته بحكم الله —جلَّ جلاله— في إباحة تعدُّد الزوجات الوارد في كتاب الله —جلَّ جلاله، فلمَّا علم الشيخ ببداية المحاولات لإلغاء قانون إباحة تعدُّد الزوجات من قانون مصر، كتب في ذلك مقالاً بين فيه مزايا التعدد بضوابطه في شريعة الإسلام، وبين ضرورته للحياة، ومما ذكره ما يلي:

- أنه ما دام في الدنيا رجل واحد، لا يكتفي بما عنده من زوجة وحيدة، فالاعتراف بمبدأ تعدُّد الزوجات ضروري.
- ضرورة بقاء حكم تعدُّد الزوجات وعدم نسخه أو إلغائه، ولا يمكن أن يكون النسخ أو الإلغاء إلاَّ ممَّن يشذُّ عن طريق العقل والنقل، ويبيح الزنا، أو ممَّن يغضُّ بصره عن

---

(١) "مجلة الفتح"، العدد ١٥،ص ٣-٤، مقال بعنوان: المغرمون بالآراء الحديثة والاستدلال عليها بكلام الله تعالى، القاهرة، الخميس ١٦ ربيع الأول، سنة: ١٣٤٥هـ.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٣) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٥، ص: ٣-٤، مقال بعنوان: المغرمون بالآراء الحديثة والاستدلال عليها بكلام الله تعالى، وانظر: المرجع السابق، العدد ١٣، ص: ١١، مقال بعنوان: العلم والدين، لخليل فهمي، الخميس ٢ ربيع الأول، سنة: ١٣٤٥هـ.

الحقائق، وينكر وجود الزناة في الدنيا بين الرجال المتزوِّجين، أو ممَّن يتقاصر حجاه عن إدراك التلازُم بين منع تعدُّد الزوجات وإباحة الزنا لبعض الرجال.

- أنَّ التعدُّد موجود، ولا تستطيع مدينة على وجه الأرض ولا قرية أن تزعم خلوَّها منه، والبلاد التي منعت وجوده بالنكاح، طأطأت رأسها لوجوده تحت سقوفها بالسفاح[1].

المسلك الثالث/ رده على من أنكر الوجود الحقيقي للشيطان بتأويل فاسد لبعض آيات القرآن الكريم.

حرص الشيخ على التصحيح لبعض الكُتَّاب الذين أساؤوا فهم بعض آيات القرآن الكريم، وبيّن لهم المعاني الصحيحة، وردَّ عليهم بأوجه التفسير الصحيحة، ومن ذلك: ردُّه على أحدهم لَمَّا كتب مقالاً يبيِّن فيه معنى (الشيطان) في قوله -جلَّ جلاله:﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾[2].بأنَّ (الشيطان) هو: نزعات الشر المنبثة في العالم، وأنه قوة خفية، أُطلِق عليها كلمة (شيطان)؛ وذلك جريًا على عادة العرب، إذْ كانوا يتصوَّرون قوى الشر شياطين تتحدَّث، وتناجي، وتدفع إلى ماتريد. ولقد ردَّ عليه الشيخ بتساؤلات، هي:

- هل القرآن جارى العرب في تصوُّرهم هذا، وجرى عليه معهم؟ في حين أنه ليس هنالك شيطان كما يفهمه الناس من كلِّ الأُمم عربها وعجمها؟ وأنه ليس هنالك غير نزعات الشر المنبثة في العالم؟
- هل كان النبي ﷺوأصحابه -رضوان الله عليهم والتابعون لهم-رحمهم الله، والسائرون على نهجهم رحمهم الله يفهمون الشيطان بهذا المعنى؟

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٥٨،ص: ١، مقال بعنوان: هجوم على حكم من أحكام القرآن، ١٦ جمادى الأولى، سنة: ١٣٥٤هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٧.

- هل محاولة صرف هذه الألفاظ القرآنية عن المعاني التي كان يعرفها المسلمون إلى مثل هذه المعاني الجديدة المستنبطة هو من التأويل الذي ذمَّه أهل الطبقة الأولى من السلف والتابعين لهم بإحسان؟.

ولقد أثبت الشيخ من تساؤلاته على أنَّ هذا التصوُّر الفاسد لمعنى (الشيطان) هو من التأويل الفاسد، الذي ينبغي على المسلم أن يربأ بنفسه عنه[1].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦٨٥، ص: ١، مقال بعنوان: هل الشيطان معناه نزغات الشر المنبثة في العالم؟، القاهرة، ١٠ ذي القعدة، سنة: ١٣٥٨هـ.

المطلب الثاني:
الردُّ على اليهود في إنكارهم قولهم عزير ابن الله

أثبت الشيخ[١]أنَّ القرآن سلسلة معجزات لا آخر لها، وأنه من عند الله جلَّ جلاله، حيث قال الله جلَّ جلاله ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢]، ولقد أثبت الشيخ ذلك من خلال مناقشته لليهود في قول الله جلَّ جلاله:﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٣]، فاليهود يدَّعون أنهم لم يقولوا هذه المقولة، وأنها ليست موجودة في كتبهم؛ محاولة منهم الطعن في القرآن الكريم، وأنه ليس من عند الله –جلَّ جلاله، وقد ردَّ عليهم الشيخ بمقال أجمله فيما يأتي:

- أنَّ هذه الآية معجزة قرآنية، تدلُّ على حقائق علمية ووقائع تاريخية، لم يكن على وجه الأرض في عصر النبوة أحدٌ من البشر يعلمها، فهي يومئذٍ لم تكن من العلم البشري، وإنما كانت من العلم الإلهي.
- أنَّ اسم (عزير) لم يكن معروفًا عند بني إسرائيل إلاَّ بعد دخولهم مصر، واختلاطهم بأهلها واتِّصالهم بعقائدها ووثنيتها، وقدماء المصريين منذ تركوا عقيدة التوحيد، وانتحلوا عبادة الشمس، كانوا يعتقدون (بعوزر) أو (أوزيرس) أنه ابن الله. وبنو إسرائيل في دور من أدوار حلولهم في مصر القديمة استحسنوا هذه العقيدة عقيدة أنَّأوزيرس ابن الله، وصار اسم (أوزيرس) أو (عوزر)؛ أي (عزير) من الأسماء المقدَّسة التي طرأت عليهم من ديانة قدماء المصريين، وصاروا يسمُّون أولادهم بهذا الاسم

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٥١،ص: ٨، مقال بعنوان: من أسرار القرآن العزير وقول اليهود أنه ابن الله، القاهرة، ٢٦ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٤هـ.

(٢) سورة فصلت. الآية ٤٢.

(٣) سورة التوبة. الآية ٣٠ .

الذي قدَّسوه كفرًا وضلالاً، فعاب الله عليهم ذلك في القرآن الكريم، ودلَّهم على هذه الوقائع من تاريخهم.

- أنَّ اليهود لا يستطيعون أن يدَّعوا في وقت من الأوقات أنَّ اسم (عزير) كان معروفًا عندهم قبل اختلاطهم بقدماء المصريين.
- أنَّ هذا الاسم في لغتهم من مادة (عوزر)، وهي تدل على الألوهية، ومعناها الإله المعين، كانت بالمعنى نفسه عند قدماء المصريين، واليهود أخذوا منهم هذا الاسم[1].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٥١،ص: ٨، مقال بعنوان: من أسرار القرآن العزير وقول اليهود أنه ابن الله.

المطلب الثالث:
التصدِّي لمسألة ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية

تصدَّى الشيخ لمسألة ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية، وهذه الترجمة هي: كتابة نص القرآن الكريم بلغة من اللغات، على وجه من أوجه التفسير، بحيث يُقرَأ القرآن الكريم مع تفسيره في آنٍ واحد، ويُتعبّد لله بقراءته بغير العربية، والحجة في هذا العمل تسهيل تلاوة القرآن الكريم وفهمه في آنٍ واحد، ولقد بيَّن الشيخ موانع ذلك في أمور:

- تعدُّد وجوه الإعراب، وما يتولَّد عنها من معانٍ وأحكام، تمنع هذه الترجمة الحرفية التي تجزم بمعنى واحد فقط.
- ستكون الترجمة القطعية الحرفية سببًا في إلغاء علم يندرج تحت علوم القرآن الكريم، وهو علم الوقف والابتداء، والترجمة الحرفية تمنع من هذا العلم.
- من إعجاز القرآن الكريم: ورود المتشابه فيه الذي منه ما لا يعلمه إلاَّ الله جلَّ جلاله، والترجمة الحرفية تتجرَّأ على هذه المعاني.
- في القرآن الكريم ألفاظ مشتركة تدلُّ على معانٍ ذات طرُق متعدِّدة، لا يقابلها لفظ في اللغة التي يُرَاد الترجمة إليها.
- القطع والجزم في كلِّ معاني القرآن الكريم لم يدّعِ معرفته مسلم من عصر الصحابة إلى الآن، وفي الترجمة الحرفية قطع بمعنى محدَّد في كلِّ القرآن، وهذه جُرأة منكرة من الداعين إلى الترجمة الحرفية، لم يُسبَقوا إليها[1].
- أنَّ القرآن الكريم انتشر قبل أربعة عشر قرنًا في أصقاع الأرض، خلال عشرات قليلة من السنين، وخُدِم القرآن الكريم من أهل تلك الأمصار ومن الأعاجم أكثر ممَّا خُدِم

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٩٣، ص: ١٠، مقال بعنوان: ترجمة القرآن، القاهرة، الخميس ١٧ المحرم، سنة: ١٣٥٥هـ.

من العرب، ونبغ من أولئك أئمة في علومه وتشريعه ولغته وآدابه، كلٌّ هذا وأسلافنا الذين فتحوا تلك الأمصار لم يترجموا حرفًا واحدًا من القرآن الكريم.

- يجب أن ندرك أنَّ سياسة الإسلام في الدعوة إلى القرآن قائمة على مبدأ نقل الأمم إلى الإسلام، وليست سياسة الإسلام قائمة على مبدأ نقل الإسلام إلى الأمم، حتى لا تبقى الأمة الإسلامية بعد ذلك مُنقَادة لغيرها في الفهم لكتاب الله جلَّ جلاله.
- أنَّ القرآن الكريم خصّه الله جلَّ جلاله بأنه صالح لكلِّ زمان ومكان، وأنَّ الآية الواحدة يستنتج منها المفسِّرون معانٍ كثيرة بلا تعارُض ، والترجمة للقرآن الكريم تنفي عنه هذه الخاصية، وتقيد المعنى للآية في وجه محدَّد، ولكلِّ مفسِّر فهمه، فإذا تعدَّدت اللغات، تعدَّدت المعاني، وبالتأكيد حصول التضاد والافتراق في المعاني بسبب كثرة المترجمين، وكثرة اللغات، ممَّا يُفقِد القرآن الكريم معانيه.
- أنَّ الله جلَّ جلاله تحدَّى الكفار بإعجاز البيان اللفظي من كلامه، والترجمة الحرفية تنحو بالقرآن إلى منحى لا يتوافق مع إعجاز الله في نظْم القرآن.
- أنَّ الذين دعوا إلى ترجمة القرآن رأوا دُعَاة النصرانية يترجمون التوراة والإنجيل، فأرادوا أن يتّبعوهم(١).
- ادَّعى المروِّجون لترجمة القرآن حرفيًا أنَّ هدفهم هو: نشر الإسلام، بالذات في أوروبا، وزيادة أعداد الداخلين فيه، ولقد ردَّ عليهم الشيخ بقوله: "إنَّ الذين نطمع في إسلامهم من الأوروبيين، ونحن على مانحن عليه من سوء القدوة، وهم على ماهم عليه من مختلف المقاصد، ليسوا من الكثرة بالدرجة التي يضحِّي المسلمون لأجلها بوحدة قرآنهم، والإسلام محتاج اليوم إلى تثبيت عقائده وأخلاقه في نفوس أهله،

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"،الجزءان الخامس والسادس، المجلد السادس والعشرون، مقال بعنوان: لماذا نترجم القرآن؟، القاهرة، سنة: ١٣٧٥هـ.

أكثر ممَّا هو محتاج إلى زيادة أرقام التعداد والإحصاء في المنتسبين إليه، وتعريف الأمم بالإسلام له وسائل كثيرة تُغني عن هذه المخاطرة"[١].

- أيقن الشيخ أنَّ الترجمة الحرفية هدف استعماري؛ لصدع وحدة القرآن الكريم، ولقد دلَّل على ذلك بمقال لوزير مغربي ثبت عنه الولاء لفرنسا، وإعانتها على تنفيذ خططها الاستعمارية في المغرب الأقصى[٢]، حيث يقول هذا الوزير: "إنَّ ترجمة القرآن الكريم من الأمور المرغوب فيها، بل يصحُّ لنا أنْ نقول إنها من فروض الكفاية التي يجب على الأمة القيام بها، فإذا قام بها البعض، سقط الإثم عن الباقين، وإنْ لم يقُم بها أحدٌ، أثِم الكلُّ"[٣]، ولقد ردَّ عليه الشيخ بأنَّ الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون، والخلفاء، والأئمة، رحمهم الله لم يترجموا القرآن في زمن نزول الوحي، وعلى ذلك يكونون آثمين كلهم في مذهب الوزير الموالي للسلطة الفرنسية في المغرب الأقصى[٤].

ثم أورد الشيخ دليلاً عقليًا لبطلان الترجمة القطعية، فقال: "فكما أنَّ الكعبة لو نقلنا جميع حجارتها إلى لندن وبنيناها هناك، لا تكون كعبة، ولا تصحُّ صلاة مسلم يتوجَّه إليها، ولا طواف حاج بها، كذلك القرآن لا يكون قرآنًا إلاَّ بنصه الإلهي"[٥].

---

(١) "مجلة الفتح"، العدد ٤٩٥،ص: ٣، مقال بعنوان: حرية الرأي والبحث في مسألة ترجمة القرآن، القاهرة، الخميس ٩ صفر، سنة: ١٣٥٥هـ.

(٢) بلاد المغرب الأقصى: ضد المشرق، وهي بلاد واسعة كبيرة، ووعثاء شاسعة، حدها من مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط، وتدخل في المغرب الأقصى جزيرة الأندلس، انظر: "معجم البلدان" ياقوت الحموي، ٥: ١٦١، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ: ١٩٧٧م.

(٣) "مجلة الفتح"، العدد ٤٩٨،ص: ١، مقال بعنوان: الصحابة والتابعون وجميع المسلمين آثمون لأنهم لم يترجموا القرآن؟، القاهرة، الخميس ٣٠ صفر، سنة: ١٣٥٥هـ.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

المبحث الثاني:

جهوده في خدمة السنة النبوية

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: جهود الشيخ في دعوة الناس إلى الالتزام بالسنة، وفيه مسلكان.**
- **المطلب الثاني: جهود الشيخ في الشرح والتعليق والتحقيق والطباعة والنشر للسنة، وفيه مسلكان.**
- **المطلب الثالث: جهود الشيخ في الردِّ على المتطاولين على السنة النبوية، وفيه مسلكان.**
- **المطلب الرابع: جهود الشيخ في محاربة البدع، وفيه مسلكان.**

المطلب الأول:
جهود الشيخ في دعوة الناس إلى الالتزام بالسنة

ويحتوي على مسلكين:

المسلك الأول: دعوة الشيخ للاستفادة من السنة في واقع المسلمين.

حرص الشيخ على تمسُّك الناس بالسنة النبوية، ومثّل لما يصنعه ذلك التمسُّك في حياتهم من تأثير، وضرب المثل على نفسه رحمه الله، وذلك باستلهامه المعاني السامية من سيرة النبيﷺ،وبالذات مواقفه في الثبات كالطود الشامخ أمام التحدِّيات والعقبات، فكان الشيخ يحكي عن نفسه بأنه كان يتأمَّل تلك المواقف خصوصًا، والسيرة العطرة عمومًا، ويتأمَّل نتائجها المشرقة الواضحة الجلية، فكان ذلك يعود عليه بالثبات، والصبر، والعزيمة، والإصرار، وعدم الاستسلام(١).

وفي ذلك المعنى قال: "كلما خارت قواي، وظننت أنَّ الاستسلام للتيار أجدى، رجعت بروحي وعقلي إلى سيرة القدوة الأعظم ﷺ، فلو شاء الله أن يُلِين لدعوة عبده محمد قلوب أهل الأرض جميعًا، لأجابوا نداءه في بضع سنين، بل في ليالٍ قلائل، ولكنه درس من سيرة سيد الخلق ﷺيجب على كلِّ مسلم أن يتعلَّمه، فيُعلَم منه أنَّ الحصاد لا يستحقه إلاَّ الذي زرع، وأنَّ النتائج لا يحصل عليها إلاَّ مَن قام بمقدِّماتها. وويلٌ لَمن يتقاعس عن الدعوة إلى الخير بحجَّة أنَّ أهل هذا الزمان يصدُّون عن الاستجابة لها، وهو يتجاهل أنَّمالقيه قدوتنا الأعظم ﷺمن العقبات في سبيل دعوته لا يعدُّ ما يلقاه دُعاة هذا الزمان في جانبه شيئًا مذكورًا"(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢١١، ص: ١، مقال بعنوان: قدوتنا الأعظم، القاهرة، الخميس ١٢ ربيع الأول، سنة: ١٣٤٩هـ.

(٢) "مجلة الفتح"، العدد ٢١١، مقال بعنوان: قدوتنا الأعظم،ص: ١.

المسلك الثاني: دعوة الشيخ إلى التمسك بالسنة، وتطبيقها باطنا وظاهرا.

حرص الشيخ الحرص الشديد على أن تكون السنة النبوية واقعًا ملموسًا، ومنهج حياة، ونظامًا متكاملاً لا يتجزّأ، ونورًا يشعُّ في كلِّ مناحي الحياة، ولقد أورد الشيخ حادثة حصلت بين عامي (١٢٨٥ ١٢٩٠هـ)، (١٨٦٧_ ١٨٧٣م)، لَّما زحفت دولة روسيا[١] إلى بعض أنحاء بخارى[٢]،خرج له البخاريون في موكب عظيم، يتقدَّمهم المشايخ بأيديهم أجزاء مخطوطة من صحيح الإمام البخاري رحمه الله محمولة على كراسي مثل كراسي المصاحف، وكان البخاريون لا يشكُّون في أنه إذا تراءى الجمعان، ستُهزَم جيوش الجنرال ببركة الإمام البخاري، وببركة كتابه الذي انطوى على الصحيح المنتقى من حديث الرسول ﷺ، ولكن نهاية ذلك الموقف كانت هزيمة البخاريين. ولقد علق الشيخ على هذا الموقف ببعض التعليقات:

- وضح أنَّ البركة التي كان يعتمد عليها البخاريون ويرجون أن تكون سلاحًا لهم في دفاعهم عن بلادهم، لم يكن لهم نصيب منها في هذا الدفاع؛ لأنَّ من أول شروط البركة أن يفقهوا سنة رسول اللهعليه الصلاة والسلام التي انطوت عليها دفَّتا كتاب الإمام البخاري وأن يعملوا بها في بيوتهم وأسواقهم، وفي جماعاتهم ودولتهم، وأن يتحمَّلوا مثل الذي كان يتحمَّله الرسول الأعظم وأصحابه في جهادهم لإعلاء كلمة الحق، وفي كفاحهم لنشر دعوة الإسلام.

---

(١) انظر الحادثة وتفاصيلها في: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، تأليف: أرسنيوس فاسبري، ترجمه وعلق عليه د/ أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له د/ يحيى الخشاب، الناشر مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة. بدون تاريخ النشر.

(٢) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، مدينة قديمة كثيرة البساتين، واسعة الفواكه، بناؤها من الخشب المشبّك، انظر: "معجم البلدان"، ياقوت الحموي، ١/ ٣٥٣، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

- ذكر الشيخ أنَّ المشايخ الذين خرجوا بأجزاء صحيح البخاري ليقابلوا مدافع الجنرال كاؤفمان كانوا كما كان المسلمون الأولون الذين تحدث عنهم الإمام البخـــاري في كتاب الجهاد من صحيحه، لوجدوا أنفسهم أقوى من رجال كاؤفمان وأكثر حزمًا وأكمل استعدادًا وأصدق حكمًا على حقائق الأمور وأعظم صبرًا وأوثق بنصـــر الله من كلِّ محارب في الأرض أو مسالم.
- بين أن المشايخ أتوا من سوء فهمهم للإسلام وجهلهم طرائق بركاته، وأتوا أيضًا من تعطيلهم لسنة رسول الله في الاستعداد للسيادة وتوطين النفس على دفع ثمنها، فكان إسلامهم شيئًا آخر غير إسلام الصحابة والتابعين والمسلمين الأولين.
- أكد على أنَّ نجاة المسلمين بعد اليوم متوقِّفة على إنشاء جيل يشعر فيه كلِّ متعلِّم من أبنائه بأنه يحمل في نفسه رسالة الإسلام، وسيادة جماعة المسلمين، وفي سيرة الهادي الأعظم وسنته ما يحقِّق ذلك إذا أحسن دعاتنا وقادتنا فهم الإسلام، كما كان يفهمه الصحابة والتابعون[1].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧٩٩، ص: ١، مقال بعنوان: للتبرك، القاهرة، ٢٨ ربيع الآخر، سنة: ١٣٦٢هـــ.

المطلب الثاني:
جهود الشيخ في الشرح، والتعليق، والتحقيق، والطباعة، والنشر للسنة

ويضم مسلكين:

المسلك الأول: شرح وتحقيق صحيح البخاري.

شرح الشيخ وحقَّق كتاب: (الجامع الصحيح المُسنَد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله[١]، المشتهر بصحيح البخاري، ولقد اختار الشيخ الجامع الصحيح؛ لأنه أصحُّ الكتب بعد القرآن الكريم[٢]، يقول الناشر لهذا الكتاب: "ولقد تمَّ طبع الجزأيْن الأول والثاني من هذا الجامع الصحيح في حياة الشيخ قصي محب الدين رحمهما الله، وكانت مسودَّة الجزأيْن الثالث والرابع معدَّة للطبع، إلى أن أكرمني الله أن أُكمِل طباعة هذا السفر العظيم، ليخرج بإذن الله على أكمل وجه"[٣]، ولقد أكمل الشيخ آخر ورقات هذا الكتاب قبل وفاته بليلة واحدة[٤].

المسلك الثاني: شرح حديث "الإيمان بضع وسبعون شعبة".

شرح الشيخ حديث: "الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[٥].

---

(١) الإمام البخاري -رحمه الله-: سبقت ترجمته في التمهيد، ص: ٤٢.

(٢) انظر: "الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺوسننه وأيامه"، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، قام بشرحه وتصحيح تجاربه وتحقيقه محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه محمد فؤاد عبد الباقي، نشره وراجعه وقام بإخراجه وأشرف على طبعه قصي محب الدين الخطيب،ص: ٨، المطبعة السلفية ومكتبتها، بدون تاريخ للنشر.

(٣) مقدمة الناشر للكتاب، ص: ٣.

(٤) انظر: "قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب"، رغداء زيدان، ص: ٧٢.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٧٦)، والترمذي (٢٦١٤)، والنسائي (٥٠٠٥)، وأحمد (٩٣٦١)، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، والحديث صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٦٩).

ولقد تناول الشيخ هذا الحديث بالشرح والتفصيل لمدلولاته العظيمة، وسأُجمِل ما بيّنه الشيخ فيما يأتي:

- يؤكِّد لنا النبي ﷺعلى الرابطة الوثيقة بين الحياء والإيمان، وأنَّ الحياء زينة الأخلاق، بل هو ماء الحيوية الذي يترقرق في كلِّ الفضائل.
- إنَّ البضع والسبعين شعبة التي ذكرها الرسول ﷺهي من شُعَب الإيمان الإسلامي فيما ورد من أوامر القرآن ونواهيه، وفيما صحَّ من الأوامر والنواهي في السنة المحمدية.
- إنَّ كلَّ أمر أو نهي في دين الإسلام، فإنَّ المسلم مُكلَّف بأن يؤمن أنه حق، وعليه أن يعمل به، وأن يظهر أثر إيمانه به في جوارحه وتصرُّفاته.
- هذا الحديث النبوي يتمثَّل فيه حكمة التعبير النبوي عن شعب الإيمان، بأنَّ أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأنَّ الحياء من الإيمان، وتتجلَّى هذه الحكمة في أنَّ هذه الدرجات الثلاث التي ضربها النبي ﷺ هي مثل لسائر درجات الإيمان وشعبه، وجمعت هذه الأمثلة بين القول والعمل والتأثير على الجوارح.
- ذكر الشيخ أنه منذ سنين طويلة وهو يتتبَّع شعب الإيمان، كما وردت في أوامر الدين ونواهيه، فتوصّل إلى أنَّ كلَّ الأوامر والنواهي – بلا استثناء – تتفرَّع من دوحتيْن عظيمتيْن، هما:

الدوحة الأولى: دوحة الحق، ومعظم أوامر الإسلام ونواهيه متفرِّعة عنها؛ كالأمر بالصدق، والعدل، والشهادة بالحق، وحفظ الأمانات، والتعاون، والإنفاق في سبيل الله، ويتضمَّن ذلك النهي عن أضدادها، وهذه مجرد أمثلة على الأوامر والنواهي؛ لأنَّ حصرها يطول.[1]

---

(١)انظر:"مجلة الأزهر"، المجلد الخامس والعشرين، الجزء الأول، مقال بعنوان: إيمان، القاهرة، سنة: ١٣٧٣هـ.

الدوحة الثانية: دوحة الخير، وهذه الدوحة لا تقل عظمة وحيوية وازدهارًا عن دوحة الحق، بل إنَّ نفس المؤمن في هذه الدوحة أرضى وأسعد؛ لأنها تقوم بالقدر الزائد عن الحق، وتقوم به مختارة، فهي تجد اللَّذَّة مضاعفة، وهاتان الدوحتان تمثِّلان المُثُل العليا للإسلام في ريعان حيويته وروعة فطرته، مجرَّدًا من أنانيات البشر وإسفافهم ودنوّ هِممهم(١).

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، المجلد الخامس والعشرين، الجزء الأول، مقال بعنوان: إيمان، القاهرة، سنة: ١٣٧٣هـ.

المطلب الثالث:
جهود الشيخ في الردِّ على المتطاولين على السنة النبوية

ويحتوي على مسلكين:

المسلك الأول: الردُّ على علي عبد الرزاق.

حرص الشيخ على الرد على الأصوات المتطاولة على نبينا ﷺ، والمسيئة للإسلام، فلقد ردَّ على (علي عبد الرزاق)[1] ردودا قوية، لما يمثله علي عبد الرزاق وكتابه من خطورة كبيرة، فقد كان من علماء الأزهر، وعضوا في هيئة كبار علمائه، ولما حواه كتابه من قضايا خطيرة، تسيء إلى القرآن الكريم والرسول ﷺ، وتلبّس على عامة المسلمين، وتفسد حياتهم، ومما ادعاه أنَّ الرسول ﷺليس عظيمًا، ولا يستحق العظمة لأربعة أسباب، وسأُورِد كلَّ سبب ادَّعاه، وردّ الشيخ عليه.

السبب الأول: نفيه العظمة عن رسول الله ﷺلأنه لم يكن ملكا عظيما.

وقال علي عبد الرزاق في ذلك: "مَن كان يريد أن يضع محمدًا بين عظماء الملوك، فما كان محمد ملكًا، ولا رضي أن يكون ملكًا. فإن أصرَّ المعاندون من أشباه العلماء على أن يعدُّوه من الملوك، فهل يستطيعون أن يعدُّوا مملكة محمد إلاَّ تلك الجزيرة الصغيرة جزيرة

---

(١) علي عبد الرزاق: ولد سنة ١٨٨٨م، وتوفي سنة ١٩٦٦م، أحد أفراد أسرة معروفة بالصعيد بمحافظة المنيا، ذات نفوذ وأملاك واسعة، كان على صلة وثيقة بالإنجليز، صاحب كتاب: "الإسلام وأصول الحكم"، الذي رفض فيه مفهوم الخلافة الإسلامية ودعا إلى الفصل بين الدين والدولة، وقد صدر الحكم بإجماع أربعة وعشرين عالما من هيئة كبار العلماء في مصر بإخراج علي عبد الرزاق من زمرة العلماء، ومحو اسمه من سجلات الجامع الأزهر، وطرده من وظيفته، وقطع مرتباته من أي جهة كانت، وعدم أهليته للقيام بأي وظيفة عمومية دينية أو غير دينية، انظر: "رد هيئة كبار العلماء على كتاب الإسلام وأصول الحكم، للشيخ علي عبد الرزاق"، تقديم الأستاذ د/ السيد تقي الدين، رئيس التحرير د علي أحمد الخطيب، هدية "مجلة الأزهر" المجانية، ربيع الأول ١٤١٤هـ.

العرب؟ وأين جزيرة العرب من ملك القياصرة والأكاسرة، وأين ملك تلك الجزيرة من ملوك الإمبراطوريات العظمى الذين بسطوا أيديهم فوق مشارق الأرض ومغاربها؟"[١].

ولقد ردَّ عليه الشيخ بمقال، تضمن النقاط الآتية:

- ليس ثَمَّة أحد قال بأنهﷺكان ملكًا من الملوك، حتى يجعل علي عبد الرزاق هذا المعنى محل خلاف بينه وبين نبينا ﷺ، ويؤكِّد الشيخ على أنه ليس في أهل الإسلام من أولِّه إلى اليوم مَن قال بهذه المقالة، وإنما افترضها هذا الرجل اختراعًا من عند نفسه؛ ليصل إلى غرضه من تحقيره ﷺ.
- لم يكن رسول الله ﷺملكًا؛ لأنَّ المُلك يكون معه الظلم غالبًا، وهو مترَّه عنه، ومع كونه ليس ملكًا، فإنه رسول أُوحِي الله إليه بشريعة، فصّل له فيها ما به سعادة الدنيا والآخرة، وبيَّن له فيها مابه شقاؤهما، ثم جعله هو القيِّم على الناس في تنفيذها بينهم، فالمعنى الذي به يكون الملك ملكًا متَّصفًا بهﷺمع تترُّهه وعصمته عن الظلم لأيِّ مخلوق ولو بمثقال ذرة.
- ليس من لوازم النبوة وتكليف الرسول ﷺبإبلاغ الرسالة أن يكون له مملكة صغيرة أو ضخمة، وإنما بقدْر مَن يؤمن به من الناس يكون قدر جهاتهم اتِّساعا وضيِّقًا، ولا يمكن أن تُسمَّى هذه الجهات مملكة، ولا يمكن أن يُسمَّى الرسول ملكًا لها.
- إنَّ كلَّ ما يرمي إليه كلُّ رسول لا سيِّما رسولنا ﷺ أن يؤمن به الناس، ويؤمنوا بوحدانية ربه، ويستقيموا على الصراط المستقيم، فإذا أعطوه من أنفسهم هذا فقد وصل إلى كلِّ ما يتمنَّى، ولو نام يفترش الغبراء، ويلتحف الزرقاء، وأمَّا الملك فليس من غرضه ولا من مقاصده، بل ذلك أحقر شيء في نظره[٢].

---

(١) "مجلة الفتح"، العدد: ٦٥،ص: ٦، مقال بعنوان: علي عبد الرزاق ينفي عظمة الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم، القاهرة، الخميس ١١ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٦هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق.

- يرجو الشيخ من الأستاذ علي عبد الرزاق ألاَّ يغيب عنه أنَّ عظمة الملوك ليست بسعة الممالك؛ فرُبَّ ذي مملكة هي أوسع الممالك، وهو أذل الملوك، ورُبَّ ذي مملكة هي أضيق الممالك، وهو أعز الملوك، فعظمة الملوك في الحقيقة بعظمة أشخاصهم أولاً، ثم بعظمة رجالهم وأممهم ثانيًا. ولكن عظمة الرسول ﷺهي بربه الذي بيده الرجال والملوك، بحيث يقول له جلَّ جلاله:﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[1]
- إنَّ ملك الأكاسرة والقياصرة الذين يملأ علي عبد الرزاق فمه بعظمتهم، قد آل إلى أصحابه الذين كانوا معه، وقد افتتحوه بفضل الله جلَّ جلاله، وقبل أن يموت بشّرهم به في زمن وجيز، ثم اتَّسع حتى أصبحت الدنيا في قبضة أتباعه ﷺمن الهند إلى الأندلس، و لم يفعلوا ذلك توسُّعًا في الملك، ولا ركونًا إلى الدنيا، ولا رغبة في شهواتها وزخارفها، ولكن ليتوصَّلوا إلى ضم أهل تلك الجهات للإيمان بنبيهم ودينه وربه[2].

السبب الثاني: نفيه العظمة عن الرسول –عليه الصلاة والسلام لكونه فقيرا، لا مال له.

وفي ذلك قال:

"ومَن كان يريد محمدًا بين عظماء أهل المال والغنى، فما كان محمد فيهم إلاَّ فقيرًا مُقلاً"[3]. ولقد ردَّ عليه الشيخ بمقال، بين فيه ما يلي:

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٢ – ٦٣.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد: ٦٥،ص: ٦، مقال بعنوان: علي عبد الرزاق ينفي عظمة الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم، القاهرة، الخميس ١١ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٦هـ.

(٣) المرجع السابق، العدد ٦٦،ص: ٦، مقال بعنوان: علي عبد الرزاق ينفي عظمة الأغنياء عن النبي صلى الله عليه وسلم، القاهرة، الخميس ١٨ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٦هـ.

- لقد جعل الله –جلَّ جلاله مناط الإكرام: كثرة وقلة التقوى، وأمَّا المال، فأخبرنا أنه لا صلة بينه وبين إكرامه، يقول الله جلَّ جلاله:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١]، فنفى جلَّ جلاله أن يكون المال في ذاته سبب القرب إليه جلَّ جلاله، وإنما الذي يكون سببًا في ذلك هو الإيمان والعمل الصالح، بل أخبر القرآن الكريم أنَّ المال قد يُفضِي للإهانة، كما يقول جلَّ جلاله:﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[٢].
- لم يعتقد الصحابة رضي الله عنهم أنَّ الرسول ﷺليس عظيمًا؛ لأنه لم يكن ذا مال كثير، وإنما يعتقد هذه العقيدة الزنديق الملحِد الذي لا يؤمن ب الله جلَّ جلاله ولا باليوم الآخر، ولقد كان عطاء الرسول ﷺيعجز عنه الأكاسرة والقياصرة، ولو أمسك ما ساقه الله جلَّ جلاله من مال، لكان من أغنى العالمين ﷺ، والشواهد والأدلة في ذلك كثيرة.
- "ليعلم الأستاذ علي عبد الرزاق أنَّ نفس الرسول ﷺأكبر نفس تشرَّف بها الوجود، فهي لذلك تسمو عن أن تركن لمتاع زائل، وحطام مآله القريب للفناء"[٣].

السبب الثالث: نفيه عظمة الرسول ﷺبدعوى فتحه مكة فقط. وفي ذلك قال علي عبد الرزاق:

"ومَن كان يريد أن يضعه بين القوَّاد والفاتحين، فإنما بلدة مكة هي أكبر ما فتح محمد في البلاد"[٤].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٥- ٥٦.

(٣) "مجلة الفتح"، العدد ٦٦، مقال بعنوان: علي عبد الرزاق ينفي عظمة الأغنياء عن النبي ﷺ. ص: ٦.

(٤) انظر: المرجع السابق، العدد ٦٧، ص: ١٠، مقال بعنوان: علي عبد الرزاق ينفي عظمة القواد والفاتحين عن النبي ﷺ، القاهرة، الخميس ٢٥ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٦هـ.

فهو بذلك ينفي عظمة القوَّاد والفاتحين عن الرسول ﷺ، ولقد ردَّ عليه الشيخ بمقال، جاء فيه ما يلي:

- انقطاع علي عبد الرزاق للدعاية إلى الإلحاد والزندقة، وعداوة الأديان، وبراعته فيما انقطع له، بحيث يأتي بصفات يخيّل للناس أنها من صفات العظماء، وأنَّ الكمال لا يتحقَّق إلاَّ بها، ثم ينفيها عن الرسول ﷺ.
- إن مثل هذا الرجل مثل مَن يقول للناس أنَّ الله جلَّ جلاله ليس بقادر، ويحتجُّ بأنه لم يخلق لنفسه ولدًا، ولا اتَّخذ لنفسه زوجة، ولا جعل معه إلهًا آخر، وما إلى ذلك من الأمور التي يستحيل عليه جلَّ جلاله أن يتَّصف بها؛ لأنها نقص وليست هي من متعلّق قدرته جلَّ جلاله، ويقول بعد أن ينفيها عنه -جلَّ جلاله- لو كان قادرًا ربنا ما عجز عن فعل هذه الأشياء، والخبيث يعلم أنَّ العجز إنما يكون لو كان ما يذكر من الجائزات، أمَّا وهو من المحال الذي لا يقبل الوجود، فلا يُسمَّى عدم فعله عجزًا، لأنه ليس من متعلّقات القدرة، ولا من وظيفتها إيجاده ولا إعدامه، فإنه معدوم أصلاً، والحديث عن إعدامه تحصيل حاصل.
- نعم، إنَّ الرسول ﷺ لم يكن من القوَّاد ولا الفاتحين الذين يعرفهم علي عبد الرزاق، ولكنه كان أعظم فاتح خلقه الله جلَّ جلاله لحصون القلوب التي أُغلِقت على الكفر والإلحاد والفسوق والظلم والقسوة والغلظة والجفاء والكبر والعتو والوحشية، ثم إنَّ الرسول ﷺ لهذا الفتح أُرسِل، ومن أجله خلقه الله جلَّ جلاله.
- إنَّ فتوح البلاد والتوسُّع في الملك حتى يكون كالأكاسرة والقياصرة، ويملك الأرض من مشرقها لمغربها بقهره وجبروته، وينتهي من ذلك كفاتح جبَّار غشوم أنَّ ذلك لم يكن من اختصاصه، ثم انه ليس صفة مدح يتمدَّح الناس بها، ولا يعدُّون مَن اتَّصف بها عظيمًا.

- إذا كان الفاتح الذي يعظِّم من شأنه علي عبد الرزاق لقوة بدنه، فقد كان ﷺ أقوى الناس بدنًا، ولقد صرع ركانة[١] ثلاث مرات، وكان رجلاً تقصده الأقوياء من الجهات ليصرعوه، فلا يستطيعون، ويصرعهم هو، فتعجَّب منه ركانة، وقال له: "إنَّ شأنك لعجيب"[٢].

وأمَّا إن كانت عظمة الفاتح لقوة قلبه وشجاعته، فالنبي ﷺ كان هو وحده في هذا الموضوع، كما ثبت ذلك في غزواته، وفي غير ذلك من المواقف، وشهد به شجعان الصحابة رضي الله عنهم.

وأمَّا إن كانت عظمة الفاتح بالفكر والتدبير وسعة الحيلة، فقد كان ﷺ في ذلك الوحيد؛ ذلك لأنَّ ربه الذي كان يدبِّر له ويكيد له، ومَن أحكم تدبيرًا من عالم الغيب

---

(١) ركانة: هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي المطلبي وكان يقال لأبيه عبد يزيد: المحض، لا قذى فيه، لأن أمه الشفاء بنت هاشم بْن عبد مناف، وأباه هاشم بْن المطلب، وهذا ركانة هو الذي صارعه ﷺ فصرعه النبي ﷺ مرتين أو ثلاثًا، وكان من أشد قريش، وهو من مسلمة الفتح، وهو الذي طلق امرأته سهيمة بنت عويمر بالمدينة، طلقها البتة، فجعلها النبي ﷺ طلقة واحدة، ورد امرأته عليه، توفي –رضي الله عنه– أول خلافة معاوية –رضي الله عنه–، سنة اثنتين وأربعين من الهجرة.
انظر: "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ٢: ٢٩٣،تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية،ط ١٤١٥،١هـ : ١٩٩٤م، وانظر: "الوافي بالوفيات"، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ١٤: ٩٦، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذي (١٧٨٤)، والحاكم (٥٩٠٣)، ولفظه: ((أن ركانة صارع النبي ﷺ، فصرعه النبي ﷺ قال ركانة: وسمعت النبي ﷺ يقول: "فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس")).
والحديث ضعفه الترمذي حيث قال: ((حديث حسن غريب، وإسناده ليس بالقائم، ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني، ولا ابن ركانة)).وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٣٩٥٩).

والشهادة؟ لذلك فلم يُبقِ ﷺ من صفات الفاتح التي ينبغي أن يكـــون عليهـــا إلاَّ الغـــدر والقسوة والظلم، وهذه الصفات ليست من صفاته، ولا يجوز أن يتَّصف بها[١].

السبب الرابع من أسباب العظمة التي نفاها علي عبد الرزاق عن الرســـول ﷺ:

ادعاؤه أنأمية الرسول ﷺنقص فيه، فهو ليس من كبار الفلاسفة والمخترعين.

ولقد ردَّ الشيخ على هذا السبب، بأنَّ الأستاذ علي عبد الرزاق يريد بوصفه ﷺبوصف الأميَّة أن يقول للناس: انظروا نبيَّكم الذي أقل غلام منكم يُحسِن القراءة والكتابة أجل منه؛ وذلك لأنَّ الأستاذ يعلم أنَّ الناس يفهمون بالضرورة أنَّ الأمية نقص شديد، ولكن نسي الأستاذ أو تناسى أنَّ هذا النقص الفاحش في غيره هو كمال؛ وكمال أي كمال فيه ﷺ، فلو كان قارئًا يُحسِن القراءة والكتابة، لجرى في النفوس ظنَّ أنه حفظ ما جاء به من الكتاب والسنة من كتب عُثِر عليها مكتوبة، ولو كان يُحسِن الكتابة، ما بعُد عن الأذهان ظن أنه نُقِل بخطه ما جاء بهمن كتاب وسنة، فلمَّا أرسله الله جلَّ جلاله أميًّا لا يعرف هذا ولا هذا، أغلق من ناحيته ﷺباب هذا الظن، وأصبح وصف أميته ﷺ موضع العبرة، والمنفذ القريب الذي ينفذ منه المنصف إلى التصديق بأنه ﷺرسول الله حقًّا، وإلاَّ فكيف يمكن لرجل من النقص بدرجة أنه لا يكتب ولا يقرأ أن يأتي بكتاب يعجز البشر من كلِّ نواحيه؟ إنَّ المظنون بالأمي أنه يعسر عليه حتى النطق المعتاد، ولهذا يقول الله جلَّ جلاله في هذا الموضوع:﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢]فلينظر القارئ كيف يبيِّن رب السموات والأرض أنه ﷺلو كان يقرأ لكانت قراءته مثار ظنون، ومهبَّ شكوك، ومصدر ريبة، وأنَّ الكمال كله في أميته ﷺ، ولكن

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦٧،ص: ١٠، مقال بعنوان: علي عبد الرزاق ينفي عظمة القواد والفاتحين عن النبي ﷺ، القاهرة، الخميس ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦هـــ.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨، ٤٩.

هذا الرجل غير مصدِّق ما يقوله الله جلَّ جلاله، ولذلك فضَّل حضرته الفلاسفة والمخترعين والمكتشفين على النبي ﷺ؛ لأنهم ليسوا أميِّين مثله، وينصح الشيخ هذا الرجل أن يُرِيح نفسه من هذا العناء الفارغ، ويمثِّله في انتقاصه من الرسول ﷺبذبابة تغيَّظت من السماء والأرض، فهاجت وماجت وطارت وسكنت، ثم بدا لها أن تُزِيل ذلك، فماذا عساها تفعل وهي ذبابة؟[١].

وبعد أن نفى علي عبد الرزاق العظمة عن النبي ﷺ، ها هو يثبتها له ويقول: "مَن كان يبتغي عظمة محمد، فإنما هي كلمة واحدة جاء بها محمد، وفيها كلُّ عظمة يلتمسها الباحثون: لا اله الا الله"[٢].

ويرى الشيخ أنَّ هذه كلمة حق من علي عبد الرزاق أراد بها باطلاً، ولقد أدرك الشيخ ذلك، واستدرك على علي عبد الرزاق مدحه للرسول ﷺعلى سبيل الذم، فإنه لَمَّا مدح النبي عليه الصلاة والسلام بذلك كان قد عرّاه عن كلِّ عظمة سواها، حيث إنه جاء بأداة الحصر (فإنما هي كلمة واحدة)، فأين هو من عظمة القرآن كاب الله جلَّ جلاله، الذي أعجز البشر، وكان أكبر معجزة له ﷺ؟[٣]

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦٩،ص: ١١، مقال بعنوان: علي عبد الرزاق ينفي عنه صلى الله عليه وسلم عظمة الفلاسفة والمخترعين والمكتشفين.

(٢) "مجلة الفتح"، العدد٧١،ص: ٦، مقال بعنوان: كل عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم عند علي عبد الرزاق، القاهرة، الخميس ٢٣ جمادى الأولى، سنة: ١٣٤٦هـ.

(٣) انظر: "مجلة الفتح"، العدد٧١،ص: ٦، مقال بعنوان: كل عظمة الرسول ﷺعند علي عبد الرزاق، القاهرة، الخميس ٢٣ جمادى الأولى، سنة: ١٣٤٦هـ.

المسلك الثاني: ردُّه على محمود أبو رية في كتابيْه: (أضواء على السنة النبوية)، وكتاب(شيخ المضيرة أبو هريرة).

ردَّ الشيخ على محمود أبو رية[١]بمقال[٢]، حيث انتقص هذا المؤلِّف في كتابيْه السنة النبوية ورواتها، خاصة أبا هريرة رضي الله عنهم، فقد ملأ كتابيْه زورًا وبهتانًا وجرأة منقطعة النظير في الانتقاص من الرسول ﷺالمتمثلة في اتِّهام رسولنا ﷺفي عدم قدرته على تمييز معادن الصحابة رضوان الله عليهم وصفاتهم الشخصية، وقدراتهم العقلية. مع الانتقاص الواضح والصريح من أبي هريرة رضي الله عنه الذي أثبتت النصوص والأدلة الواضحة والصريحة أنه رضي الله عنه أكثر الأمة روايةً للحديث النبوي. وسأُجمِل ما ردَّ به الشيخ في مقاله:

- أكَّد الشيخ على أهمية السنة النبوية في التشريع الإسلامي، وأنها الشطر الآخر للقرآن الكريم. ويؤكِّد على أنه ليس في قلب أيِّ مسلم على وجه الأرض أدنى شكٍّ في أنَّ رسالة الإسلام تتكوَّن من هذيْن الشطريْن: الكتاب والسنة. ولأجل هذه الرسالة الخالدة هاجر الرسول ﷺإلى دار الهجرة والنصرة.

---

(١) محمود أبو رية: لم أجد له ترجمة في كتب التراجم، ولجأت إلى الشبكة العنكبوتية لترجمته، وهذا هو الموضع الوحيد في البحث الذي اضطررت فيه إلى اللجوء للشبكة العنكبوتية، والترجمة كالآتي:ولد في كفر المندرة، مركز أجا، محافظة الدقهلية، في ١٢ ربيع الثاني، سنة: ١٣٠٧هـ: ١٥ ديسمبر، سنة: ١٨٨٩م، اشتهر بنقده للسنة، وللصحابة -رضوان الله عليهم-، من تلاميذ محمد عبده، توفي في الجيزة، ١١ كانون الأول ديسمبر، سنة: ١٩٧٠م. انظر: "ويكيبديا الموسوعة الحرة"، الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٢) نشر الشيخ هذا المقال في "مجلة الأزهر"، شهر المحرم، سنة: ١٣٧٨هـ، كما نُشر أيضًا في أول الكتاب الذي خُصِّص للرد على مؤلف الكتابين محمود أبو رية، وهذا الكتاب بعنوان: "دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه"، جُمع في بداية هذا الكتاب مقالات مفردة مجملة، نزولاً عند رغبة من يحبذ الإجمال، وهذه المقالات من بُنيّات أفكار ثلاثة من الأعلام، هم: الشيخ محب الدين الخطيب، والشيخ سليمان الندوي كبير علماء الهند، والشيخ مصطفى السباعي رئيس المحكمة بدمشق، ثم أُعقبت هذه المقالات بالتفصيل الشافي والكافي،والكفيل بإبطال أفكار المؤلف ودعاويه الباطلة، في عمل جماعي مفصل، اتفق عليه الأعلام الثلاثة، الناشر: زكريا علي يوسف، مطبعة الإمام ١٤ شارع علي عبد اللطيف بمصر، بدون تاريخ للنشر.

- لقد عني الصحابة رضوان الله عليهم بحفظ سنة الرسول ﷺ المتمثلة في أقواله وأفعاله وتوجيهاته وإقراره. واهتموا كذلك بتحميل أمانتها لتلاميذهم من التابعين، إلى أن تولّى رجال التدوين تسجيل هذه السنة المحمدية في أصحِّ ما يمكن للبشر أن يدوِّنوه من تراث الإنسانية التاريخي والأدبي.
- قد أُثِر عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم لم يكونوا يكتفون بما يسمعونه بأنفسهم من الرسول ﷺ، بل كانوا يتناوبون على الرسول ﷺ ويطلب بعضهم بعضًا ما فاته سماعه، فيسمعون ما فاتهم من أقرانهم، وممَّن هو أحفظ منهم، وكانوا يشدِّدون على مَن كانوا يسمعون منه، وكانوا ينشرون ما سمعوه عن الرسول ﷺ[1].
- بين الشيخ أن عدد الصحابة الذين رووا الحديث عن النبي ﷺ بلغ أربعة آلاف رجل وامرأة، صحبوه نيفًا وعشرين سنة بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة، حفظوا عنه أقواله وأفعاله، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وقيامه وقعوده، واجتهاده وعبادته، وسيرته وسراياه ومغازيه، ومزاحه وزجره، وخطبته وأكله وشربه، ومشيه وسكونه، وملاعبته أهله، وتأديبه فرسه، وكتبه إلى المسلمين والمشركين، وعهوده ومواثيقه، وألحاظه وأنفاسه وصفاته، هذا سوى ما حفظوه عنه من أحكام الشريعة، وما سألوه من العبادات والحلال والحرام، أو تحاكموا فيه إليه[2].
- وضح الشيخ أنَّ الحديث النبوي نشأ فيما بين صاحب الرسالة والذين أرسله الله جلَّ جلاله إليهم، ولقد كان لصاحب هذا الحديث الامتياز على جميع رسل الله جلَّ جلاله في حفظ تراثه العظيم، الذي لو اعتبرناه مادة من مواد التاريخ، لما رأينا في مواد التاريخ الأخرى ما يدانيه في الصحة وتحرِّي الأمانة من جيل إلى جيل، وإذا كان الذين يُطِيلون ألسنتهم بالتشكيك فيما صحَّ عند المسلمين من حديث نبيهم يحابون مواد التاريخ الأخرى، فلا يلمزونها بما يلمزون به الحديث النبوي، فلا شكَّ أنَّ ذلك منهم

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الرابع، المجلد الثلاثون، القاهرة، سنة: ١٣٧٨هـ. وانظر: مقال الشيخ في أول كتاب: "دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه"، تأليف ثلاثة من الأعلام، ص: ٨- ١٦.

(٢) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الرابع، المجلد الثلاثون، القاهرة، سنة: ١٣٧٨هـ. وانظر: مقال الشيخ في أول كتاب: "دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه"، تأليف ثلاثة من الأعلام، ص: ٨- ١٦.

إمَّا عن جهل بما امتاز به تمحيص الحديث النبوي على كلِّ حديث غيره، والجاهل لا ينبغي له أن يتعرَّض لما هو جاهل به، أو لأنهم مدفوعون إلى ذلك بإحنة أو سخيمة ينطوون عليها للإسلام وصاحب رسالته وجهود أمته، فهم إذن أعداء، والعدو لا يقبل قوله في مَن يعاديه.

- ذكر الشيخ أنَّ المدسوس على رسالة الإسلام من الأحاديث الموضوعة والواهية، وُجِد له من علماء الإسلام مَن فضحه، وأعلن سقوطه، وأُلّفت فيه الكتب، وفي الذين اجترؤوا على وضعه من أعداء أو جهلاء، ولقد أحاطوا بذلك واستقصوه، ولم يتركوا بعدهم مقالاً لقائل من عالم أو جاهل.
- حذر الشيخ من أساليب التشكيك في صحة الحديث النبوي –عند محمود أبو رية وغيره خاصة ادعاؤه أنَّ الحديث لم يُكتَب ولم يدوَّن، وإنما انتقل من الصحابة إلى التابعين بالحفظ والتلقِّي والتلقين. ولقد ردَّ الشيخ على ذلك بأنَّ بعض الصحابة والتابعين كره كتابة الحديث النبوي؛ والسبب في ذلك لأنهم عرب، والعرب مجبولون على الحفظ، وكان بعضهم يحفظ من السماع مرة واحدة، ولمَّا ضعف الحفظ، حلَّ محله التدوين في عصور التابعين وتابعيهم[1].
- وصدق الشيخ حين ختم ردوده على الطاعنين في السنة ورجالها، خاصة الصحابي الجليل أبا هريرة –رضي الله عنه بقوله: "إنَّ الذين يشكِّكون أمة محمد ﷺ بما حفظه أبو هريرة من الحديث النبوي، يتجاهلون أنَّ الذين رووا عن أبي هريرة كان فيهم أقطاب التابعين وأعلام الإسلام، وهؤلاء وغيرهم أحرص على حديث نبيهم وشريعته من أن يستقوها إلاَّ من أصفى وأطهر ينابيعها، وهم بمعاصرتهم وواسع علمهم بالسنة المحمدية، وصدق أمانتهم للإسلام، أعرف بصدق أبي هريرة من محمود أبو رية وغيره، ويريدون منَّا أن نعطِّل ما حفظه رضي الله عنه من سنة نبيناﷺوأحكام شريعتنا"[2].

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الرابع، المجلد الثلاثون، القاهرة، سنة: ١٣٧٨هـ. وانظر: مقال الشيخ في أول كتاب: "دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه"، تأليف ثلاثة من الأعلام، ص: ٨- ١٦.

(٢)المرجع السابق.

المطلب الرابع:
جهود الشيخ في محاربة البدع.

للابتداع في الدين آثار سيئة، ومفاسد كبيرة، فالمبتدع يضر نفسه، ويتعدى ضرره إلى الدين، بالزيادة والنقصان، وبالتغيير والتبديل، ويتعدى الضرر أيضا إلى المجتمع المسلم، بالتفرق والاختلاف، ومما يؤسف له أن البعض من أهل العلم يقلل من خطورة البدع، ولا يهتم بالتحذير منها، بحجة المحافظة على تماسك المجتمع، وعدم شقّ الصف بالتحذير من البدع، وفي الحقيقة أن السكوت عن البدع هو أساس التفرق والشتات، ولذا فقد اهتم الشيخ ببيان البدع الخطيرة، وحذر منها، ومن أضرارها(١)، ومن هذه البدع ما يلي:

أولا: بيان بطلان ما ورد من بدعة في نشرة أحمد خادم الحجرة النبوية.

نشر الشيخ مقالاً لكاتب طُلِب من الشيخ نشره في مجلة الفتح، وعلّق عليه بما في معناه: أنَّ هذه النشرة اعتِيد نشرها منذ زمن في مصر، وفيها وصية للشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية، وهذه النشرة محشوة زورًا وبهتانًا، وكلامًا مفترًى على حضرة الرسول الأكرم ﷺ، وكلُّ ما ورد فيها، فإنه لا يقبله العقل بحال من الأحوال، ومن ذلك: أنَّ المزعوم الشيخ أحمد رأى النبي ﷺ في المنام، فقال له ياشيخ أحمد أخبر أمتي أني زعلان، وحزين من أفعالهم، وقد مات في الأسبوع الماضي منهم مائة وسبعون ألفًا على غير دين الإسلام، الى آخر ما جاء بها من السخافات، ولا يستبعد الشيخ أنَّ هذه النشرة صنيعة من التبشير المسيحي(٢).

ثانيا: المولد النبوي، وما يحدث فيه من منكرات.

لقد استطاع الشيخ بحسن معالجته للقضايا، أن يوجِّه الأفهام لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، فتناول الشيخ واقع المسلمين والمأمول منهم، وحيث إنه في مجتمع لا يستطيع أن يلغي فيه الاحتفال بالمولد النبوي، فقد عالج القضية كما ينبغي، وذلك بتصحيح مسارها، و لم يشنِّع على المحتفلين بأشخاصهم، وإنما انتقد الفعل والسلبيات بذاتها؛ لتكون دعوته إلى التجديد

---

(١) انظر: "محبة الرسول بين الاتباع والابتداع"، عبد الرؤوف محمد عثمان، ص ٢٨٩، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط ١، ١٤١٤ هـ.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٨٧، ص: ١١، مقال بعنوان: نشرة مدسوسة، القاهرة، الخميس ١٦ رمضان، سنة: ١٣٤٦هـ.

أبلغ، وأرغب في القبول، وأيضًا لم يكتفبالحوقلة، ولا بإيراد الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وإنما شخص الداء، ووصف الدواء، وتغلغل إلى داخل النفوس بوسائل الإقناع التي لا تتعارض مع الكتاب والسنة، وأيضًا حاول الاستفادة والإفادة من العاطفة الجياشة لحب النبي ﷺووظَّفها توظيفًا رائعًا بتوجيهاته وآرائه ومقترحاته[1].

(١) سأورد معالجة الشيخ لقضية المولد النبوي في الفصل الرابع، المبحث الثالث: جهوده في بيان بطلان مذهب الصوفية.

المبحث الثالث:

جهوده في خدمة تراث السلف الصالح

وفيه ثلاثة عشر مطلبا:

- المطلب الأول:كتاب "الميسر والقداح".
- المطلب الثاني:كتاب "أيمان العرب".
- المطلب الثالث:كتاب "العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم".
- المطلب الرابع:كتاب "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال".
- المطلب الخامس:كتاب "العقيدة الواسطية".
- المطلب السادس: كتاب "جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن".
- المطلب السابع:كتاب "مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية".
- المطلب الثامن:كتاب "طريق الهجرتيْن وباب السعادتيْن".
- المطلب التاسع: كتاب "العدة شرح العمدة".
- المطلب العاشر:كتاب "الموشَّح في مآخذ العلماء على الشعراء".
- المطلب الحادي عشر:كتاب "التوسُّل والوسيلة".
- المطلب الثاني عشر:كتاب "مجموعة التوحيد النجدية".
- المطلب الثالث عشر: مطالبة الشيخ بكتب ومعاجم يحتاجها التراث الإسلامي.

المطلب الأول:
كتاب "الميسر والقداح"

اهتمَّ الشيخ بكتاب الميسر والقداح لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة[١]، حيث نسخ الكتاب من مخطوطه، وصحَّحه، وعلَّق عليه، ووضع فهارسه، ولقد اهتمَّ الشيخ بهذا المخطوط، وحرص على إخراجه للناس؛ لأسباب أجملها فيما يلي:

- حياءً من أن يبقى كتاب لابن قتيبة محجوبًا عن أنظار قُرَّاء العربية، مع القدرة على نشره.
- لأنَّ الكتاب درة من بحر علم السلف.
- أنَّ الميسر عند العرب ممَّا أشار إليه كتاب الله الحكيم، وهذا الكتاب ممَّا يُعين على فهم تلك المواطن من كتاب الله جلَّ جلاله.
- يتكلَّم هذا الكتاب عن جزء من تاريخ العرب الاجتماعي قبل الإسلام.
- حاجة أمتنا العربية إلى نشر كلِّ ما تصل إليه أيدينا عن تاريخها.

ولقد أثنى الشيخ على مؤلّفه، وأبدى إعجابه به؛ وذلك لأنَّ ابن قتيبة نهج في كتابه منهجًا علميًا، وهو جمع الأبيات في الميسر، وتدبُّرها، والاستدلال على كيفيته من كتاب الله –جلَّ جلاله، ومن أقوال العرب وأخبارهم.

---

(١) ابن قتيبة: أبو محمد أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد في الكوفة سنة ٢١٣هـ – ٨٢٨م، عالم، وفقيه، وأديب، وناقد لغوي، موسوعيّ المعرفة، ويعد من أعلام القرن الثالث للهجرة، انتقل إلى بغداد لطلب العلم، وأخذ عن علماء بغداد الحديث، والتفسير، والفقه، واللغة، والنحو، والكلام، والأدب، والتاريخ، له العديد من المصنفات في شتى العلوم، توفي سنة ٢٧٦هـ – ٨٨٩م. انظر: "معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م"، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ ٢٠٠٢م- ١٤٢٤هـ ١: ١٩٥، وانظر: "الموسوعة العربية العالمية"، حرف القاف.

وابن قتيبة يتميَّز بدقة النظر، وسعة العلم، وحسن الاستخراج، حيث اعتمد في بيان معنى الميسَّر والقداح على الأبيات الشعرية التي تبيِّن هذا المعنى، ولقد اعتمد في الأغلب على أقوال شاعريْن هما: ابن مقبل[١]، والطرماح[٢].

ولقد اعتمد الشيخ في دراسته وتحقيقه وشرحه لكتاب الميسَّر والقداح، على الأصل المكتوب سنة ٦٢٢ هـ.

ويحتوي هذا الكتاب على:

- مقدمة الناشر، وترجمة المؤلِّف.
- رموز خطبة نسخة الأصل.
- مصنفات ابن قتيبة.
- ذكر الميسر، والاستقسام بالأزلام، ونفع الميسر، وأسماء القداح، وذكر حظوظ القداح وعلاماتها، وذكر الثلاثة التي لا حظوظ لها، وذكر صفات القداح وهيأتها، وذكر وقت التقامر بالقداح، وذكر أجزاء الجزور، وذكر كيفية الفوز والغرم، وذكر

---

(١) ابن مقبل: هو تميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان، من شعراء قيس، يكنى أبا كعب، كان ابن مقبل أعور، تزوج الدهماء، وهي زوجة أبيه، تزوجها بعد موت أبيه، وهي عادة من أشنع عادات العرب في الجاهلية، حيث كان يرث أكبر الأبناء نكاح أبيه، وهو شاعر مخضرم، ومن المعمّرين، بلغ مائة وعشرين سنة، أدرك الإسلام فأسلم، وله أشعار في موقعة صفين، انظر: "ديوان ابن مقبل"، عني بتحقيقه د/ عزة حسن، ص: ٤-٨، دار الشرق العربي، بيروت- لبنان، حلب – سورية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(٢) الطرماح: هو الحكم بن حكيم بن الحكم بن نقر، وكنيته أبو نقر، والطرماح لقب عرف به، والمعنى: الطويل المرتفع، وأطلقت عليه لأنه كان مزهوا بنفسه، فيه كبر وفخر، قبيلته طيء، في قبائل قحطان من عرب اليمن، ولقد تعصّب لليمن في شعره لا يعلم له تاريخ ولادة محدد، ولكنه ولد –تقريبا- سنة خمسين من الهجرة أو قريبا منها، ولا يعلم كذلك تاريخ وفاته، ولكنه –تقريبا- سنة ١١٠هـ أو قريبا منها. انظر: "ديوان الطرماح"، تحقيق د/ عزة حسن،ص: ٥- ٩،ط ٢، دار الشرق العربي، بيروت- لبنان، حلب- سورية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

الرهن وتوزيع الغرم، وذكر الرجل يفوز قدحه، وذكر الرجل يحضرهم بعد أن فاز بعضهم.

- الفهارس للمحتويات، والنصوص، والأعلام.

ولم يكتفِ الشيخ بالاعتناء بهذا المخطوط فقط، ولكنه ضمَّنه عناوين مصنَّفات أخرى لابن قتيبة، بعضها لا يزال مخطوطًا، وبعضها فُقِد، وبعضها تَمَّت طباعته، مع التعريف بحال كل مصنَّف وموضعه.

ولقد عدَّدت هذه المصنَّفات، فوجدتها سبعة وأربعين مصنَّفًا، تنوَّعت بين العلوم الآتية:

- علم القراءات.
- علوم القرآن.
- علوم الحديث.
- علم النحو والبلاغة والشعر.
- علم الفقه.
- الردُّ على المشبهة، وعلى القائلين بخلق القرآن.
- التحلِّي بالأدب[1].

ويقع هذا الكتاب في مجلد واحد، في ست وثلاثين ومائة صفحة.

ولقد ألفيته كتابًا نفيسًا يربط القارئ فيه بالتراث الإسلامي القيّم، ويقوِّم عِوَج اللسان؛ ليستقيم على العربية الفصحى، ويعرِّفنا بالهِمَم العالية لسلف هذه الأمة، حيث إنَّ هذا الكتاب لابن قتيبة ما هو إلاَّ إجابة لسؤال له عن الميسر المذكور في كتاب الله-جلَّ جلاله.

---

(١) انظر: "الميسر والقداح"، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، نسخه وصححه وعلق عليه ووضع فهارسه السيد محب الدين الخطيب، تلخيص للكتاب كاملا، ط ٢، المطبعة السلفية ومكتبتها، بدون تاريخ للنشر.

المطلب الثاني:
كتاب "أيمان العرب في الجاهلية"

اهتمَّ الشيخ بكتاب (أيمان العرب في الجاهلية لأبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن محمد النجيرمي[١])، فقام بـ: نسخ، وتعليق، وتحقيق، وتوضيح معاني، وطباعة مخطوط، ولقد اعتمد الشيخ في اعتنائه بهذه الرسالة على نسختيْن من مصدريْن مختلفيْن، ولقد وجد الشيخ في هاتيْن النسختيْن تحريفًا ونقصًا، ولاحظ خلوّهما من تاريخ الكتابة واسم الكاتب، يقول الشيخ: "فاضطررتُ إلى تصحيح كلِّ فقرة فيها من مظانها في كتب الأدب واللغة، ونبَّهت على أكثر ذلك في أسفل الصفحات، وأظنني تمكَّنتُ من ردِّها إلى أصلها الصحيح بقدر ما أبلغه من طاقة"[٢].

وهذه الرسالة التي اعتنى بها الشيخ تتناول مذاهب العرب في الجاهلية نحو أيمانهم التي يعقدونها، ويُلزِمون أنفسهم بها، ومذاهب العرب في ذلك، وهي على النحو التالي:

- كان معظمهم ممَّن يدين بدين الله جلَّ جلاله، ويتمسَّك بإرثٍ من ملة إبراهيم عليه السلام، وكان لا يُقسِم ولا يحلف إلاَّ بالله وحده.
- منهم طائفة تعبد الأصنام، وتزعم أنها تقرِّبهم إلى الله—جلَّ جلاله، ولكنهم يقسمون بالله، ويعترفون أنَّ الله وحده هو الضار النافع.
- منهم طائفة تعبد الأصنام، وتُقسِم بها، ويزعمون أنها هي الضارة النافعة[٣].

ثم إنَّ عدد صفحات هذه الرسالة مع التحقيق والتدقيق والشرح والاستشهاد: إحدى وثلاثون صفحة.

---

(١) النجيرمي: هو إبراهيم بن عبد الله بن محمد النجيرمي، أبو إسحاق، أديب، ومن الكُتاب، نسبته إلى نجيرم بالقرب من البصرة، انتقل إلى مصر، فولي الكتابة لكافور الإخشيدي، توفي نحو سنة ٣٥٥هـ. انظر: "معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢"، ١: ٥٠، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م: ١٤٢٤هـ. وانظر: "الأعلام"، الزركلي، ١: ٤٩.

(٢) "أيمان العرب في الجاهلية"، لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد النجيرمي، ص: ٤، نسخ وتعليق وتحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، بدون تاريخ للنشر.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص: ١٠.

المطلب الثالث:
كتاب "العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم"

اهتمَّ الشيخ بهذا الكتاب من حيث التحقيق والتعليق على الجزء الثاني من كتاب الإمام القاضي أبي بكر بن العربي المالكي[١]، في كتابه: "العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم"[٢]،ويقول الشيخ واصفًا هذا الكتاب، ومبيِّنًا الجهد الذي قام به نحوه: "إنَّ هذا الكتاب يتكوَّن من جزأيْن متوسطي الحجم، ومبحث الصحابة الذي نقدِّمه لقرَّائنا هو أحد مباحث جزئه الثاني (من ص ٩٨ إلى ص ١٩٣ من طبعة المطبعة الجزائرية الإسلامية في مدينة قسطنطينية بالجزائر سنة ١٣٤٧هـ). وكان قد وقف على تلك الطبعة شيخ علماء الجزائر الأستاذ عبدالحميد بن

---

(١) ابن العربي: هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي، يكنى أبو بكر الأشبيلي، ويشترك ابن العربي ـ صاحب الترجمة ـ مع ابن عربي الصوفي، صاحب كتاب: "الفتوحات المكية"، في الكنية واللقب، فكل منهما يكنى أبو بكر، كما يلقب كل منهما بابن العربي. ويفرق بينهما بـ "أل" التعريف، فيقال للفقيه المالكي: ابن العربي، ويقال للصوفي: ابن عربي. ولد سنة ٤٦٨هـ ببلده أشبيلية، وقرأ القراءات، ثم رحل إلى مصر والشام وبغداد ومكة، وكان يأخذ من علماء كل بلد يرحل إليه، حتى أتقن الفقه والأصول وقيد الحديث واتسع في الرواية، توفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، الذهبي، تحقيق د/ بشار عواد معروف، ١٠: ٧٤٠، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣ م. وانظر: "ابن العربي المالكي ومنهجه في كتابه أحكام القرآن"، أ. د. أحمد عباس البدوي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الحادي عشر، ١٤٢٦هـ: ٢٠٠٥م.

(٢) انظر: "العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم"، ابن العربي، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمود مهدي الإستانبولي، حققه وعلق حواشيه: الشيخ محب الدين الخطيب، وثقه وزاد في تحقيقه والتعليق عليه: مركز السنة للبحث العلمي، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة، لصاحبها شرف حجازي،ط ٦، ١٤١٢هـ.

باديس[١] رحمه الله، وممَّا يُؤسَف له أنَّ الأصل الذي اعتمد عليه في تلك الطبعة كان مكتوبًا بقلم ناسخ غير متمكِّن، فوقعت فيه تحريفات لفظية وإملائية، حرصنا على ردِّها إلى أصلها، بل إنَّ النسخة المخطوطة التي طُبِعت عليها طبعة الجزائر، يظهر أنَّ المجلد وضع بعض ورقاتها في غير موضعها، فأرجعناها إلى ما دلَّ عليه السياق في القول، والترتيب في المسائل. وفيما عدا ذلك، التزمنا الأمانة في عرض الكتاب إلى أقصى غاية، وعلَّقت على كلِّ بحث منه بما يزيده وضوحًا، مقتبسًا ذلك من أوثق المراجع وأمهات الكتب الإسلامية المعتمدة، مبيِّنًا في كلِّ نصٍّ مأخذه بكل أمانة ووضوح "[٢].

كان هذا هو جهد الشيخ في هذا الكتاب من كلامه –رحمه الله تعالى–، وبعد مجهود الشيخ في التحقيق والتعليق، بلغ هذا الكتاب سبعة وثمانين ومائتي صفحة.

ويعتبر هذا الكتاب من أنفس الكتب، حيث بين فيه مؤلفه رفعة منزلة الصحابة –رضوان الله عليهم، ودورهم في نشر الإسلام على بصيرة وهدى، وفضلهم على غيرهم بشرف الصحبة، والرد على من انتقص من قدرهم، ونال من مكانتهم، وحاول أن يشوّه سيرتهم العطرة، ولقد كان للشيخ تعليقات رائعة، زادت الحق وضوحا، وجعل ما يحتويه الكتاب متناسب مع عصره –رحمه الله، حيث قويت شوكة المنتقصين من الصحابة –رضوان الله عليهم، فكان لابد من تعريف الجيل الصاعد بحقيقة أصحاب الرسول –عليه الصلاة والسلام، وضرورة ربط الجيل بالتراث الإسلامي المصفّى من الشوائب.[٣]

---

(١) عبد الحميد بن باديس: هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، ولد في قسنطينة، سنة ١٣٠٥هـ: ١٨٨٧م، حاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع، واضطهد، وأوذي، من مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم، توفي سنة ١٣٥٩هـ: ١٩٤٠م. انظر: "معجم المؤلفين "عمر رضا كحالة، دمشق، طبعة مكتبة المثنى.، عمر رضا كحالة، ٥: ١٠٥.

(٢) انظر: "العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم "، ابن العربي، تحقيق وتعليق الشيخ محب الدين الخطيب،ص: ٥٠، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها شرف حجازي، ط ٦، ١٤١٢هـ.

(٣) انظر: المرجع السابق.

المطلب الرابع:
كتاب "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"

لشيخ الإسلام ابن تيمية[١] رحمه الله كتاب عظيم، هو: "منهاج السنة"، وقد اختصره الحافظ أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي –رحمه الله[٢]، وسماه: "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"، ولقد حصل الشيخ على المختصر للإمام الذهبي، وقام بتحقيقه والتعليق عليه، وتصحيح خطأ الناسخ، ومعارضة المختصر بالأصل المطبوع في مطبعة بولاق[٣]، ولقد كان الشيخ عند معارضة المختصر بأصله، يجد في الأصل فقرات عظيمة النفع لا يجوز إغفالها، فكان يضيفها بين علامتيْن[ ]؛ حرصًا من الشيخ على سلامة المنتقى، كما أراده الحافظ الذهبي، وبذلك استطاع أن يجمع بين الحسنييْن: إفادة القارئ بالزيادات، وبقاء المختصر مميَّزًا بحدوده التي كان عليها في مخطوطته.

ولقد احتوى هذا الكتاب على مايلي:

- مقدمة تضمنت مكانة الصحابة –رضوان الله عليهم، والأدلة من الكتاب والسنة والأثر على خيريتهم –رضوان الله عليهم، كما تضمنت التعريف بأعلام الرافضة، والعلاقة بين مذهب الرافضة والمعتزلة، والرد على بعض حجج الرافضة الواهية.

---

(١) ابن تيمية: هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القسم الخضر بن علي بن عبد الله، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس بن أبي المحاسن شهاب الدين بن أبي البركات مجد الدين، الحراني الأصل والمولد، الدمشقي الدار والوفاة، الحنبلي المذهب، المعروف بابن تيمية، الإمام العلامة، الحافظ الحجة، فريد دهره، ووحيد عصره، ولد سنة: ٦٦١هـ : ١٢٦٢م، وتوفي سنة: ٧٢٨هـ: ١٣٢٧م. انظر: "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي"، ابن تغري، ١: ٣٥٨، حققه ووضع حواشيه د/ محمد محمد أمين، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٤م.

(٢) الذهبي: هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الدمشقي، الإمام الحافظ، أبو عبد الله الذهبي، ولد سنة ٦٧٣هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ. انظر: "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"، ابن حجر، ٥: ٦٦، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد- الهند، ط ٢، ١٣٩٢هـ: ١٩٢٧م.

(٣) بولاق: من المحاسن في مصر، وهو ساحل على نهر النيل، وسميت المطبعة باسم هذا الساحل على ضفاف نهر النيل. انظر: "رحلة الشتاء والصيف"، محمد بن عبد الله بن محمد، ١: ٩٠، تحقيق الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي، ط ٢، ١٣٨٥هـ.

- اشتمل الكتاب على ستة فصول، الفصل الأول: المذاهب في مسألة الإمامة.
- الفصل الثاني: في المذهب الواجب الاتباع، ودعوى الشيعي في مذهبه.
- الفصل الثالث: في إمامة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه.
- الفصل الرابع: في إمامة باقي الإثنى عشر.
- الفصل الخامس: تخرصات الشيعة في إمامة الصديق والفاروق وذي النورين.
- الفصل السادس:الحجج على إمامة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه.
- وأخيرا فصل ختامي من كلام الشيخ، تضمن إثبات أن جيل الصحابة –رضوان الله عليهم هو الجيل المثالي الذي كانت تنشده الإنسانية، و لم تر غيره.

ولقد وجدت هذا الكتاب القيِّم يقع في سبعة وعشرين وستمائة صفحة، وتمَّت طباعته في المطبعة السلفية سنة ١٣٧٤هـ[١].

(١) انظر: "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"، ابن تيمية، حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب، طبع على نفقة بعض المحسنين، تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٣هـ.

المطلب الخامس:
كتاب "العقيدة الواسطية"

اهتمَّ الشيخ بكتاب "العقيدة الواسطية" من حيث: التقديم له، وطباعته، ونشره، وهذا الكتاب لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية[١] -رحمه الله، كتبه ابن تيمية سنة: ٦٩٨ هـ؛ إجابة لطلب أحد قضاة واسط[٢]، ثم أعقبها الشيخ بالمناظرة في هذه العقيدة الواسطية بين ابن تيمية وعلماء عصره، في مجلس نائب السلطنة في دمشق، وهو جمال الدين أقوش الأفرم[٣]، وانتهت المناظرة بالحجة والبرهان، والدليل القاطع مع ابن تيمية – رحمه الله[٤]. وسأورد ما احتواه هذا الكتاب في نقاط:

- عدد صفحات الكتاب: ٤٨ صفحة.
- مقدمة للشيخ محب الدين -رحمه الله، بيّن فيها سبب تأليف هذه العقيدة، ومن ألفت لهم، ومتى كان تأليفها، والطريقة التي سلكها ابن تيمية -رحمه الله في التأليف.
- بداية كتاب ابن تيمية -رحمه الله، حيث بدأ ببيان أركان الإيمان، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وطريقة السلف الصالح -رحمهم الله في فهم الصفات الإلهية.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) واسط: مدينة بناها الحجاج بن يوسف الثقفي، وسميت واسطًا لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، على بعد خمسين فرسخا إلى كل منهما. انظر: "معجم البلدان"، ياقوت الحموي،٥: ٣٤٧.

(٣) جمال الدين أقوش الأفرم: هو آقوش الأمير جمال الدين الأفرم، نائب دمشق، كان من مماليك الملك المنصور، وكان مُغرى بالنشاب والعلاج والصراع واللكام، وتأمّر وهو على هذا، انظر: "أعيان العصر وأعوان النصر"، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق د/ علي أبو زيد، ود/ نبيل أبو عشمة، ود/ محمد موعد، ود/ محمود سالم محمد، ١: ٥٦١، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ودار الفكر، دمشق-سوريا.

(٤) انظر: "العقيدة الواسطية"، ابن تيمية، المطبعة السلفية ومكتبتها، ط ٩، ١٣٩٩هـ.

- الآيات والأحاديث التي وردت فيها الصفات الإلهية، وشرحها، مع توضيح الصفات التي يقع فيها اللبس عند بعض الفرق، كالعلو والقرب، والمعية والفوقية، وكيفية الجمع بينها.
- ما ينبغي اعتقاده في القرآن الكريم، الذي هو كلام الله –جل جلاله.
- الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من رؤية الله –جل جلاله، والصراط، والشفاعة.
- الإيمان بالقدر.
- حرمة الصحابة، وأهل البيت، وأمهات المؤمنين، –رضوان الله عليهم أجمعين.
- كرامات الأولياء، وميزان ذلك في الإسلام.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام.
- بيّن الشيخ محب الدين ما وقع في هذه العقيدة من الأبحاث، ومن تأييد، ومن نقد ومعارضة.
- أدرج الشيخ محب الدين المناظرة التي وقعت بين ابن تيمية –رحمه الله وخصومه في هذه العقيدة، وبيّن أبرز القضايا التي كانت محل الخلاف، مع ترجيحه لرأي ابن تيمية –رحمه الله، وذلك لاتباع ابن تيمية الكتاب والسنة[1].

---

(١) انظر: "العقيدة الواسطية"، ابن تيمية، المطبعة السلفية ومكتبتها، ط ٩، ١٣٩٩هـ.

المطلب السادس:
كتاب "جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أنّ (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن"

اهتمَّ الشيخ بكتاب جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أنَّ (قل هو الله أحد) تعدِل ثلث القرآن، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، ولقد اهتمَّ الشيخ بهذا الكتاب من حيث: طباعته، ونشره، وإعادة إحيائه، وذكر أسماء سور وأرقام الآيات المذكورة في هذا الكتاب[1].

وسأورد ما احتواه هذا الكتاب في نقاط:

- يتكون هذا الكتاب من ١٢٧ صفحة.
- مقدمة للشيخ محب الدين –رحمه الله، بيّن فيها أهمية الكتاب، ومنزلته العلمية، حيث أنّ ابن تيمية –رحمه الله قصد أن يثبت بالأدلة فضل بعض القرآن الكريم على بعض، وأن ذلك من حكمة الله جل جلاله.
- ذكر الشيخ أن سبب تأليف ابن تيمية لهذا الكتاب، هو الإجابة على سؤال، يستفسر فيه السائل عن فضل بعض سور القرآن؟ وهل هو ثابت أم لا؟، وذكر الشيخ محب الدين نص السؤال.
- ذكر كلام ابن تيمية في فضل بعض السور، وتخصيصه فضل سورة الإخلاص.
- مذهب القائلين بأن بعض الكلام أفضل من بعض، والأحاديث والنصوص التي تؤيد ذلك.
- خصائص الفاتحة، واشتمالها على ما لم تشتمل عليه سورة غيرها.

---

(١) انظر: "جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن"، ابن تيمية، طبع على نفقة محمد الصالح، وقف على طبعه يوسف النافع، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٧٥هـ.

- قصة موسى مع فرعون أعظم وأشرف من قصة يوسف –عليهم السلام.
- الأدلة على فضل بعض السور والآيات على غيرها، مع ذكر أقوال بعض الفـــرق، وذكر مذهبهم في ذلك.[١]

(١) انظر: "جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن"، ابن تيمية.

المطلب السابع
كتاب "مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلمأهل الجاهلية"

حقَّق الشيخ وعلَّق على كتاب: مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، لمؤلِّفها: الإمام شيخ الإسلام: محمد بن عبدالوهاب[١] رحمه الله، ولقد اهتمَّ الشيخ بالتعليق على هذه النسخة وتحقيقها؛ لأنها شخَّصت الداء والدواء لسكان الجزيرة العربية، وأنهم وصلوا لحالة أسوأ ممَّا كان عليه أهل الجاهلية، حيث كانوا في حالة مزرية من العصبية الجاهلية، ودعاء غير الله، والتقاطُع، والتفرُّق، والتواصي بالباطل، والاعتداء على حق الغير، والعطالة، والكسل، والخرافات، والأوهام، والضغينة، والفوضى، والقذارة، والمكر، والخداع، وعدم الانقياد للنظام، كلُّ هذه الأمراض وغيرها رآها مؤلِّف هذا الكتاب متأصِّلة في قومه وفي بلاده، وعددها ١٠٠ مسألة، حينئذٍ عاهد ربه أن يعلن الحرب على هذه الأمراض، وأن يداويها بالطب النبوي من كتاب الله—جلَّ جلاله، وسنة رسوله—عليه الصلاة والسلام، فألَّف هذا الكتاب الذي قام الشيخ بتحقيقه والتعليق عليه[٢].

---

(١) محمد بن عبد الوهاب: هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي، ينتهي نسبه إلى قبيلة بني تميم، ولد سنة ١١١٥هـ، في العيينة، تتلمذ على علماء الحرمين الشريفين، ثم رحل إلى البصرة، وقرأ على علمائها، ثم عاد إلى نجد، وقصد حريملاء، وبدأ الدعوة إلى العقيدة الصحيحة من سنة ١١٥٣هـ، ووجدت دعوته معارضة ومقاومة، ولكن الله —جل جلاله- أراد حماية دعوته، فهيأ لها من يحميها، وهم آل سعود، فكتب الله له النصر والتمكين. انظر: "علماء نجد خلال ثمانية قرون"، عبد الله آل بسام، ١: ١٢٥، دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ.

(٢) انظر: "مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية"، محمد بن عبد الوهاب، ضمن مجموعة الحديث النجدية، المطبعة السلفية ومكتبتها، المدينة المنورة، ١٣٧٥هـ.

المطلب الثامن
كتاب "طريق الهجرتيْن وباب السعادتيْن"

اهتمَّ الشيخ بكتاب "طريق الهجرتيْن وباب السعادتيْن"، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية[١]، ولقد كان اهتمام الشيخ بهذا الكتاب من حيث: تصحيحه، وإخراجه، وطباعته، ونشره، ولقد طُبِع هذا الكتاب في المطبعة السلفية طبعتيْن: الأولى في عهد الشيخ وتحت إشرافه سنة: ١٣٧٥هـ، والثانية بعد وفاته سنة: ١٣٩٤هـ، ولقد قدَّم الشيخ لهذا الكتاب بمقدِّمة، أجمل فحواها فيما يأتي:

- أهمية هذا الكتاب، حيث إنه أشبه برحلة للمسلم، يبتعد به عن لؤم الناس وتكالبهم على الدنيا، وازدحامهم حول عظامها وتوافهها.
- حيوية هذا الكتاب وحسن أسلوبه، الذي يعتلي بنفس قارئه إلى المكارم، وإلى ما يحبه الله جلَّ جلاله من سجايا وفضائل، وأعمال طيبة تكون لصاحبها جمالاً في أعين الناس، وجوازًا ييسِّر له الوصول إلى عالم الرضا والنعيم المقيم في دار الخلود.
- لخَّص الشيخ الهجرتيْن اللتيْن يقصدهما مؤلِّف الكتاب بأنهما:

---

(١) ابن قيم الجوزية: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق، ولد سنة: ٦٩١هـ: ١٢٩٢م، وتوفي سنة: ٧٥١ هـ: ١٣٥٠م، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي هذب كتبه، ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى، وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا، وألف كثيرا من الكتب. انظر: : "المعجم المختص بالمحدثين"، الذهبي، تحقيق د/ محمد الحبيب الهيلة، ط ١، مكتبة الصديق – الطائف، سنة: ١٤٠٨هـ. وانظر: "الأعلام"، الزركلي، ٦: ٥٦.

١- هجرة إلى الله جلَّ جلاله بالطلب، والمحبة، والعبودية، والتوكُّل، والإنابة، والتسليم، والتفويض، والخوف، والرجاء، والإقبال عليه، وصدق اللجأ، والافتقار في كل نفس إليه.

٢- هجرة إلى رسول الله -عليه الصلاة والسلام- في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، والتزام سنته وآدابه، كما لو كُنَّا من أصحابه المعاصرين له، وأن تكون هذه الهجـــرة موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله جلَّ جلاله ومرضاته[١].

- ختم الشيخ مقدِّمته بقوله: "فإلى طريق الهجرتيْن أيُّها المحمديُّون"[٢].

---

(١) انظر: "طريق الهجرتين وباب السعادتين"، ابن قيم الجوزية، صححه وأخرجه وطبعه ونشره محب الدين الخطيب، ط ٢، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، سنة: ١٣٩٤هـــ.

(٢) المرجع السابق.

المطلب التاسع
كتاب "العدة شرح العمدة"

اهتمَّ الشيخ بكتاب "العدة شرح العمدة" في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني[١]،رضي الله عنه[٢]، تأليف: بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي[٣]، وكان اهتمام الشيخ بهذا الكتاب من حيث: التقديم له، والتعليق عليه، وطباعته الطبعة الثانية، ونشره، ولقد ذكر الشيخ في المقدِّمة أهمية هذا الكتاب، ومكانته في فقه الإمام أحمد رحمه الله حيث يعتبر متن العمدة الأساس في البنيان الفقهي الذي أقامه الإمام شيخ الإسلام ابن قدامة[٤]رحمه الله، ولقد بذل الشيخ جهدًا كبيرًا من أجل عزو الكتاب إلى مؤلفه والشرح

---

(١) أحمد بن حنبل: هو أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان، ولد في ربيع الأول سنة ١٦٤هـ، وقيل في ربيع الآخر، وطلب الحديث سنة تسع وسبعين، ومن شيوخه: هشيم، وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، وجرير بن عبد الحميد، والشافعي، وآخرون، وروى عنه مسلم، والبخاري، وأبو داود، وإبراهيم الحربي، وكان مجتهداً ورعاً زاهداً صدوقاً، قال الشافعي: خرجت من بغداد، وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل. وتوفي في ربيع الأول سنة ٢٤١هـ، انظر: "الوافي بالوفيات"، صلاح الدين الصفدي، ٦: ٢٢٥، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م. وانظر: "المختصر في أخبار البشر"، أبو الفداء،١: ١٧٤، بدون تاريخ للنشر.

(٢) هكذا ورد الترضي عن الإمام أحمد – رحمه الله – على غلاف الكتاب.

(٣) المقدسي: هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد أبو محمد بهاء الدين المقدسي، ولد سنة: ٥٥٥هـ: ١١٦٠م، وهو فقيه حنبلي، من الزهاد، نسبته إلى بيت المقدس، صنف كتبا، منها: العدة شرح العمدة، وانصرف في آخر عمره إلى الحديث، وحدّث بنابلس والشام، وتوفي بدمشق سنة ٦٢٤هـ: ١٢٢٧م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٣: ٢٩٢.

(٤) ابن قدامة: هو عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين، ولد سنة: ٥٤١هـ: ١١٤٦م، فقيه من أكابر الحنابلة، له تصانيف، منها: المغني شرح به مختصر الخرقي، وغيرها من المصنفات، توفي سنة ٦٢٠هـ: ١٢٢٣م. انظر: الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي

=

إلى شارحه[١]، ثم اهتمَّ بالترجمة لكلٍ منهما؛ حرصًا منه على حفظ التراث لأصحابه، ولقد وضع الشيخ الصفحة الأولى من مخطوط الكتاب والشرح الذي تثبت به النسبة إلى كـــل منهما[٢].

=

بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـــ)،الناشر: دارالعلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.٤: ٦٧.

(١) شارح الكتاب: عالم من سلالة الأنصار، وهو العالم الزاهد، الجواد السمح المجاهد، بهاء الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم السعدي الأنصاري ثم الدمشقي، و لم أجد له ترجمة سوى ذلك.

(٢) انظر: "العدة شرح العمدة"، بهاء الدين المقدسي، قدم له، وعلق عليه، وطبعه، ونشره محب الدين الخطيب، ط ٢، بدون تاريخ للنشر.

المطلب العاشر
كتاب "الموشَّح في مآخذ العلماء على الشعراء"

اهتمَّ الشيخ بكتاب "الموشَّح في مآخذ العلماء على الشعراء"، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني[1]، ولقد كان اهتمام الشيخ بهذا الكتاب من حيث: تحقيقه، وفهرسته، وطباعته، ونشره، ولقد تمَّت طباعة هذا الكتاب تحت عناية الشيخ، وتحت إشرافه، في المطبعة السلفية ومكتبتها، في القاهرة، ١٦ ربيع الآخر، عام: ١٣٤٣هـ.

ذكر الشيخ أن المؤلف إمام من أئمة الأدب العربي، تناسته العصور المتأخِّرة، وأضاعت مصنفاته الكثيرة الوفيرة.

ولقد كان للشيخ جهد بارز في هذا الكتاب، حيث حقَّق المتن، وشكَّل المشكل من منظومه ومنثوره، وردَّ غلطات نسخة الأصل إلى أصلها، اعتمادًا على أمهات كتب الأدب، ودواوينه المعروفة.

وسأورد التعريف بهذا الكتاب في نقاط:

- كتب الشيخ بعد المقدِّمة ترجمة للمصنف، تناول فيها: نسبه، ونشأته، ومشايخه، وفضله، ومكانته، وتلاميذه، وعقيدته، وأحواله، ومصنفاته، ووفاته.
- بعد الترجمة وضع الشيخ مقدِّمة المصنف.
- تناول المصنِّف شعراء الجاهلية وعددهم ٢٢ شاعرًا، إضافةً إلى جماعة من الشعراء القدماء في العصر الجاهلي، الذين بيَّن المصنف ضعفهم وعدم شهرتهم.

---

(١) المرزباني: هو محمد بن عمران بن موسى، أبو عبيد الله المرزباني، ولد سنة: ٢٩٧هـ: ٩١٠م، وهو إخباري، مؤرخ، أديب، أصله من خراسان، مولده ووفاته ببغداد، كان مذهبه الاعتزال، له كتب عجيبة، منها: الأزمنة، في الفصول الأربعة، والغيوم، والبروق، وأيام العرب والعجم، وهو في نحو ألفي ورقة، وغيره من المصنفات. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٦: ٣١٩.

- تناول المصنِّف الشعراء الإسلاميون، وعددهم ٤٠ شاعرا؛ كحسان بن ثابت[١] رضي الله عنه.
- ثم تناول المصنِّف الشعراء المحدثون، وعددهم ٣٨ شاعرًا؛ كأبي العتاهية[٢] رحمه الله.
- منهج المصنِّف في مصنفه: تناول ما سهُل وجوده، وأمكن جمعه من أشعارهم، وقام بنقد بنَّاء لما وقعوا فيه من أخطاء، بلاغية ولفظية، وتقديم وتأخير، وغيره من العيوب التي يجب على مَن بعدهم تلافيها، وذكر أيضًا إضافة إلى نقده آراء بعض الشعراء والنقاد وعلماء اللغة ما يؤيِّد نقده[٣].

---

(١) حسان بن ثابت: هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، شاعر رسول الله –عليه الصلاة والسلام–، والمنافح عنه، والمناضل، والمؤيد بروح القدوس، يكنى: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبا الوليد، وكان يكنى أيضا بأبي الحسام، لمناضلته عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام– بلسانه، الغازي به أعراض المشركين، عاش مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، وكذلك عاش أبوه، وأبو أبيه: جده وأبو جده حرام، لا يعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد اتفقت مدة تعميرهم مائة وعشرين سنة غيرهم، انظر: "معرفة الصحابة"، أبو نعيم، ٢: ٨٤٥، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ: ١٩٩٨م.

(٢) أبو العتاهية: هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى عباد بن رفاعة العتري الكوفي، وأبو العتاهية لقب، وكنيته أبو إسحاق، ولقب بذلك لاضطراب كان فيه، كان مولى، وكان جرارا يبيع الخزف بالكوفة، ولد سنة: ١٣٠هـ، وأخباره مع المهدي، والهادي، والرشيد، والأمين، والمأمون مشهورة، وكان ذا منزلة عند الخلفاء والوزراء، وعلية أهل الدولة، ومذهبه في سهولة الطبع وقرب المأخذ، والبعد من التكلف، وهو حاذق في سائر أجناس الشعر، ولم يشاركه أحد ممن تقدمه من الشعراء، ولا ممن تأخر عنه، من القول في الزهد، والمواعظ، والعبر، والأمثال، توفي ببغداد سنة: ٢١٠. انظر: "بغية الطلب في تاريخ حلب"، عمر بن أحمد العقيلي، وكمال الدين ابن العديم، ٤: ١٧٥٧، تحقيق د/ سهيل زكار، دار الفكر، بدون تاريخ للنشر.

(٣) انظر: "الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء"، المرزباني، حققه، وفهرسه، وطبعه، ونشره، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، سنة: ١٣٤٣هـ.

المطلب الحادى عشر:
كتاب "التوسُّل والوسيلة"

اهتمَّ الشيخ بكتاب "التوسُّل والوسيلة"، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله.

وكان اهتمام الشيخ بهذا الكتاب من حيث طبعه، وتنقيحه، وتصحيحه، وترقيم آياته، ولقد قام الشيخ بطبع هذا الكتاب في المطبعة السلفية ومكتبتها في القاهرة، سنة: ١٣٧٤هـ.

ولقد بيّن الشيخ مصدر هذا الكتاب، وأنه تمَّ نسخه لأول مرة من كتاب (الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري) للعالم الفقيه ابن عروة الصالحي الدمشقي[١]، ولقد طُبِع هذا الكتاب مرات، ولكن هذه الطبعة تمتاز بالدقة في تصحيحها، وهي أصحُّ طبعة وصلت إلى أيدي الناس من هذا الكتاب.

ويحتوي هذا الكتاب على كلام المصنِّف رحمه الله عن التوسُّل المشروع، والتوسُّل الممنوع، والأدلة عليهما من الكتاب والسنة، وعن الشفاعة، وكلِّ ما يتعلَّق بها[٢].

---

(١) ابن عروة: هو علي بن حسين بن عروة، أبو الحسن الشرقي، ويقال له ابن زكنون، ولد سنة: ٧٥٨هـ: ١٣٥٧م، فقيه حنبلي، عالم بالحديث وأسانيده، أشهر تصانيفه "الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري"، توفي في دمشق، سنة: ٨٣٧هـ: ١٤٣٤م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٤: ٢٨٠.

(٢) انظر: "التوسل والوسيلة"، ابن تيمية، طبعه، ونقحه، وصححه، ورقم آياته، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط ١، ١٣٧٤هـ.

المطلب الثاني عشر:
كتاب "مجموعة التوحيد النجدية"

اهتمَّ الشيخ بكتاب "مجموعة التوحيد النجدية"، حيث تشتمل هذه المجموعة على أربعة كتب للإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهذه الكتب هي:

١- كتاب التوحيد، الذي هو حق الله على العبيد.

٢- كتاب كشف الشبهات.

٣- تسع رسائل في التوحيد.

٤- أربع رسائل لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

كما اشتملت هذه المجموعة على أربعة كتب أخرى، هي:

١- الكلمات النافعة في المكفِّرات الواقعة، لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.

٢- خمس رسائل في التوحيد والإيمان، للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.

٣- ثلاث رسائل للعلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.

٤- ثلاث رسائل في توحيد الله وتوحيد العبادة والإخلاص، للشيخ عبد الله أبا بطين.

ولقد عُني الشيخ بهذه المجموعة، وقام بتصحيح إملائها، واجتهد في عرضها وإخراجها بصورة حسنة، وقام بطبعها ونشرها في المطبعة السلفية ومكتبتها في القاهرة سنة: ١٣٧٥هـ[١].

---

(١) انظر: "مجموعة التوحيد النجدية"، محمد بن عبد الوهاب، صححها، وأخرجها، وطبعها، ونشرها، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط ١، ١٣٧٥هـ.

المطلب الثالث عشر:
مطالبة الشيخ بكتب ومعاجم يحتاجها التراث الإسلامي.

يؤكّد الشيخ على أنَّ الأمة الإسلامية والعربية في حاجة ماسة إلى أعمال تحفظ بها تراثها. وهذه الأعمال هي:

- كتاب في التاريخ منقَّح محرَّر، يسهل على الشعوب الإسلامية والعربية التعرُّف على دخائل الماضي المليء بالبطولة والمروءة، والمتعثِّر بالغلطات والتراخي، ويستعين به أفاضل المسلمين على فهم ما كان أجدادنا متحلِّين به من سجايا نهضت بأعباء مجدهم، ثم ما طرأ على الأمة من أخلاق وأمراض ودسائس وكوارث، أودت بالمسلمين إلى ما صاروا إليه، مع عزو كلِّ فقرة إلى مصدرها، وإرشاد المُطالع إلى جميع المراجع التي تمكِّنه من التوسُّع إذا شاء.
- معجم[1] يحيط بتراجم الرجال المسلمين في العلم والعمران والسياسة والحرب والشعر والرواية وغيرها، من أقدم الأزمان إلى الآن، ويكون في هذا المعجم فهارس تصنف فيها التراجم كلها بحسب العلوم التي اشتهر بها المترجم لهم، وفهارس أخرى بحسب البلدان، وفهارس أخرى باعتبار المذاهب كطبقات الشيعة والمعتزلة، وفهارس أيضًا بترتيب العصور لأعيان المائة الأولى والثانية والثالثة ... وهكذا.
- معجم جغرافي يحيط بأسماء البلدان والأماكن والجبال والأنهار والبقاع والقصور والمساجد والمباني الأثرية وغير ذلك، مع الإشارة إلى الأسماء القديمة التي بُدِّلت بأسماء مستحدثة، مع الاستعانة بالمصورات الموضعية والعامة التي تُعِين القارئ على فهم الوصف الجغرافي.

---

(١) المعجم: تعريف المعجم عند الشيخ: هو الكتاب الذي يرجع إليه الناس في تعرّف معاني مفردات اللغة، فيجدون فيه ضالتهم بأصح وجه، وأقرب وقت، ويغنيهم عن التماسها في كتاب آخر. انظر: "مجلة الزهراء". ج ٣-٤ : م٢. ربيع الأول وربيع الثاني، سنة: ١٣٤٤هـ، مقال بعنوان: حول المعجم العربي.

- معجم للجماعات القومية والدينية، من قبائل ونحل ومذاهب وبيوت كبرى، ممَّن سجَّل لهم التاريخ آثارًا علمية أو سياسية أو عمرانية، مع الحرص على اقتباسها من كتب أهلها بقدر الإمكان، والابتعاد عمَّا يقوله أهل المذاهب المختلفة بعضهم في بعض، وذلك من باب حفظ التراث للاستفادة من سلبياته وإيجابياته.
- معجم لغوي، وهو أساس المعاجم وعمودها، ولا يمكن إيجاد المعاجم السالفة الذكر إلاَّ بوجوده، بل لن تكون للأمة حياة علمية وأدبية إلاَّ به، ولقد لحقت باللغة العربية ومعاجمها آفة استعجام الدولة الإسلامية العربية، حيث انتقل التصرُّف في الدولة من أيدي أبناء الشرف وسادة البيان إلى أيدي المماليك، فوقف سير العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والكونية، وعمَّ الجمود كلَّ ضرب من ضروب الحياة في الأمة الإسلامية، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ النقص في المعجم العربي هو عرض من أعراض النقص العام في المجتمعات الإسلامية والعربية، ولا بدَّ على المشتغلين باللغة إلى التفكير في أقوم الطرق لإصلاح المعجم العربي؛ بحيث يسدُّ حاجة الأمة العصرية في كلِّ المجالات، ولابُدَّ أن يتنبه الذين يريدون البدء في الإصلاح أنَّ الفوضى في الإصلاح أكثر ضررًا من البقاء على ما نحن عليه، والحذر ثم الحذر من التأثُّر بالعُجمة وتسلُّلها إلى المعجم العربي، ولابدَّ من إيجاد مجمع علمي مؤلَّف من كبار رجال الاختصاص في اللغة، وتكون له السلطة العليا[1].
- نوّه الشيخ على فنّ من الفنون التراثية العربية الجميلة؛ وهو الخط العربي، حيث نبغ في هذا الفن رجال لا يُشقُّ لهم غبار: في سلامة الذوق، ودقة الصناعة، والتفنُّن في أنواعها، والبراعة فيما يعدُّ من لوازمها ومتمِّماتها، ولا سيَّما الرسم، والتذهيب، والتلوين، وكان في الدولة العثمانية مدرسة تسمَّى (مدرسة الخطَّاطين)، وقد جرت عادة أساتذتها، وغيرهم ممَّن لهم مثل براعتهم، أن يقيموا في شهر رمضان من كلِّ

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٣-٤ : م ٢، ربيع الأول وربيع الثاني ١٣٤٤هـ، حول المعجم العربي.

عام معرضًا، يُظهِرون فيه نفائس ما صنعوه في أيام السنة، فيزورهم في معرضهم هذا كبار الوزراء، وأصحاب الثروة من عارفي قدر هذا الفن الجميل، ويبتاعون ما يزيِّنون به منازلهم من تلك النفائس، ولكن الحال تغيَّر وتبدَّل، حيث إنَّ الترك في فترة حكم مصطفى كمال أتاتورك، حوَّلوا وجوههم عن هذا الشرق الإسلامي، وعن فنونه وصناعاته، وتوجَّهوا بأنفسهم وأموالهم إلى الغرب، أضِف إلى ذلك أنَّ الذين كانوا يشجِّعون الخطوط العربية قد زهدوا بالحروف العربية نفسها[١].

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٩ م ٢، القاهرة، رمضان ١٣٤٤هـ، معرض الخطاطين في القسطنطينية.

المبحث الرابع

جهوده في خدمة التاريخ الإسلامي

وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: التأليف، وفيه تسعة مسالك.
- المطلب الثاني: عنايته بشرح الأحداث التاريخية الإسلامية، وفيه ثلاثة مسالك.
- المطلب الثالث: الشخصيات التاريخية الإسلامية، وفيه أربعة مسالك.
- المطلب الرابع: الردُّ على الشبهات المثارة حول التاريخ الإسلامي، وفيه أربعة مسالك.
- المطلب الخامس: دعوة المسلمين للرجوع لتاريخ أسلافهم والاقتداء به، وفيه سبعة مسالك.
- المطلب السادس: أسباب استعادة التاريخ الإسلامي وإصلاح الحاضر، وفيه خمسة مسالك.

المطلب الأول:
التأليف

وفيه تسعة مسالك:

المسلك الأول: كتاب "ذي النوريْن عثمان بن عفان –رضي الله عنه".

يتكوَّن هذا الكتاب من ٦٤ صفحة بعنوان: "ذو النوريْن عثمان بن عفان –رضي الله عنه"، ولقد حرص الشيخ على التعريف بهذا الصحابي الجليل، وإفراد التعريف به، لما تعرَّض له هذا الصحابي الجليل من هجوم على أيدي شرذمة من أعداء الإسلام، من المجوس، واليهود، وأصحاب النفوس الضعيفة، ونقلة الأخبار الكاذبة، كما حرص الشيخ على انتقاء الأخبار الصحيحة والثابتة في التعريف بهذا الصحابي الجليل، ولقد تناول الشيخ في تعريفه بهذا الصحابي عدة نقاط:

- نشأة ذي النوريْن عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- إسلامه وإصهاره إلى النبيعليه الصلاة والسلام.
- هجرته إلى الحبشة.
- بعض جوانب من أخلاقه وشخصيته وفضائله.
- شراؤه الأرض لتوسعة المسجد النبوي.
- تجهيزه جيش العسرة.
- لماذا ولَّى أقاربه؟
- كيف تولَّى الخلافة؟
- ردُّ الافتراءات عليه.
- مصحف عثمان رضي الله عنه وجمعه للمصحف[1].

---

(١) انظر: "ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه"، محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، بدون تاريخ للنشر.

المسلك الثاني: كتاب "مع الرعيل الأول".

ألَّف الشيخ هذا الكتاب الرائع الذي يقع في ٢٢٣ صفحة، والمتصفِّح في هذا الكتاب يستشفُّ ما يتميَّز به الشيخ من العاطفة الجيَّاشة، والحرارة الصادقة المتوثبة لاستعادة تاريخ الأمة الإسلامية، وسأوجز محتويات هذا الكتاب في نقاط:

- بدأ الشيخ كتابه بأقوال بعض المستشرقين المنصفين المعجبين بتاريخ الأمة الإسلامية.
- بيّن الشيخ مكانة مكة المكرمة؛ حيث إنها البيئة الأولى للإسلام، وبيّن ما يتعلَّق بالبلد الحرام من أحكام.
- ذكر الشيخ مكانة الرسول -عليه الصلاة والسلام- في قومه قبل البعثة، ثم ذكر هيبته في قلوبهم بعد البعثة، مع ما كان يناله من صنوف الأذى عليه الصلاة والسلام.
- عرّف الشيخ ببعض الشخصيات الإسلامية البارزة، والتي كان لها دور فعّال في رسم معالم التاريخ الإسلامي، ومن تلك الشخصيات الصحابي الجليل: محمد بن مسلمة[1] رضي الله عنه، ولقد خصَّه الشيخ بالذكر؛ لأنه لم يشتهر عند الجماهير، مع أنه رضي الله عنه كان أسبق الأنصار إلى الدخول في الإسلام.
- بيّن الشيخ الدروس المستفادة من حادثة الهجرة من مكة إلى المدينة.
- وصف معركة بدر وصفًا دقيقًا في تاريخها ووقتها ورجالها من الطرفيْن وأحداثها ونتائجها، وأثر النتائج على الفريقيْن، مع الدروس والفوائد المستوحاة من هذه المعركة الحاسمة.
- وصف فتح مكة وصفًا مفصلاً، وأثر هذا الفتح على الأمة الإسلامية.

---

(١) هو محمد بن مسلمة الأوسي، كان يسمى ب (فارس رسول الله)، وقال عنه الرسول -عليه الصلاة والسلام- (لا تضره فتنة)، كلّفه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بكثير من المهام في فترة خلافته. توفي بالمدينة في شهر صفر من سنة ٤٣ عن خمس وسبعين سنة. انظر: "الإصابة في تمييز الصحابة"، العسقلاني، كلكتا (الهند)، تاريخ النشر: ١٨٥٣م، ٦: ٢٨. ولقد عرّف الشيخ محب الدين بهذا الصحابي الجليل في مجلة المسلمون، في عددين متتالين تحت عنوان: مع العارفين. انظر: "مجلة المسلمون". المجلد السادس: العدد السادس، رمضان ١٣٧٨هـ. من ص ٩١- ٩٦. المجلد السادس: العدد السابع، شوال: ذو القعدة ١٣٧٨. من ص ٦٠٧-٦١٢. ولم أجد فرقا بين التعريفين في كتاب مع الرعيل الأول وبين التعريف في مجلة المسلمون.

- أورد الشيخ بعض الأخلاق الجاهلية التي أقرها الإسلام؛ كنظام الجوار[١]، ويقصد الشيخ بإيضاح ذلك: أنَّ تاريخ الإسلام تاريخ مُشرِق، يتَّصف بالمرونة والإنصاف.
- التعريف ببعض الشخصيات الإسلامية التي لها إسهامات جليلة في خدمة التاريخ الإسلامي.
- ذكر أنَّ سجايا العرب في التاريخ الإسلامي هي سجايا أصيلة نابعة من جوهر النفس ومعدنها، وليس فيها أيُّ تصنُّع أو مراءاة.
- التعريف بقصة الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك[٢]، ويهدف الشيخ من إيراد هذه القصة إلى إثبات وسائل التأديب المتوازنة والمنضبطة التي امتاز بها التاريخ الإسلامي.

المسلك الثالث: كتيب"الجيل المثالي".

كتب الشيخ نسخة من إحدى عشرة صفحة، بعنوان: الجيل المثالي. وكان من أبرز ما تحدَّث عنه الشيخ في هذه النسخة أسباب الكمال في جيل الصحابة رضوان الله عليهم، وسأجملها في نقاط:

- أنَّ هذا الجيل قد تلقَّى تربيته على يد الرسول عليه الصلاة والسلام.
- أنَّ عملهم كان أبين وأصدق من قولهم، بالذات في أوقات الشدائد والبأس، حيث يظهر ذلك جليًّا في مواقفهم في بدر وغيرها.
- تحرِّيهم الحقوق، وإذعانهم للإنصاف والعدل، كما في الحديث الذي روته أم سلمة رضي الله عنها: قالت: جاء رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواريث قد دُرِست ليس بينهما بيِّنة، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنكم تختصمون إليَّ، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم

---

(١) نظام الجوار في الإسلام: هو النظام الذي يعطي الحق لأي مسلم أن يحمي من الأذى من يرى أن في حمايته ما تُقضى به الأخلاق والمروءة، ولو كان كافرا، وميزة هذا النظام أنه يُشعر المسلمين جميعا بدون مفاضلة بينهم، يُشعرهم بالعزة والمكانة، ويوضح لغير المسلمين المكانة العالية في الإسلام للذمة والوفاء بالعهد. انظر: "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ٨٤، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ: ١٩٨٥م.

(٢) الثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، -رضوان الله عليهم-. انظر: المرجع السابق، ص: ١٠١.

على نحوٍ ممَّا أسمع، فمَن قضيتُ له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها إسطامًا في عنقه يوم القيامة، فبكى الرجلان، وقال كلٌّ واحدٍ منهما حقي لأخي! فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمَّا إذا قلتما ذلك فاذهبـــا، فاقتسما، ثم توخَّيا الحق، ثم استهما؛ (أي اعملا قرعة على القسميْن بعد قسمهما)، ثم ليحلَّ كلٌّ واحدٍ منكما صاحبه"(١).

- امتازت تلك الأمة بسعة المدارك، ونضوج العقل، ودقة المشاعر، وجودة الأخلاق.
- امتازت بلغة هي أرقى على الإطلاق من كلِّ لغة أخرى للبشر، في مادتهم الخام، التي لم تتأثَّر بالعلوم المكتسبة، والصناعات، والأنظمة، التي هي من صنع البشر.
- الإنسانية العليا في معاملة الغير، وإكرامه بالأمن والقرى(٢).

المسلك الرابع: كتاب "حملة رسالة الإسلام الأوَّلون، وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير، وكيف شوّه بعض المؤرِّخين والمغرضين جمال سيرتهم"(٣).

احتوى هذا الكتاب على عدة قضايا:

- رد الأكاذيب المفتراة على الصحابة –رضوان الله عليهم، حيث زعم البعض أنَّ أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يُضمِر العداوة بعضهم لبعض. فإنَّ مَن يزعم ذلك، فقد كذّب الله جلَّ جلاله في قوله:﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٢)، وأحمد (٢٦٧١٧)، وأصل الحديث في الصحيحين بدون القصة، والحديث صحيح. انظر: "السلسلة الصحيحة" (٤٥٥).

(٢) انظر: "الجيل المثالي". محب الدين الخطيب. الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها. ط ٤، ١٤٠٣هـــ.

(٣) أفرد الشيخ محب الدين هذه الرسالة في نسخة مستقلة، وقام بطبعها في المطبعة السلفية ومكتبتها، ولقد حرص د/ محمد بن صامل السلمي الأستاذ في قسم التاريخ بجامعة أم القرى على إعادة نشرها، ولقد خدم الشيخ محمد بن صامل هذه الرسالة بعنونتها وتخريج أحاديثها وحرص أيضا على التعريف بالشيخ محب الدين في بداية الرسالة. ولقد حصلت على هذه الرسالة من طريقين: أولها النسخة التي اعتنى بها الشيخ محمد بن صامل السلمي –حفظه الله–. والثاني نشر مجلة المسلمون لهذه الرسالة في رجب سنة ١٣٧١. العدد الخامس: السنة الأولى. من ص ٤٦٥- ٤٨٠.

وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[١]، وكذّب الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله:«خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم»[٢]. ومَن كذّب الله ورسوله، لا يكون مسلمًا أبدًا[٣].

- من الحقائق التاريخية في عصر صدر الإسلام التي تبطل زعم أهل الأهواء: أنَّ الله جلَّ جلاله حفظ كتابه بالسند والتواتُر أمينًا عن أمين، فلم يفرِّطوا في شيء من القرآن الكريم إلى أدقِّ ما يتصوَّر المتصوِّر[٤].
- يفخر الشيخ بأنَّ الأمة الإسلامية أغنى أُمم الأرض بالمقوِّمات التي تستطيع أن تبني بها تاريخها من جديد، ولكنه يتألَّم؛ لأنها لم تدرك أهمية ذلك، و لم تعتنِ به[٥].
- حذر الشيخ من القراءة في الكتب القديمة التي جمع فيها مؤلِّفوها الغثَّ والسمين، محاولين استدراك الأخبار قبل ضياعها، ونبَّهوا في كتبهم على مصادر الأخبار، وعلى أسماء رواتها؛ ليكون القارئ على بينة من صحيح الأخبار وسقيمها، ولكن لبُعد الزمن، وجهل أكثر القرَّاء بمراتب الرواة، ودرجاتهم في الصدق والكذب، وفي الوفاء للحق، أو الميل مع الهوى، تراهم لا يستفيدون الفائدة المرجوَّة النافعة من قراءتهم للتاريخ[٦].[٧].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٠)، من حديث عمران بن حصين -رضي الله عنه-.

(٣) انظر: "حملة رسالة الإسلام الأولون وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير وكيف شوّه المغرضون جمال سيرتهم"، محب الدين الخطيب، تحقيق د/ محمد بن صامل السلمي، ص: ١٧، دار الوطن للنشر، بدون تاريخ للنشر.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص: ٣٥.

(٦) يقصد -رحمه الله- الكتب التي تروي الأخبار مسندة، مثل: طبقات ابن سعد، وتاريخ خليفة بن خياط، وتاريخ الطبري، وأمثالهم، ممن يروي بالإسناد، فإن اعتمادهم في كتبهم هذه على الإسناد، وهو منهج مسلوك ومتبع في عصرهم، ولا يقدح في مكانتهم العلمية ذكرهم أخبارًا واهية وضعيفة.

(٧) انظر: "حملة رسالة الإسلام الأولون وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير وكيف شوّه المغرضون جمال سيرتهم"، ص: ٣٥.

- أن الأمة الإسلامية حرمت من أغزر ينبوعيْن لقوتها التاريخية، ألا وهما:

أولاً: الإيمان بعظمة ماضيها.

ثانيا: أنها سليلة سلف لم يرَ التاريخ سيرة أظهر ولا أبهر ولا أزهر من سيرته[١].

المسلك الخامس/كتاب بعنوان: "من إلهامات الهجرة".

وهذا الكتاب يحتوي على ٣٢ صفحة، قام الشيخ محبُّ الدين بتأليفه، ولم يتمكن من نشره حتى توفَّاه الله، فقام بطبعه ونشره ابنه قصي رحمهما الله، ولقد تناول الشيخ محبُّ الدين في هذا الكتاب ظاهرة حدثت في صدر تاريخ الإسلام، وهي حادثة هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة—رضوان الله عليهم من مكة إلى يثرب، ولقد ذكر الشيخ الحكم من هذه الهجرة، ومن هذه الحكم ما يلي:

- أنَّ المسلمين إذا لم يكن لهم بلد تتوافر فيه البيئة الإسلامية الصالحة والمهيَّأة لإقامة منهج الله تبارك وتعالى، وجب عليهم أن يجتمعوا في بقعة صالحة يقيمون فيها نظام الإسلام تامًا كاملاً، ويتعاونون على حماية دعوته.
- اتِّخاذ الأسباب والوسائل لتحقيق رسالة الإسلام، كما جاء بها صاحبها —عليه الصلاة والسلام، وكما فهمها أصحابه والتابعون لهم بإحسان.
- يؤكِّد الشيخ على أنَّ مفهوم الهجرة لا ينحصر في الانتقال من بلد إلى آخر فحسب، ولكنه أوسع وأشمل وأكبر من ذلك، فلقد دعا الشيخ المسلمين إلى الهجرة، التي هي هجر الذنوب والخطايا في الأعمال والأخلاق والتصرُّفات.
- قارن الشيخ بين هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام وبين هجرة المسلمين اليوم، فهجرة الرسول عليه الصلاة والسلام غيَّرت مجرى التاريخ، وأمَّا هجرة المسلمين، فقلَّما عني بها الكاتبون والمؤلِّفون وعلماء الإسلام، فلو اقتنع كلُّ مسلم بأنه في حاجة إلى الهجرة، ووجد من العلماء مَن يرشده إلى طريقها السويِّ على نهج

(١) انظر: المرجع السابق، ص: ٣٩.

الإمام الأعظم–عليه الصلاة والسلام، وقام المسلمون بالهجرة على وجهها، لَتغيَّر بذلك مجرى التاريخ مرة أخرى، ولوجدوا أسباب النجاح والسيادة.

- ذكر الشيخ أنَّ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام كانت بمثابة الحد الفاصل، والنقلة العمرية الهامة، التي انتقلت معها الإنسانية من طفولتها إلى سن الرشد مرة واحدة، وكانت هذه المرحلة هي الحد الفاصل بين التعبُّد للأساطير والأهواء والأوثان الحجرية والعجول الذهبية، وبين اتِّخاذ الحق ميزانًا لأحكام العقل، ومقياسًا للتوجيه الإنساني، ودليلاً إلى الله عزَّ وجلَّ، فلا سلطان إلاَّ سلطانه، ولا جبَّار إلاَّ وهو آخذ بناصيته.

- توجَّه الشيخ بالنداء لشباب الأمة الإسلامية، وتذكيرهم بأنهم شباب الأمة، وخيار الأوطان، وأنَّ الإسلام يدعوهم إلى هجر ما طرأ عليهم من تقاليد وأخلاق وعادات وأنظمة أجنبية تتعارض مع هداية الهجرة وصاحبها عليه الصلاة والسلام، ودعاهم إلى العودة إلى الأخلاق والفضائل والأهداف التي بُعِث بها نبينا عليه الصلاة والسلام، وأن يتذكَّروا أنَّ العمل بهذه الهداية الربانية هو جهاد في سبيل الله جلَّ جلاله[1].

المسلك السادس: كتاب بعنوان: "اتِّجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب".

يحتوي هذا الكتاب على ٥٠ صفحة، بعنوان:"اتِّجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب"، وهذه الكتاب بحث تاريخي، في الهجرات العربية منذ ستة آلاف سنة إلى العراق والشام خاصة، وإلى البلاد السامية عامة، وفي أنَّ أصل الكلدانيين والفينيقيين من العرب، وكان الذي دعا الشيخ إلى كتابته هو الردُّ على كاتب غربي، خبَط خبط عشواء في كتابته عن الإسلام، حيث أشار هذا الكاتب إلى سر من أسرار تاريخ جزيرة العرب، وهو اندفاع موجات من أهلها إلى ما وراء حدودها في أحقاب متوالية، وقد علَّل هذا الكاتب لهذه

(١) انظر: "من إلهامات الهجرة"، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، بدون تاريخ للنشر.

الهجرات بأنها نتيجة نضوب المياه في دورات للزمان، ويرى الشيخ أنَّ هذا التعليل لا يتَّفق دائمًا مع الأسباب التاريخية للهجرات العربية الكبرى، لذلك فإنَّ الشيخ كتب هذا الكتاب ليبيِّن للقرَّاء الصورة الصحيحة للموجات البشرية العربية، وأسباب هجرتها، ولقد حرص الشيخ على كتابته؛ ليساعد الشعوب الناطقة بالضاد على إدراك حقيقة رابطتها القومية بجزيرة العرب، ولقد بيَّن الشيخ منهجه في كتابة هذه النسخة، وهو: اقتصاره في الهجرات العربية على ما كان منها في آسيا فقط، وأنه جمع بين النصوص التاريخية، ووفَّق بين آراء العلماء فيها، واعتمد في كتابته الإيجاز بقدر الإمكان؛ لأن الغرض هو غرس الفكرة التي تنتج عن هذه النصوص في ذهن كلِّ ناطق بالضاد(١).

ولقد قسَّم الشيخ هذه الكتاب إلى سبعة فصول:

- الفصل الأول: الموجة الأولى: إلى العراق، سنة ٣٦٠٠ قبل الميلاد.
- الفصل الثاني: الموجة الثانية: الفينيقيون، سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد.
- الفصل الثالث: الموجة الثالثة: قوم حمورابي، سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد.
- الفصل الرابع: الموجة الرابعة: الهجرات الإسماعيلية، سنة ٦٠٠ قبل الميلاد.
- الفصل الخامس: الموجة الأخيرة: التاريخ الماضي إلى ظهور الإسلام.
- الفصل السادس: ألقى الشيخ فيه نظرة على اللغات السامية، وكيف وُجِدت؟ وما بقي منها.
- الفصل السابع: عرض الشيخ نظريات العلماء في الوطن الأول للساميين، وقارن ورجَّح بين هذه الأقوال(٢).

---

(١) انظر: "اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب"، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط ١، بدون تاريخ للنشر.

(٢) انظر: المرجع السابق.

المسلك السابع: كتيب بعنوان "الأزهر، ماضيه وحاضره".

كتب الشيخ بحثًا بعنوان: الأزهر، ماضيه وحاضره. قام بنشره في مجلة الزهـــراء، ثم أفردت المكتبة السلفية بعناية من قصي ابن محبِّ الدين –رحمهما الله هذا البحث في نسخة مستقلة بعنوان: الأزهر، ماضيه، وحاضره. ولقد اطَّلعت على هذا البحث في مجلة الزهراء، و لم أتمكَّن من الحصول على النسخة من المكتبة السلفية، وسألخِّص القضايا الأساسية لهذا البحث:

- تاريخ بناء الأزهر:

تمَّ بناء الأزهر على يد الخليفة الفاطمي أبي الحسن جوهر بن عبد الله[1] لَمَّا فتح مصر، وبنى حوله قصور الخلافة وبيوت كبار رجال الدولة في نحو ثلاثين شهرًا، حيث ابتدأ البناء يوم السبت ٢٢ جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـــ، وأول جمعة صلاَّها الفاطميون في الجـــامع الأزهر كانت يوم ٦ رمضان سنة ٣٦١هـــ.

- الأزهر زمن الدولة الفاطمية:

إنَّ أول ما درّس في الأزهر الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة، من عام ٣٦٥هـــــ إلى ٣٧٨هـــ، حيث اختارت الحكومة خمسة وثلاثين عالمًا من الطبقة الأولى في المعـــارف الإسلامية وجعلتهم مدرّسين في الأزهر، فإذا كان يوم الجمعة حضر هؤلاء العلمـــاء إلى

---

(١) جوهر بن عبد الله: هو جوهر بن عبد الله الرومي، أبو الحسن، باني مدينة القاهرة، والجامع الأزهر، كان من موالي المعز العبيدي صاحب إفريقية، وسيره من القيروان إلى مصر، بعد موت كافور الإخشيدي، فدخلها سنة ٣٥٨ هـــ وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليها، وصار هو من عظماء القواد في دولته وما بعدها، إلى أن توفي، وكانت وفاته بالقاهرة، وكان كثير الإحسان، شجاعا، و لم يبق في مصر شاعرا إلا رثاه، وكان بناؤه القاهرة سنة ٣٥٨هـــ وسماها المنصورية حتى قدم المعز فسماها القاهرة، وفرغ من بناء الأزهر في رمضان سنة: ٣٦١ هـــ. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٢: ١٤٨. وانظر: "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، ١٥: ١٢٠.

الأزهر، وتحلّقوا فيه بعد الصلاة؛ لقراءة الفقه ومدارسة الحكمة والعقيدة وفنـــون الأدب، ولقد زيّن الأزهر بقناديل من الفضة زمن الحاكم بأمر الله[١]تعلّق فيه في شهر رمضان.

وكان الأزهر ومناراته يُنَار بالمصابيح بزينة باهرة في المواسم، وكان في محراب الأزهر منطقة فضة بقيت إلى زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي[٢].

- الأزهر بعد الفاطميين:

أول انقلاب جوهري حدث في تاريخ الأزهر كان في القرن السادس ـبعد أكثر من مائتي سنة من تأسيسه ـ وذلك عندما قضى السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيـــوبي على الدولة الفاطمية في مصر ٥٦٧هـــ، فانقضى معها ما كان مـــن ســـلطان لمذهبـــها وتقاليدها وأساليبها، ثم أسهب الشيخ في ذكر تاريخ الأزهر، والمراحل التي مرّ بها، وذكر دوره في الثقافة الإسلامية على مرّ العصور، كما اهتمَّ بعمارته الحسية والمعنوية[٣].

---

(١) الحاكم بأمر الله: هو أبو علي، منصور ابن نزار (العزيز بالله) ابن معد (المعز لدين الله) ابن إسماعيل بن محمد العبيدي الفاطمي، أبو علي: متأله، غريب الأطوار، رافضي، ادعى الربوبية، من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر، ولد في القاهرة، سنة: ٣٧٥هـــ: ٩٨٥م، وعني بعلوم الفلسفة، والنظر في النجوم، وعمل رصدا، واتخذ بيتا في المقطم ينقطع فيه عن الناس، توفي سنة: ٤١١هـــ: ١٠٢١م. انظر: المرجع السابق، ٧: ٣٠٥. وانظر: "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، ١٥: ١٧٣.

(٢) صلاح الدين الأيوبي: هو يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. ولد سنة: ٥٣٢هـــ: ١١٣٧م، كان أبوه وأهله من قرية دوين (في شرقي أذربيجان) وهم بطن من الروادية، من قبيلة الهذانية، من الأكراد. نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين، وتوفي فيها جده شاذي. ثم ولي أبوه (أيوب) أعمالا في بغداد والموصل ودمشق. ونشأ هو في دمشق، وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، وحدّث في القدس، ودخل مع أبيه وعمه في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (صاحب دمشق وحلب والموصل) واشترك صلاح الدين مع عمه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر سنة ٥٥٩ هـــ، فكانت وقائع ظهرت فيها مزايا صلاح الدين العسكرية، وتم لعمه الظفر أخيرا، باسم السلطان نور الدين، فاستولى على زمام الأمور بمصر، واستوزره خليفتها العاضد الفاطمي، ولكن عمه ما لبث أن مات، فاختار العاضد للوزارة وقيادة الجيش صلاح الدين، ولقبه بالملك الناصر، وهاجم الفرنج دمياط، فصدهم صلاح الدين، ثم استقل بملك مصر، مع اعترافه بسيادة نور الدين، وانتهى على يديه حكم الفاطميين، وكانت بقيادته معركة حطين، التي انتصر فيها انتصارا عظيما على الصليبيين، ثم أكرمه الله –جل جلاله– باستعادة المسجد الأقصى. توفي سنة: ٥٨٩ هـــ: ١١٩٣م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٨: ٢٢٠.

(٣) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٥ : م ٢، القاهرة، جمادى الأولى، سنة: ١٣٤٤هـــ، مقال بعنوان: الأزهر.

المسلك الثامن: كتاب بعنوان: "تقويمنا الشمسي".

كتب الشيخ في مجلة الزهراء بحثًا يتكوَّن من ١٦ ورقة، بعنوان: تقويمنا الشمسي[١].

وسأعرض الأفكار الرئيسية لهذا البحث:

- التاريخ العربي قبل الإسلام:

للتاريخ السنوي في كلِّ أمة عناصر مهمة: أحدها الحادثة التي تبتدئ منها سنوات تاريخ تلك الأمة، ويكون لتجديد ذكراها أثر نافع في حياة الجماعة، كما حصل من الحجازيين عندما أرّخوا ببناء إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام الكعبة، ثم أرّخوا بتولِّي عمرو بن لحي[٢] رئاسة مكة، ثم أرّخوا بموت كعب بن لؤي[٣]، ثم أرّخوا بعام الفيل، وجاءت البعثة النبوية وقريش تؤرِّخ بهذا التاريخ. ثانيها البداية الفلكية التي يبتدئ بها الحول، وينتهي عندما يحول إليها. والثالث أجزاء هذا الحول وتعيين أسمائها ومقاديرها. فهذان العنصران الثاني والثالث من التاريخ العربي القديم كانت العرب في جاهليتها تأخذ سنتها من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر، ثم ينظرون إلى فضل ما بين سنتهم وسنة الشمس –وهو ١٠ أيام و٢١ ساعة –فيلحقون بالسنة شهرًا، كلَّما تمَّ من السنة ما يستوفي أيام شهر، ويسمُّون هذا الإلحاق (النسيء) ويتولاَّه (النسأة) من بني كنانة. فكانوا يكبسون كلَّ أربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر، فكانت شهورهم ثابتة مع الأزمنة،

---

(١) تم إفراد هذا البحث في نسخة مستقلة، وتمت طباعتها ونشرها في المطبعة السلفية ومكتبتها، ولم أتمكن من الحصول عليها مفردة، ولكني حصلت على هذا البحث في "مجلة الزهراء".

(٢) عمرو بن لحي: هو عمرو بن لحي بن قمعه بن خندف، يجر قصبه في النار، وهو أول من غير عهد إبراهيم –عليه السلام– ونصب الأوثان، وأدخلها إلى جزيرة العرب. انظر: "الإصابة في تمييز الصحابة"، العسقلاني، ٦١/١.

(٣) كعب بن لؤي: هو كعب لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر. يقال إنه أول من قال أما بعد. وتروى له قصيدة بشر فيها بالنبي –عليه الصلاة والسلام–، يقول في أحد أبياتها:

يا ليتني شاهد فجواء دعوته ..... حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

وبين موت كعب بن لؤي وبين الفيل خمسمائة وعشرون سنة. انظر: "معجم الشعراء"، المرزباني، تصحيح وتعليق الأستاذ د/: ف. كرونكو، ص: ٣٤١، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط ٢، ١٤٠٢هـ: ١٩٨٢م.

جارية على سَنن واحد، لا تتأخَّر عن أوقاتها ولا تتقدَّم. وقد أخذ العرب ذلك من اليهود قبل ظهور الإسلام بحوالي مائتي سنة. استمرت الحال على ذلك إلى أنَّ جاء الإسلام، وشرع لأهله عبادات مقيّدة بالأشهر القمرية، فأصبح نقل هذه الأشهر عن حقيقتها بالنسيء مغيّرًا لأوقات العبادات؛ لأنَّ رمضان – مثلاً – يُطلَق بعد النسيء على شهر آخر غير شهره. ومواقيت الحج الحقيقية يزول عنها اسم ذي الحجة، ويصير لها اسم شهر آخر. لذلك جاء الإسلام بتحريم النسيء في الأشهر القمرية؛ لارتباط العبادات بها ارتباطًا يحتّم استمرارها مع مطالع الهلال على الحقيقة بلا نقل ولا تغيير(١).

- التاريخ العربي في الإسلام:

ظلَّت قريش تؤرِّخ بعام الفيل، وكان المسلمون يؤرِّخون معها به قبل الهجرة، فلمَّا هاجر–عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ترك المسلمون التأريخ بعام الفيل، وسمَّوا كلَّ سنة ممَّا بين الهجرة ووفاة الرسول ﷺباسم مخصوص بها، مشتقّ ممَّا اتَّفق فيها للنبي عليه الصلاة والسلام: فالأولى بعد الهجرة (سنة الإذن) والثانية (سنة الأمر) والثالثة (سنة التمحيص) والرابعة (سنة الترفئة) والخامسة (سنة الزلزال) والسادسة (سنة الاستئناس) والسابعة (سنة الاستغلاب) والثامنة (سنة الاستواء) والتاسعة (سنة البراءة) والعاشرة (سنة الوداع). فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها. ثم أجمع عمر بن الخطاب والصحابة –رضي الله عنهم– على جعل الهجرة النبوية مبدءًا لتأريخهم، فلمَّا كان يوم الاثنين لثمانٍ خلوْن من ربيع الأول، أرّخ عمر بن الخطاب من أول سنتها (المحرم)، والتزموا اجتناب التخليط بين الشهور المأخوذة من مسير القمر، والسنين المأخوذة من مسير الشمس؛ حتى لا تختلط عليهم أوقات العبادات.

- حاجتنا إلى تاريخ هجري شمسي:

إنَّ حاجتنا إلى العمل رسميًا بالتأريخ الهجري نابع من أصالة هذا التأريخ، والمتمثِّلة في ارتباطه بحادثة ظهور الهداية الإسلامية، فمثل هذه الحادثة لا يجوز للمسلم أن يشترك في جريمة إماتة التأريخ الإسلامي. ويؤكّد الشيخ على أنَّ تشديده على إفراد التاريخ الهجري

---

(١)انظر : "مجلة الزهراء". ج ٩ : م ٣ . القاهرة. رمضان ١٣٤٥هـ. تقويمنا الشمسي.

والعمل به رسميًا هو ردّ فعل للتيار الذي يرمي إلى إهمال تاريخنا وإبطاله، ولولا وجود هذا التيار في الشرق وفي بلاد المسلمين بالذات، لما بالينا أنْ نستعمل مع التاريخ الهجري كلّالتواريخ الأخرى المعروفة، ولذلك فإنَّ ثقتنا في تاريخنا واعتزازنا به تحتم علينا الحفاظ على التاريخ الهجري، بلوالعمل به رسميًا[١].

المسلك التاسع: بحث بعنوان: "مدينة الزهراء".

كتب الشيخ بحثا بعنوان: مدينة الزهراء[٢].وسأوجز ما كتبه الشيخ محبُّ الدين في هذا البحث، حيث بين بداية إنشاء هذه المدينة على يد الخليفة عبد الرحمن الناصر[٣] في قرطبة[٤]سنة ٣٢٥هـ، وكان ذلك في القرن العاشر الميلادي، ولقد أشرف الخليفة عبد الرحمن الناصر بنفسه على إنشاء (الزهراء)، فقد استخدم في تشييدها عشرة آلاف عامل، وكانت مواد البناء تُنقَل على ألف بغل وأربعمائة جمل، ويُؤتَى في كلِّ ثلاثة أيام بعشرة

---

(١) انظر : "مجلة الزهراء". ج ٩ : م ٣ . القاهرة. رمضان ١٣٤٥هـ. تقويمنا الشمسي.

(٢) كتب الشيخ محب الدين هذا البحث التاريخي ونشره في "مجلة الزهراء". وبعد وفاته –رحمه الله– قامت المطبعة السلفية ومكتبتها بإفراد هذا البحث في نسخة مستقلة، وأثناء بحثي وجدت واحدة من هذه النسخ في مكتبة الحرم المكي، ولكني لم أتمكن من الاستفادة منها لقدمها، ووجدت نسخة أخرى كذلك في مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز في جامعة أم القرى، وأثناء تصفحي لهذه النسخة لم أتمكن كذلك من الاستفادة منها لنقص بعض الصفحات. فاعتمدت على "مجلة الزهراء" في الاستفادة من هذا البحث لوضوحه واكتماله فيها.

(٣) عبد الرحمن الناصر: هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي المرواني الناصر لدين الله أبو المطرف صاحب الأندلس الملقب أمير المؤمنين، بقي في الإمرة خمسين سنة، وتوفي في شهر رجب، سنة: ٣٤٥هـ. انظر: "الوافي بالوفيات"، صلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ١٨: ١٣٦، دار إحياء التراث- بيروت، ١٤٢٠هـ: ٢٠٠٠م.

(٤) بضم أوله، وسكون ثانيه، وضم الطاء المهملة أيضا، والباء الموحدة، كلمة فيما أحسب عجمية رومية ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من القرطبة وهو العدو الشديد، وهي مدينة عظيمة بالأندلس، وسط بلادها، وكانت سريرا لملكها، ولما كانت ملوك بني أمية، ومعدن الفضلاء، ومنبع النبلاء من ذلك الصقع، وبينها وبين البحر خمسة أيام، وهي أعظم مدينة بالأندلس، وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل، وسعة الرقعة. انظر: "معجم البلدان"، ياقوت الحموي، ٤: ٣٢٤. وانظر: "صفة جزيرة الأندلس"، أبو عبد الله الحميري، نشرها وصححها وعلق حواشيها: لافي بروفنصال، ص: ١٥٣، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٤٠٨هـ: ١٩٨٨م.

آلاف حمل من مواد البناء، أمَّا جدران الزهراء، فكانت قائمة على أربعة آلاف وثلاثمائة عمود من الرخام الأبيض الذي جِيء به من إيطاليا، ومن الرخام الأخضر والوردي الذي جِيء به من تونس وأماكن أخرى، ولقد دام البناء مدة خمس وعشرين سنة، وبلغ ما أُنفِق عليه سبعة ملايين وخمسمائة ألف دينار ذهبًا. وكان هذا البناء في أقصى غايات الجمال، كما أنها من أعظم مفاخر العرب في الهندسة ودقة الذوق وإحكام الصنعة[١].وينوِّه الشيخ محبُّ الدين على أهمية هذه المدينة من نواحي متعدِّدة:

- تعتبر هذه المدينة أثر عظيم من آثار العرب لرجل من رجال العرب العظام.
- يعتبر بناء هذه المدينة بناءً بديعًا، ودليلاً على العزيمة الكبيرة التي أوجدته، وحضارة تستحق الفخر.
- أراد الشيخ باستعراض هذه الصفحة من تاريخنا، التذكير باستطاعة المسلمين الوصول إلى مدى متقدِّم من المدنية خلال ثلاثمائة سنة فقط، بعد أن كُنَّا في مظاهر العمران وراء العنصريْن الروماني والفارسي.
- يؤكِّد الشيخ على أنه بإيراد تاريخ مدينة الزهراء لا يريد أن يفتخر بالعز الذي كان لآبائنا؛ لأنَّ هذا الفخر يعتبر فخرًا كاذبًا واعترافًا بالذلِّ مؤلمًا، ولكنه يريد أن يُقنِع المسلمين بأنَّ لهم تاريخًا وحضارةً ومجدًا، ويريد أن يستنهض هممهم للعمل على استعادة تاريخهم وحضارتهم ومجدهم[٢].

- سبب بناء الزهراء، وذِكر موضعها:

قالت زوجة الخليفة عبد الرحمن الناصر له: "اشتهيتُ لو بنيتُ لي مدينة سمَّيتها باسمي، وتكون خاصة لي". فبنى مدينة الزهراء تحقيقًا لطلبها، أمَّا موقعها، فتقع في ضواحي قرطبة، أُنشِئت من شمالي قرطبة، وكانت كأنها الغادة البيضاء، يجري بينها وبين قرطبة نهر

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٤: م ١، ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٣هـ، مقال بعنوان: مدينة الزهراء.

(٢) انظر: المرجع السابق.

عظيم، وهو الوادي الكبير الذي تقوم الزهراء على ضفته، وبين المدينتيْن مسافة تتراوح بين ثلاثة أميال وسبعة أميال، بحسب اتِّساع دائرة العمران أو تقلُّصها في كلتيْهما.

- صفة مدينة الزهراء ومكوِّناتها:

بابها عظيم الهيئة، دقيق الصنعة جميلها، ويتَّصل بالباب من جانبه سور عظيم يحيط بالمدينة، وفيه ثلاثمائة برج حربي، فإذا دخلتَ من هذا الباب، أفضيت إلى حدائق غنَّاء، وميادين واسعة الأرجاء، تطل عليها مبانٍ سامية وقصور لأعيان المملكة ورجال الدولة. وتستمر سائرًا بين هذه المباني، حتى تصل إلى (باب الأقباء) وهو أول أبواب القصر، ومن ورائه صنوف المحاسن، يليها (باب السدة الأعظم). وفي الصدر (السطح الممرَّد) المشرف على الروضة، ولهذا السطح الممرَّد قبة من الذهب. وتحتوي هذه المدينة على عُمُد كأنها أُفرِغت في قوالب، ونقوش وبرك عظيمة محكمة الصنع وحياض، وغير ذلك ممَّا يعجز الخيال عن وصفه. ولقد شدَّ انتباهي في مدينة الزهراء ما له علاقة بالثقافة الإسلامية؛ وهو احتواؤها على (خزانة الكتب العلمية)، حيث كانت خزانة الكتب من أعظم خزائن الدنيا، ولقد بلغت عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب ٤٤ فهرسة، في كلِّ فهرسة ٢٠ ورقة ليس فيها إلاَّ ذكر الدواوين فقط، ولقد أسهب الشيخ في وصفه لمدينة الزهراء إسهابًا غير مخلٍّ؛ وذلك لما تستحقه هذه المدينة من مكانة تاريخية وحضارة إسلامية[1].

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٥ : م ١، ١٥ جمادى الأولى، سنة: ١٣٤٣هـ، مدينة الزهراء.

المطلب الثاني:
عنايته بشرح الأحداث التاريخية الإسلامية

وقد تضمن ثلاثة مسالك:

المسلك الأول: حادثة الهجرة.

عرّج الشيخ على حدث هام في تاريخ الإسلام، انتقل معه المسلمون من الضعف إلى القوة، ومن الذلّ إلى العزّ، ومن القهر إلى التمكين، ومنّ الله جلّ جلاله على رسوله عليه الصلاة والسلام وصحابته –رضوان الله عليهم بقيام دولة الإسلام، ألا وهو حدث الهجرة إلى المدينة المنورة، وقد استلهم الشيخ من هذا الحدث بعض المعاني السامية المناسبة للواقع والعصر، والمفيدة للمسلمين وثقافتهم الإسلامية، ومن أهم هذه المعاني:

- بيانه أنَّ الهجرة ظاهرة يمتاز بها الإسلام على غيره من الأديان، فأهل الديانات الأخرى ينحصر معنى (الدين) عندهم في العقيدة والعبادة، أمَّا الإسلام، فكما أنه دين عقيدة وعبادة، فإنه يشمل أيضًا الآداب في المنازل والمجتمعات، والتعاون بين الأفراد والجماعات، ويتناول العقود والمصالح والالتزامات، وتتَّسع دائرته، فتحيط بنظام الحكم كلِّه[1].
- بيانه أنَّ المسلمين لا يعتبرون أنفسهم مقيمين في بلد إسلامي، إلاَّ إذا ساد نظام الإسلام بلدهم، وقامت فيه أحكامه وآدابه، كما تقوم فيه شعائره وتسود عقائده، وإذا تعذَّر على المسلمين إقامة أحكام دينهم، وتأييد أنظمته الاجتماعية، وآدابه الخلقية والبيتية، وجب عليهم الانتقال إلى البلد الذي يُعمل فيه بأحكام الإسلام وآدابه، تكثيرًا لسواد المسلمين، وإعزازًا لأمر الدين، واستعدادًا لنصره وتأييده في العالمين.

---

(١) انظر: "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ٣٨، بعنوان: حادثة الهجرة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ: ١٩٨٥م.

- وجوب أن يكون لإسلام يجب أن يكون له وطن تُقَام فيه معاني الإسلام كلها، ويُعمَل فيه بأحكامه، وأنظمته في دواوين الدولة، ومرافق الأمة، ومعاملات الأفراد، وآداب البيوت، بقدر ما يُعمَل فيه بشعائر العبادات.
- سعي الإسلام إلى أن تعيش النفوس المسلمة في جو من النظام والحكم الراشد، الذي يسهِّل لها فهم هداية الإسلام، ويحبِّب إليها العمل بهذه الهداية في كلِّ ضرب من ضروب الحياة، وتتوفَّر فيه حرية الدعوة إلى كلِّ ما ينشده الإسلام من حقيقة وخير، فيتيسَّر القيام بهما جهارًا في جميع أحوال الفرد المسلم والجماعة الإسلامية، ويكون فيه للحق قوة تقمع كلَّ مَن يصد عن ذلك، أو يحول بين المسلمين وبين الدعوة إلى هدايتهم والعمل بها في بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم ومجتمعاتهم.
- وضح أنَّ الهجرة المحمدية من ديار الشرك إلى دار النصرة قد مضت بأهلها، ولكن الهداية المحمدية لا تزال في أمانة المسلمين، وهي في عصرنا أحوج ما كانت إلى تفكير المسلمين في صيانتها، والتماسهم الأسباب لازدهارها وتعميم العمل بها، وصدق حين بين أننا نحتاج جميعا إلى الهجرة من عيوبنا ومثالبنا، وتقصيرنا في حق ديننا، وأمتنا، وبلادنا[1]، وقال في ذلك: "نحن محتاجون اليوم من معاني الهجرة وأهدافها وحكمتها إلى أن ننخلع في بيوتنا عن الآداب التي تخالف الإسلام، وأن نُعِيد إلى هذه البيوت الصدق والصراحة والنبل والاستقامة والاعتدال والمحبة والتعاون على الخير، فالبيت الإسلامي وطن إسلامي، بل هو دولة إسلامية، ويجب عليَّ أن أبدأ بمملكتي التي هي بيتي، فأهاجر أنا ومَن فيه من زوجة وبنات وبنين إلى ما يحبه الله من الصدق، هاربين من الكذب الذي يكرهه الله، ويلعن أهله في صريح كتابه، ويجب أن نحب أنظمة الإسلام وآدابه محبة تمازج دماءنا، فنتحرَّى هذه الأنظمة في أخلاقنا وأحوالنا وتصرُّفاتنا ومعاملة بعضنا لبعض، (هاجرين) كلَّ ما خالفها ممَّا اقتبسناه عن

---

(١) انظر: "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ٣٨، بعنوان: حادثة الهجرة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ: ١٩٨٥م.

الأغيار، وخذلنا به مقاصد الإسلام، فضيَّعنا أغراضه الجوهرية، وإذا تربَّينا في بيوتنا على محبة الأنظمة الإسلامية، وتأصَّل ذلك في أذواقنا وميولنا، وتعوَّدنا العمل بـــه في مختلف ضروب الحياة، فشا العمل به حينئذٍ من البيوت إلى الأســـواق، والأنديـــة، والمجتمعات، ودواوين الحكم، ولا يلبث الوطن كله بعد عشرات قليلة من السنين أن يتحوَّل من وطن عاصٍ لله، إلى وطن مطيع لله، ومن وطن تسود فيه الأنظمة الـــتي يسخطها الله، إلى وطن تسود فيه الأنظمة التي أمر بها الله"[١].

المسلك الثاني: موقعة بدر الكبرى.

أتى الشيخ على أول موقعة في الإسلام، فرَّق الله بها بين الحق والباطل، وأثبـــت الله لكفار قريش أنَّ للإسلام دولة، ولها رجالها ولهم شوكة وقوة ومنعة، أيَّـــد الله أوليـــاءه، ودحر فيها أعداءه، وقد استفاض الشيخ في غزوة بدر ورجالها وأخبارهم، ولقد وصـــف المعركة وما سبقها من أحداث، وما تلاها من وقائع، حتى لكأني من شاهديها، وكلُّ ذلك بالتوثيق وتخريج الأحاديث بأسانيدها؛ وذلك لما لموقعة بدر من أهمية واستراتيجية وأسرار إلهية غيرَّت مسار التاريخ الإسلامي، ووجَّهته بإذن الله إلى مافيه عزُّ وصـــلاح الإســـلام والمسلمين[٢].

وكان للشيخ من هذه الغزوة العظيمة وقفتان:

الوقفة الأولى: مع الأمة أجمع، حيث بين تسلط الظالمين من القوى الكبرى العالمية علـــى البشر، وانتشار الظلم والاحتلال، والفكر الفاسد، ماركسيا وعلمانيا، وغيرهمـــا، وتـــرك الاهتداء بوحي الله –جل جلاله وشرعه، لذا وجب على المسلمين القيام السريع برسالتهم ودورهم، لإنقاذ أنفسهم والبشرية، بصلاحهم وقوتهم ودينهم، وفي ذلك قال:

---

(١) انظر: "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ٣٨، بعنوان: حادثة الهجرة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـــ: ١٩٨٥م.

(٢) انظر: المرجع السابق، محب الدين الخطيب، ص ٥٧، بعنوان: وقفة عند ذكرى بدر.

"تمر بنا الآن أيام يكاد يكون العالم فيها شبيهًا بما كان عليه في أيام بدر من ثلاثة أوجه: انغماس البشر في شهواتهم، واكتفاؤهم من الهدايات الأولى بمظاهرها وألفاظها، واندفاع القوى الإنسانية الكبرى في تيارات متناقضة، تُمعِن بالناس بُعدًا عن أهداف الحق والخير، وعن الاعتدال الذي حضَّت عليه الشرائع. ومن بعد أيام بدر إلى يوم الناس هذا لم تكن الإنسانية في حاجة إلى الرسالة التي أيَّدها الله في بدر أحوج إلى مثل الرجال الذين أيَّدها الله بهم في بدر كحاجتها إليها اليوم. ومن بعد أيام بدر إلى يوم الناس هذا لم تكن الرسالة التي أيَّدها الله في بدر أحوج إلى مثل الرجال الذين أيَّدها الله بهم في بدر، منها إلى مثلهم في هذا اليوم"(١).

الوقفة الثانية: مع شباب الجيل، حيث استغل الشيخ موقعة بدر في تذكير الشباب المسلم بدور شباب الصحابة –رضوان الله عليهم في الانتصار في موقعة بدر، فلقد كانت أول موقعة بين الإسلام والكفر، وكانت التجربة الأولى للمسلمين عموما، ولشبابهم – خصوصا، هذا وإن الصحابة –رضوان الله عليهم ترجموا إيمانهم على أرض الواقع، فبذلوا أموالهم وأرواحهم رخيصة في سبيل الله –جل جلاله، فلابد لإقامة الدين الإسلامي من تضحيات، والدين في حاجة لإسهامات الشباب الفاعلة، وبطولاتهم الرائعة، على منهج الله –جل جلاله، ورسوله –عليه الصلاة والسلام، ولابد لشباب الجيل في العصر الحاضر من التعرف على مواطن القوة التي كانت من أسباب إقامة منهج الله ورسوله، على بصيرة وعلم وهدى، مع الفقه في حاجيات العصر ومعطياته، ولقد ذكر الشيخ كلاما نفيسا يخاطب فيه قلوب الشباب المسلم، لم أجد بدّا من إيراده بنصه، حيث يقول:

"يا شباب الجيل: إنَّ رسالة الإسلام التي دافع عنها أبطال بدر ليوصِّلوا أمانتها إلى مَن بعدهم سالمة كاملة، فتتناقلها العصور، حتى تصل إلينا وإليكم، هي رسالة الإنسانية التي لا دواء لها من أوصابها إلاَّ بها؛ وهي أمانة ثقيلة على الجيل المثقل بالشهوات

(١) "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ٤٥.

والأباطيل، وخفيفة هينة على الجيل الذي يرجع إلى فطرة الله، ويتحرَّى في أعماله سبيل الله، ويقصد بجميع تصرُّفاته وجه الله.

إنَّ رسالة الإسلام التي استمات في سبيلها أبطال بدر لا تحتاج إلى علماء ينشرونها بألسنتهم، ولكنها تحتاج إلى شباب تهضمها أرواحهم، وتمتزج بها نفوسهم وتنبض بها قلوبهم، وتراها الأمم في أخلاق حملة أمانتها من شباب الإسلام وفي أعمالهم وتصرُّفاتهم، فتنقاد من ورائهم إلى هذا الحق وهذا الخير معجبة بهما ومقتدية بأهلهما. إنَّ أعظم معجزات الإسلام بعد القرآن ذلك الانقلاب العجيب الذي حدث في مصر والشام والعراق وشمال أفريقية وأمهات البلاد التي دخلت في الإسلام على أيدي رجال كان فيهم أبطال بدر، وقد حار المؤرِّخون في تعليل ذلك الانقلاب الذي تناول الدين واللغة والأخلاق والثقافة والعقلية والوجهة والأهداف. وقد حاول مثله المستعمرون بأحدث الأساليب ومختلف الوسائل، ففشلوا، وإنما كانت علته أنَّ أبطال بدر وإخوانهم من الصحابة والتابعين كانوا يعرفون الأمم بالإسلام بأخلاقهم وفضائلهم، وبإنصافهم وإنسانيتهم، فعلمت الأمم أنَّ الإسلام دين الإنسانية المنشود، وأنَّ الدخول فيه تكريم للإنسانية وتعجيل للنهوض بها إلى مقام الكرامة اللائقة بها[1].

يا شباب الجيل: لقد جاء الله بالإسلام ليجعل من أهله خلفاءه في الأرض ما عملوا به، وقد نسي المسلمون ربهم عصورًا، فنسيهم الله، وإنَّ الإنسانية أحوج ما تكون في هذه الأيام إلى الإسلام، وسبيلها إلى معرفته أن تراه مكتوبًا في أخلاق أهله لا في مؤلَّفاتهم، وفي تصرُّفاتهم لا في مقالاتهم، ولا يكون ذلك إلاَّ أذا أدرك شباب الجيل من بني الإسلام أنَّ الله أعدَّهم للخلافة على الأرض بالرجوع إليه، وبامتلاكهم زمام القوة في جميع أسباب القوة: من علم وصناعة وزراعة وتجارة، مع التحلِّي بأخلاق الإسلام وفضائله، حتى تمتزج أرواحهم، وحتى يتعاملوا بها مع كلِّ مَن يتعامل معهم. هكذا فعل رجال بدر يوم خرجوا

---

(١)"مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ٥٠.

من جزيرتهم تحت ألوية الإسلام ليعرِّفوا الأمم بالإسلام، لا بكتب يؤلفونها، ولا بمحاضرات يلقونها، ولا بالجدل والمراء والمناظرات، ولكن بعرض الإسلام على الأمم عرضًا عمليًا، يراه الناس في أخلاق هؤلاء المجاهدين وفي أحكامهم ومعاملاتهم وتصرُّفاتهم. فكانت بذلك المعجزة التي يوشك أن تكون على أيدي شباب هذا الجيل من المسلمين، إذا عادوا إلى مثل ما كان عليه أبطال بدر من فضائل النفس وصدق الإيمان وصلابة العزم وكريم الخلق.

وإنهم يوم يفعلون ذلك، يصيبون أهدافا شتى: فيذكّرون الناس بأبطال بدر، ويعرّفون الأمم بالإسلام، ويرجعون أمة صالحة للسيادة، فلا تلبث أن يستخلفها الله على الأرض"[١].

ويرى الشيخ أنَّ عناصر العظمة في وقعة بدر يمكن إجمالها في ثلاثة عناصر:

أحدها: سمو الرسالة العظمى التي استمات أبطال بدر في الدفاع عنها.

والثاني: الرجال الذين أدركوا بكمال مواهبهم، وصفاء نفوسهم، مساوئ الباطل الذي شحذوا عزائمهم لتقويض بنيانه، وهدم أركانه، بعد إدراكهم قيمة الحق والخير اللذيْن بذلوا في تأييدهما كلَّ ما وهبهم الله من معادن النفس، وسلامة التفكير، وصدق الإيمان، وصلابة العزم، وكريم الخلق.

والثالث: مكافأة الله لهم على هذا البذل بما وعد أهله من النصر[٢].

المسلك الثالث: فتح مكة.

لقد اهتمَّ الشيخ بهذا الحدث الهام، الذي أتمَّ الله جلَّ جلاله به النعمة على رسوله ﷺبإذعان مكة المكرمة، موطن رسوله ﷺ، ومهاجره، ومسقط رأسه، وهو الحدث الذي

---

(١) "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ٥٠،بعنوان: أهل بدر كأنك معهم.

(٢) انظر: المرجع السابق،ص: ٤٣.

تحرَّر به العرب من الوثنية، وطُهّرت الكعبة والبيت الحرام من الأوثان وعبادها، ولقد دعا الشيخ إلى الاستفادة من هذا الحدث الكبير، داعيًا المسلمين إلى استقاء الدروس والاستفادة منها؛ ليسجِّل التاريخ لهم الأمجاد كما سجَّلها لأولئك الأخيار الأطهار ومن هذه الدروس ما يلي:

أحدها: أن هذا الدين العظيم لا يقوم به إلا العظماء، الذين التزموا منهج الله –جل جلاله ومنهج رسوله ﷺ، وتجردوا من حظوظ أنفسهم، وأخلصوا لله وحده في خدمتهم لهذا الدين، حينها يتحقق وعد الله بالنصر.

ثانيها: أن هذا الدين العظيم منصور لا محالة، وأن الباطل مهما صال وجال، فإن نهايته الزوال والاضمحلال.

ثالثها: رقي الأخلاق الإسلامية، ويتمثل ذلك في عفو الرسول –عليه الصلاة والسلام عندما تمكن من خصومه، فعفا عنهم، و لم ينتقم، مما كان له الأثر في دخول أفواج في دين الله، وعلى هذا المنوال يجب أن يتقيد المسلمون بالحكمة لتحبيب الناس في الدين، وعدم تنفيرهم منه(١). وفي ذلك قال الشيخ:"إنَّ فتح مكة كان فتحًا لقلوب العرب وأرواحهم للحق الذي بعث الله به رسوله إلى الأمم، وإنَّ رسالة الخير لا تزال في حاجة إلى مثل تلك القلوب؛ لتتم بها نعمة الله على الإنسانية. فهل في أولياء الإسلام من رجاله وفتيانه مَن يسخو بقلبه، فيغسله بالإسلام الفطري الطاهر؛ ليعود كقلوب أصحاب رسول الله، فيصلِح الله الأرض بمسلمي هذا العصر؟"(٢).

---

(١) انظر: "مع الرعيل الأول". محب الدين الخطيب، ص: ٧٣، بعنوان: ذكرى فتح مكة.

(٢) المرجع السابق، ص: ٧٤.

المطلب الثالث:
التعريف بالشخصيات الإسلامية التاريخية

ويشتمل على أربعة مسالك:

اهتم الشيخ بالتعريف بالشخصيات الإسلامية، والتي كانت لها إسهامات في تاريخ عصر صدر الإسلام، وأكثر ما اهتم به التعريف بالصحابة[١] رضوان الله عليهم، وذلك لأنهم اختارهم الله-جل جلاله لصحبة خير البشر- عليه الصلاة والسلام، فصدقوا مع الله ورسوله في خدمة الدين الإسلامي، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، حتى أقر الله -جل جلاله عين رسوله -عليه الصلاة والسلام بإظهار دينه، وهزيمة أعداء الله ورسوله، ودخول الناس في دين الله أفواجا، فقامت دولة الإسلام على عواتقهم، وسطروا بصدقهم، وإخلاصهم، وقوة إيمانهم، وطهارة قلوبهم ونفوسهم، أروع الأمثلة التي سجلها التاريخ الإسلامي، واستمروا في جهادهم ونضالهم حتى بعد وفاة رسول الله -عليه الصلاة والسلام، ولقد حرص الشيخ على التعريف ببعض الصحابة -رضوان الله عليهم، لأمور:

- التعريف بعوامل القوة التي تمثلت فيهم، وأخذوا بها، والتي أهلتهم لحمل مشعل الدين، وأداء رسالة رب العالمين.
- بيان فضلهم على غيرهم، وتشرفهم بصحبة الرسول -عليه الصلاة والسلام.
- ربط الجيل الجديد، والأجيال القادمة، بسيرة أطهر خلق الله بعد أنبياء الله ورسله، وذلك لصناعة الجيل الواعي، والمدرك لدوره في خدمة الدين.
- إبراز غير المشتهرين من الصحابة -رضوان الله عليهم، والتعريف بإسهاماتهم التاريخية، وذلك للاستفادة من تجاربهم، وترجمتها على أرض الواقع.

---

(١) الصحابي هو: من لقي النبي -عليه الصلاة والسلام-، مؤمنا به، ومات على الإسلام. انظر: "نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر"، ابن حجر، تحقيق: عبد الله ضيف الله الرحيلي، ص: ١٤٠، ط١، مطبعة سفير- الرياض، ١٤٢٢هـ..

- أن عوامل القوة في عصر الصحابة –رضوان الله عليهم ليست مستعصية على غيرهم، وأن الكتاب والسنة لم يتغيرا، ولكن ينقص المسلمين الفهم الصحيح، والإخلاص، والتطبيق على بصيرة، فمتى أخذ المسلمون بما أخذ به صحابة رسول الله –عليه الصلاة والسلام تحقق –بإذن الله في هذا العصر ما تحقق للصحابة –رضوان الله عليهم.

المسلك الأول: الصحابي الجليل حكيم بن حزام.

الصحابي الجليل (حكيم بن حزام) من الشخصيات الإسلامية البارزة التي اهتمَّ الشيخ بالتعريف بها؛ لما كان لها من إسهامات في ملامح التاريخ الإسلامي، واختار الشيخ هذا الصحابي الجليل لأمور، أجملها في نقاط:

- لأنه من الذين قاوموا الإسلام، ثم قام الإسلام على عواتقهم.
- أنَّ الإسلام –في ماضيه وحاضره يفتح الأبواب أمام التائبين والمتراجعين عن ضلالهم وغوايتهم، حتى يكفِّروا عن خطئهم بالتفاني في خدمة الإسلام.
- ولأنه من الصحابة الأجلاء الذين لم يشتهروا عند الناشئة والشباب، مع أنه من الصحابة الذين كانت لهم إسهامات عظيمة، ساهمت في إبراز التاريخ الإسلامي.

ولقد عرّف الشيخ بهذا الصحابي –رضي الله عنه، وسأجمل تعريف الشيخ به في نقاط:

- **اسمه ونسبه:** هو حكيم بن حزام من آل خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، وكانت خديجة أم المؤمنين عمته، والزبير بن العوام ابن عمه، وأم حبيب بنت أسد جدة آمنة بنت وهب أخت جده.(١)
- **خاصية له دون غيره:** حكيم بن حزام هو الوحيد الذي وُلِد في جوف الكعبة، ولا يعرف أحدٌ ولد فيها غيره.

---

(١) انظر: "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ٩٤، بعنوان: حكيم بن حزام.

- **من مناقبه:** كانت دار الندوة التي تأتمر فيها قريش، ملكًا له، وبقيت في ملكه إلى أن اشتراها منه معاوية بن أبي سفيان زمن خلافته، وكان حكيم هذا من أكرم مشركي قريش، وأكثرهم صدقة على الفقراء والمحتاجين، ومع هذا فقد قاوم الإسلام مع قومه معظم مدة البعثة النبوية، قبل الهجرة وبعد الهجرة، وكان مع فرسان قريش في غزوة بدر، ولم يدخل في الإسلام إلاَّ يوم فتح الله مكة لنبيه —عليه الصلاة والسلام فلمَّا أسلم، خدم الإسلام بماله، ومن ذلك: أنه وقف مرة بمائة من مماليكه، في رقابهم أطواق الفضة، منقوشًا عليها: "عتقاء الله، عن حكيم بن حزام"(١).

المسلك الثاني: الصحابي الجليل: عمرو بن العاص رضي الله عنه.

اختار الشيخ التعريف بهذا الصحابي الجليل لأنه من الصحابة —رضوان الله عليهم الذين جمعوا بين الدين، والسياسة، والقيادة، مع ما كان يتميز به من الذكاء الخارق، والبديهة الحاضرة، وقوة الشخصية، وهذه الصفات أهلته لقيادة المسلمين، وغرست الثقة في قلوب الخلفاء الراشدين —رضي الله عنهم لتقليده مناصب قيادية، كان لها الأثر الفاعل في جمع كلمة المسلمين، ومقارعة الكفر وأهله. ولقد عرّف الشيخ بهذا الصحابي، وسأجمل تعريف الشيخ به في نقاط:

- **ولادته:** وُلِد عمرو بن العاص(٢) ﷺ في منازل قومه بني سهم بمكة.
- **قومه:** كان لبني سهم باب خاص بهم إلى الحرم، يغشونه من منازلهم إذا أرادوا الطواف بالكعبة، فلما اتَّسع الحرم، وانضمَّت البيوت وبابها إلى ساحاته، سُمِّي أحد الأبواب باسم (باب عمرو بن العاص)، وبنو سهم بطن من بطون قريش البطاح، أبناء كعب بن لؤي، كانت لهم في الجاهلية الفصل بين المتخاصمين، وحسم المنازعات، وكانت تحت أيديهم الأموال المحجرة؛ أي: أوقاف

(١) انظر: "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ٩٤، بعنوان: حكيم بن حزام.

(٢) انظر: "مجلة المسلمون"، المجلد السادس، العدد الخامس، ربيع الأول، سنة: ١٣٧٨هـ، مقال بعنوان: مؤسس مصر الإسلامية ومكوّن كيانها العربي.

المعبودات التي كانت لقريش حول الكعبة، وسهم إخوة جمح، وسهم وجمح أقرب بطون قريش إلى بني عدي، الذين منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ،

- **فارق السن بينه وبين عمر بن الخطاب –رضي الله عنهما**: عمرو أسنّ من عمر، وكان يقول: "أذكر الليلة التي وُلِد فيها عمر بن الخطاب".
- **وفاته**: طال به العمر نحو عشرين سنة بعد عمر، فكانت وفاته ليلة عيد الفطر، سنة: ٤٣ هـ.
- **وقفة للشيخ بعد وفاة هذا الصحابي ﷺ**: يذكر الشيخ أنه تُوفِّي في مصر، وهو الأمير عليها، ومع ذلك إلاَّ أنهم لم يعنوا بتشييد قبره، ولا تعظيمه، كما هي عادة مصر من زمن الفراعنة؛ لأنَّ من سنة الإسلام أن يكون التعظيم لأعمال الرجال، لا لقبورهم، فبالأعمال يكون تخليد الرجال، وبها يتبوَّأون منازلهم عند الله، يوم لا ينفع أحد قبره، ولا ما شُيِّد عليه من صخور، ولاما أُضيِء فيه من سُرُج.

وممَّا خدم به عمرو بن العاص ﷺالإسلام والمسلمين، مشاركته في الجهاد ومصالح المسلمين بقوة، ومن ذلك:

١) قيادة جيش المسلمين في غزوة ذات السلاسل[١]، وكان ذلك بعد إسلامه بأربعة أشهر، وجعل النبي ﷺتحت قيادته جمعًا من المهاجرين والأنصار، ثم أمدَّه ﷺبمدد على رأسهأبوبكر، وعمر، وأبوعبيدة، فكان عمروبن العاص

---

(١)غزوة ذات السلاسل: أرسل رسول الله ﷺعمرو بن العاص إلى أرض بلي وعذرة، يدعو الناس إلى الإسلام، وكانت أمه من بلي، فتألفهم رسول الله ﷺبذلك، فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل، وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل، فلما كان به خاف، فبعث إلى النبي ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله ﷺأبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين، فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عبيدة حين وجهه: لا تختلفا، فخرج أبو عبيدة، فلما قدم عليه قال عمرو: إنما جئت مددا إلي، فقال له أبو عبيدة: يا عمرو، إن رسول الله ﷺقال: لا تختلفا، فإن عصيتني أطعتك. قال: فأنا أمير عليك، قال: فدونَك، فصلى عمرو بالناس.انظر: "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة"، محمد أبو شهبة، ٢/ ٤٣٢، ط: ٨، دار القلم – دمشق، ١٤٢٧هـ.

يرأسهم جميعًا، ويصلّي بهم، وقد كان منه في هذه الغزوة من حسن التدبير، وسديد القيادة، ما أدَّى بإذن الله إلى النصر، وجميل الظفر.

٢) وفي السنة الثامنة أيضا، قام عمرو بهدم (سواع)؛ وهو وثن كان برهاط لهذيل.

٣) وفي أواخر السنة الثامنة ولاَّه الرسول ﷺصدقات بني عذرة[١]، فجعل يأخذ الصدقات من الأغنياء، فيردُّها على الفقراء، ويجبي الجزية من المجوس، ويدعو ما استطاع إلى دين الله، و لم يزل قائمًا بهذه المهمة، حتى وصل الخبر بوفاة الرسول ﷺ.

٤) وفي أوائل خلافة أبي بكر، كان عمرو على رأس الجيوش الإسلامية التي قضت على فتنة الردة في أوجز وقت، وبعدها أعاده أبو بكر إلى عمله الذي ولاَّه إياه الرسول عليه الصلاة والسلام وهو صدقات بني عذرة.

٥) ثم ولاَّه أبو بكر قيادة الجيش الذي وِجهته فلسطين، فكانت له المواقف العظمى في اليرموك[٢]، ثم في فتح دمشق، وتُوفِّي أبو بكر ولا يزال عمرو بن العاص في جهاده مع إخوانه قواد الأجناد، فكان في قيادة الجيش الذي استولى على أجنادين[٣]، ثم تفرَّغ لفتح مصر، فجاءها على رأس كتيبة لا

---

(١) بني عذرة: وهي من القبائل المتنصرة التي عاشت على مقربة من حدود بلاد الشام. انظر:"المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، د/: جواد علي، ٧: ٣٩، دار الساقي، ط ١٤٢٢،٤هـ/٢٠٠١م.

(٢) وقعة اليرموك: وقعت في سنة خمس عشرة، في رجب، وكان المسلمون ثلاثين ألفاً، والروم أزيد من مائة ألف، قد سلسلوا أنفسهم، الخمسة والستة في سلسلة لئلا يفروا، فلما هزمهم الله كان الواحد يقع في وادي اليرموك فيقع من معه في السلسلة، حتى ردموا الوادي واستوت حافتاه، وداستهم الخيل. انظر: "العبر في خبر من غبر"، الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ١: ١٤، دار الكتب العلمية- بيروت، بدون تاريخ للنشر.

(٣)وقعة أجنادين: كانت وقعة أجنادين في سنة ثلاث عشرة، لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، وقتل يومئذ من المسلمين جماعة، منهم سلمة بن هشام ابن المغيرة، وهبار بْن الأسود بْن عبد الأسد، ونعيم بْن عبد اللّه النحام، وهشام بْن العاصي بْن وائل، وفيها توفي أبو بكر لثمان ليال بقين- أو سبع بقين- من جمادى الآخرة. انظر: "الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء"، أبو الربيع الأندلسي، تحقيق د/ محمد كمال، ٣/ ١٥٠، عالم الكتب -- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

يزيد عددها على أربعة آلاف مقاتل، وأتمَّ الله له الفتح مع ما كان معه من قلة العدد والعتاد، وليست معجزة الإسلام في فتح مصر تنحصر في قلة العدد والعتاد والفتح المؤزَّر، ولكن في معجزة الإسلام الخالدة في هذا الفتح، بما أحدثه من انقلاب اجتماعي حول لغة مصر في أسواقها وبيوتها وفي بيانها ومعاهد ثقافتها، ونشر اللغة السماوية التي تتكلَّم بها مصر إلى اليوم، وهذا النجاح في الانقلاب الاجتماعي لم يقتصر به العرب على مصر، بل سبق مثله في الشام، والعراق، وتلاه مثله في أفريقية، ولو بقيت قيادة الإسلام في أيدي أهله الأوَّلين، واستمرت طريقتهم على ما كانت عليه، لوصل هذا الانقلاب بلغته وآدابه وعقائده إلى اليابان وإلى أمريكا وإلى كل مكان يسكنه البشر.

ولقد كان من المعروف في ذلك العصر المبارك أنَّ دهاة العرب في الإسلام أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري. رضي الله عن عمرو بن العاص، وعن صحابة رسول الله أجمعين[1].

المسلك الثالث: الصحابي الجليل: (النعمان بن مقرن المزني).

اهتمَّ الشيخ بالتعريف به؛ لأهمية سيرته للمسلمين عامة، وللشباب خاصة، ولأنه أيضًا من الشخصيات التي لم يتردَّد ذكرها على الأسماع، مع أهميتها، وعظم مكانتها، وتأثيرها في التاريخ الإسلامي، ولقد عرّف الشيخ بهذا الصحابي الجليل، وسأذكر تعريف الشيخ به في نقاط:

نسبه: هو النعمان بن مقرن المزني، من قبيلة (مزينة)، وهي من القبائل المباركة في الجاهلية والإسلام.

---

(١) انظر: "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ١٠٦، بعنوان: أعظم رجال التاريخ أثرا في المجتمع المصري.

- **جهاد النعمان مع رسول الله عليه الصلاة والسلام:**

في يوم الخندق؛ وهو من أيام الشدة في الإسلام، ناط رسول الله بكل عشرة من أصحابه حفر أربعين ذراعًا من الخندق، وخطَّطه لهم، وسمَّى كلَّ عشرة للأربعين ذراعًا من الخندق، وخطَّطه لهم، وسمَّى كلَّ عشرة للأربعين ذراعًا التي من نصيبهم. وكان النعمان بن مقرن ممَّن شارك في حفر الخندق.

وفي فتح مكة: كان النعمان صاحب راية مزينة الذين كانوا يومئذٍ ألفًا وثلاثة نفر، وهم عُشر الجيش كلِّه.

- **جهاد النعمان مع أبي بكر الصديق رضي الله عنهما:**

عندما خرج أبو بكر لقتال المرتدين جعل على ميمنة الجيش النعمان بن مقرن رضي الله عنهم أجمعين.

- **جهاد النعمان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:**

لَّما دخل وفد الخلافة الإسلامية على كسرى يزدجرد[1]في مجلس ملكه، تكلَّم عنهم النعمان رضي الله عنه، وبعد فتح القادسية، اختار عمر بن الخطاب النعمان بن مقرن وأخوه سويد، فولَّى النعمان خراج ما سقت دجلة، وولَّى أخاه ما سقت الفرات. وفي أسابيع قليلة بنيا الجسور وعمَّرا الأرض، وكانا رفيقيْن بأهل الزراعة على طريقة عمر بن الخطاب فيما يجب أن تعامل به الأمة.

ثم طلب النعمان من عمر بن الخطاب أن يعفيه من ولاية الخراج، وأن يُلحِقه بأحد الجيوش. فقبل عمر طلبه، وأمره بأن يلتحق بقبائله المرابطة من مزينة.

وفي معركة نهاوند من السنة (١٩) لسبع سنين من إمارة عمر رضي الله عنه كتب الله للنعمان الشهادة في سبيله، وكتب النصر والظفر لأوليائه المؤمنين، وبعد صولات

---

(١) كسرى يزدجرد: آخر ملوك فارس، هلك في سنة إحدى وثلاثين، قتله أهل مرو. انظر: "تاريخ ابن الوردي"، عمر ابن الوردي، ١: ١٤٤، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ: ١٩٩٦م.

وجولات ومصاعب، استطاع هذا القائد الملهَم أن يتغلَّب عليها، وأن يتحقَّق النصر على يديْه بفضل الله جلَّ جلاله[١].

المسلك الرابع: القائد الفاتح الأحنف بن قيس.

اهتم الشيخ بالتعريف بهذا التابعي الجليل، لما تميز به من الأخلاق الفاضلة، والحكمة، والشجاعة في اتخاذ القرار المناسب، في الوقت المناسب، ولأنه آمن بالرسول –عليه الصلاة والسلام ولم يصحبه، وكانت أخبار مناصرته للإسلام ترد على رسول الله عليه الصلاة والسلام، فدعا له الرسول –عليه الصلاة والسلام، فكان يؤمل من هذه الدعوة خيرا، ولقد عرّف الشيخ به، وسأورد ما عرّف به الشيخ في نقاط:

- **اسمه، ولقبه:** هو التابعي الجليل، القائد الفاتح، الأحنف بن قيس، سيد بني تميم وحكيمها و(الأحنف) لقب له؛ لأنه لَمَّا وُلِد كان في رجله اعوجاج، أمَّا اسمه الحقيقي، فهو (صخر)[٢].
- **مناقبه:** اشتهر الأحنف بمركزه السياسي، ورجاحة عقله، وحلمه الذي أصبح مضرب المثل عند العرب، وفي ذلك يقول الشيخ: "إنَّ أمثال الأحنف كانوا في دولتهم في مقام نواب الأمة، وشيوخها في زماننا، وهم في ذلك المقام يسمّون باصطلاحهم السياسي: (أهل الحلِّ والعقد)"[٣].

---

(١) انظر: "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ١٢٥. بعنوان: النعمان بن مقرن المزني فاتح نهاوند وشهيدها الأعظم.

(٢) عرّف الشيخ بهذا التابعي الجليل –الذي عاش في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يلقه– في "مجلة المسلمون". انظر: العدد التاسع. السنة الثانية من ص ٨٨٩ – ٨٩٥. وانظر: العدد الخامس. السنة الثالثة. من ص ٥٠٥– ٥١١. وليس هناك فرق في التعريف بهذا التابعي في الموضعين.

(٣) "مع الرعيل الأول" ، ص: ١٥٣، بعنوان: القائد الفاتح الأحنف بن قيس.

ولقد وصل الأحنف إلى هذه المرتبة بسبب واحد في نظر الشيخ، هو: (الأخلاق) التي مكَّنت الأحنف ليكون منارًا من منارات تاريخنا المجيد.

- **استجابته للدعوة:** لَمَّا ظهرت الدعوة الإسلامية، وأرسل رسول اللهعليه الصلاة والسلام دعاته ورسله إلى القبائل، حضر إلى منازل الأحنف وقومه رسول، دعاهم إلى الإسلام، وكان الأحنف يُصغي إلى أقوال هذا الرسول بفطرته السليمة، فأثنى على ما سمعه منه، وقال له: "والله إنك لتدعونا إلى خير، وتأمر به". وقد جاء في حديث الحسن البصري، أنَّ كلمة الأحنف نُقِلت يومئذٍ للنبي عليه الصلاة والسلام فقال: "اللهُّم اغفر للأحنف"، فكان الأحنف يقول عن هذه الدعوة النبوية: "ما أنا لشيءٍ أرجَى مني لها"(١).

فأصبح الأحنف من ذلك اليوم الذي أثنى فيه على دعوة الإسلام بأنها "دعوة الخير" معدودًا من المؤمنين بالإسلام، إلاَّ أنه لم يكن من نصيبه السفر إلى الحجاز ولقاء النبي عليه الصلاة والسلام.

- **في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:**

كان الأحنف في خلافة أبي بكر من عامة الشباب في بني تميم، و لم يكن له من السيادة ما يجعله صاحب ذكر مشهور في الناس، فلم يُعلم عنه في السنوات الأولى بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام إلاَّ أنه ذهب مع عمه ليشاهد مسيلمة متنبِّئ بني حنيفة، فلمَّا انصرفا عنه كان حديث الأحنف مع عمه في كذب هذا المتنبِّئ، ومازحه عمه فقال له: ألا تخشى أن أخبره بتكذيبك إيَّاه؟ فقال له: "أحالفك عنده، فهل تحلف أنك لم تكذِّبه كما كذَّبته؟" وفي هذا دليل على أنَّ باطل مسيلمة كان موضع فكاهة هذيْن الحكيميْن الحليميْن.

---

(١)أخرجه أحمد (٢٣١٦١)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/٥٠)، وفي الأوسط (١/١٨٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٢٢٥)، والحاكم (٣/٦١٤)، وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٣١٩).

- **في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

كان للأحنف مواهب قيادية ومواقف بطولية تألَّق بها نجمه، وظهر نبوغه لقومه إثر الانتصارات الباهرة على الفرس على ضفاف نهر تيرى[١]،حتى صار يعدُّ من رؤوس قومه ومن ذوي الرأي والصلاح من رجالهم.وأعطاه عمر لواء خراسان[٢]سنة ١٨هـ.

وفتح الله عليه بعد انتصارات وجولات ساحقة على الفرس، وقائدهم كسرى يزدجرد[٣]، ولَّما كتب الأحنف لعمر بذلك، قال عمر: "إنه الأحنف ، وهو سيد أهل المشرق المسمَّى بغير اسمه".

- **في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:** كان الأحنف في الحج عند وقوع الشهادة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان –رضي الله عنه سنة ٣٥هـ، فبايع للخليفة الراشد الرابع أمير المؤمنين علي، ثم اعتزل الخلاف الذي حصل بين الصحابة رضوان الله عليهم، واعتزل معه ستة آلاف من تميم.
- **وفاته:** تُوفِّي الأحنف في البصرة، سنة ٦٧هـ تقريبًا، فمشى أمير البصرة في جنازته متقلِّدًا سيفًا، ليس عليه رداء، وهو يقول: ذهب اليوم الحزم والرأي[٤].

---

(١) نهر تيرى: بلد فارسي، من نواحي الأهواز، حفره أردشير الأصغر بن بابك، ووجدت في بعض كتب الفرس القديمة. انظر: "معجم البلدان"، ياقوت الحموي، ٥: ٣١٩.

(٢) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢: ٣٥٠.

(٣) سبقت ترجمته، ص: ١٣٢.

(٤) انظر: "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ١٥٣، بعنوان: القائد الفاتح الأحنف بن قيس.

المطلب الرابع:

الردُّ على الشبهات المُثَارة حول التاريخ الإسلامي

وقد حوى أربعة مسالك.

المسلك الأول: ترجمته مقالاً لكاتب فرنسوي منصف للتاريخ الإسلامي.

يتألَّم هذا الكاتب –لم يذكر الشيخ اسمه على سقوط حكم المسلمين في فرنسا، حيث يقول الكاتب: "في ذلك اليوم المظلم، تقهقرت الحضارة ثمانية قرون إلى الوراء، لقد كان المسلمون شعبًا متفنِّنًا، يدعو إلى السلام والتسامح الخالص من شوائب التعصُّب"(١). ويريد الشيخ من ترجمة هذا المقال، أن يُثبِت لبعض المسلمين المخدوعين، والزاهدين في أصالة تاريخهم، أنَّ الحق ما شهدت به الأعداء، فهذا الفرنسي لا يُدِين بالإسلام، ومع ذلك يقول كلمة الحق نحو التاريخ الإسلامي، من الواقع الذي عاشته بلاده، فحريٌّ بالمسلمين أن يخدموا تاريخهم، ويعتزوا به؛ لأنهم هم الأجدر بذلك دون غيرهم.

المسلك الثاني: ردُّه على من زعم اضطهاد المسلمين لغيرهم، بأخذ الجزية منهم.

كتب أحد الكتاب المسلمين مقالا، يعتذر فيه لفرنسا عن اضطهادها واحتلالها للمسلمين في المغرب العربي، فيقول: "أليس أجداد المسلمين كانوا يأخذون الجزية من غير المسلمين؟(٢)" في إشارة منه إلى أنَّ الإسلام دين الاضطهاد، والحرمان، وسلب الحرية والاستقلال، وذلك بأخذ الجزية على مَن لا يدين بالإسلام.

---

(١)"مجلة الفتح": العدد ٧، ص: ١١، مقال بعنوان: كارثة الإنسانية بتغلب شارل مارتل على المسلمين في فرنسا، القاهرة، الخميس ١٩ المحرم، سنة: ١٣٤٥هـ.

(٢) المرجع السابق، العدد ٢١٥، ص: ٨، بعنوان: مقال بعنوان: الجزية في الإسلام، القاهرة، الخميس ١٠ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٩هـ.

ولقد ردَّ الشيخ عليه بأنَّ الجزية كانت تُؤخَذ مقابل حقوق كثيرة للشعب على الحكومة، من ذلك أنَّ الجيش الإسلامي كلَّما تعاقد مع أهل بلد أن يدخلوا تحت رايته،كتب لهم صكَّ الأمان، وكان فيما تضمَّنه هذا الصكُّ: "عليهم الجزية ولهم المنعة"، وكانت الحكومة الإسلامية إذا اضطرت للجلاء عن البلد الذي أخذت منه الضريبة لسنة، تُعِيد للأهالي ما أخذته منهم(١).

وإن لأخذ الجزية من أهل الذمة فوائد لهم، منها:

الفائدة الأولى: أنها وسيلة لهداية أهل الذمة، فبقاء الكافر في بلاد المسلمين، ومشاهدة مظاهر الإسلام، وعزة المسلمين، ستكون -بإذن الله من أسباب هدايته.

الفائدة الثانية: أنها وسيلة للتخلص من الاستئصال والاضطهاد، فهي نعمة تسدى إلى أهل الذمة، فهي تعصم أرواحهم، وتمنع عنهم الاضطهاد.(٢)

المسلك الثالث: ردُّه على شبهة أنَّ المقوقس ملك مصر إنما أهدى مارية القبطية وأختها رضي الله عنهما(٣) للرسول عليه الصلاة والسلام اتِّقاءً لشرِّ العرب.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢١٥، ص: ٨، بعنوان: مقال بعنوان: الجزية في الإسلام، القاهرة، الخميس ١٠ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٩هـ.

(٢) انظر: "الموسوعة الفقهية الكويتية"، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٥/ ١٥٣، ط٢، دار السلاسل – الكويت، ١٤٢٧هـ.

(٣) مارية القبطية: هي أم إبراهيم، ابن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وكان المقوقس ملك الإسكندرية، أهداها إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، فوُلد له منها: إبراهيم، بعد مقدمه المدينة بثمان سنين، وعاش إبراهيم سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، ثم مات، وماتت مارية أم إبراهيم -رضي الله عنها- بعد النبي -عليه الصلاة والسلام- بخمس سنين. انظر: "معرفة الصحابة"، أبو عبد الله ابن منده، ص: ٩٧١، تحقيق الأستاذ د/ عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢٦هـ: ٢٠٠٥م.

وأخت مارية: هي سيرين القبطية، أهداهما المقوقس ملك القبط إلى رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، فتسرى مارية، فولدت له إبراهيم، ووهب سيرين من حسان بن ثابت، فولدت لحسان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. انظر: "معرفة الصحابة"، أبو نعيم الأصبهاني، ٦: ٣٣٦٦، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١ ١٤١٩هـ: ١٩٩٨م.

تصدَّى الشيخ لهذه الشبهة التي تمَّ الترويج لها، وفنَّدها، وناقشها، وأبطلها بالدليل العقلي والنقلي، فبين أنَّ العرب كان يقود حركاتهم وسكناتهم نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، فما كانوا يضمرون لأحدٍ شرًّا، حتى يضحّي المصريون بمارية وأختها اتِّقاءً لشرِّ العرب، بل إنَّ كتاب النبي عليه الصلاة والسلام لمصر كان قبل الفتوحات الإسلامية، وأنَّ الشر الحقيقي الذي كان يتَّقيه المصريون يومئذٍ، هو حكم الرومانيين النصارى، الذي هيَّأ الله العرب لإنقاذ مصر منه، ومع ذلك، فلم يُضحّ المصريين بنسائهم اتِّقاءً لشرِّ الرومانيين، ولو كان ذلك من مبادئهم لفعلوه للرومانيين أصحاب الشرِّ الحقيقيين(١).

المسلك الرابع: الردُّ على كاتب تركي ادَّعى أنَّ إبراهيم عليه السلام تركي.

ادَّعى كاتب تركي في مقالَيْن له، أنه توصَّل بعد بحث متواصل لمدة سبعة أشهر أنَّ جنسية سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام من أصل تركي، وأنه لم يصل إلى هذه النتيجة بمفرده، وإنما ساعده عليها بعض المتخصِّصين في تاريخ القومية التركية، وقد سمَّاهم الكاتب بأسمائهم، ولقد أورد الشيخ مغالطات الكاتب ومَن تعاونوا معه، وردَّ عليهم بردود علمية من مصادر تاريخية موثوقة، تُثبت زيف باطلهم، وتنقض ادِّعاءهم، ومن ذلك أنهم استدلّوا بقول الله جلَّ جلاله:﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢)على أنَّ إبراهيم -عليه السلام تركي، ووجه الاستدلال أنَّ الله جلَّ جلاله نفى أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا، وفي

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد: ٤٥١، ص: ٩، مقال بعنوان: تعبير قبيح، القاهرة، ٢٦ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٤هـ.

(٢) سورة البقرة. الآية ١٤٠.

ذلك دلالة على أنه تركي، ولقد ردَّ عليهم الشيخ بأنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق والأسباط عليهم السلام لم يكونوا لا يهودا، ولا نصارى، من ناحية الدين لا من ناحية النسب، وأنهم كانوا موجودين قبل نزول التوراة والإنجيل، وأقرب دليل على أنه عربي وليس تركيًا أنَّ الله جلَّ جلاله أرسله بالحنيفية التي كان يدين بها الموحِّدون من العرب ولا سيَّما في الحجاز[1].

(١)انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٢: م ١، القاهرة، ١٥ صفر ١٣٤٣هـ، مقال بعنوان: إبراهيم عليه السلام تركي.

المطلب الخامس:

دعوة المسلمين للرجوع لتاريخ أسلافهم والاقتداء به

وقد اشتمل على ستة مسالك.

المسلك الأول: الفخر بالشخصيات الإسلامية المعاصرة.

افتخر الشيخ كثيرا بعمر المختار[١] رحمه الله، وجعله مثالاً يُضرَب به في الجهاد والتضحية، وأنموذجًا لاستعادة بعض ملامح التاريخ الإسلامي في عصر صدر الإسلام، ويقصد الشيخ من التعريف ببطولات عمر المختار، أن يغرس في نفوس المسلمين أنهم باستطاعتهم استعادة عظمتهم وأمجادهم ودورهم، وذلك إذا أخذنا بمثل ما أخذ به أسلافنا، فقد كتب الشيخ مقالاً يرثيه فيه، ويستنهض هِمَم المسلمين ليبذلوا جهدهم، ويسخِّروا طاقاتهم لخدمة الإسلام والمسلمين، فقد جاد الشيخ عمر المختار بروحه، وحُقَّ للمسلمين أن يجودوا ببعض طاقاتهم وأوقاتهم، لخدمة الإسلام والمسلمين[٢].

---

(١)عمر المختار: هو عمر بن مختار بن عمر المنفي، ولد سنة: ١٢٧٥هـ: ١٨٥٨م، وهو أشهر مجاهدي طرابلس الغرب في حربهم مع المستعمرين الإيطاليين، نسبته إلى قبيلة المنفة، من قبائل بادية برقة، ولد في البطنان ببرقة، وتعلم في الزاوية السنوسية بالجغبوب، وأقامه محمد المهدي الإدريسي شيخا على زاوية القصور بالجبل الأخضر، بقرب المرج، وسافر معه إلى السودان سنة ١٣١٢ هـ فأقيم بها شيخا لزاوية كلك، إلى سنة ١٣٢١هـ وعاد إلى برقة شيخا لزاوية القصور، فأقام إلى أن احتل الطليان مدينة بنغازي سنة ١٣٢٩ هـ فكان في طليعة الناهضين للجهاد، وطالت الحرب، وتتابعت المعارك نحوا من عشرين سنة، حتى أصيب عمر المختار، وتم أسره، وحوكم، ثم أعدم شنقا سنة: ١٣٥٠ هـ: ١٩٣١م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٥: ٦٦.

(٢)انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٦٩، ص: ١، مقال بعنوان: جلال الموت، القاهرة، الخميس ١٢ جمادى الأولى، سنة: ١٣٥٠هـ.

المسلك الثاني: الاعتزاز بالحركات الإسلامية التاريخية الصادقة العازمة على إعلاء كلمة الله، وتحكيم شرعه في الأرض.

من أبرز الحركات الإسلامية التي يرى الشيخ أنها استعادت بعض ملامح التاريخ الإسلامي: دخول الملك عبدالعزيز[١] رحمه الله إلى الحجاز، وتحكيم شرع الله—جلَّ جلاله فيه، حتى تحوَّل الأعراب فيه من قتلة فيما بينهم، وقُطَّاع طرق على الحجاج، إلى مجاهدين مخلصين مرابطين في سبيل الله—جلَّ جلاله[٢].

المسلك الثالث: إجابة الطلب بكتابة المقالات المستنهضة لِهِمَم المسلمين.

اهتمَّ الشيخ بالأحداث والوقائع المفصلية في تاريخ المسلمين، وحرص على إبرازها، فلقد أجاب الشيخ الطلب الذي وُجّه له من (لجنة الاحتفال بذكرى صلاح الدين وموقعة حطين) بكتابة مقال أُرسِل به إليهم لِيُتلَى في الاحتفال، وقد تساءل الشيخ في مقاله: هل يمكن أن تنطبع على مياه بحيرة طبريا[٣] ظلال رجال من سلالة أولئك الرجال؟. ثم يجيب الشيخ على لسان بحيرة طبريا بأنَّ ذلك ممكن، وبأنه هيِّن، وأنه في متناول اليد، ولكن بشرط واحد، وهو أن نغتسل بمياه طبريا، ونُشهِد أرضها على أننا تجرَّدنا من أدران أنانيتنا

---

(١)الملك عبد العزيز: هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ابن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، من آل مقرن، من ربيعة بن مانع، من ذهل بن شيبان، ولد في الرياض سنة: ١٢٩٣هـ: ١٨٧٦م، وهو ملك المملكة العربية السعودية الأول، ومنشئها، وأحد رجالات الدهر، كانت دولة آبائه في ضعف وانحلال، صحب أباه في رحلته إلى البادية، واستقر مع أبيه في الكويت سنة: ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، وشب فيها، وشن الغارات على آل رشيد وأنصارهم، وفاجأ عامل ابن رشيد في الرياض بهجوم، فاستولى عليها، وجدد فيها إمارة آل سعود سنة: ١٣١٩ هـ: ١٩٠٢م، ثم استولى على باقي المناطق، توفي في الطائف سنة: ١٣٧٣هـ: ١٩٥٣م، ونقل جثمانه إلى الرياض، ودفن في مقبرة العود. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٤: ١٩.

(٢)انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٠٧، ص: ١، مقال بعنوان: البدوي اليوم والبدوي الأمس، القاهرة، الخميس ٢٣ ربيع الثاني، سنة: ١٣٥١هـ.

(٣)بحيرة طبريا: طبريا بُليدة مطلة على البحيرة المعروفة بها، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وكذلك بينها وبين بيت المقدس. انظر: "مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع"، صفي الدين البغدادي، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي، ٢: ٨٧٨، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ: ١٩٩٢م.

الحقيرة، وشهواتنا الخسيسة، ويأسنا القاتل، ورجعنا إلى الله نعاهده على نصرته بكلمة الحق، نقولها لا نخشى فيها إلاَّ الله، وبما لا يرزؤنا في أموالنا من نقود نبذلها في سبيل الله، وبوقتنا نبخل به على اللهو والعبث، ونصرفه فيما يجعل أمتنا قوية في أموالها ونفسها وأخلاقها ومداركها ومعارفها[١].

المسلك الرابع: تعريفه بكتاب تحصَّل عليه من دار الآثار الوطنية بأسبانيا، يشيد بتاريخ المسلمين.

اغتنم الشيخ فرصة كتاب تحصَّل عليه في التعريف به؛ لاستنهاض هِمَم المسلمين وإقناعهم بأنه بالإمكان استعادة تاريخهم ومجدهم، فإنَّ هذا الكتاب باللغة الأسبانية، ويحتوي على نماذج من النقود الأوروبية التي ضربت في الأندلس، ومكتوب عليها التاريخ الهجري، وأيضًا لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله. ومكتوب أيضًا: ضرب في الأندلس. والأعجب من ذلك أنه بعد سقوط طليطلة في أيدي الأسبان، تمَّ العثور على بعض الدنانير المضروبة بأيدي الأسبان أنفسهم، وقد وُجِدت مكتوب عليها باللغة العربية. وبلغ عدد النقود التي وصفت في الكتاب الذي عثر عليه الشيخ: ٧٥٦ قطعة بين ذهبية وفضية ونحاسية[٢].

المسلك الخامس: اعتراضه على تغيير اسم منطقة (الفسطاط) إلى: (مصر العتيقة، و ماري جرجس).

يؤكِّد الشيخ على أنَّ تاريخ (الفسطاط) أثمن من أنْ يغيّر اسمه، وأنَّ في ذلك عقوقًا لأفذاذ الصحابة الذين كانوا في هذه البقعة المباركة، ويستطرد الشيخ بقوله: "إنَّ ذكريات

---

(١)انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٠٨، ص:١، مقال بعنوان: ذكرى وقعة حطين، القاهرة، الخميس ٣٠ ربيع الثاني، سنة: ١٣٥١هـ.

(٢)انظر: المرجع السابق، العدد: ٧٦٤، ص: ١٢، مقال بعنوان: النقود العربية في الأندلس وبلاد المغرب، القاهرة، الخميس ١٥ جمادى الآخرة، سنة:١٣٦٠هـ.

الفسطاط مدوَّنة وخالدة، والفسطاط ليس بحاجة إلى مَن يحييه، إنما نحن المحتاجون إلى هذا الإحياء؛ لنحيا به ونُبعَث من جديد"[١].

المسلك السادس: الاهتمام بالمساجد التاريخية.

يؤكِّد الشيخ على أنَّ الاهتمام بالجوامع والمساجد الأثرية، هو اهتمام وإبراز لحضارة المسلمين، وشاهد على رقيِّهم، وأمارة على عزتهم التي انطلقت من بيوت الله جلَّ جلاله، وأنَّ في ذلك تبيين لدور الجوامع والمساجد وأهميتها في تاريخ المسلمين.

وقد تمثلت خدمته للمساجد الأثرية في الإشادة بمَن يهتم بها وبعمارتها، والإبلاغ عن مَن يمتهنها أو يتجاهل قيمتها، لذا أشاد الشيخ بالحكومة المصرية لاعتمادها قيمة إصلاح جامع الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن عبدالعزيز نزار[٢].[٣]. وأيضًا نشره لاستياء أحد الكتَّاب الترك من إهمال الجامع الأخضر[٤]من قِبَل حكومة كمال أتاتورك، حيث إنه لا يوجد بالجامع حتى خادم، واعتبر الشيخ هذا التصرُّف محاولة من الحكومة لطمس معالم الخلافة الإسلامية، في مقابل أنَّ عدد المؤلَّفات التي ألَّفها علماء الآثار الأوربيون في هذا الجامع بلغت خمسة وعشرين مجلَّدًا[٥].وأيضًا اهتمام الشيخ بجامع ابن طولون[٦]، حيث دعا دعا الشيخ إلى ترميم الزيادة الواقعة في شمال المسجد؛ ليعود إلى حالته القديمة من الرونق

---

(١)"مجلة الفتح"، العدد ٧٩١، ص: ١، مقال بعنوان: هل أنستنا القاهرة الفسطاط؟، القاهرة، ١٣ رمضان، سنة: ١٣٦١هـ.

(٢)أنشئ في زمن الفاطميين سنة ٣٩٣هـ. انظر: المرجع السابق.

(٣)انظر: "مجلة الفتح"، العدد: ٦، ص: ٢، مقال بعنوان: جامع الحاكم، القاهرة، الخميس ١٢ المحرم، سنة: ١٣٤٥هـ.

(٤) جامع أثري عظيم في مدينة بروصة العاصمة الأولى لدولة آل عثمان، إحدى مدائن الأنضول الكبرى. انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥، ص: ١٢، بعنوان: الجامع الأخضر.

(٦) ثاني الجوامع التاريخية الإسلامية في مصر بعد جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه. أنشئ عام : ٢٤٧هـ. انظر: المرجع السابق.

والعظمة والجلال[١]. كما اهتمَّ الشيخ بجامع عمرو بن العاص[٢]رضي الله عنه، وانتقاده على الدولة المصرية عزمها على هدم المسجد وإعادة بنائه، مبرِّرًا انتقاده بأنَّ قيمة جامع عمرو بن العاص ليست بإعادة بنائه بشكل جميل، ولكن بالمحافظة على حالته القديمة بقدر الإمكان[٣].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٩، ص: ١٥، بعنوان: جامع ابن طولون، القاهرة، الخميس ٤ صفر، سنة: ١٣٤٥هـ.

(٢) أول مسجد إسلامي أقيم في وادي النيل، في موضع فسطاط عمرو ومعسكره. انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥١، ص: ١٢، بعنوان: جامع عمرو بن العاص في الفسطاط، القاهرة، الخميس غرة المحرم، سنة: ١٣٤٦هـ.

المطلب السادس:

أسباب استعادة التاريخ الإسلامي وإصلاح الحاضر

وقد تضمن خمسة مسالك.

المسلك الأول: دعوته إلى تخصيص مؤرخين أمناء لكتابة تاريخنا الإسلامي.

يرى الشيخ أنَّ من أسباب تقهقُر المسلمين وعدم تقدُّمهم، وتخاذلهم عن استعادة أمجادهم، إنما هو بسبب عدم تعليم التاريخ لأبنائنا بأسلوب يربط به قلوبهم، ويجعلهم من جنوده، فيكتئبون لما نزل بأسلافهم من نكبات، ويبتهجون بما نالوا من أمجاد، ويحرصون على إكمال تاريخ الإسلام بما يليق بأمة كانت أعز الأمم(١).

ولذا فقد اهتمَّ الشيخ بالتاريخ الإسلامي، ووجّه بكتابته وتقييده، والتفرُّغ لذلك من المختصين، واعتبر هذا العمل من أجلّ الأعمال التي يُتقرَّب بها إلى الله –جلَّ جلاله، ولقد اشترط الشيخ أربعة شروط تؤهِّل مَن أراد كتابة التاريخ الإسلامي، وهذه الشروط هي:

١) أن يكون سليم الطويَّة لأهل الحق والخير.
٢) أن يكون عارفًا بمَن يكتب عنهم، كما لو كان معاصرًا لهم.
٣) أن يكون بارعًا في التمييز بين حملة الأخبار، مَن عاش منهم بالكذب والدسِّ والهوى، ومَن كان منهم يدين لله–جلَّ جلاله بالصدق والأمانة.
٤) التحرُّز عن تشويه صحائف المجاهدين الذين لولا إرادة الله ثم جهودهم، لكنَّا نحن وأهل أوطاننا جميعًا لا نزال كفرة ضالين(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٥٧، ص:١، مقال بعنوان: عواتق جديدة لأعباء جديدة، القاهرة، الخميس ٩ جمادى الأولى، سنة: ١٣٥٤هـ.

(٢) انظر: "حملة رسالة الإسلام الأولون وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير وكيف شوّه المغرضون جمال سيرهم"، محب الدين الخطيب، تحقيق د/ محمد بن صامل السلمي، ص: ٦٦.

المسلك الثاني: التحذير من العوامل المساعدة على تشويه التاريخ الإسلامي:

حذَّر الشيخ من العوامل التي ساعدت على تشويه التاريخ الإسلامي، ودعا إلى اجتنابها والبُعد عنها، وهذه العوامل هي:

١) القراءة في كتب التاريخ القديمة من أناس لا يدركون منهج مؤلِّفي الكتب في تأليفهم، وليست لديهم الحصيلة العلمية التي يميِّزون بها الغثَّ من السمين.
٢) القراءة في كتب مؤلِّفي أصحاب هوى، ولهم صبغات حزبية يصبغون بها أخبارهم.
٣) القراءة في كتب حديثة، اعتمد مؤلِّفوها في مراجعهم على مؤلَّفات المستشرقين، وأرادوا النيل من الإسلام ورجاله؛ كالمؤلِّف: جرجي زيدان[١].[٢].

ويرى الشيخ أنَّ أسباب الانقطاع بين الماضي والحاضر تتلخَّص في ثلاثة أسباب:

١) إهمال المدارس تعليم الأمور التي قام بها بنيان الدولة، والتي تحقِّق بها صلاح الأمة.
٢) تقاعُس الصالحين البعيدي النظر من مدرسي التاريخ في الأقطار الإسلامية عن تحرِّي الأسباب التي كان بها فلاح سلفنا، حتى صاروا أصحاب أعظم دولة في الأرض.

---

(١)جرجي زيدان: هو جرجي بن حبيب زيدان، ولد ببيروت في ١٤ كانون الأول سنة: ١٢٧٨هـ: ١٨٦١م، وهو مؤرخ، صُحفي، قصصي، لُغوي، مشارك في بعض العلوم، وأخذ مبادئ العلم في بعض مدارس بيروت الابتدائية، وانتسب للكلية الأميركية لتعلم الطب، ثم غادرها إلى مصر، ولم يكمل تحصيله، فتولى تحرير جريدة الزمان، ورافق الحملة إلى السودان كمترجم بقلم المخابرات، ثم عاد إلى بيروت فدرس فيها اللغتين العبرانية والسريانية، ورحل إلى لندن، ثم رجع إلى مصر، فحرر في المقتطف، وأنشأ مجلة الهلال، وانقطع للتأليف، حتى توفي فجأة بالقاهرة في ٢١ أيلول ١٣٣٢هـ: ١٩١٤م، من تصانيفه الكثيرة: تاريخ آداب اللغة العربية في أربعة أجزاء، تاريخ التمدن الإسلامي في خمسة أجزاء، علم الفراسة الحديث، روايات تاريخ الإسلام، والفلسفة اللغوية والألفاظ العربية. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٣: ١٢٥.

(٢)انظر: "حملة رسالة الإسلام الأولون وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير وكيف شوّه المغرضون جمال سيرتهم"، محب الدين الخطيب، تحقيق د/ محمد بن صامل السلمي، ص: ٣٩.

٣) عدم الاهتمام بإبراز جوانب النجاح في الحقائق التاريخية لأبناء الجيل؛ ليربُّوا أنفسهم عليها. ولابدَّ من إصلاح هذا الخلل؛ لتتهيَّأ أسباب استعادة التاريخ الإسلامي المشرق[١].

المسلك الثالث: كتابة التاريخ الإسلامي بصورة صحيحة.

يرى الشيخ أنَّ تاريخ صدر الإسلام تعرَّض للتحريف والبتر وسوء التأويل، حتى شحنت قلوب الكثير من الناس بالغلِّ على المؤمنين الأوَّلين، لذلك فإنه يؤكِّد ويوجِب على كلِّ مَن يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يبادر لذلك، وأن يستشعر أنَّ عمله فرض ديني، وجهاد، ومن أفضل العبادات، ويرى أنَّ ضياع القدوات لدى الشباب المسلم لأسباب، هي:

- عدم تنقية ما كُتِب من التاريخ.
- الجهل بحقيقة الأحداث، والشخصيات التاريخية.
- غياب التأسِّي بالقدوات التي لم تبرز للناشئة على حقيقتها[٢].

المسلك الرابع: الأخذ بمقوِّمات التاريخ الإسلامي لإصلاح الحاضر بها، والتركيز عليها في كتابة التاريخ الإسلامي.

يرى الشيخ أنَّ للتاريخ الإسلامي مقوِّمات كثيرة، ذكر من أهمها مقوِّميْن:

المقوِّم الأول: اقتناص الرجال الأكفاء للاستفادة من أخلاقهم ومواهبهم وفضائلهم[٣].

---

(١) انظر: "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ١٨٠، بعنوان: كيف كانوا يقدّمون الرجال؟ .

(٢) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء السادس، المجلد الخامس والعشرون، سنة ١٣٧٣هـ، بحث بعنوان: الجيل المثالي، ولقد تم إفراد هذا البحث في نسخة مستقلة بذات العنوان في إحدى عشرة صفحة، وطبع أربع مرات في المطبعة السلفية ومكتبتها التي أنشأها الشيخ.

(٣) انظر: "مع الرعيل الأول"، محب الدين الخطيب، ص: ١٨٠، بعنوان: كيف كانوا يقدّمون الرجال؟ .

المقوِّم الثاني: الأخلاق والمعدن السليم، حيث يؤكِّد الشيخ على أنَّ الإسلام لم يستطع أن يثب وثبته الأولى إلاَّ؛ لأن الله –جلَّ جلاله اختار لحمل رسالة الإسلام أمة العرب، التي يعدّ الكثير من فضائل الإسلام في جملة سجاياها المتوارثة، وأخلاقها التي طُبِعت عليها، والفضائل إنما تُترجَم على أرض الواقع بالعمل بها، لا بالعلم بها، ويقصد الشيخ بذلك، أنه يجب على المسلمين عمومًا، والعرب خصوصًا، أن يطلبوا العزة في أنفسهم وإمكاناتهم، وألاَّ ينخدعوا بأعدائهم من الأعاجم، الذين يُظهِرون المودة وقلوبهم تتقاطر حقدًا وغلاً[١].

(١) انظر: المرجع السابق.

المبحث الخامس:

منهج الشيخ في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية

ويتضمن أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: منهجه في خدمة القرآن الكريم.**
- **المطلب الثاني: منهجه في خدمة السنة النبوية.**
- **المطلب الثالث: منهجه في خدمة تراث السلف الصالح.**
- **المطلب الرابع: منهجه في خدمة التاريخ الإسلامي.**

المطلب الأول:
منهجه في خدمة القرآن الكريم

بعد البحث والتقصِّي لكلِّ ما للشيخ علاقة به من جهود، إلاَّ أنني لم أعثر له على جهود بارزة للقرآن الكريم، كتفسيره، أو طباعته، أو نشر ما له علاقة به، ولقد ظهر لي أنَّ خدمته للقرآن الكريم اقتصرت في الردود على بعض الشُّبَه المثارة، والدفاع عن أحكامه، ومن خلال ذلك يمكن استنباط منهجه في الآتي:

- توضيح الشيخ الطريقة الصحيحة للاستدلال بآيات القرآن الكريم على العلوم الكونية، وهي بأخذ المعاني الصحيحة من كتب المفسِّرين المعتمدة في صحة رواياتها وسلامة منهجها.
- الأخذ بالحقيقة العلمية، إذا لم تعارض نصًّا من القرآن الكريم.
- العدل مع المخطئين وذكر محاسنهم، تطبيقًا لقول الله جلَّ جلاله﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1]. فهؤلاء مع أنهم أخطأوا إلاَّ أنه التمس العذر لهم.
- الاستعانة بأقوال أهل الكتاب في دعم أقوال المفسِّرين؛ مثل: استدلاله على أنَّ اسم عزير كان من الأسماء المقدَّسة التي طرأت على بني إسرائيل، وأنهم كانوا يسمُّون أولادهم بهذا الاسم[2].
- الموازنة بين العقل والعاطفة في معالجة القضايا؛ مثل: معالجته لقضية ترجمة القرآن الكريم ورفضه أنها ستكون سببًا للدخول في الإسلام وزيادة عدد المسلمين.
- إبراز المسائل العقدية عند الحديث عن بعض آيات القرآن الكريم.
-

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٥١، مقال بعنوان: من أسرار القرآن العزير وقول اليهود أنه ابن الله.

المطلب الثاني:
منهجه في خدمة السنة النبوية

لقد عُني الشيخ عناية كبيرة بالسنة النبوية، فقد أعطى السنة النبوية الكثير من وقته وجهده واهتمامه، وسأبرز منهجه في خدمة السنة النبوية في نقاط:

- الاهتمام بكتب الحديث النبوي تعليقًا وتحقيقًا، ويظهر ذلك في اهتمامه بصحيح الإمام البخاري.
- التدرُّج في الردِّ على المناوئين للسنة النبوية من اللِّين إلى الزجر، ووضع اللِّين في موضع اللِّين، واللجوء إلى الزجر عند الحاجة إليه.
- الدفاع عن الرواة الأعلام الذين اتَّفقت الأمة على عدالتهم، وبالذات الصحابة – رضوان الله عليهم.
- الاهتمام بالسند، وحثُّه على التثبُّت من الأخبار ورواتها، وعدم الأخذ إلاَّ بما تثبت سلامة سنده ومتنه.
- مكافحة البدع ومحاربتها وبيان بطلانها؛ وذلك لخطر البدع على السنة، وتعلّق الناس بها بدلاً من السنة الصحيحة.
- استغلال الأحداث التاريخية في العالم الإسلامي، وربطها بالواقع، وبيان أهمية معالجتها من خلال التمسُّك بالسنة.
- التعاون مع العلماء المهتمين بالدفاع عن السنة، بالتأليف، والطباعة، والنشر.

المطلب الثالث:
منهجه في خدمة تراث السلف الصالح

قام الشيخ بأعمال جليلة في خدمة تراث السلف الصالح، وفيما يلي أهم ما تميَّز بـــه الشيخ في خدمته للتراث:

- تصحيح مؤلَّفات السلف وتحقيقها؛ مثل كتاب الميسر والقداح.
- عدم الاعتماد على نسخة واحدة، والبحث عن نسخ أخرى للمعارضـــة بينـــها، واعتماد الأصحِّ بين ثناياها، كما تميَّز الشيخ بـــإدراك وتمييـــز أخطـــاء النسَّـــاخ، واستطاعته أن يُعِيد المخطوط إلى أصله.
- الاهتمام بالمخطوطات، وطبعها، ونشرها.
- إبراز الشخصيات الإسلامية للاقتداء بها.
- غرس حب التراث في نفوس أبناء الأمة.
- شحذ هِمَم العلماء للاهتمام بتراث السلف الصالح.
- حثُّ الشباب على الاطِّلاع والاهتمام بكتب تراث السلف الصالح.
- اقتراحه تدريس كتب تراث السلف الصالح لطلاب المرحلـــة الثانويـــة، وطـــلاب الجامعات.

المطلب الرابع:
منهجه في خدمة التاريخ الإسلامي

للشيخ جهود عظيمة في خدمة التاريخ الإسلامي، ولهذه الجهود معالم، أجملها في نقاط:

- تنقية التاريخ الإسلامي ممَّا شابه من التحريف والتُّهم.
- الدفاع عن الشخصيات الإسلامية التي اتُّهمت أو ظُلِمت، وإبراز صورها الصحيحة.
- العدل في ذكر محاسن المستشرقين الذين دافعوا عن التاريخ الإسلامي.
- الحيوية في التأليف وكسر الملل، فالمتصفح في كتب الشيخ محبِّ الدين التاريخية يشعر بتجدُّد النشاط والاستمتاع بقراءة أكبر قدر ممكن؛ لما فيها من أسلوب جذَّاب، ولفتات رائعة، تثير الانتباه وتنشِّط الفكر.
- تحتوي كتب الشيخ التاريخية على إيراد الحقائق التاريخية، مع التنويه على أهميتها وأثرها على الفرد والجماعة، والخطوات الفاعلة للاستفادة من التاريخ الإسلامي العريق.
- إبراز جوانب القوة والضعف في عصر صدر الإسلام، والتاريخ الذي بعده، وكيفية الاستفادة من القوة بتفعيلها وزيادتها، والاستفادة من الضعف بتلافيه وعدم الوقوع فيه.
- الاهتمام بتاريخ هجرات السلالات العربية ما قبل الإسلام، والتركيز على أنها سلالات تبقى لها رابطتها العربية مهما تناءت بها الديار، أو باعدت بينها الأعمار،

مع الربط بين العروبة والتاريخ الإسلامي الذي سجَّل بطولاته أبناء العروبة[١] بقيادة قائدهم العربي نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام.

- اهتمَّ الشيخ بتاريخ ما قبل الإسلام، واهتمَّ بتاريخ الإسلام، واهتمَّ بتاريخ العصور المتأخِّرة إلى قبيل عصره، ودعا إلى الاستفادة من دروس مراحل التاريخ في إصلاح الحاضر؛ ليصبح تاريخًا مشرقًا للأجيال القادمة.
- عدم إغفال الجوانب الحضارية في تاريخ الأمة، ومن أمثلة ذلك البحث في تاريخ مدينة الزهراء، وبيان سبب إنشائها[٢].
- الردُّ على شبهات المناوئين للتاريخ الإسلامي والعربي، وتفنيد أقوالهم، ودحض باطلهم بالحجة والبرهان.
- تصحيح التاريخ الإسلامي من الشوائب والكذب.
- ركَّز الشيخ على الاهتمام بالجوامع والمساجد الأثرية، وأعلى من شأن مَن يهتم بها، ووجَّه اللوم والانتقاد على مَن يهملها.
- دعوة المسلمين إلى الرجوع لتاريخ أسلافهم، وإعادة النظر فيه من مصادره الصحيحة؛ وذلك لصناعة التاريخ القادم المشرق.
- يستشفُّ القارئ في كتب ومقالات الشيخ أنَّ التاريخ الإسلامي كثر ينتظر مَن يتناول درره وجواهره، ويوظِّفها في مكانها المناسب، كما إنه من الممكن وبكل ثقة أن يُعِيد الرجال المخلصون فينا تاريخ صدر الإسلام، وذلك إذا عملنا بمثل ما عمل به أولئك الأبطال، وأخذنا بما أخذوا به.

---

(١) اهتم الشيخ بالعروبة اهتماما بيّن مكانتها ولم يُجحِف في حق المسلمين من غير العرب، وأيضا لم يرفع من مكانة العرب غير المسلمين، ويتميز الشيخ بامتلاك نظرة متوازنة لا يطغى فيها جانب على آخر.

(٢) لعل الشيخ أشار إليها لبيان ما عند الأمة الإسلامية من فن معماري، لكنه لم يذكر ما في هذا الأمر من إهدار لأموال المسلمين.

- استنهاض الهِمَم وتحفيزها، وغرس الثقة في النفوس؛ للاستفادة من التاريخ الإسلامي وأحداثه.
- اعتمد الشيخ على الروايات الصحيحة فقط في كل ما خدم به التاريخ الإســـلامي.

الفصـــل الثـــاني

جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في خدمة القضايا الإسلامية

- المبحث الأول: جهوده في خدمة قضايا التعليم.
- المبحث الثاني: جهوده في خدمة قضايا الشباب المسلم.
- المبحث الثالث: جهوده في خدمة قضايا المرأة.
- المبحث الرابع: جهوده في الترجمة.
- المبحث الخامس: منهج الشيخ في خدمة القضايا الإسلامية.

المبحث الأول:

جهوده في خدمة قضايا التعليم

وقد تضمن خمسة مطالب:

- **المطلب الأول: التعليم الذى يريده الشيخ، وقد تضمن أربعة مسالك.**
- **المطلب الثاني: رؤيته للواقع التعليمي (غير الأزهرى) في بلاد المسلمين.**
- **المطلب الثالث: تحذيره من آفات خطيرة في مجال التعليم، وفيه ستة مسالك.**
- **المطلب الرابع: رؤيته لإصلاح التعليم في الجامع الأزهر، وردُّه على خصوم الجامع الأزهر، وفيه مسلكان.**
- **المطلب الخامس: رؤيته لإصلاح التعليم غير الأزهرى، وفيه عشرة مسالك.**

المطلب الأول:
التعليم الذى يريده الشيخ

وقد تضمن أربعة مسالك.

المسلك الأول: أهمية توظيف التعليم للنهوض بعد الحرب العالمية الأولى، وقيام الثورة المصرية سنة: ١٩١٩م.

وجَّه الشيخ الأمة الإسلامية عمومًا، والأمة المصرية خصوصًا، إلى الاستفادة من الأحداث التي تلت الحرب العالمية الأولى، حيث قامت ثورة ١٩١٩م[١] في مصر، وحرصًا من الشيخ على توجيه الثورة إلى المسار الصحيح، واستغلالاً لانشغال الدول المتحاربة في ترميم مواقفها، واستعادة أنفاسها، فلقد أكَّد الشيخ على أنَّ الفرصة مهيَّأة لنهوض الشرق، ما دام الغرب قد أُشغل بنفسه بهذه الحرب، ويرى أنَّ الاهتمام بالتعليم من الأسباب الرئيسة للنهضة، والقوة، والسؤدد، وطالب بالإصلاح في جميع الميادين، في الميادين الرسمية في نطاقها الضيق، والميادين الشعبية من اقتصادية وعمرانية وصناعية في نطاقها الواسع، ويؤكد الشيخ بأنه يجب على الشباب يجب أن يتعلَّموا ليؤهِّلوا أنفسهم للاضطلاع بميادين

---

(١) ثورة ١٩١٩م: قامت هذه الثورة في مصر، ضد السياسة البريطانية، في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وبدأت أحداثها في صباح يوم الأحد التاسع من مارس سنة: ١٩١٩م، حيث أضرب طلاب المدارس عن الدراسة، بحجة أنه لا داعي من دراسة القانون في بلد يدوس فيه الإنجليز على القانون، وكانت القاهرة والإسكندرية وطنطا أكثر المدن المصرية اضطرابا، ولقد تصدت القوات البريطانية للمتظاهرين بإطلاق الرصاص عليهم، مما أدى إلى وقوع قتلى وجرحى، واستمرت هذه الثورة إلى سنة: ١٩٢٢م، وبدأت تتحقق نتائج الثورة في سنة: ١٩٢٣م، حيث أُعلن الدستور والبرلمان، ونالت مصر استقلالها السياسي والعسكري. انظر: "ثورة ١٩١٩م تاريخ مصر القومي من ١٩١٤م إلى ١٩٢١م"، ص: ٦٦- ٢٣٨، دار المعارف، ط ٤، ١٩٨٧م.

الأنشطة النافعة للأمة، وأن يتولى ذلك المعلمون، فيقدموا للأمة تعلُّمًا ملائمًا لميادين هـذا النشاط[١].

ويرى الشيخ أنَّ حالة مصر بعد الحرب العالمية الأولى[٢]تبعث على التفاؤل، والجدية في العمل، والسعي في الإصلاح، وأنه لا فائدة من الاستسلام والتشكِّي، ثم إنَّ الشيخ حدَّد مجالات العمل التي ينبغي العمل على تنميتها؛ لتتحقَّق للأمة المصرية المحافظة علـى نتـائج ثورتها، وسأُجمِل هذه المجالات في نقاط:

أولا: عناية أصحاب القرار والمثقفين بتدارس مواطن الفضيلة والرجولة والنبل في تـراجم آبائنا الأوَّلين الذين كانوا مفخرة العالم، فينفخوا فيها من روح الحياة، ويبعثوها من جديد، وذلك ببثِّها في عقول النشء وقلوبهم.

ثانيا: القناعة بأنَّ في تاريخ الإسلام والعرب كنوزًا من المفاخر، تكفي المفخرة الواحـدة منها لتجعل الضعيف رجلاً، وتخلق من الإنسان بطلاً، والعمل على دمج هذه المفـاخر في مقرَّرات الطلاب.

ثالثا: تنشئة أبنائنا على المعرفة بنبينا محمد –عليه الصلاة والسلام بجميع شمائله وفضـائله، كما لو كانوا معاصرين له.

رابعا: إيقاف الطلاب على العلم بتفاصيل البطولة التي اتَّصف بها أسلافنا في جميع أزمـان السرور والحزن، وعلى العزم على أن يكملوا المهمة التي بدأ بها أوائلهم.

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء السادس، المجلد السابع والعشرون، مقال بعنوان: التعليم في مصر موصّل رديء لروح الثورة، القاهرة، سنة: ١٣٧٥هـ.

(٢) سبق التعريف بها **ص ١٥**.

ورأى الشيخ أنه ينبغي أن يدرك أصحاب القرار أنَّ الله وهبنا أبناءنا، فإذا لم نصنعهم كما يريد الله –جلَّ جلاله فإنَّا نكون قد تركناهم يكونون كما يريد الشيطان، ويريد أعداؤنا[١].

(١) "مجلة الفتح"، العدد ٤٤٠، ص: ٢، مقال بعنوان: آمال تبدد بنورها دياجير الظلام، القاهرة، الخميس ٨ المحرم، سنة: ١٣٥٤هـ.

المسلك الثاني: التفريق بين الثقافات والعلم.

يؤكّد الشيخ على أنَّ الاستعمار الإنجليزي لمصر قد لبّس على المصريين أمر الثقافة والعلم، فأوهم الإنجليز المصريين أنَّ الثقافات الأجنبية، في المأكل والملبس والكلام والعادات، من العلم الذي لا غِنى عنه، وأنَّ الحاجة إليها مقدّم على الحاجة إلى العلم(١)،

وقد حدد الشيخ حقيقة العلم، فقال: "العلم هو مجموعة الحقائق التي توصَّل إليها العقل البشري في مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسُل الزمن، والمحرَّرة بالامتحانات المتكرِّرة، فلا تختلف بتفاوت الأذواق، ولا تتغيَّر بتطوُّر المصالح"(٢). ويقصد الشيخ بهذا العلم: العلم البشري، الذي توصّل إليه العقل البشري، كما هو مذكور في التعريف، وأمَّا العلم الشرعي، فإنه لا يُؤخَذ إلاَّ من مصادر التشريع، الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولقد اهتمَّ الشيخ بالعلم البشري وتعريفه؛ لأنَّ الوقت الذي كان يُعرّف الشيخ فيه العلم، هو وقت الحاجة إلى هذا النوع من العلم، حيث تسلَّط المستعمر الإنجليزي على مصر، بحجة النهوض بها علميًا وفكريًا واقتصاديًا، وهذا لا يعني التقليل من العلم الشرعي، فإنَّ العلوم البشرية لا يجوز الأخذ بها ما لم تكن متوافقة مع الدين الإسلامي، فبيّن أنَّ العلم عالمي، لا تختصُّ به أمة دون أمة، ولا تحتكره قارة من قارات الأرض، فيكون غيرها عالة عليها فيه، ويرى أنَّ العلم مشاع؛ كالهواء الذي نتنفَّسه، والعلم تراث إنساني، ما من أمة إلاَّ لها فيه جهاد وجهود، وما من أمة ارتقت في علم من العلوم إلاَّ وكان للأمة السابقة لها فضل عليها فيما وصلت إليه(٣).

ويؤكّد الشيخ على أنَّ الثقافة في كلِّ أمة لها لون قومي خاص، تستمده من مألوفها، ومن ذوقها، ومن مواريثها الأدبية، ومن ظروفها الجغرافية، ومن ضروراتها الإقليمية، وحاجاتها الاجتماعية، ويرى أنَّ عناصر الثقافة ثلاثة، هي: التاريخ، والآداب، والأخلاق.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٤٠، ص: ٢، مقال بعنوان: آمال تبدد بنورها دياجير الظلام.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء العاشر، المجلد السادس والعشرون، مقال بعنوان: بين العلم والثقافة، القاهرة، سنة: ١٣٧٤هـ.

وعلى الأمة أن تعتني بهذه العناصر باستمرار، وأن تُصلِح ما يحتاج إلى إصلاح، وأن تنمِّي جانب القوة والصواب. ويهيب الشيخ بالمسلمين عمومًا، وبأصحاب القرار التعليمي في مصر خصوصًا، أن يدركوا أنهم أصحاب ثقافة سامية أصيلة، لا تكون في ارتياد المساجد فحسب، ولكنها تتناول البيت كما تتناول الجامع، وتفرض سننها وأحكامها على المجتمع كما تفرضها على الفرد. ويؤكِّد الشيخ على وزارة المعارف أن تهتم بالتربية قبل التعليم؛ لأنَّ التربية من أهم عناصر الثقافة، وما دامت مصر دولة إسلامية عربية، فيجب أن تكون تربية أبنائها إسلامية عربية(١).

المسلك الثالث: الجوانب التي غفل عنها التعليم في مصر من منظور الشيخ.

نبّه الشيخ وزارة المعارف إلى الاهتمام بنشر التعليم في القرى الزراعية والبوادي، ولقد علَّق على خبر نُشِر في الصحف المصرية، وهو احتراق قرية لبعض القرويين المزارعين، ففكَّر سعادة محمود القيسي باشا(٢)بناء قرية جديدة للمزارعين الذين احترقت قريتهم، مراعيًا فيها وسائل السلامة والنظافة، حتى لا يتكرَّر الاحتراق مرة أخرى، ولقد استبشر الناس بذلك، ولكن الشيخ كانت له وجهة نظر أخرى؛ وهي أنّ إنشاء وبناء القرية الحديثة بكافة وسائل السلامة لن يؤدِّي الغرض منه من تمسُّك القروي بالنظافة، وعدم تكرار حوادث الاحتراق، ومع أنَّ إنشاء القرية الحديثة وبناءها أمر هام، إلاَّ أنه يوجد ما هو أهم منه، وهو تعليم المزارع والقروي، وتنوير عقله بالمعرفة عمومًا، وبأهمية النظافة في الدين الإسلامي خصوصًا(٣).

ثم علَّق الشيخ على الاجتماع الذي حصل بين لجنة من وزارة المعارف، وبين رجال التمثيل والمسرح؛ بسبب حادثة الاحتراق، حيث اتَّفقا على التعاون فيما بينهما على إفادة

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٤٠، ص: ٢، مقال بعنوان: آمال تبدد بنورها دياجير الظلام.

(٢) محمود القيسي باشا: هو وزير الداخلية المصري في ذلك الوقت. انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٨٦، ص: ١، القاهرة، الخميس ٢٢ ذو القعدة، سنة: ١٣٥٢هـ.

(٣) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء العاشر، المجلد السادس والعشرون، مقال بعنوان: بين العلم والثقافة.

الجمهور في ثقافته وآدابه من التمثيل والمسرح، وفي ذلك أكَّد الشيخ على أهمية التمثيل والمسرح، وبتأثيره ودوره على الجمهور التأثير الذي لا يُستهَان به، ولقد وجَّه الشيخ على وجوب تجريد التمثيل ممَّا يشينه، وأنْ يتَّخذ لبثِّ الفضائل، ويأسف الشيخ على أنَّ المسرح في مصر قلَّما يتنازل عن قاعدة الفن للفن، إلى قاعدة الفن للإصلاح والفضائل، ثم يتساءل الشيخ: "لماذا لا تكون في وزارة المعارف أو في وزارة الداخلية لجنة تهيِّئ للقرية المصرية مرشدين يعملون على إنهاض عقول المزارعين ورفع مستواهم النفسي والخلقي؟ وفتح عيونهم لأسباب الفوز في معترك الحياة؟ ولماذا لا يتوسَّعون في قسم الوعظ والإرشاد في الأزهر؛ ليكونوا قادة النهضة في القرى، فيأخذوا بيد أهلها إلى ما يريد الإسلام أن يكونوا عليه في أخلاقهم وعقولهم وتصرفاتهم"[١].

المسلك الرابع: الجوانب التي لا ينبغي للتعليم في مصر الاهتمام بها من منظور الشيخ.

اعترض الشيخ على وزارة المعارف المصرية افتتاحها معهدًا للتمثيل[٢]، وآخر للنحت، وآخر للتصوير، ولقد عدَّ الشيخ ذلك تقليدًا للأوربيين، وسيرًا على نهجهم وسياستهم في التعليم، وأنَّ ذلك عنوان الذلّ[٣].ثم يقول: "لو كان الأمر إلي في تعيين سياسة التعليم، لأكثرت من مدارس الصناعات الزراعية، حتى يكون لنا في مصر رجال يغنوننا عن استيراد الجبن بأنواعه، والصابون بأنواعه؛ لأنَّ صناعة الجبن والصابون ألزم لمصر من تعلُّم التمثيل والنحت والتصوير"[٤]، ثم يحذِّر الشيخ من تقليد الأوروبيين، ويخصُّ

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء العاشر، المجلد السادس والعشرون، مقال بعنوان: بين العلم والثقافة.

(٢) يقصد الشيخ بالتمثيل هنا: تمثيل ذوات الأرواح على شكل مجسمات.

(٣) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٢٥، ص: ١، بعنوان: لا نزال سائرين في غير الطريق، القاهرة، الخميس، ٢٢ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٤٩هـ.

(٤) المرجع السابق، العدد ٢٢٥، ص: ١، بعنوان: لا نزال سائرين في غير الطريق، القاهرة، الخميس، ٢٢ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٤٩هـ.

في تحذيره مَن لهم يد في تعيين مناهج التعليم، ويؤكِّد لهم أنَّ التقليد شرُّ مطايا الحياة، ولن نصل إلى الغاية المنشودة من القوة والعز إلاَّ إذا تحرَّرنا من داء التقليد(١).

واعترض أيضًا على قرار صدر من وزير المعارف يقضي بالموافقة على افتتاح مدرسة للفنون التطبيقية، من النحت، والتصوير، والتمثيل، وكان من لوازم هذه الفنون التطبيقية أن تقف الفتاة أمام الشبان شبه عارية؛ ليتعلَّموا على الطبيعة والواقع مهارات النحت والتصوير والتمثيل، لقد حمَّل الشيخ وزارة المعارف في مصر كامل المسئولية تجاه هذه القضية، المسئولية أمام الله أولاً، ثم أمام الناس، و ذكر أنَّ وزارة المعارف عليها مسئولية كلِّ غلطة طرأت على سياسة التعليم وخططه ومناهجه. ثم يحذِّر الشيخ محرِّكي موجة تطوير التعليم نحو النحت والتصوير والتمثيل، وتوهمهم بأنَّ هذه الفنون لا تصلح إلاَّ بالاختلاط بين الجنسيْن، وبتعرِّي الفتيات، يحذِّرهم بأنهم خارجون على تعاليم الإسلام، وأنَّ للصبر حدودًا ينتهي إليها، وأنَّ مثل هذه القرارات شبَّهها الشيخ بالفقاقيع التي ستصطدم يومًا بساحل الحق وتتفقَّأ؛ وذلك لأنَّ مصر بلد إسلامي، وسيبقى -بإذن الله إسلامي، وحذر من الآثار المترتِّبة على مثل هذه القرارات، في ضياع أوقات الأمة، وتأخُّرها في تعيين منهج التثقيف الصالح لأبنائها، ممَّا يعود سلبًا على تأخُّر نهوض الأمة الإسلامية عمومًا، والمصرية خصوصًا، في شتى مناحي الحياة(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٢٥، ص: ١، بعنوان: لا نزال سائرين في غير الطريق، القاهرة، الخميس، ٢٢ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٤٩هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٢٦٦، ص: ١، مقال بعنوان: أولادنا، الخميس ٢٠ ربيع الثاني، سنة: ١٣٥٠هـ.

المطلب الثاني:
رؤيته للواقع التعليمي (غير الأزهري) في بلاد المسلمين

ويتضمن مسلكا واحدا، وهو:

سيطرة الاستعمار على التعليم، ومساعدة عملاء الاستعمار على توجيه التعليم لأغراض الاستعمار. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: دور القسيس دانلوب[١] في تخريب التعليم المصري.

بين الشيخ أن دانلوب الذي وضع مناهج التعليم، وكان هدفه من وضعها: تخريج موظَّفين يكونون عونًا للاحتلال البريطاني على تدمير مصر، وإدارتها، والسيطرة عليها[٢].

ولَّما قامت الثورة سنة: ١٩٥٢م، ونجحت الثورة في نيل استقلال شكلي، تبيَّن للأمة الإسلامية والمصرية بعد مُضيِّ خمس سنوات من قيام الثورة، أنَّ المستعمر الإنجليزي غادر بكيانه، ولكنه لم يغادر بفكره، فلقد خلّف وراءه مَن يخلفونه في السهر على ما بذره في القلوب والعقول من بذور ما رسمه للتربية والتعليم من مناهج، لقد زعم الاستعمار أنه أخذ بأيدي المصريين إلى العلم، وأنه ملأ المجتمع بالمتعلمين، والحقيقة أنَّ الاستعمار لم يصدُق، لقد حصّل المصريون من العلم القشور، وعلّمهم التعلّق بالشهادات لأكل العيش

---

(١) دانلوب: هو دوجلاس دانلوب، قسيس، ولد في اسكتلندا، سنة: ١٨٦٠م، وجاء إلى مصر مبشرا، عينته الإدارة الإنجليزية سكرتيرا عموميا للمعارف في ٨ مارس سنة: ١٩٠٦م، وما زال يترقى حتى سيطر سيطرة تامة على شؤون التعليم في مصر. انظر: "الغزو الفكري في مناهج التعليم في مصر والمغرب في القرن الثالث عشر والرابع عشر"، محمد أمين السماعيلي، ص: ١٢٦، رسالة دكتوراة، جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٩هـ: ١٩٧٩م. وانظر: "أعلام وأقزام في ميزان الإسلام"، د/ سيد حسين العفاني، ٢: ٤٢٩.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٦٦، ص: ١، مقال بعنوان: أولادنا.

بها، و لم يعلّمهم التعلّق بالعلم نفسه للحياة به، والتعمُّق بحقائقه، واستثمار نظرياته في الارتقاء والسيادة والقيادة(١).

وقد أكّد الشيخ على أنَّ التعليم في مصر ما هو إلاَّ مؤثِّر واحد ضمن مؤثِّرات كثيرة في الأمة، يُهدَف منها التدرُّج؛ لتكون مصر بلدًا تبعيًا، ليست له أهداف سوى ما يريد المستعمر، ومن هذه المؤثِّرات: رسم خطط التعليم بشكل يتخرَّج به المتعلمون وموظَّفو الحكومة غرباء عن الإسلام، خالية أذهانهم من مقاصده العالية، وغير منتبهة أفكارهم إلى تاريخه، ولا حريصة على متابعة السير في طريقه، ثم يذكر الشيخ أسباب عدم رضاه عن وزارة المعارف في اعتمادها مناهج ومقرَّرات دانلوب في تعليم مصر، وهذه الأسباب هي:

- أنه رجل لا يدين بالإسلام، وللأسف أنه يضع المقرَّرات لبلد مسلم.
- ادَّعى أنه بوضعه للمقرَّرات والمناهج التعليمية سينقذ المسلمين في مصر من حالة الانحطاط التي يعانون منها، وفي الحقيقة أنه أسَّسها لخدمة مصالح الاستعمار.
- اعتمد في وضع المناهج والمقرَّرات على أقوال فلاسفة أوروبا الموافقة لتعاليم الكنيسة(٢).

ثم وضع الشيخ الحلَّ المناسب لتصحيح الوضع، فقال: "يجب أن يتم إلغاء الغرض القديم، وهو تخريج موظَّفين بصبغة مخصوصة، واتِّخاذ غرض آخر، وهو جعل كل فرد في الأمة صالحًا للقيام بما هُيِّئ له أو خُصِّص به من الأعمال"(٣).

ويؤكِّد الشيخ على أنَّ من منَّة الله –جلَّ جلاله– على الأمة المصرية، أنْ منَّ عليها بالتحرُّر من الاحتلال السياسي والعسكري، وأنَّ من تمام نعمته عليها أن تستغل هذا التحرُّر، وأنْ توظِّفه توظيفًا جيدًا، وذلك في نقاط:

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء التاسع، المجلد الثامن والعشرون، مقال بعنوان: من البلبلة إلى الاستقرار، القاهرة، سنة: ١٣٧٦هـ.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٦٦، ص: ١، مقال بعنوان: أولادنا.

(٣) المرجع السابق.

- يجب على الأمة المسلمة المصرية أن تمضي قُدمًا في طريقها إلى الله—جلَّ جلاله، وأنْ تعتصم به وحده دون سواه.
- لا بدَّ أن تدرك الأمة المسلمة المصرية أنها أمام طريق شائك طويل، ولا بدَّ أن تسير في طريقها بدراية ودراسة واقتدار، وأن تحذر من التخبُّط والعشوائية، والقرارات الارتجالية؛ وذلك لاجتياز مفترق الطرق على بصيرة وعلم.
- أن تُتَّخذ الأسباب التي تضمن لها عدم العودة إلى ما كانت عليه من الاتكالية والتخاذُل، وعدم الأخذ بأسباب العزة والمنعة، ولا سبيل إلى ذلك إلاَّ بتوظيف العلم توظيفًا جيدًا.
- يجب عليها أن تدعم أسباب القوة الصناعية، والعمرانية، والحربية، ولن يتأتَّى لها ذلك إلاَّ بمقوِّم واحد وهو العلم، ولذلك فإنَّ العلم الذي تحتاج إليه الأمة المسلمة المصرية والعربية في تنمية القوة الصناعية والعمرانية والحربية لا يختلف عليه أحد.
- يجب تعميم تعليم العلوم الكيماوية، والطبيعية، والهندسية، والطبية، والزراعية، والعسكرية، كما يجب تحويل نظرياتها في الكتب والكليات إلى نشاط عملي في المصانع، والمعامل، ودور الاختبار والتجربة، والدراسة الفنية والإنتاج.
- على الأمة المصرية أن تدرك أنه لا يختلف أحدٌ من المسلمين على أهمية العلم، وتوظيفه على أرض الواقع، ويأمل الشيخ من الأزهر، وهو الواجهة الإسلامية، أن يعمل بذلك، بعد أن منَّ الله على مصر بالاستقلال السياسي والعسكري، وبقيت آثار الاستعمار الفكري، فإنَّ آثار الاستعمار الفكري لا تزول إلاَّ بإعادة النظر في المناهج والمقررات، وتسخيرها للاستقلال الشامل والكامل من الاستعمار العقلي والثقافي بحزم واجتهاد، ولو بالتدريج[1].

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الخامس، المجلد السابع والعشرون، مقال بعنوان: الثقافات الأجنبية، القاهرة، سنة: ١٣٧٥هـ.

المسألة الثانية: التحذير من عملاء الاستعمار في توجيه التعليم لأغراض الاستعمار.

أنكر الشيخ على دولة تركيا إلغاءها يوم عيد الأضحى، ومنعها إقامة شعائره الدينية، وجعلها ذلك اليوم دراسة للطلاب، ويرى الشيخ أنَّ ذلك لن يكون لو كان للمسلمين في تركيا مدارس تعلِّمهم حقيقة الإسلام، وترشدهم إلى مفاتيحه التي يستولون بها على كنوز الدنيا والآخرة، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ السبب في غياب هذه المدارس هو أنه ليس لهذه المدارس راغبون أصلاً، وأنهم لو كانوا موجودين، لطالبوا بمدارس إسلامية يتعلَّمون فيها ما يتحقَّق لهم به سعادة دنياهم وأُخراهم، ويأسف الشيخ لقلة المطالبين بالمدارس الإسلامية في العالم الإسلامي، ويرى الشيخ أنَّ الحلَّ الوحيد لحماية شعائر المسلمين الدينية في تركيا هو أن تخلع تركيا الفكر القديم المعادي للإسلام، وأن ترتدي النور الإلهي والهدي النبوي؛ كما يرتدي الحاج لباس الإحرام، وأن تبدأ من لحظات وجوده في تلك المشاعر المقدَّسة في تصحيح المسار، وأن تعقد العزم على أن يكون الإسلام منهج حياة في الأنفس والبيئة وفي الحرص على تعليم أبنائها ما ينفعهم، وأن تحرص على إيجاد المدارس الإسلامية الصالحة النافعة التي تكفل للمجتمع التركي سعادة الدنيا والآخرة[1].

وهنا يضع الشيخ خطة لمواجهة هذا التعليم العلماني الفاسد حاضرًا ومستقبلاً، و هذه الخطة يقوم أساسها على ركنيْن:

الركن الأول: تعيين طريق واضحة في الثقافة اللازمة للمسلمين، حتى تُكوّن الأجيال الآتية تكوينًا صالحًا حاضرًا ومستقبلاً.

الركن الثاني: عدم تمكين الغرب من أن ينمِّي قوته على حسابنا، ومنع ترسيخ أقدامه في أوطاننا عن رضى منَّا واختيار.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٣٧، ص: ٢، مقال بعنوان: عرفات، القاهرة، الخميس ٩ ذي الحجة، سنة: ١٣٥٣هـ.

وأكّد الشيخ على أنَّ الثقافة اللازمة للمسلمين هي التي تجمع بها الناشئة الإسلامية بين التخصُّص في العلوم الكونية، وبين التمسُّك بهداية الإسلام، ومتى نشأ الناشئ حريصًا على دينه، شديد الحب لقومه، كان ذلك ضمانة كافية لاستعمال معارفه الكونية، فيما يدفع عن الإسلام صولة الهاجمين، وعن الشرق جشع المستعمرين، والمسلم المتعلّم إذا كان متمسِّكًا بهداية دينه، صار بذلك من أهل الفضائل، وأصبح له من العلم نور يكشف به دسائس الأعداء، ويدرك ما ينصبونه من شراك وحبائل، وأنَّ هذا هو الجهاد الذي يترتَّب على المتعلِّمين، وعلى مَن يرسم للمتعلِّمين مناهج التعليم، وعلى مَن يُوقِظ راسمي المناهج إلى ما يجب عليهم لوطنهم ودينهم. ويرى الشيخ أنَّ خطط التعليم في الشرق الإسلامي، وفي بعض بلاده لو أمكن أن ترسم من وجهة النظر الإسلامية، لانحلَّ جانب كبير من مشاكل السلب والنهب والتجهيل ومحاولة طمس الهوية الإسلامية، وغيرها من مشاكل العالم الإسلامي[1].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد٢٢٤، ص: ١، بعنوان: موقف المسلمين الحاضر، القاهرة، الخميس ١٥ جمادى الآخرة، سنة:١٣٤٩هـ.

المطلب الثالث:
تحذيره من آفات خطيرة في مجال التعليم

ويحتوي على ستة مسالك.

المسلك الأول: تعلُّم العلم للحصول على الوظيفة فقط، دون الانتفاع به في الحياة.

يوجِّه الشيخ الطلبة إلى أن يتعلَّموا العلم للعلم، لا للوظائف، وأن تتحوَّل المدارس والجامعات من معاهد لإعداد موظَّفين، إلى معاهد؛ لتخريج علماء يعيشون للعلم ومواصلة التزوُّد منه والسهر عليه؛ ليعيشوا بمعارفهم وكفاءتهم عيشة أكرم وأنفع، والذي يتعلَّم العلم للعلم يصبح العلم متعته ولذته الدائمة من المهد إلى اللحد، وهذا هو سبيل التخصُّص والتعمُّق والنبوغ في شتى العلوم. فمصر في حاجة ماسة إلى تكوينها تكوينًا جديدًا قويًا في جميع ميادين العلم والمعرفة، وهذه الميادين تحتاج إلى شباب حاذقين يتعلَّمون العلم حبًا فيه، وإجلالاً له، فالمدارس يجب أن توفِّر الكفاءة لذلك في تلاميذها وطلابها، والحصول على الكفاءة والحذق في ذلك لا يكون إلاَّ بأن يكون تعلُّم العلم للعلم، وهذا هو العلاج الأساسي لتلافي هذه الآفة الخطيرة من آفات التعليم، وله نتائجه الطيبة على الشعب المصري بأسره[1].

ثم أثبت الشيخ خطورة تعلُّم العلم من أجل الحصول على الوظيفة، وفشل الخطة التعليمية في مصر القائمة على هذا الأساس، وذلك بحادثة حصلت في مصر، وهي: تمَّ الإعلان عن ثلاث وظائف ممرِّضين بالمستشفيات الحكومية، حيث تقدَّم لهذه الثلاث الوظائف ألف طالب، بينهم أربعمائة من حملة شهادة البكالوريوس، وبهذا الإعلان يؤكِّد

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٦٠، ص: ١، مقال بعنوان: مدرسة لأبناء المسلمين، القاهرة، الخميس ١٠ جمادى الأولى، سنة: ١٣٥٢هـ.

الشيخ فشل الخطة التعليمية في مصر، حيث اعتمدت على سدِّ الحاجة الوظيفية في الجهات الحكومية من الطلاب المتخرِّجين، فلمَّا نجحت الدولة في سدِّ حاجتها، لم تستطع توفير الوظائف لباقي المتخرِّجين، والحلُّ لهذه القضية هو بإصلاح التعليم باتِّباع مناهج تخرِّج شبَّانًا صالحين لإقامة بنيان الأمة الاقتصادي، مع العناية بتنمية الأخلاق المتينة فيهم، وجعلهم جنودًا للملة الحنيفية والكرامة الإسلامية، ويتألَّم الشيخ لحال المدارس الإسلامية، والمفارقة بينها وبين مدارس الأديان والطوائف والِملَل في أنحاء الأرض، حيث إنَّ مدارس كلِّ الطوائف والِملَل والنِّحل لهم مدارس صالحة لتخريج أبنائهم وبناتهم، بما يوافق إيمانهم الديني والقومي، ويربط حاضرهم بماضيهم، ويؤدِّي إلى الغاية التي رسموها لمستقبلهم، إلاَّ نحن –المسلمين، فإنَّ مدارسنا في جميع أقطار العالم الإسلامي أُنشِئت أول ما أُنشِئت بأيدي رجال الحكومات لتخريج موظَّفين يعملون في الدواوين[١].

المسلك الثاني: عدم الاعتزاز باللغة العربية.

يأسف الشيخ لحال بعض المقررات المطبوعة في مصر، ومن ذلك كتب الخرائط الجغرافية، حيث تمَّ وضعها باللغة العربية، ولكنها مترجَمة عن كتب الإفرنج، وأسماء الأعلام والأماكن التي فيها منقولة عن حروف الإفرنج، وبلفظهم، لا كما يسمِّيها أهلها، ولا على لفظها المقرَّر في المعارف الإسلامية والعربية، وهذا في نظر الشيخ عدم اعتزاز باللغة العربية في مقررات تعليمية لبلد عربي، وهذه آفة من آفات التعليم في البلاد العربية عمومًا، وفي مصر خصوصًا[٢].ثم تقدَّم الشيخ برسالة إلى العالم الإسلامي، ضاربًا فيها المثل بدولة تركيا، والكارثة التي حصلت فيها من محاولة طمس معالم اللغة العربية، والقرآن، والسنة، وتاريخ الإسلام من مقرراتها، حاضًّا المسلمين في العالم الإسلامي، وفي تركيا بسرعة تدارُك الوضع لدرء هذه الكارثة، ولا يكون ذلك إلاَّ بإصلاح برنامج المدارس

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٦٠، ص: ١، مقال بعنوان: مدرسة لأبناء المسلمين.

(٢) انظر: المرجع السابق.

العصرية؛ لتكون مؤسَّسة على الوفاء للإسلام بحسن تعليم اللغة العربية وتاريخها وآدابها وفضائلها وغرسها بعناية عظمى، وبإصلاح برنامج المعاهد الدينية الإسلامية العربية إصلاحًا تكون صالحة به لتخريج رجال يقودون الحركة العلمية والفكرية، فكلمَّا احتاجت الأمة الإسلامية والعربية إلى مَن يتولَّى تدريس أيِّ مادة من المعارف البشرية في مدارسها الأميرية والخصوصية، كان فيهم الكفاية لسدِّ هذه الحاجة(١).

المسلك الثالث: عدم الاهتمام بالجانب السلوكي في التعليم.

يأسف الشيخ أسفًا كبيرًا على عدم اهتمام المقررات التعليمية في مصر بالجانب السلوكي، ممَّا سبَّب خراب بلد مصر، وانهيار الأخلاق فيه، وسقوط الفضيلة، ويبرهِن الشيخ على كلامه بمظهر في شوارع مصر، حيث إنَّ اهتمام غالبية الشباب هو ملاحقة الفتيات، ومحاولة الظفر بهنَّ، وهذه نتيجة متوقِّعة لإهمال وزارة المعارف الجانب السلوكي، واقتصارها على تنمية المعارف والمحفوظات عند التلاميذ والتلميذات. ويتأسَّف الشيخ أكثر على طائفة من الناس وفيهم من العلماء والأعيان مَن يضعون أولادهم وبناتهم في مدارس تبشيرية؛ وحجتهم في ذلك أنها تهتم بأخلاق التلاميذ والتلميذات، وتراقبها مراقبة دقيقة، ولكن النتيجة كانت عكسية، فلقد ربَّتهم المدارس التبشيرية على بعض السلوكيات التي لا تتوافق مع التعاليم الإسلامية، وتلقَّوا فيها ما يخدم الاستعمار، من الانبهار بالثقافة الغربية، والاعتزاز بالغرب وسلوكياته، وازدراء الأخلاقيات الإسلامية الراقية، ولقد لاحظت أنَّ للشيخ نظرة متوازنة موضوعية، وذلك أنه حثَّ المدارس المصرية المسلمة على الاستفادة من المدارس التبشيرية في الاهتمام بأخلاق التلاميذ ومراقبتها، وما دام أنَّ مراقبة أخلاق التلاميذ يعتبرها أولياء الأمور عاملاً من عوامل الجذب، فإنَّ المدارس الإسلامية هي الأجدر والأولى باستغلال هذه الرغبة، وتوظيفها في مراقبة أخلاقيات التلاميذ، ويحثُّ الشيخ

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٧، ص: ٣، مقال بعنوان: بمناسبة مؤتمر الملاحة، القاهرة، الخميس ١١ جمادى الثانية، سنة: ١٣٤٥هـ.

المدارس الإسلامية على الاهتمام بالأخلاق، وتلافِي هذه الآفة في مصر وغيرها من بـــلاد المسلمين[١].

المسلك الرابع: عجز المقرَّرات في مصر عن تأهيل الطلاب تأهيلاً جيدًا.

وجَّه الشيخ نقده لوزارة المعارف في مصر إضافة عام دراسي بعد المرحلة الثانويـــة؛ نظرًا لضعف المستوى العلمي للطلاب المتخرِّجين من المرحلة الثانوية، وبعدم قدرتهم على التمشِّي مع الدراسات الجامعية، ويرى الشيخ أنَّ الضعف ليس لقلة سنوات الدراسة، بل هو متغلغل في صميم أساليب وزارة المعارف، ومن ذلك أنَّ الوزارة وضعت بـــين يـــدي المعلم منهجًا تفصيليًا انطوى على كليات المادة وجزئياتها، وطاردته بمفتشين يطلبون منه أن يحقن التلاميذ بالجزئيات والكليات على حدٍّ سواء، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ الدراسة المبنية على هذا الأساس، قلَّما تُجدِي في تربية العقول وتوجيهها إلى كليات العلـــوم؛ لتتمـــرَّن بنفسها على استنتاج جزئياتها، ومن هنا صار خريجو الثانوية غرباء عن الدراسة الجامعية، ويرى الشيخ أنَّ التعليم الذي يعني بالحفظ وبالجزئيات، ولا يجعل تربية الفكـــر والعقـــل والإلمام بالقواعد الكلية أعظم أغراضه، يعدُّ تعليمًا عقيمًا، ولا يأتي إلاَّ بالنتائج التي تشكو منها وزارة المعارف، ومن المصائب اهتمام المدارس بالتعليم أكثر من عنايتـــها بالتربيـــة النفسية، وأن تعني من التعليم بشحن الذاكرة أكثر من العقل، ويرى الشيخ أنَّ الوزارة لن تستطيع حلَّ هذا الضعف العلمي بهذا الإجراء، وستكون مضطرة بعد زمن لإضافة عـــام آخر، والحلّ الأجدى نفعه بإذن الله للسلامة من هذه الآفة التعليمية، هو إعـــادة صـــياغة المقررات التعليمية على أيدي متخصِّصين غيورين على الإسلام وأبناء المسلمين[٢].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٩٨، ص: ١، مقال بعنوان: هل لك ابن . . هل لك بنت؟، القاهرة، الخميس ١٩ صفر، سنة: ١٣٥١هـــ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٧٨٠، ص: ٣، مقال بعنوان: انقلاب في أساليب التربية والتعليم، القاهرة، الخميس ١٩ المحرم، سنة: ١٣٦١هـــ.

ثم يأسف الشيخ على أعداد الطلاب المتخرِّجين، الذين لم تستفد منهم أمتهم الإسلامية، حيث يرى أنَّ ألف متعلِّم تكوَّنوا تكوينًا صالحًا، يستطيعون أن يُغذّوا العالم الإسلامي بصلاحهم، فيجعلوه عالمًا صالحًا، ويقارن الشيخ بين موطن قوة الغرب وتقدُّمهم، وبين موطن ضعف المسلمين وتأخُّرهم، وهو أنَّ نظرية الغرب في التعليم التي صاروا بها أقوياء هي أنَّ التعليم ومقرراته ومناهجه وكلّ ما يختص به هو ابن زمانهم وابن مكانهم، وأمَّا عند المسلمين، فإنَّ نظرية التعليم هي بنت زمانهم دون مكانهم، أو بنت مكانهم دون زمانهم، ومعنى ذلك: أنَّ أمم الغرب تهتم بتعليم أبنائها ما تحتاجه هي منهم؛ كالطب مثلا، فهذا التعليم ابن زمانه، ثم إنها تكتفي بكوادرها من أبنائها عن غيرهم فهذا التعليم ابن مكانه، وأمَّا العالم الإسلامي عمومًا، ومصر خصوصًا، فإنَّ نظرية التعليم هي الاهتمام بأن تكون أمته عصرية؛ أي ابنة زمانها، ولكنها لا تريد أن تكون قومية وفية لقوميتها ودينها، فهي تتخلَّى عن دينها، وعن عروبتها بكل سهولة، فهذه النظرية في التعليم تجعل الأمة ابنة زمانها لا مكانها، أو أن يكون التعليم إسلاميًا وعربيًا، كما هو الحال في الأزهر، ولكنه لا يُخرّج رجالاً يخوضون ميدان العمل والمكافحة، بل إنَّ المكافحة ليست من أغراضه، فهذا التعليم ابن مكانه لازمانه[1].والتعليم الذي لا يكون ابن الزمان وابن المكان لا يمكن أن يأتي بخير. وتعليم مصر في زمن الشيخ متناقض: بعضه قائم على الزمان؛ لتقليدهم لأوروبا، بل وفرضه عليهم، فتمسَّكوا به، كما فُرِض عليهم، فهو أجنبي عن مصر وعن محيطها، وعن روحها، وعن أن يكون حلقة في سلسلة كيانها التاريخي، وتاريخنا العلمي، وبعض تعليم مصر قائم على المكان دون الزمان، وهو الذي ورثته مصر عن محيطها وتاريخها وكيانها، لكنها أهملت الأخذ بكل قوة جديدة، واقتباس كلِّ معرفة نافعة، واستعمال الأساليب التي تكون أكثر تأثيرًا على أبناء زمانها، وكان الأجدر والأولى لمراعاة عامل الزمان والمكان، هو معرفة المصائب العصرية، والنزعات الجديدة، والأمراض

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٩٧، ص: ١، مقال بعنوان: في سبيل الحقيقة، القاهرة، الخميس ١٢ صفر، سنة: ١٣٥١هـ.

الحادثة[١]،ثم يأمل الشيخ أن تتمكَّن مدارس مصر وجامعاتها من تعديل أساليب التثقيف فيها، تعديلاً يرمي إلى مراعاة الزمان والمكان؛ وذلك حتى تتمكَّن المقررات من تأهيل الطلاب تأهيلاً جيدا[٢].

المسلك الخامس: ضعف الطالب المصري، ونقص المقررات الدراسية.

يؤكِّد الشيخ على أنَّ ضعف المقرَّرات المصرية تسبَّبت في ضعف التحصيل للطالب المصري، فلقد وجّه أحد قرَّاء مجلة الفتح سؤالاً للشيخ، يطلبه تحديد أسباب ضعف الطالب المصري، والأسباب التي لم تمكِّنه من التحصيل العلمي كما ينبغي، فأجاب الشيخ بأنه من الظلم أن يعيب أحدٌ على الطالب المصري شيئًا؛ لأنه تكوّن كما أراد له منزله، ومدرسته، ومقرِّره، وبيئته، وأنَّ العيب الأعظم في المنزل، والمدرسة، والبيئة، وأنَّ المقرَّرات كانت توجِّه الطالب المصري إلى الوظيفة، وتقنعه بأنه يتعلَّم ليكون موظفًا، فلمَّا أخذت الدولة كفايتها من الموظفين، لم يعد الاهتمام منصبًا على الطالب، وسدّ احتياج الوظائف الحكومية ليس هو كلّ الوطن، وأنَّ الوطن يحتاج إلى معارف أبنائه في جميع مرافقه الأخرى التي لا تتم نهضة الوطن إلاَّ بنهضتها جميعًا، فإذا ما استقى الطالب المصري الرجولة، والعفة، والشهامة، والصدق، والإقدام، من المنزل، والمدرسة، والبيئة، صار عضوًا صالحًا للحياة وللعمل حيثما رُمِيت به، سواءً في ديوان من دواوين الدولة، أو عملاً تجاريًا، أو مغتربًا لتحقيق وسيلة من وسائل النجاح لأمته ووطنه، ويؤكِّد الشيخ على نبوغ الطالب العربي، المصري وغيره، وأنه أكثر ذكاء، وأجود مواهب من غيره، ولكن المنازل والمدارس والبيئة لا تساعد على تنظيم ذكاء المسلمين، ولا على استثمار مواهبهم، وتوجيهها في العمل المجدي.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٥٠، ص: ١، مقال بعنوان: كيف نعد أنفسنا للخروج مما نحن فيه، القاهرة، الخميس ٢٨ صفر، سنة: ١٣٥٢هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٢٩٧، ص: ١، مقال بعنوان: في سبيل الحقيقة.

ثم يوجِّه الشيخ أنظار المدرسين وقادة التثقيف في مصر خصوصًا إلى ضرورة العناية بتكوين الشاب المصري معرفيًا وسلوكيًا أكثر من عنايتهم بملء دماغه بالمعلومات الكثيرة؛ وذلك حتى يتسنى للطلاب تجاوُز آفة ضعف التحصيل العلمي[١].

ثم ذكر الشيخ نتيجتيْن تسبَّبت فيهما نقص المقررات الدراسية في مصر، وهما:

النتيجة الأولى: أنَّ المتخرِّج من التعليم إذا لم يجد وظيفة في الحكومة، فإنه لا يستطيع أن يقوم بعمل استقلالي، يزاحم به الجاليات الأجنبية التي استولت على مرافق الحياة في مصر.

النتيجة الثانية: النقص من الوجهة التاريخية، والنواحي الاجتماعية؛ إذ لو كان الأساس الذي قام عليه التعليم راميًا إلى جعل حاضر مصر متَّصلاً بماضيها، لكان لمصر من أبنائها ناشئة وفية للآباء والأجداد، عارفة بمفاخرهم، أمينة على علومهم، عاملة على نشر مؤلَّفاتهم وخدمتها[٢].

المسلك السادس: مبادئ تعليمية خطيرة في التعليم.

ذكر الشيخ المبادئ التعليمية التي تشكو منها الأمة المصرية، وهي:

- جعل التعليم الديني صورة بغير روح.
- تجريد المدارس من التربية الإسلامية.
- تخلِّي المقررات عن التربية الرجولية لأبنائها.
- اعتبار أنَّ الإسلام احتلال في مصر.

ولقد تمَّ غرس هذه المبادئ بيد الإنجليز، الذين اجتهدوا في عزل مصر عن أخواتها من البلدان العربية والإسلامية المشاركة لها في اللغة والدين، ولهذا الغرض جِيء بالقسيس

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء السابع، المجلد السادس والعشرون، مقال بعنوان: رسالة المعلم، القاهرة، سنة: ١٣٧٤هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق.

دانلوب من مدارس إرساليات التبشير الإنجليزية في مصر، إلى وزارة المعارف؛ ليحقِّق هذا الغرض، فاتَّخذ المستر دانلوب طريقة يحتال بها، وهي: أنه إذا رأى الرأي الذي يحقِّق له شيئًا من غرضه، دعا إليه موظَّفًا مصريًا من موظَّفي وزارة المعارف، وطلبه أن يكتب له تقريرًا بذلك، ثم يعرض التقرير على الجهات المختصة مع التوصية بتطبيقه، ثم يكافأ الموظَّف المصري زورًا– على أنه صاحب الاقتراح الجميل، ويؤكِّد الشيخ على أنه بهذا الأسلوب الماكر رُسِمت طرائق تكوين النشء في المدارس المصرية، وهذه المبادئ آفة من آفات التعليم يأمل الشيخ أن يتم استئصالها بوضع مقررات جديدة، ناشئة من عقول إسلامية خالصة[1].

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء السابع، المجلد السادس والعشرون، مقال بعنوان: رسالة المعلم.

المطلب الرابع:
رؤيته لإصلاح التعليم في الجامع الأزهر، وردُّه على خصوم الجامع الأزهر ويضم مسلكين.

المسلك الأول: رؤيته لإصلاح التعليم في الجامع الأزهر.

للشيخ وجهة نظر صائبة في إصلاح التعليم في الأزهر، فلقد وجَّه الشيخ الجامع الأزهر بالعديد من التوجيهات، التي إذا طبَّقها سيتحقَّق -بإذن الله- صلاح التعليم في الجامع الأزهر، وستتحقَّق نهضته، وتبرز ثماره النافعة للإسلام والمسلمين، وهذه التوجيهات هي:

- أن يُعدّ الجامع الأزهر من رجاله متخصِّصين في المِلَل والنِّحل التي تظهر يومًا بعد يوم، وله في ذلك قدوة في أسلافنا الذين ردّوا وقارعوا أهل المِلَل والنِّحل في زمانهم، ودوَّنوا ذلك؛ ليكون مرجعًا لنا في معرفة ما أصاب الجانب العلمي لأمة الإسلام[1].
- إعداد مجاهدين لنشر هداية الإسلام في أرجاء الأرض، وأنَّ للأزهر أمانة معلَّقة في أعناق رجاله، بتبليغ هداية الإسلام إلى أمم الأرض، والأزهري مكلَّف بتبليغ هذه الرسالة حيثما وُجِد، ولا يستطيع أن يوصلها قلوب الناس إلاَّ إذا كانت راسخة في قلبه، لا يزاحمها شيء من آمال الدنيا وخسيس أغراضها، فإذا كان القلب مشغولاً بتلك الأغراض الدنيوية، فإنَّ رسالة الأزهر أطهر وأشرف من أن تدنو من ذلك

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٤٠، ص: ١، مقال بعنوان: علوم أهملنا دراستها، القاهرة، الخميس ١٨ ذي الحجة، سنة: ١٣٥١هـ.

القلب، وحينئذٍ يكون كلُّ ما يصدر من لسان صاحبه بعيدًا عن قلوب الناس، ومردودًا على صاحبه[١].

- وجوب العناية برسالة الأزهر من نواحي متعددة، وبالأخص من ناحية العقيدة، وذلك بتقرير أركانها على طريقة القرآن الكريم، والالتفات لمقارعة أهل الضلالات في عصر الشيخ، كالبهائية، والقاديانية، والإلحاد، فالذي يأمله الشيخ لمواجهة ذلك: الرجوع إلى طريقة القرآن في تقرير عقيدة الإسلام على طلاب الثانوي في الأزهر، لتتكوَّن لديهم القاعدة الصلبة والراسخة لتمييز كلِّ ما يخالف عقيدة الإسلام.
- تخصيص جماعة من المتخرِّجين تتفرَّغ لمقاومة القاديانية، مع تعليمهم اللغتيْن الأوردية والإنكليزية، وتخصيص جماعة أخرى لمقاومة البهائية، مع تعليمهم اللغة الفارسية، وتخصيص جماعة أخرى لمقاومة الإلحاد، مع تعليمهم اللغة الفرنسية، مع ضرورة تعلُّم اللغات الحية؛ كالإيطالية وغيرها، وأن يُجهّز لهؤلاء المتخصِّصين مكتبًا يعملون به تابعًا للجامع الأزهر، ولابدَّ أن يُغذَّى هذا المكتب دائمًا بكلِّ ما يُنشَر في موضوعهم، في الصحف والمجلات والمنظمات داخليًا وخارجيًا، ممَّا يعينهم على أداء مهمتهم.
- أن يكون للأزهريين الإلمام بتاريخ الديانات التي لها أتباع في اليابان والصين والهند وإندونيسيا.
- تأليف كتب عصرية حديثة لصغار الطلاب في العبادات، مقرونة بأدلتها، مع أهمية رجوع كبار الطلاب إلى كتب أهل الصدر الأول من أئمة مذاهبهم، إذْإنَّ من مظاهر الضعف في العصور المتأخرة إعراض الناس عن كتب الأقدمين.
- الاهتمام بجانب الحكم والسياسة الإسلامية، وأنَّ لدى المسلمين في هذا الجانب كنز عظيم، بالذات في أحكام المعاملات، الذي تحرَّى فيه أسلافنا أدقَّ معاني العدل والإنصاف، طبقة بعد طبقة، مدة أربعة عشر قرنًا، وأنه يجب على الجامع الأزهر أن

---

(١) انظر: المرجع السابق، العدد ٤١٧، ص: ٢، مقال بعنوان: الغرض الذي لأجله يلتحق الأزهريون بالأزهر، القاهرة، الخميس ٩ رجب، سنة: ١٣٥٣هـ.

يُفرِغه في أساليب التأليف العصري طباعةً وتنظيمًا؛ لجذب الناس إلى الاقتناء والاستفادة[١].

المسلك الثاني: ردُّه على خصوم الجامع الأزهر.

تعرَّض الجامع الأزهر بعد الثورة على الإنجليز للهجوم من كثير من خصومه، والمطالبين بتغيير مناهجه ومقرَّراته، والمطالبين كذلك بإلغاء مراحل دراسية منه، وكان من أبرز أولئك: طه حسين[٢]، حيث هاجم طه حسين الأزهر وطلابه، زاعمًا أنَّ شباب الأزهر لا يتعلَّمون كما يتعلَّم الناس، ولا كما ينبغي، ولقد ردَّ عليه الشيخ بردٍّ أجمله في نقاط:

- أنَّ طه حسين أخطأه التوفيق في تخيّر الوقت الذي هاجم فيه الأزهر وانتقص منه، حيث كان هذا التوقيت بعد الانتهاء من الثورة المصرية على الإنجليز، ولو كان لطه حسين قد فقِه للأولويات، أو كان يهتم لأمر أمته ويسعده صلاحها، لما أثار هذه

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٩٢، ص: ٣، مقال بعنوان: رسالة الأزهر في القرن الرابع عشر، القاهرة، الخميس ١٧ المحرم، سنة: ١٣٥٥هـ.

(٢) طه حسين: هو طه بن حسين بن علي بن سلامة، ولد في الصعيد المصري سنة: ١٣٠٧هـ: ١٨٨٩م، وأصيب بالجدري وهو في الثالثة من عمره، فكف بصره، حاصل على دكتوراه في الأدب، وبدأ حياته في الأزهر، سنة: ١٩٠٢م، ثم التحق بالجامعة المصرية القديمة، وهو أول من نال شهادة د/اه منها سنة: ١٩١٤م، سافر في بعثة إلى باريس، فتخرج بالسوربون سنة: ١٩١٨م، وعاد إلى مصر، فاتصل بالصحافة، وعين محاضرا في كلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم كان عميدا لتلك الكلية، فوزيرا للمعارف، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلين بدمشق، ثم رئيسا لمجمع اللغة بمصر، له العديد من المؤلفات، من أشهرها: كتاب مستقبل الثقافة في مصر، وكتاب في الأدب الجاهلي، وغيرها، يعتبر من أوائل الدعاة إلى العلمانية، وإلى القضاء على الشريعة الإسلامية بالقانون الوضعي، ومن الدعاة إلى القضاء على الوحدة الإسلامية بالدعوة إلى الإقليمية والقومية الغربية، تأثر كثيرا بالمستشرقين وأفكارهم، ودعا إلى الأخذ بالحضارة الغربية بكل ما فيها من حسن وقبيح، توفي بالقاهرة، سنة: ١٣٩٣هـ: ١٩٧٣م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٣: ٢٣١. وانظر: "أعلام وأقزام في ميزان الإسلام"، د/ سيد بن حسين العفّاني، ١: ٢٣٠- ٢٣١.

الفتنة في هذه اللحظة الحاسمة، التي يتطلّع فيها الناس إلى الإستعداد بتسليح أبنائهم ورجالهم؛ ليدفعوا عن كيانهم ما يبيِّته لهم أبالسة الأرض من شر ومكر وكيد.

- إنَّ الناقد المصلح الذي يتطلَّع إلى إصلاح الخلل، لابدَّ وأن يعرض الحلول الإصلاحية المقنعة، ولكن طه حسين رأى أنَّ الحلَّ لإصلاح الأزهر هو هدم القسمَيْن الابتدائي والثانوي من صرح الأزهر، وهذه مغالطة، فالقسمان الابتدائي والثانوي من الأزهر هما موضع الأساس، وما من سبيل لبقاء الطابق الأعلى من بنيان يُهدَم أساسه ويُزَال.

يكفي الأزهر فخرًا أنَّ مناهجه لم تتأثَّر بالمناهج الغربية التي تأثَّرت بها المدارس العامة في مصر، والتي وضع أساسها دانلوب[1].

- إنَّ الأزهر يتميَّز عن باقي المدارس العامة في مصر باشتراط حفظ كتاب الله الكريم، وللأزهر في القسم الابتدائي حصة واحدة في الأسبوع تُدرَّس فيها السنة النبوية وسيرة الصحابة الأجلاء وحماة الإسلام من بعدهم، كما أنه يهتم بتدريس تفسير كتاب الله جلَّ جلاله من السنة الثالثة في قسمه الثانوي، وله في ذلك أربع حصص في الأسبوع، وأيضًا يهتم الأزهر في مقرَّراته بعلم الحديث ومصطلحه، وله في ذلك حصتان في الأسبوع بالقسم الثانوي، كما أنَّ للفقه خمس حصص في الأسبوع، في كلٍّ من القسم الابتدائي والثانوي، هذه هي مقرِّرات الأزهر في قسميْه الابتدائي والثانوي التي يدعو طه حسين إلى هدمها والاستغناء عنها، بحجة أنها أصبحت من القديم البالي الذي لا يواكب العصر، ويتساءل الشيخ عن البديل المناسب الذي لم يقترحه طه حسين؟ ويجيب الشيخ بأنَّ طه حسين ربما يودُّ تقرير كتبه المملوءة بالإلحاد والتغريب – وغيره ، أو ما لا يقل عنها سوءًا، بدلاً من العلوم الشرعية الأصيلة الراسخة والنافعة دينًا ودنيا.

---

(١)انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الرابع، المجلد السابع والعشرون، مقال بعنوان: فتنة حول الأزهر، القاهرة، سنة: ١٣٧٥هـ.

- يزعم طه حسين أنَّ الأزهر لا يهتم بالعلوم النظرية التي ارتقت بها الأمم، وتناسى أنَّ كليات الأزهر يتم فيها تدريس علم الاجتماع وعلم النفس بأنواعه، والفلسفة، ويدرّس التاريخ، والجغرافيا، والحساب، والهندسة، وتدبير الصحة، والرسم، والطبيعة، والكيمياء، وعلم الحياة، والمنطق، والتربية الوطنية، إلى غير ذلك ممَّا يتعلَّمه أبناء الناس في شتى مدارس الأرض، ولكن مبدأ طه حسين في التعليم هو الأخذ بالعلوم من الغرب بكلِّ ما فيها من خير أو شر(١).
- يقول الشيخ لطه حسين: " أيُّها الرجل، إنَّ الأزهر مواصل تجديد شبابه في كلِّ ما يحفظ للإسلام حيويته، وإنَّ الأزهر هو حاجة مصر الأولى والأخيرة، وموئل مصر في سلمها وحربها، وفي دنياها وآخرتها بإذن الله، وكما أنَّ جدار الأزهر قد أفنى القرون في قديمه وهو لا يزال باقيًا، فإنَّ أساسه الراسخ وصرحه الشامخ في جديده تتكسَّر عليه قرون ناطحيه وهو لا يزال يعلو، والله أكبر، والحمد لله رب العالمين"(٢).

ولقد ردَّ الشيخ بقوة على طه حسين في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر"، حيث أثار هذا الكتاب ضجة في مصر، بين مؤيِّد، ومعارض، ومحايد، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ هذا الكتاب عندما انتقد مؤلفه مناهج الأزهر، لم ينتقدها لنقص في المناهج، انتقاد مَن ينشُد الكمال والإصلاح، ولكنه يريد من مصر ومن الأزهر ومن كلِّ مَن ينتسب إلى العلم أن يؤمنوا بثقافة الغرب كإيمانه هو بها(٣).

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الرابع، المجلد السابع والعشرون، مقال بعنوان: فتنة حول الأزهر، القاهرة، سنة: ١٣٧٥هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق.

المطلب الخامس:
رؤيته لإصلاح التعليم غير الأزهرى

ويتضمن عشرة مسالك.

المسلك الأول: ضرورة إصلاح الفساد الدانلوبي في التعليم.

يذكر الشيخ أنه حصل توجُّه من وزارة المعارف في مصر لتعديل المقرَّرات والمناهج في مصر، وحيث إنَّ الوزارة تركت المجال لَمن أراد أن يُسهِم في توجيه الـــوزارة لاتِّخـــاذ القرارات المناسبة، فإنَّ الشيخ كتب في مقال أساسيات ثلاث كفيلٌ تطبيقها بإصلاح حال التعليم، وسأُورِدها مجملة:

الأساس الأول: تحويل الغرض الدانلوبي القديم من هدف الوظـــائف إلى هـــدف الحيـــاة الاستقلالية.

الأساس الثاني: معرفة تاريخ مصر الإسلامية والاعتزاز به، وتوظيفه في مقرَّراتها.

الأساس الثالث: التسلُّح بالفضائل، والتجنُّد للدفاع عنها، حتى تصير الفضائل حلية مصر في جميع أحوالها[١].

ثم يقول الشيخ مُقيمًا التعليم في مصر: "ومصر في حاجة محتمـــة ومســـتعجلة إلى إصلاح نظام التعليم، وإلى أن يكون هذا الإصلاح من الأساس"[٢].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٤٨، ص: ٧، مقال بعنوان: حياتنا الدراسية متى يقضى على البرنامج الدانلوبي، القاهرة، الخميس ١٤ صفر، سنة: ١٣٥٢هـــ.

(٢) المرجع السابق، العدد: ٤،ص: ١، مقال بعنوان: ثقافتنا وما يرجى فيها من نواب الأمة المصرية، القاهرة، الخميس ٢٨ ذي الحجة، سنة: ١٣٤٤هـــ.

المسلك الثاني: المطالبة بإعطاء الشعب المصري المساهمة في صنع القرار التعليمي.

أيَّد الشيخ فكرة أحد الرجال المخلصين، عندما تقدَّم بمذكرة في ضرورة العناية بالتعليم الديني في مدارس الحكومة، حيث تقدَّم هذا المخلص بالمذكرة إلى رجل ذي منصب ديني كبير، لم يذكر الشيخ اسمه، والتمس منه أن يؤيِّدها بكلمة خير تسمعها وزارة المعارف، وتقوم بتطبيق ما في هذه المذكرة، فقال رجل المنصب الديني الكبير لصاحب المذكرة: وما فائدة العناية بالتعليم الديني في مدارس الحكومة؟ وهل نطمع أنا وأنت في أن يتعلَّم تلاميذ مدارس الحكومة من الدين بقدر ما يتعلَّم منه طلبة الأزهر حتى يكونوا علماء؟ وها هي حالة طلبة الأزهر وعلمائه، هل تراها تؤدِّي إلى الغاية المطلوبة؟

ويجيب الشيخ على هذا التساؤل، بأنَّ الأزهر لم يؤدِّ إلى الغاية المطلوبة، ولا المدارس الحكومية أيضًا استطاعت أن تؤدِّي إلى هذه الغاية؛ لأنَّ الأزهر والمدارس الحكومية اشتركا في ذات السبب، وهو الاهتمام بشحن الرؤوس بالمعلومات، دون الاهتمام بتربية النفوس وتنوير القلوب(١).

ثم أيَّد الشيخ وأعلن دعمه لفكرة وكيل وزارة المعارف المصرية(٢)، في عقد مؤتمر لدول الشرق العربي، يهدف هذا المؤتمر إلى توحيد المقرَّرات والمناهج في هذه الدول، ولقد استبشر الشيخ بهذه الفكرة، واقترح في توحيد المناهج والمقرَّرات أمورًا، أُجملها في نقاط:

- استمداد المقرَّرات من الكتاب والسنة، والحرص على عدم مخالفتها لتعاليم الدين الإسلامي.
- أن يُعتمَد في توحيد المقرَّرات على ما يتَّصل بمصالح الدول العربية المشتركة.
- تكوين وربط حلقات مستقبل الدول بحلقات ماضيها.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٥٧، ص: ٣، مقال بعنوان: مسألة تربية لا مسألة تعليم، القاهرة، الخميس ٢٩ ربيع الآخر، سنة: ١٣٥٦هـ.

(٢) وكيل وزارة المعارف المصرية في ذلك الوقت هو: الأستاذ العشماوي بك. انظر: المرجع السابق.

- الاهتمام بالتاريخ الإسلامي.
- الإيمان بأنَّ حاضر الأقطار الناطقة بالضاد هو ابن ماضيها القريب، في الأربعة عشر قرنًا الأخيرة، وأنَّ مستقبلها يجب أن يُبنَى على هذا الحاضر وعلى ماضيه القريب.
- أن يُنظَّم تراث الأمة الإسلامية والعربية تنظيمًا عصريًا، شكلاً ومضمونًا، ويُراعَى فيه حاجات الزمان.
- لابدَّ أن تتَّخذ الأمة العربية عدتها وسلاحها في الكفاح من التراث الإسلامي والعربي، ولقد سمَّى الشيخ هذا المؤتمر بأنه قضية القضايا[1].

ونظرًا لما تقدَّم به الرجل المخلص من مذكرة، تتضمَّن ضرورة العناية بالتعليم الديني في مدارس الحكومة، وقُوبِلت هذه المذكرة بعدم التأييد، ثم صدرت فكرة وكيل وزارة المعارف بعقد مؤتمر لتوحيد المقرَّرات في البلاد العربية، وأصبح الطريق إلى إصلاح التعليم يتم باقتراحات فردية، وقرارات أحادية، فإنَّ الشيخ يؤكِّد على أنَّ الشعب هو المستفيد من التعليم، ولذلك فإنه لابدَّ وأن تكون له كلمة معتبرة في توجيه التعليم، وإصلاح حاله، فلقد وجَّه الشيخ الشعب إلى المساهمة في صنع القرار التعليمي، وذلك بطريقتيْن:

الطريقة الأولى: المساهمة في صنع القرارات التعليمية، وذلك بحثّ الشعب المصري الطامح إلى إصلاح فساد أخلاق الكثيرين من شبَّان مصر، حثُّهم على الاجتماع، وكتابة العرائض، واختيار الوفود من أنحاء مصر ومحافظاتها، ومطالبة وزير الداخلية ووزير المعارف بالشروع فورًا في إصلاح التعليم، ومناهجه، ومقرراته، ومخرجاته، وأهدافه، والمطالبة بجعل مواد الدين الإسلامي أساسية، لا يمكن النجاح في جميع الأقسام والتخصُّصات إلاَّ بعد اجتيازها، ويؤكِّد الشيخ على أهمية هذا الإجراء، وأنَّ ألسنة الخلق أقلام الحق، ورجال الحكومة هم من الأمة، ولا يُعقَل أن يصمُّوا آذانهم عن سماع صوت أمتهم،

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٩٥، ص: ١، مقال بعنوان: توحيد مناهج التعليم في الشرق العربي، القاهرة، الخميس ٢٩ المحرم، سنة: ١٣٥٧هـ.

أمَّا الثرثرة تحت السقوف، فمعذور دولة وزير الداخلية وسعادة وزير المعارف إذا لم يشعروا بها، وإذا لم يقيموا وزنًا لأصحابها[١].

الطريقة الثانية: التفاني في ضمان إيصال الصوت إلى الحكومة المصرية، ولقد اغتنم الشيخ الفرصة عندما صدر المرسوم الملكي في مصر بتعيين يومًا لانتخاب أعضاء مجلس النواب الجديد[٢]، حينها اقترح الشيخ ألاَّ يُعطَى الصوت لأيِّ مرشَّح، إلاَّ إذا كان حريصًا على الإسهام في إصلاح شأن التعليم، وأن يُوضِّح له من الرجال المخلصين الخلفية الكاملة للواقع والمأمول، وأن يعطي عهد الله وميثاقه على ذلك، ويهدف الشيخ من هذه الخطوة إلى أنه إذا وجد النوَّاب منذ الخطوة الأولى إرادة الشعب المصري لإصلاح التعليم، والاستغناء عن المنهج الدانلوبي، ولمسوا رغبة الشعب المصري الشروع فورًا في إقرار مقرَّرات ومناهج تضمن إصلاح المجتمع، والمساعدة على الاكتفاء الذاتي والاستقلال، فسوف يضطر النوَّاب إلى ذلك، ولن تجد الدولة بُدًّا من دعم تصميمهم وإرادتهم[٣].

المسلك الثالث: المطالبة بالاستفادة من تجارب الآخرين التعليمية الناجحة. وفيه سبعة مسائل:

المسألة الأولى: ذكره أسباب نجاح أوروبا والغرب –عامة في نهضته.

ذكر الشيخ أسباب نجاح أوروبا فيما حاولته من أعمال عظيمة – علمية أو هندسية أو صناعية أو حربية أو سياسية – أنه يرجع إلى ثلاثة أسباب:

---

(١) انظر: المرجع السابق، العدد ٤٥٧، ص ١، مقال بعنوان: عواتق جديدة لأعباء جديدة، القاهرة، الخميس ٩ جمادى الأولى، سنة: ١٣٥٤هـ.

(٢) مجلس النواب: المجلس الذي ينتخب له الشعب ممثلين لهم، ونوابا عنهم، من كل محافظة شخصا واحدا، ينقلون للملك آلام الشعب وآماله. انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: "مجلة الفتح"، العدد٤٨٩، ص: ٣، مقال بعنوان: ما يجب أن نذكره في الانتخابات، القاهرة، الخميس ٢٥ ذي الحجة، سنة: ١٣٥٤هـ.

السبب الأول: اهتمامهم بالتخصُّص، حيث يُوقِف الشاب منهم شبابه وحياته على علم محدود، فيستقصيه درسًا وبحثًا، ويستقصي ما كتبه عنه القدماء والمعاصرون، ولا يزال يحلِّل أجزاءه، ويستقصي أسراره، ويفكِّر في خوافيه بعد بواديه؛ حتى يكون أعلم الناس به، ويصير مرجع بلاده فيه.

السبب الثاني: أنَّ المتخصِّص في ضرب من ضروب المعرفة لا يُوزَن جهوده ومساعيه بميزان المقابل من الجنيهات، بل يقوم بهذه المساعي والجهود لغرض واحد، وهو الإحاطة بالمعارف والنبوغ فيها، لذلك تراه يسهر الليالي، بل يُفني العمر في طلب حقيقة من الحقائق، وقد يمضي عمره، ولا يبلغ الغرض الذي وقف عليه.

السبب الثالث: أنَّ العامل منهم لا يحتقر عمل العاملين قبله، بل يحترمه ويدقِّق النظر فيه، ويستفيد منه، ثم يبني عليه، ويزيده تجويدًا وتحسينًا[1].

المسألة الثانية: اهتمام دولة أمريكا بالمكتبات.

ذكر الشيخ اهتمام دولة أمريكا بالمكتبات، وذلك بعمارها على أفضل طراز، والإنفاق عليها، وتوفير الكتب التي تُقدَّر أعدادها بالملايين، وتزويد القرى الصغيرة والمدن الكبيرة بهذه المكتبات، والاهتمام أيضًا في هذه المكتبات بأصحاب الظروف الخاصة، والتركيز أيضًا على الأطفال بتوفير ما يناسب ميولهم وأعمارهم، كما اهتمت هذه الدولة بالجامعات، ووفَّرت لكلِّ قسم من الأقسام مكتبة متخصِّصة في فنه. ولقد أسهب الشيخ

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٤٩، ص: ١، مقال بعنوان: غثاء كغثاء السيل، القاهرة، الخميس ٢١ صفر، سنة: ١٣٥٢هـ.

في ذلك مع التوثيق بالأرقام والأماكن. ولعل غرض الشيخ من هذا التقرير شحذ هِمَم الشعوب المسلمة والحكومات للاهتمام بالكتب والمكتبات[١].

المسألة الثالثة: اهتمام الأمم غير المسلمة بالتعليم الديني لأبنائها.

استشهد الشيخ ببعض الأمم الكافرة في اهتمامها بالتعليم لأبنائها، فلقد استشهد بدولة ألمانيا، وباهتمامها بتعليم أبنائها، وركّز على اهتمامها الكبير بالتعليم الديني لأبنائها، حيث إنها ربطت لطلابها بين التحصيل العلمي والعبادة؛ وذلك حتى يستشعر الطالب أنَّ التعليم عبادة يتقرَّب بها، فيُخلِص فيها ويتفانى في تحصيله العلمي[٢].وذكر أيضًا أنَّ رئيس الأساقفة في فرنسا، اقترح على الكاثوليك أن يطالبوا حكوماتهم وبالذات فرنسا– بتدريس العقائد الكاثوليكية في مدارسها العمومية، كما يدرس القرآن في المدارس العربية. وهذا تلميح من الشيخ بالمحاولات اليائسة من بعض المفكرين؛ لإقصاء الدين من الحياة، وجعله في المسجد فقط، ويلمح بحرص الأمم الكافرة على دينهم الباطل، وينتقد المسلمين في تخاذلهم عن دينهم الحق[٣].

المسألة الرابعة: التشجيع والثناء على اهتمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود[٤] بالتعليم.

بيَّن الشيخ ثمرة اهتمام الملك عبد العزيز بالتعليم، فلقد ضرب الشيخ المثل بسكان الجبال الواقعة بين الحرميْن الشريفيْن، وأنهم أناس يُضرَب بهم المثل في الإقدام على الإجرام،

---

(١) انظر: المرجع السابق، العدد ٣، ص: ١٥، بعنوان : دور الكتب في أمريكا وعناية الأمريكيين بالمطالعة، القاهرة، الخميس ٢٠ ذي الحجة، سنة: ١٣٤٤هـ.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤، ص: ١٥، بعنوان: خبر منشور بعنوان : التعليم الديني في مدارس ألمانيا، القاهرة، الخميس ٢٨ ذي الحجة، سنة: ١٣٤٤هـ.

(٣) انظر: المرجع السابق، العدد ٨، ص: ١٥، بعنوان : الفرنسيون والتعليم الديني، القاهرة، الخميس ٢٦ المحرم، سنة: ١٣٤٥هـ.

(٤) سبقت ترجمته.١٤١

فقد كان الرجل منهم يقتل الحاج طمعًا في قليل من المال، في حين أنَّ الدولة العثمانية كانت تمتلك القدر الكافي من القوة والرجال والمدافع، ولكنها لم تستطع أن توطِّد الأمن في تلك المناطق، في حين أنَّ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود استطاع – بفضل الله – أن ينشر الأمن والسلام في أنحاء الجزيرة العربية كلها، ومن أسباب ذلك: نشر العلم بطباعة الكتب وتوزيعها، وبإرسال المعلمين والمرشدين إلى تلك المناطق لتعليمهم أمور دينهم، ممَّا كان له الأثر في تعديل سلوكهم، وغرس خوف الله جلَّ جلاله في قلوبهم، حتى استتبَّ الأمن بفضل الله ثم بجهود الملك الصالح في نشر العلم النافع، ولذلك فإنَّ القرى المصرية في حاجة إلى مرشدين لنشر العلم والمعرفة وتعديل السلوك(١).

ثم أثنى الشيخ على الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، قيامه خلال عامَيْن بطباعة أربعة وسبعين ألف نسخة من الكتب الضخمة والمتوسطة والصغيرة، وجلَّدها ووزَّعها على شعبه، ابتغاءَ خدمة الإسلام والعلم(٢)،ثم يقول الشيخ: "وهذه مأثرة من أعظم مآثره الخالدات، فنرجو أن يُوفَّق إلى مثلها ملوك الإسلام؛ ليكونوا ملوكًا عاملين على خدمة دينهم وأمتهم الخدمة الحقة"(٣).

المسألة الخامسة: عنايته ببيان أسباب نهضة دولة الألمان–خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، والاقتداء بها.

أُعجِب الشيخ بدولة ألمانيا في استعادة قواها وسرعة نهضتها بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وذلك خلال سبعة عشر عامًا فقط، ولقد أرجع الشيخ نهضتها للأسباب التالية:

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٨٦، ص: ١، مقال بعنوان: إلى القرية المصرية، القاهرة، الخميس ٢٣ ذي القعدة، سنة: ١٣٥٢هـ.

(٢) انظر: "المرجع السابق"، العدد ٨٨، ص: ٤، مقال بعنوان: الوهابيون والعلم، القاهرة، الخميس ٢٣ رمضان، سنة: ١٣٤٦هـ.

(٣) المرجع السابق.

- الاكتفاء بقدراتها ورجالها ومفكّريها.
- الإرادة الطامحة والهمة الجامحة.
- تعلُّم العلوم المساعدة لذلك وتعليمها.
- الاستفادة من المواهب والقدرات الكامنة في شبابها ورجالها.

ثم يُعلِي الشيخ من هذا الإنجاز في هذا الوقت القياسي، ويتألَّم لحال الأمة الإسلامية عمومًا، والمصرية خصوصًا، التي لم تستطع النهوض والاستقلال لقرون طويلة، وما ذاك إلاَّ لأنه المتستغل طاقات شبابها ومفكّريها في إصلاح التعليم، ولم تهيِّئ المدارس للنهوض، ولم تكتفِ بذاتها، بل كانت عالة على أعدائها[1].

المسألة السادسة: نشر الشيخ بيان "البابا" المخصَّص للتعليم، والانتفاع بما فيه من دروس.

نشر الشيخ بيانًا أصدره البابا عن التعليم في دول النصارى، ولقد وجَّه البابا هذا البيان لأرباب التعليم، وسألخِّص أبرز توجيهات البابا في هذا البيان:

- يؤكِّد البابا على ضرورة التوفيق بين النظريات المدرسية الجديدة والتعاليم المسيحية.
- يرى أنَّ الكنيسة موكول إليها من قِبَل العناية الإلهية تعليم الطلاب الصغار، وأنَّ هذا من اختصاص الكنيسة والأسرة قبل الحكومة.
- يُهيب البابا بأنه يجب على السلطة الدنيوية ألاَّ تنازع السلطة الروحية، وأنه يجب على الحكومة أن تجتنب الإفراط فيما يتعلَّق بالتعليم الطبيعي والعسكري، وأن توجِّه تعليمها إلى الاهتمام بالدين المسيحي وضرورة نشر تعاليمه.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٦٣، ص: ١، مقال بعنوان: سبعة عشر عاما، القاهرة، الخميس ٢١ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٥٤هـ.

- اعترض البابا في منشوره على التعليم المدرسي الحديث، وبالذات التعليم المختلط[١].

ولقد علَّق الشيخ على هذا المنشور بقوله: "هذا مثال من أمثلة كثيرة على اهتمام الكاثوليك بمشكلة التعليم بالنسبة إلى ناشئتهم، قرأتُ أنا منشور البابا، فلمَّا انتهيتُ منه، جلست نحو خمس دقائق أتأمَّل فيما يجب في مثل ذلك؛ نحو مشكلة التعليم بالنسبة إلى النشء الإسلامي بصفتي واحدًا من أفراد المسلمين، فهل يضحِّي كلُّ مسلم على وجه الأرض مقدار دقيقة واحدة يفكِّر فيها بهذا الأمر؟ لو أننا فعلنا ذلك عند كل مناسبة، لكان في الإمكان حلّ مشكلتنا التعليمية، أو على الأقل السير في طريق حلها"[٢].

المسألة السابعة: حثُّه على التبرُّع لإنشاء مدارس متميزة.

حثَّ الشيخ أهل الخير والموسرين على التبرُّع بمدارس متميزة علميا وخلقيا، ويرى الشيخ أنَّ هذه المدارس التي يتبرَّع بها أهل الخير، تحتاج إلى عنصريْن:

العنصر الأول: حاجتها إلى المال.

العنصر الثاني: حاجتها إلى مَن يرسم البرنامج ويقوم على تنفيذه.

ويأسف الشيخ على أنَّ كثيرًا ممَّن جادت أنفسهم بالمال كان رغبة منهم في التقرُّب إلى حاكم، أو التوسُّل بهذا الجود إلى غرض من أغراض الدنيا، والآن وقد وُجد مَن يبني هذه المدرسة التي تبرَّع بها التاجر، يأمل الشيخ أن يوجد مَن يوفِّر العنصر الثاني بأنْ يبني للمدرسة ما يضمن بقاءها بعيدة عن نزعات السياسة وأغراض الدنيا، وأن ينبري للمدرسة الرجال الصالحون الذين يرسمون لها البرنامج، والمنهج الذي يضمنون به تخريج رجال للعمل والكفاح في سبيل الإسلام والعروبة، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ وجود هؤلاء ليس أقل أهمية من وجود النقود، كما يؤكِّد على أنَّ تخريج المجاهد المسلم العربي منوط برسم خطة

---

(١) انظر: المرجع السابق، العدد ١٨٢، ص: ٨،بعنوان: التعليم العام والنشء الكاثوليكي، القاهرة، الخميس ١٦ شعبان، سنة: ١٣٤٨هـ.

(٢) "مجلة الفتح"، العدد ١٨٢، ص: ٨،بعنوان: التعليم العام والنشء الكاثوليكي، القاهرة، الخميس ١٦ شعبان، سنة: ١٣٤٨هـ.

تهذيبية خاصة، يجب أن يتم اقتباسها من مزايانا الماضية، وحاجاتنا الآتية، وأن نستفيد عند رسمها بأصدق قواعد التهذيب، وأحدث أساليب التثقيف، ويرى الشيخ أنَّ لكل أمة حاجات، ولكل ظروف مقتضيات، ولكل محيط أساليب، وأنَّ المناهج للمدارس كالقوانين للأمم، يجب فيها الاستفادة من تجارب الغير، ولكن لا يجوز فيها تقليد الغير، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ هذا هو السر الدقيق في تأخُّر أمم الشرق، فالمدرسة الشرقية التي تقلِّد أرقى مدارس الغرب في مناهجها، تخطئ الخطأ كله حتى لو نجحت في التقليد؛ لأنَّ مدرسة الغرب لم ترتقِ إلاَّ بالتماسها تحقيق ما يحتاج إليه أبناؤها في محيطهم، ومدرسة الشرق لن ترتقِ إلاَّ إذا اكتشفت من تاريخنا القومي والمِلِّي المثل الأعلى الصالح للكفاح في ميدان الحياة المستقبلة، كما يؤكِّد الشيخ على أنَّ المدرسة والمعلم هما اللذيْن يستطيعان أن يوجِدا الجيل المنشود للإسلام والعروبة أكثر ممَّا يستطيع إيجاده الحكام بدون المدرسة والمعلم(١).

المسلك الرابع: دعوته إلىتعريب العلوم الجامعية وغيرها.

تمنَّى الشيخ من كلية الطب في مصر أمنيتيْن، هما:

الأولى: تمصير التعليم؛ بمعنى ترجمة الكتب التي تدرس لطلاب الطب بلغة الوطن، وهي اللغة العربية، وحثَّ الشيخ على البدء في ذلك وعدم التباطُؤ، مشيدًا بتحقيق ذلك في كلية الطب في تركيا، وكلية الطب في الجامعة السورية بدمشق قبل عشرين سنة، مستنكرًا أن تبقى كلية الطب المصرية – مع غناها بالمال والرجال أسيرة في دراستها للغات الأجنبية.

الثانية: أن تكون لكلية الطب رسالة دينية وأدبية فوق مهمتها العلمية؛ حتى يدرك الطبيب أنه ليس مجرَّد مشخِّصًا للداء، وواصفًا للدواء، ولكنه مع ذلك ممثِّلاً لدينه وثقافته وأمته(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٣٠، ص: ٢، مقال بعنوان: مدرسة، الخميس، ١٩ شوال، سنة: ١٣٥٢هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد٦٦٧، ص :١، مقال بعنوان: ما يرجوه الوطن من كلية الطب، القاهرة، الخميس ٢ رجب، سنة: ١٣٥٨هـ.

المسلك الخامس: تأييد الرؤى التعليمية الناجحة.

أشاد الشيخ باتِّساع التعاون بين الأقطار العربية، من حيث ازدياد عدد المدرسين الذين ندبتهم وزارة المعارف المصرية للتدريس في الشام، والعراق، والحجاز، واليمن، والمغرب. ويرى الشيخ أنَّ هذا التعاون أثمر ثماره بتنشيط النهوض العلمي في هذه الأقطار، والتعارف بين أبناء الوطن العربي الأكبر، وانتباه أهل تلك الأقطار إلى أنَّ الحدود الجغرافية الموضوعة بين أجزاء الوطن الواحد بدينه، وبلغته، وبجنسه، وبتقاليده، وبتاريخه، وبأمانيه، وبمطمحه، ما هي إلاَّ حدود وهمية، لا بأس ببقائها، مع الاحتفاظ بأواصر الدين واللغة والتقاليد والتاريخ والأماني والمطمح(١).

المسلك السادس: الدعوة إلى تأسيس جمعيات خيرية لدعم التعليم.

يرى الشيخ أهمية إنشاء جمعيات خيرية لدعم التعليم؛ وذلك لأهمية الجمعيات التي تكمُن في تعيين الروابط بين حياة المسلم في دينه ودنياه، ثم تنظيم هذه الروابط على وجه تستمد به الحياة الإسلامية قوتها وحيويتها، لا سيَّما وأنَّ أعداد المسلمين وفيرة، فباستطاعتهم تنظيم أنفسهم، وتحقيق غاياتهم، وتنشئة أبنائهم النشأة الإسلامية الصحيحة، ويضرب الشيخ المثل بالطائفة الكاثوليكية في مصر، ويبيِّن في ذلك حقائق،فمع أنَّ هذه الطائفة ضئيلة جدًّا بعددها، إلاَّ أنها متمسِّكة جدًّا بعقيدتها وآدابها الكاثوليكية إلى أقصى غاية، فمن الحقائق لواقع التعليم للأقلية الكاثوليكية التي توصَّل إليها الشيخ:

- أنَّ الأساس في تعليم أبناء الأقلية الكاثوليكية هو الترسيخ للعقيدة والآداب الكاثوليكية.
- أنَّ الطالب في مدارسهم يعدُّ إعدادًا جيدًا لخدمة دينه، وخدمة مصالح أمته الدنيوية بعد تخرُّجه، وتفضيله على غيره من المتقدِّمين، بالذات في المتاجر والمصارف المالية.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد٦٦٦، ص:١، مقال بعنوان: تعاون الناطقين بالضاد في عشرين سنة، القاهرة، الخميس ٢٤ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٥٨هـ.

- أنَّ الطالب الفقير أو الغريب أو الذي ليست لديه المعارف التي تؤهِّله للالتحاق بمتجر أو مصرف، ولم يستطع أن يقوم بعمل مستقل، فإنَّ مَن تنطبق عليه إحدى هذه الحالات أو بعضها يجد، من جمعيات الكاثوليك الخيرية مَن يُعينه على الرجوع إلى بلده، وإذا مات، تبادر هذه الجمعيات إلى القيام بنفقات دفنه، وتنظر في أمر أبنائه وأهل بيته إلى حدٍّ ما.
- التعاون الوثيق بين المدارس الكاثوليكية والإعلام الأكثر انتشارًا وقبولاً بين الناس، والذي تطَّلع عليه الطبقة الحاكمة، ممَّا ضمن لهذه الأقلية أنْ تعيش في مصر عيشة سعيدة، محفوفة بالعز والكرامة والثروة والنعمة.

ثم يمتنع الشيخ عن المقارنة بين تعليم أقلية الكاثوليك وبين تعليم أمة مصر المسلمة، ومخرجات كلٍّ فريق، ويترك ذلك للقُرَّاء. والحال ناطقة(١).

المسلك السابع: الدعوة إلى إنشاء مدارس إسلامية في البلاد غير المسلمة.

يناشد الشيخ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يبذلوا جهدهم في إيجاد مدارس لهم، تهتم بتربية أبنائهم تربية إسلامية، وأن يكون لهم أندية وجمعيات وصحف تكون الغاية منها حماية الآداب الإسلامية ، وتكوين الروح الإسلامية، وتوثيق الروابط بين المسلمين. وأنه يجب على المسلمين تفريغ أناس مختصين في الدراسة والبحث؛ ليكتشفوا الطريقة التي تجعل المسلمين يهتمون لأداء واجبهم نحو حياتهم الإسلامية، وبالذات الاهتمام بالتعليم والتخصُّص في حلِّ مشكلاته ومعرفة دخائله؛ وعلى المتخصِّصين في ذلك وقف حياتهم وأعمارهم لهذه المهمة التي ينقذ بسببها عقيدة وفكر ومجد ومستقبل وحياة الأجيال القادمة(٢).

المسلك الثامن: الدعوة إلى تشجيع المبدعين واكتشاف مواهبهم.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٨٢، ص: ٨،بعنوان: التعليم العام والنشء الكاثوليكي، القاهرة، الخميس ١٦ شعبان، سنة: ١٣٤٨هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٢٦٣، ص: ١، مقال بعنوان: تنظيم الحياة الإسلامية، القاهرة، الخميس ٢٩ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٠هـ.

استنهض الشيخ هِمَم المعلمين لاكتشاف معادن النفس في أبنائنا الطلاب، ومراقبة ما في نفوسهم من بذور المواهب، وإيقاظ مواهبهم وإنمائها بالمعارف اللازمة لها، وهذا ما يجب أن يدخل الطفل المدرسة من أجله، وهذا ما يجب أن يعمل الأستاذ من أجله، وهذا ما يجب أن تنشأ المدرسة من أجله، وهذا ما يجب أن يلاحَظ في وضع مناهج التربية والتعليم في المدرسة. ويؤكّد الشيخ على أنه لم تُصَب الأمة الإسلامية بداء السل الاجتماعي؛ إلاّ لأن غرض الآباء من دخول أبنائهم للمدرسة هو نيل الشهادة المناسبة التي تمكّن أبناءهم من الحصول على وظيفة من الحكومة، ولأن الأساتذة مقتنعون بأنّ واجبهم محصور في تلقين التلاميذ مواد الدراسة المقرَّرة في مناهج التعليم، أمّا اكتشاف معادن الخير في نفوس الناشئة، وتعليمهم طرق استثمارها، فقلّما وُجِد في رجال التعليم مَن يؤمن بأنّ ذلك أقدس واجباته نحو الجيل، إذْ لو كان ذلك حاصلاً، لكانت مدارس المسلمين حقلاً خصيبًا للنبوغ.

ثم يحذّر الشيخ الناشئة من الغرور الذي يُفسِد عليهم مواهبهم، ويُتلِف معادن نفوسهم، ويحوّلها إلى معادن شر على أمتهم(١).

المسلك التاسع: تحديد الأهداف التعليمية النافعة والمسارعة في تحقيقها.

يؤكّد الشيخ على أنّ الهجمة شرسة من الغرب على القِيَم والفضائل والأخلاق الإسلامية، وأنه تيار قوي عنيف، لابدَّ من مواجهته بجهود عاجلة سريعة أقوى منه، ولا يتسنَّى ذلك إلاّ بالجهاد من أبواب ثلاثة، والأبواب هي:

- الباب الأول: إنشاء المدارس وإدارتها من قِبَل خبراء حكماء مختصين، واسعي العلم بما تحتاج إليه الأمة في جيلها الآتي.
- الباب الثاني: أن يكون مع إنشاء المدارس الحرص على الفضائل الخلقية، والآداب الدينية، وعظيم التقدير لمفاخر تاريخنا الإسلامي.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٧٢، ص: ١، مقال بعنوان: معادن النفس، القاهرة، الخميس ٣ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٥٠هـ.

- الباب الثالث: إنشاء لو مدرسة واحدة تتميَّز بطابعها الإسلامي الخالص، بحيث تكون صالحة لتخريج جنود النهضة الإسلامية الذين يتسنَّى لهم تحقيق جميع مطالب الأمة، الأدبية والاقتصادية والاجتماعية، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ المجال متاح لعموم المسلمين، ويجب على كلِّ مسلم أن يهتم لأمر أمته، وأن يساهم في معالجة الخلل، ويطمع الشيخ لو في رجل واحد تحمله شجاعته على أن ينشئ مدرسة إسلامية، فإذا نجح هذا الرجل في جهاده ومهمته وظهرت ثمرات عمله للناس، حذا حذوه كلُّ مَن يجد في نفسه الكفاءة لذلك(١).

ثم يوجِّه الشيخ نداءه إلى الأمة الإسلامية جمعاء، ويستنهض هِمَمها، ويدعوها إلى اتخاذ القرار الحاسم لإصلاح التعليم، ليصلح بذلك حال الأمة وشبابها، فيقول: "يا معاشر المسلمين، يا أيها الملايين الكثيرة التي تتألَّف منها أمة محمد صلى الله عليه وسلم: إنَّ الحالة التي أنتم فيها اليوم حالة غير طبيعية، والاستمرار فيها جناية على الهداية المحمدية، وعلى الأوطان الإسلامية، وعلى الأجيال الآتية من أصلابكم، كلُّ شيء يجوز تأخيره، ما خلا شيئًا واحدًا وهو إعداد أبنائكم لمعترك الحياة إعدادًا مستكملاً وجوه الخير"(٢).

المسلك العاشر: نصائح تعليمية صادقة، للآباء، والمعلمين، والطلاب، وغيرهم. وفيه أربعة مسائل:

المسألة الأولى: نصحه للآباء.

وجّه أحد الآباء سؤالاً للشيخ مفاده أنَّ الأب يطمح في إلحاق ابنيْه بمدارس إسلامية صالحة في مصر، ولكنه لم يجد، فهل يجنِّبهم الالتحاق بهذه المدارس؟ ويتولَّى تعليمهم بنفسه؟ فأجاب الشيخ بأنه يوافقه في حكمه بذلك على مدارس مصر، ووجَّهه بأنَّ عليه مهمتيْن:

---

(١) انظر: المرجع السابق، العدد٤٠٣، ص ٣، مقال بعنوان: للوقوف في وجه التيار، القاهرة، الخميس ٣٠ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٣هـ.

(٢) "مجلة الفتح"، العدد ١٤٨، ص: ١، مقال بعنوان: كيف نعد جنود المستقبل، القاهرة، الخميس ٧ ذي الحجة، سنة:١٣٤٧هـ.

الأولى: الوقاية للابنيْن ممَّا يضرهما في خلقهما ودينهما ونزعتهما الإسلامية، وأنَّ أهم ما يُعين الوالد على ذلك تحرِّي البيئة الصالحة لهما بقدر الإمكان.

الثانية: انتهاز الفرصة للتعويض على الابنيْن في خارج المدرسة ما ينقصهما في داخلها، وذلك من معارف أدبية، ومعلومات تاريخية، ونصائح دينية، وأن يتوخَّى تحبيب الإسلام لهما، وبيان عظمة رجاله، وسمو مقاصده، وحكمة أحكامه، وما يجب على المسلم لتاريخه وملته، ولقد ضرب الشيخ المثل بتطبيق ذلك على ابنه قصي — رحمهما الله—، وأنه جنى بذلك نتائج طيبة من ابنه بفضل الله جلَّ جلاله، ثم بتطبيق هاتيْن المهمتيْن(١).

المسألة الثانية: نصحه للمعلمين.

أعلى الشيخ من شأن المعلم الذي يستشعر أمانته ومسؤوليته، فلقد قسّم الشيخ المعلمين إلى فريقيْن:

الفريق الأول: معلم آليّ، يؤدِّي عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين، فهذا تافه، يعيش على هامش الحياة، وهو أشبه بالأسطوانة التي تتحرَّك وهي لا تشعر بما تتحرَّك له.

الفريق الثاني: معلم صاحب رسالة في التعليم، يؤدِّي عمله من قلبه إلى قلوب المتعلمين، فهو صاحب رسالة، يؤدِّي لله—جلَّ جلاله واجبه نحوها في تكوين الجيل وإعداده للحياة، جعل من نفسه أبًا رحيمًا حكيمًا، ويستشعر بأنَّ تلاميذه أمانة الله بين يديْه، كأولاده الذين اختصه الله بهم، وائتمنه عليهم(٢).

المسألة الثالثة: من نصائحه للطلاب.

نصح الشيخ الطلاب، وذلك بأنه يجب على الطالب المسلم عمومًا، والمصري خصوصًا، أن يتيقَّن أنَّ الأمة تكمل مسيرة مهمة، بدأ بها أجدادنا الذين استطاعوا بأخلاقهم وبثرائهم الروحي النبيل أن تكون لهم العزة في عصورهم، وأننا سنسلِّم هذه الأمانة إلى أبنائنا؛ ليتم على أيديهم ما لم يساعدنا الوقت على إتمامه، ونصحهم بأنه لا بدَّ من أن يعلم

---

(١) انظر: المرجع السابق، العدد ٦٨٢، ص:١، مقال بعنوان: كيف أسلك بابني سبيل التعليم، القاهرة، الخميس ١٩ شوال، سنة: ١٣٥٨هـ.

(٢) انظر : "مجلة الأزهر"، الجزء السابع، المجلد السادس والعشرون، مقال بعنوان: رسالة المعلم.

كلٌّ طالب أنه واحد من أفراد قافلة كبرى أولها في أقصى أبعاد الماضي، وآخرها في آخر أدهار الأبدية، ومن الدناءة أن يتجرَّد الرجل الشريف من ماضيه فينكِره، أو ينسى آتيه فيهمِله[١].

المسألة الرابعة: نصحه العاملين في وزارة المعارف.

نصح الشيخ العاملين في وزارة المعارف المصرية أن يتفانوا في خدمة أبناء المسلمين، وأن يتحلُّوا بالعمل الدؤوب المتواصل، فلقد استنهض هِمَم قادة الرأي التعليميين في راحة عيد الفطر المبارك، بأن لا يتوقَّفوا عن العمل بالتفكير الجاد، وإعادة النظر إلى الشوط الذي قطعوه وراءهم، ويرسلوا البصر في الشوط الذي لا يزال ممتدًا أمامهم؛ ليعلموا نسبة ما طووا من طريقهم نحو المطمح، إلى ما يجب عليهم أن يطووه؛ ليبلغوا ما تحن إليه قلوبهم من جميل الأماني[٢].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧٦٣، ص: ٣، مقال بعنوان: الطالب المصري، القاهرة، الخميس، ٨ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٦٠هـ.

(٢) انظر: "المرجع السابق"، العدد ٦٢٩، ص: ١، مقال بعنوان: في عيد هذا العام، القاهرة، ٢ شوال، سنة: ١٣٥٧هـ

المبحث الثاني:

جهوده في خدمة قضايا الشباب المسلم

وفيه عشرة مطالب:

- **المطلب الأول: مشاركته في تأسيس جمعية الشبان المسلمين، وغيرها. وفيه مسألتان.**
- **المطلب الثاني: عنايته بتوجيه الشباب المسلم.**
- **المطلب الثالث: دعوته إلىاستثمار طاقات الشباب.**
- **المطلب الرابع: رصده لبعض الانحرافات عند الشباب، وعلاجه لها.**
- **المطلب الخامس: استغلال المراسلات، لإصلاح الشباب.**
- **المطلب السادس: بيانه دور شباب مصر في المحافظة على مكانة مصر الإسلامية والعربية.**
- **المطلب السابع: تشجيع وتحفيز الشباب المسلم.**
- **المطلب الثامن: بيانه واجبات الأمة الإسلامية تجاه الشباب.**
- **المطلب التاسع: متابعة نصح الشباب المسلم.**
- **المطلب العاشر: رؤيته في توجيه دور السينما بمصر لصالح الشباب المسلم.**

المطلب الأول:
مشاركته في تأسيس جمعية الشبان المسلمين، وغيرها. ويضم مسألتين.

المسألة الأولى: مشاركته في تأسيس جمعية الشبان المسلمين وغيرها.

أشاد الشيخ بتأسيس جمعية الشبان المسلمين[١]، وشارك في تأسيسها، وحثَّ الشباب المسلم على الالتحاق بها، وبغيرها من الأندية، والجمعيات الإسلامية، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ هذه الجمعيات قلاع حامية للهداية الإسلامية[٢]،ولقد أيَّد الشيخ فكرة تأسيس جمعية الشبان المسلمين في أنحاء العالم، واستبشر كثيرًا بانتشار فروعها، كما دعا إلى مزيد من الجهود، حتى تصل الفروع إلى جميع الأقطار الإسلامية[٣].

ثم ذكر الشيخ غايات هذه الجمعية، والتي تتمثَّل في النقاط التالية:

- حفظ رابطة الإسلام وأخوَّته بين المسلمين[٤].
- إصلاح حال الشباب الإسلامي رجالاً ونساء.
- تعليم اللغة العربية، والقراءة، والكتابة، لغير الناطقين بالعربية.
- تقديم المساعدات الخيرية لمن هو محتاج إليها من المسلمين؛ لئلاَّ يكونوا عالة على غيرهم[٥].

---

(١) سبق التعريف بها في التمهيد ص ٤٠.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٤٦، ص: ١، مقال بعنوان: قلاع فأين جنودها، القاهرة، الخميس ٢٢ ذي القعدة، سنة: ١٣٤٧هـ.

(٣) انظر: المرجع السابق، العدد ٢، ص: ١٥، مقال بعنوان: جمعية الشبان الإسلامية في نيويورك، القاهرة، الخميس ٦ ذي الحجة، سنة: ١٣٤٤هـ.

(٤) انظر: المرجع السابق، العدد ٢٥٦، ص: ١، مقال بعنوان: هذه الجمعيات الإسلامية، القاهرة، الخميس ٩صفر، سنة: ١٣٥٠هـ.

(٥) انظر: المرجع السابق، العدد ٢، ص: ١٥، مقال بعنوان: جمعية الشبان الإسلامية في نيويورك.

ثم يتساءل الشيخ عن مدى إدراك الشباب المسلم لهذه الغايات النبيلة؟ ويؤكّد أنهم إذا أدركوا أهميتها، فلن يتوانوا في التبرع بساعة واحدة—على الأقل من وقتهم يوميًا؛ وذلك لتنظيم العمل في هذه الجمعية، وتمهيد السبيل أمامها، وبالذات الشباب المتعلمين، من أصحاب العقيدة الإسلامية الصحيحة(١).

ثم دعا الشيخ الله جلَّ جلاله أن تكون هذه الجمعية قدوة لغيرها من الجماعات الإسلامية في جميع الأقطار، بحسن إدارتها، وبتحقيق غاياتها النبيلة(٢).

ولقد وجَّه الشيخ الشباب المسلم تجاه هذه الجمعيات بالتوجيهات الآتية:

- ألاَّ يقف الشباب المسلم مكتوف الأيدي تجاه ما يهدِّد الإسلام من أخطار.
- يجب أن يضحِّي الشباب المسلم ببعض وقته لإقامة الأندية الإسلامية، والمرابطة فيها؛ لأنها في حاجة إلى عقول تعمرها بالتنظيم والعمل.
- تأدية الواجب بين جدرانها في صمت ودأب، وبُعد عن الظهور.
- أنَّ العبرة ليست بتشييد الموقع والتباهي به، وإنما بعمارته بالجد، والاجتهاد، وتنظيم العمل، وبُعد النظر، وفهم الواقع، وحسن التعامل مع المستجدات والأخطار التي تهدِّد الإسلام والمسلمين.
- يجب أن يدرك الشباب المسلم العامل لدينه، بأنه هو الأمة، وأنه كلما كثر هذا الشباب زادت الأمة قيمة، وارتفعت منازل، وأنَّ أمة تنشد شبابها القيام بأعمالها فلا تجدهم، لهي أفقر الأمم، وأقلهن شأنًا، حتى ولو كانت من أكثر الشعوب عددًا(٣).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٥٦، ص: ١، مقال بعنوان: هذه الجمعيات الإسلامية.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٢، ص: ١٥، مقال بعنوان: جمعية الشبان الإسلامية في نيويورك.

(٣) انظر: المرجع السابق، العدد ١٤٦، ص: ١، مقال بعنوان: قلاع فأين جنودها.

المسألة الثانية: بيان أهمية إنشاء الجمعيات الشبابية في أرجاء المعمورة.

ذكر الشيخ أنَّ شباب مصر تعرَّض لهجمة شرسة على أخلاقه بعد الحرب العالمية الأولى[١]،ممَّا جعلتهم يهتمون بسفاسف الأمور، وباللهو، وباللعب، وعدم التفكير في مستقبل أمتهم ومصالحها، ويرى الشيخ أنَّ من أسباب استفحال هذا الأمر، هو اعتماد أكثرية الشعب المصري وبالذات شبابهم على الحكومة، والتقاعس عن العمل مع الدولة، وعدم حثِّها على اتِّخاذ الأساليب الناجحة لحمل حكومتهم على دفع هذه الهجمة وصدها، وكان الأولى بشباب مصر التكاتف، والتعاضد على إنشاء جماعات إسلامية متخصِّصة في صدِّ وردِّ هذا العدوان على الأخلاق والفضائل، مع الاهتمام بالتعاون مع الحكومة، والتمشِّي مع الأنظمة التي تكفُل لهم تحقيق غاياتهم، والتعاون مع الجمعيات الشبابية الأخرى في أرجاء المعمورة، وحث الشباب في كل مكان على العبرة بواقع شباب مصر، والبدء فورا في توفير ما يضمن لهم المحافظة على دينهم، وعلى ثقافتهم الإسلامية الأصيلة[٢].

---

(١) سبق التعريف بها ص ١٥.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٩٢، ص: ٣، مقال بعنوان: توجيه تطور مصر الاجتماعي، القاهرة، ١٧ المحرم، سنة: ١٣٥٥هـ.

المطلب الثاني:
عنايته بتوجيه الشباب المسلم

وجَّه الشيخ للشباب المسلم وصايا سديدة، من أهمها ما يلي:

- بيانه أنه يجب على الشباب المسلم أداء الواجب عليهم نحو دينهم، وأمتهم، ووطنهم، وقومهم، وذلك بمجاهدة النفس بحيث لا يكون لليأس وجود في قلوب هؤلاء الشباب، فإذا ما انتفى اليأس، حلَّت مكانه العزيمة والإصرار، فلابدَّ حينئذٍ أن تظهر نتائج العمل من وجوه لا حصر لها؛ كالتجارة، والتأليف، والوظيفة، وأي مجال آخر، يتحقق به الاكتفاء من الشباب المسلم عن غيره من الأجانب.
- تأكيده على ضرورة اعتزاز الشباب بدينه، يؤكِّد الشيخ على الشباب المسلم الاعتزاز بدينه، وببلده المسلم ومصالحه، ومن مظاهر الاعتزاز: أن يستغني عن الأجانب، وأن يحرص على ألاَّ يُدخِل إلى جوفه أيَّ شيء أجنبي، وألاَّ يلبس أيَّ شيء أجنبي، إلاَّ للضرورة التي لا غِنى عنها، وأن يحثَّ الشاب المسلم على ذلك كلَّ مَن له علاقة به.
- يرى أنه يجب على الشاب المسلم أن يكون صاحب غيرة وحمية على دينه ووطنه، وألاَّ يدع أيَّ مجال للانتقاص أو الحط أو الطعن، في دينه أو وطنه، وأن يردَّ وينافح، ويدفع الشر وينقض الأباطيل التي تروِّج لها الكتب والصحف، التي تنال من مكانة المسلمين وثوابتهم، وأن يعتبر أصحابها أعداء محاربين[1].
- بين ضرورة أن يكون الشاب المسلم على يقين من أن يكون وطنه وأمته وملته في مستوى أرقى من مستواهم الحاضر، وأنه لا يمكن أن يرقى مستوى الوطن والأمة وأهل الملة إلاَّ بارتقاء الوحدات، التي تتألَّف منها الأمة وأهل الملة، وما دام أنَّ

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٢٣، ص: ١، مقال بعنوان: إلى شباب العرب والإسلام، القاهرة، الخميس ٨ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٤٩هـ.

الشاب المسلم واحد من هذه الوحدات، فإنَّ عليه أن يكون راقيًا بمعارفه، ووسائل معيشته، وجميع تصرفاته، متباعدًا عن كلمة أنا.

- ضرورة حرص الشباب المسلم على حراسة وطنه، والعمل على تحريره واستقلاله، فكلُّ عمل يتولاَّه الشاب المسلم هو في حقيقته وسيلة من وسائل الخير لدينه ووطنه وبني ملته، وأنَّ هذا العمل جهاد في سبيل الله جلَّ جلاله، يُثَاب عليه ثواب الأبرار المجاهدين، والعاملين الصابرين، بشرط الإخلاص لله –جلَّ جلاله، والمتابعة لهدي رسوله عليه الصلاة والسلام(١).
- وجوب التلاحم والتعاضد بين شباب المسلمين، والتحذير من الآفات التي تقطع أوصال المسلمين، وتفرِّق كلمتهم، وتشتِّت شملهم، فقال: "أيُّها الشبان، كونوا مع الجماعة، واحذروا الفرقة، كونوا جنود الأخوة العامة، واحذروا الحزبيات الصغيرة، والوطنيات الضيقة النطاق"(٢)

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٢٣، ص: ١، مقال بعنوان: إلى شباب العرب والإسلام، القاهرة، الخميس ٨ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٤٩هـ.

(٢) المرجع السابق.

المطلب الثالث:
دعوته إلى استثمار طاقات الشباب

من جهود الشيخ في خدمة قضايا الشباب المسلم: حرصه على الاستثمار في شباب المسلمين، باكتشاف مواهبهم وتوظيفها، واغتنام ميولهم ورغباتهم والاستفادة منها، وينصح الشيخ الشباب الاهتمام بأنفسهم، ومراقبتها، واستغلال قدراتهم، وطاقاتهم، ومواهبهم، وتوظيفها حتى ولو لم يتوفَّر لهم مَن يقوم على ذلك، ويرى الشيخ أنَّ مجتمع شباب أمة الإسلام، مجتمع مصاب بداء السل الاجتماعي؛ وذلك لأنَّ القدرات التي أودعها الله جلَّ جلاله في الشباب المسلم، لم يُحسن استغلالها، لا من القائمين على التعليم، ولا من الشباب أنفسهم[١]، ويوصي الشيخ شباب الجامعة من مختلف التخصصات بالتآخي، والالتفاف على بعضهم، ويذكِّرهم برابطة الإسلام، وما يجب أن يكونوا عليه من الأخلاق الفاضلة، ووحدة الهدف وهو العمل على نصرة الإسلام والمسلمين، وأن يستفيد كلُّ صاحب تخصُّص من إخوانه أصحاب التخصُّصات الأخرى، ويذكرهم بأنَّ الإسلام خلق وسيرة، والدعوة إليه بالقدوة أبلغ من الدعوة إليه بالجدل والمناظرة، ويدعوهم إلى الحرص على الدعوة إلى سبيله وهدايته[٢].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٧٢، ص: ١، مقال بعنوان: معادن النفس، القاهرة، الخميس ٣ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٥٠هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٥٣٩، ص: ٣، مقال بعنوان: الوفاء للإسلام بين طلبة الجامعة المصرية، القاهرة، الخميس ٢١ ذي الحجة، سنة: ١٣٥٥هـ.

المطلب الرابع:
رصده لبعض الانحرافات عند الشباب، وعلاجه لها

اهتمَّ الشيخ بعلاج بعض المخالفات التي ظهرت على الشباب المسلم عامة، والمصري خاصة، وخصَّ منها مظهريْن:

المظهر الأول: التخنث والميوعة.

المظهر الثاني:محاصرة الفتيات وإقناعهن بالرذيلة.

ويتألَّم الشيخ لظهور هذيْن المظهريْن، ويؤكِّد على أضرارهما في نقطتيْن:

النقطة الأولى: أنَّ هذيْن المظهريْن لشباب مصر لا يؤهِّلان بلدهم للاستقلال، بل إنهما من أسباب الانسياق أمام الأمم الكافرة كالبهائم.

النقطة الثانية: أنَّ الشاب المسلم إذا استمر على هذه الرذائل، لم يعُد لـه أيُّ اهتمـام إلاَّ الحصول على شهوات نفسه ونزواتها، فيصير حينها حيًّا، ولكنه في عـداد الأموات، ويكون هادمًا لا بانيًا لمجد أمته ومستقبلها.

ثم وضع الشيخ الحلَّ المناسب للعلاج، وسأبرزه في نقاط:

- البدء فورًا بتوعية الشباب المسلم وتوجيههم لما فيه صلاح دينهم وأخلاقهم.
- العمل على تخليصهم من القدوات السيئة في نفوسهم، وإحلال القدوات الصـالحة بدلاً منها.
- اهتمام الوالديْن بتفعيل دور القدوات الصالحة في أنفسهم لأبنائهم.
- إصلاح منازل المسلمين، والعمل على وقايتها من أسباب غضب الله–جلَّ جلالـه وعقابه.
- تنشئة الصغار على تقوى الله واحترام الفضيلة والتحلِّي بالشهامة[1].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٧٢، ص: ١، مقال بعنوان: هل لك ابن .... هل لك بنت؟ .

المطلب الخامس:
استغلال المراسلات، لإصلاح الشباب.

كتب الشيخ رسالة لأهل العراق، خاصة الشباب، بمناسبة احتفالهم برفع وصاية الإنجليز عنهم، واعتراف الإنجليز لهم بقدرتهم على إدارة بلدهم، وذلك بعد سبعة أعوام من الاضطهاد والظلم والاستبداد، حيث قامت أثناء هذه الفترة ثورات متتالية مستميتة من أهل العراق، مطالبة بالاستقلال، فأذعن المستعمر الإنجليزي، وأعطى الفرصة لأهل العراق لمدة سبع سنوات لإدارة بلدهم والاستقلال، وإلاَّ سيعود لاستعمارهم، وفرض الهيمنة عليهم مرة أخرى، من هنا حرص الشيخ على تقديم الدعم لشباب العراق، وتوجيههم بهذه الرسالة التي تضمن لهم بإذن الله المحافظة على كتر الاستقلال، ولقد أجملتُ الرسالة وما تضمَّنته من توجيهات في النقاط التالية:

- لا بدَّ أن يكون الشاب العراقي جنديًا مستعدًا لحماية استقلال العراق، ولن يكون الشاب كذلك إلاَّ إذا أعرض عن النعومة والأنوثة والتخنُّث.
- الوعي والفهم لمعنى الحزبية، وأنه التكاتف والتعاون، لا التضاد والتصادم؛ وذلك لتحقيق مصلحة الحفاظ على الاستقلال.
- الفهم بأنَّ عمل الرجل العراقي لإنجاح أسرته العراقية، هو عمل ضمني لنجاح الوطن العراقي، وأنَّ العمل لإنجاح الوطن العراقي إنما هو عمل ضمني لإنجاح القومية العربية، وأنَّ العمل لإنجاح القومية العربية إنما هو حلقة من حلقات السعي لخدمة الرابطة الإسلامية، وتوثيق لعروة الإسلام التي لا انفصام لها[1].
- الحرص على التقليل من عدد القروش التي تخرج من ملكية العراقي المسلم، لتدخل في ملكية الإفرنجي الجشع الذي لا يشبع.

---

(١)انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣١٣، ص: ١، مقال بعنوان: كلمات في استقلال العراق، القاهرة، الخميس ٦ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٥١هـ.

- الحذر من الذهاب إلى أوروبا لتعلُّم الفلسفة، ولكن الحرص على الذهاب إليهم لتعلُّم صناعة النسيج، والسفن البخارية، والطائرات، وتعلُّم كيفية تنمية الثروة والقـــوة، وتعلُّم حسن الإدارة.
- الانصراف إلى حذق التجارة وإتقانها؛ وذلك من أجل الاستيلاء على أسواق العراق، فلا يتحكَّم فيها غير العراقيين.
- إنشاء المصانع داخل العراق للاستغناء عن صناعات الغربيين.
- الحذر من فهم الاستقلال بأنه جري الشبان وراء الشابات، واحتساء الويســـكي، والتعرِّي على ضفاف النهر والبحر.
- إصلاح مناهج التعليم على ما يوافق تحقيق معاني التجديد السابقة الذكر[١].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣١٣، ص: ١، مقال بعنوان: كلمات في استقلال العراق، القاهرة، الخميس ٦ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٥١هـــ.

المطلب السادس:
بيانه دور شباب مصر في المحافظة على مكانة مصر الإسلامية والعربية

أكَّد الشيخ بعد نجاح الثورة على الإنجليز على أنه آن الأوان لتصبح مصر قدوة للعالم العربي كله، في شتى المجالات، فهل تستطيع أن تحقِّق هذه القدوة في الخير فقط؟ يرى الشيخ أنَّ هذا ممكن، بل وأنه قد آن أوانه، ولكن هناك عائق من تحقيق ذلك، وهو الفساد الأخلاقي في الشباب، ولهذا الفساد مظاهر:

- الانصراف عن الجهاد بكلِّ معانيه؛ جهاد النفس، وجهاد القلم، وجهاد أعداء الله.
- هوان حرمة الأعراض، والانغماس في شهوة النساء، ومطاردة الفتيات.
- انحطاط قيمة الوقت، وامتلاء المقاهي بالشباب الذين يقتلون الأوقات.
- الانحلال من المبادئ والقِيَم، وذلك بشراء الصحف والمجلات التي تساعد على نشر الرذيلة.

ثم وجَّه الشيخ نداءه إلى أهل الدين، وحرَّاس الفضيلة من المسؤولين وأصحاب القرار،وحثَّهم على اتِّخاذ الأسباب التي تردع الشباب، وتردُّهم عن التخنُّث، وتحوِّلهم إلى طريق الجد؛ لتكون مصر قدوة للشرق العربي في نهضته وجهاده[1].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٨٥، ص: ١، مقال بعنوان: مصر في نهضتها، القاهرة، الخميس ١٥ ذي القعدة، سنة: ١٣٥٢هـ.

المطلب السابع:
تشجيع وتحفيز الشباب

أكبر الشيخ لشباب دمشق اتِّخاذ قرارهم بمقاطعة الدخان، وجعل ذلك مؤشِّرًا كبيرًا على علو الهمة، فلقد استغلَّ الشيخ هذا القرار، وجعله النواة الأولى لقوة الإرادة، والقدرة على التحرُّر من الاستعمار، وأنه تمرين على قوة الإرادة والعزيمة والاستعداد لمعالي الأمور، وأنَّ هذا القرار يدل على أنَّ شباب دمشق كغيرهم من شباب المسلمين يملكون قوة كبيرة، لا تؤثِّر فيها أيُّ قوة عالمية، وهي قوة امتلاك النفس وعلو الهمة، فلا تستطيع أيُّ قوة في الدنيا أن تحول بين شباب المسلمين وبين اتِّخاذ قرارهم بتطهير أنفسهم من رائحة الدخان الكريهة، وإذا كان المستعمر يمتلك احتكار تجارة الدخان، فإنَّ شباب دمشق خصوصًا، وشباب المسلمين عمومًا يملكون هِمَمهم، والحكم على أنفسهم، والحكم على شهواتهم، ويملكون قيمة المال الذي يمنعون أنفسهم من إهداره، ويصرفونه عن الدخول إلى خزانة المستعمر من أجل الحصول على داء الدخان(١)، ويؤكِّد الشيخ على أنه لابدَّ من الاقتران بين الهمة عند الشباب المسلم وكمال الإخلاص لله جلَّ جلاله في كلِّ أمورهم، فالنجاة من كيد الأعداء لا يكون إلاَّ بالعمل الخالص الذي لا يشوبه شائبة من شوائب إرادات النفس، ولابدَّ للشباب المسلم أن يدرك أنَّ عمله وهمته إمَّا أن تكون خالصة لله، وتستمد العون منه سبحانه، وإمَّا أن يكون عملاً لغير الله، والعمل لغير الله شرك، ودناءة في الهمة، ولن يبارك الله فيه(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٣٦، ص ٢، مقال بعنوان: مرحى دمشق، القاهرة، الخميس ٢ ذي الحجة، سنة: ١٣٥٣هـ.

(٢) انظر: "صلاح الأمة في علو الهمة"، د/ سيد بن حسين العفاني، ١: ١٠٨، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ للنشر.

المطلب الثامن:
بيانه واجبات الأمة الإسلامية تجاه الشباب

بيَّن الشيخ الواجبات على الأمة الإسلامية تجاه الشباب المسلم، وسأبيِّنها في نقاط:

- تثقيف جمهور الشباب المسلم تثقيفًا إسلاميًا يحبب إليهم الإسلام، ويؤصِّل حرمة أسلافه ورجاله في قلوبهم، والتوسُّع في هذا التثقيف في تعريفهم بأمجاد الإسلام، وتنشئتهم على أخلاق الإسلام، وما يدعو إليه من مروءة ونجدة وجهاد وعفة وتضحية[١].
- تقويم سلوك الشباب المسلم، وذلك بالاهتمام بتعديل السلوك في المدرسة أكثر من حشو عقول الشباب بالمعارف والعلوم؛ وذلك حتى يخرج لنا شباب مقتنع بأنَّ الأمراض الاجتماعية التي تعانيها الإنسانية لا تشفى إلاَّ بهداية الإسلام، والعمل بها ولها، ويأسف الشيخ لواقع المدارس الإسلامية التي كانت من أسباب إبعاد شباب المسلمين عن الدين، وأقنعتهم بطريق غير مباشر بأنَّ الدين كقيد الإجرام، أو كجدران السجن، أو كالأسمال البالية، ومن ثم صارت الفضيلة والعفة عندهم بمعنى البلاهة، والحرمان، وتقييد الحرية، ويأمل الشيخ بأن يتم تعميم مواد التربية الإسلامية على المدارس، مقرونة بالامتحان فيها؛ لأنَّ التربية الإسلامية هي السبيل الوحيد لإصلاح أحوال الشباب المسلم بإذن الله[٢].
- يجب على الأمة الإسلامية أن تكيِّف نفسها لترفع من مكانتها بين الأمم، خلقيًا، وعلميًا، واقتصاديًا، وأن تُثبِت للأمم جدارتها في المعارف الكونية، وأن تتحرَّر من أن تستمر في كونها عالة على الأمم؛ لأنَّ ذلك يعتبر عبودية لغيرها من الأمم،

---

(١) انظر "مجلة الفتح"، العدد ٤٨٨، ص: ٣، مقال بعنوان: أربعة عشر قرنا تناجي أمة العرب، القاهرة، ١٨ ذي الحجة، سنة: ١٣٥٤هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٣٨٨،ص: ١، مقال بعنوان: تعليم الدين للنشء الإسلامي، القاهرة، الخميس ٦ ذي الحجة، سنة: ١٣٥٢هـ.

وعبودية أمة الإسلام لغيرها من أمم الكفر هو في حقيقته فناء لأمة الإسلام، ويتأمَّل الشيخ في حال الشباب المسلم في أنحاء العالم الإسلامي، ثم يتساءل: كم من هؤلاء يصلح لحمل أعباء أمة الإسلام والنهوض بها؟ ويجيب الشيخ بأنهم لا يكادون يُذكَرون، وفي نظر الشيخ أن الأمم الكافرة لم تتقدَّم في شتى المجالات؛ لأنَّ المسألة ليست مسألة حظ، ولكنها مسألة عمل، وجد، وعزم، وإصرار، فحكومات الأمم الكافرة كوَّنت شبابها تكوينًا صالحًا لبلوغ المعالي، ولاحظت فيهم عوامل النجاح فدعمتها، وغرست في نفوسهم حب قوميتهم، والعمل على ارتقاء شأنها، ويأسف الشيخ على أنَّ شباب المسلمين لم يدركوا ما تريده أمتهم الإسلامية منهم، ولا حتى حكوماتهم لديها هذا التوجُّه بعد[١].

- أنَّ أخوف ما يخافه الشيخ هو أنَّ الأمة الإسلامية وبالذات مصر، لم ترسم خطة لتكوين الجيل الآتيفي آدابه الإسلامية، وفي معارفه، وشبَّه الشيخ التساهل في هذا الأمر بالحريق الذي سيحرق الأخضر واليابس؛ لأن شباب الأمة الإسلامية يعيشون حالة من زعزعة عقائدهم الدينية، وزلزلة أخلاقهم وفضائلهم، ولا سبيل إلى إصلاح هذا الوضع إلاَّ برسم خطة متكاملة؛ لحفظ ما تبقى في شباب المسلمين من الخير، وتحصين الشباب المسلم من الجيل القادم من الوقوع في ما وقع فيه أكثر الشباب المسلم اليوم، وعلى الوالديْن واجب عظيم ومهمة كبيرة للحفاظ على أبنائهم، بالحكمة، والسياسة اللَّيِّنة، والبصيرة النافذة[٢].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٥٧، ص: ١، مقال بعنوان: عواتق جديدة لأعباء جديدة، القاهرة، الخميس ٩ جمادى الأولى، سنة: ١٣٥٤هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٤٤٠، ص :٢، مقال بعنوان: آمال تبدد بنورها دياجير اليأس، القاهرة، ٨ المحرم، سنة: ١٣٤٥هـ.

المطلب التاسع:
متابعة نصح الشباب المسلم

ذكّر الشيخ الشباب المسلم بدعوته لهم منذ بضعة عشر عامًا، إلى التخصُّص في الميراث العظيم لأمة الإسلام، والعمل على تنظيمه، على النحو الذي يفعله المستشرقون والمستعربون، ولكن بنية غير نيتهم، فالمستشرقون يدرسون تاريخنا وعلومنا؛ ليستعينوا بها على استعمار أوطاننا، ونحن المسلمون نريد من شبابنا أن يدرسوا تاريخنا وعلومنا؛ ليصلوا آتينا بماضينا، ويتَّخذوا من قوة تاريخنا حصنًا يجمع شتات أمتنا الإسلامية ويحمي حماها، ويرى الشيخ أنه من العجيب أن لا يكون في أيدي شباب المسلمين كتبًا منيرة تنطق بحقائق الأمة الإسلامية وتاريخها الأغرِّ، وفضائلهم، ومثلهم، وحضارتهم، ورقيهم الذي لا تضاهيه أمم الكفر جمعاء، وإن حرص الشباب المسلم على التفرُّغ لجمع هذا التراث العظيم، وحفظه للأجيال القادمة، سيكون باعثًا لشباب الإسلام من الأجيال القادمة إلى التخلُّق بالفضائل، ودفعه إلى العزة والقوة والسؤدد[1].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٦١، ص: ١، مقال بعنوان: النهضة الإسلامية، القاهرة، الخميس ٧ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٥٤هـ.

المطلب العاشر:
رؤيته في توجيه دور السينما بمصر لصالح الشباب المسلم

ظهرت الدعوة في مصر لإنشاء دور للسينما؛ لتكون المرجع العربي في هذا الفن، وتمَّ الطلب من الحكومة رسميًا لتنفيذ هذا المشروع، وتَّمت أيضًا الدعوة لشباب مصر إلى دعمه لتحقيق أمنية شباب مصر في إنشاء هذا المشروع، وللشيخ رؤية خاصة، وهي أنَّ إنشاء هذه الدور يصلح أن يكون أداة للخير لشباب المسلمين، كما يصلح أن يكون أداة للشر، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ مصر والشرق العربي والعالم الإسلامي كله في حاجة ماسة إلى أن تُعرَض على أنظار شبابه المثل العليا في تأسيس البيوت الصالحة، وتوجيه عقول الشباب للنهوض بالوطن، ولابدَّ أن يعتمد معدو حلقات السينما على الهدف الأسمى، وهو نشر المبادئ الصالحة بدلاً من المتعة والإثارة[1].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٧٩، ص: ١، مقال بعنوان: تمصير السينما، القاهرة، ١٤شوال، سنة: ١٣٥٤هـ.

المبحث الثالث:
جهوده في خدمة قضايا المرأة

ويحتوي على ستة مطالب:

- **المطلب الأول: إدراك الشيخ واقع المرأة في عصره. ويضم ثلاثة مسالك**
- **المطلب الثاني: الاهتمام بإصلاح حال المرأة المسلمة. ويحوى ثلاثة مسالك.**
- **المطلب الثالث: تحذيره من مخالفات تقع فيها المرأة المسلمة. ويضم مسلكين.**

المطلب الرابع: رده على شبهات تتعلق بالمرأة المسلمة وحقوقها في الإسلام. ويضم مسلكين.

- **المطلب الخامس: الاهتمام بالزواج والعشرة والآداب. ويحوى ثلاثة مسالك.**
- **المطلب السادس:قضايا تتعلَّق بالزواج. ويشتمل على ثلاثة مسالك.**

المطلب الأول:

إدراك الشيخ واقع المرأة في عصره

ويضم ثلاثة مسالك.

المسلك الأول: المرأة في تركيا.

كان الشيخ متابعا بقوة لهذا الواقع، خاصة في تركيا، وسوريا، ومصر، نظرا لإقامته سنوات طويلة في هذه البلاد، ولأهميتها في الأمة كلها، وقد ركز على مخططات الأعداء في صرف الأمة عن دينها[١]، ولقد علَّق الشيخ على خبر أُذِيع، وهو إقدام نساء تركيا على الانتحار، ويرى الشيخ أنَّ السبب في إقدام نساء تركيا على الانتحار هو جهود حكومة مصطفى كمال أتاتورك[٢]في نقل نساء تركيا انتقالاً فجائيًا إلى حياة التحرُّر من الآداب والفضائل والمُثل، ممَّا سبَّب لهنَّ أوهامًا لم يكن لهن بها عهد، إضافةً إلى إحلال القنوط واليأس، محل الطمأنينة والرجاء في قلوب نساء تركيا؛ بسبب ما أحاط تلك القلوب الرقيقة اللطيفة من وسائل الإغراء، وأسباب الهوى، ودواعي التهتُّك، حتى فقدت تلك القلوب رقتها ولطفها، وزال منها صفاؤها واطمئنانها، ولقد تسبَّب مصطفى كمال أتاتورك في إلقاء نساء تركيا في بؤرة الشهوات، والشهوات لا تُنَال بالفقر وقلة المال، وبلاد مصطفى كمال أتاتورك مبتلاة بالفقر، ونساء تركيا فقيرات، فماذا تصنع الفتاة التي تريد أن تسهر الليالي في حفلات الرقص ولا تجد الحلي؟ والحلي لا بدَّ منها لفتاة تريد أن تظهر كالنجمة المتألقة في سماء تلك الحفلات؟ المسألة بسيطة، تبيع شيئًا تملكه، وهو عفافها، حتى إذا وقعت في هذا التنازع بين متطلبات النفس الشهوانية، وإشباع حاجيات الروح، و لم تستطع أن توفِّق بينهما، اختارت طريق الخلاص من هذا الضنك في الدنيا، و لم

---

(١)انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١١٥، ص: ١، مقال بعنوان: انتحار نساء تركيا، القاهرة، ١٣ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٧هـ.

(٢) سبقت ترجمته **ص ٤٠**.

تدرك أنَّ أمامها حياة باقية عند الله –جلَّ جلاله، لأنها صارت كما أراد لها مصطفى كمال أتاتورك[١].

ويريد الشيخ من التعليق على خبر انتحار بعض النساء التركيات، أن يقنع النساء في العالم الإسلامي عامة، وفي مصر خاصة، أنَّ في ابتعادهن عن الفضيلة كآبة، وضنك، وضيق صدر، لا تلبث المرأة المسلمة إلاَّ أن تختار طريق الخلاص من الحياة بالانتحار، والعياذ بالله، ولقد اختصر الشيخ الطريق للمرأة المسلمة بإيراد هذا الخبر، لتحذر من الوقوع في أسبابه.

المسلك الثاني: استهداف الأعداء المرأة المسلمة في مصر.

ذكر الشيخ أنَّ الأمة الإسلامية، وبالذات مصر، تواجه تيارًا مندفعًا شديدًا من طرق عدة، من طريق السينما، والصحافة، والتعليم، وغيرها، وأنَّ هذا التيار المندفع من عدة طرق يهدف إلى أمور؛ منها: تحرير المرأة، وتحريرها بمعنى دعوتها إلى السفور، ونبذ الحجاب، والتعرِّي، وإظهار المفاتن، ولقد صنَّف الشيخ الناس في المجتمعات الإسلامية في موقفهم من تيار دعوة المرأة إلى السفور إلى أصناف ثلاثة:

الصنف الأول: صنف يعمل على تشجيعه، والانتقال به إلى خطوات أوسع.

الصنف الثاني: صنف لا يدعم التيار، ولكنه لا يمسك نفسه عن الاندفاع فيه.

الصنف الثالث: صنف يتمنَّى عدم وجود هذا التيار، ولكنه لم يقُم بواجبه في إنكار المنكر.

ثم ينكِر الشيخ على ذوي الكلمة المسموعة صمتهم على الصحف، التي تتاجر بأجساد النساء وعوراتهن، وإبرازها على الصفحات، بحجة السباحة، أو الرياضة، أو التمثيل السينمائي، أو غيرها من الدعاوى، ثم يتساءل الشيخ في سبب صمتهم: هل لأنَّ المرأة المسلمة وبالذات المصرية وصلت إلى حالة من الهوان، بحيث لا تستحق أن يرفع أحد

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١١٥، ص: ١، مقال بعنوان: انتحار نساء تركيا، القاهرة، ١٣ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٧هـ.

من ذوي المكانة صوته باستنكار سفورها وتبرُّجها؟ ويرى الشيخ أنه من الأهمية بمكان تحرُّك أصحاب الكلمة المسموعة، وذوي النفوذ في الدولة، والذين يتمتَّعون بالغيرة على نساء المسلمين، أن يُشعِروا ولاة الأمر بإرادة الشعب في إلغاء هذا المنكر، وإذا لم يستطيعوا فعل ذلك، فإنه يجب على الشعب وهم السواد الأعظم أن تكون له كلمة، وأن يُشعِروا بطريقة أو بأخرى ولاة الأمر بعدم تقبُّلهم هذا الهزل، والعبث بحرمات الله جلَّ جلاله، لا سيَّما وأنَّ الأمر استفحل، وطار شراره، وتطوَّر خلال سنوات معدودة، وأنه إذا لم يتدارك الغيورون هذا الأمر، فإنَّ القادم أشنع وأفظع، لأنه قبل عشر سنين كانت المرأة تكشف وجهها، والآن صارت على شواطئ البحر لا تكاد ترى عليها شيئًا يسترها[1].

ويريد الشيخ من تصنيف الناس إلى ثلاثة أصناف في موقفهم من السفور، إلى تحميل المجتمع بأكمله المسؤولية في مكافحة داء التبرُّج والسفور، وأنه لا سبيل للخروج من هذه النازلة الأخلاقية إلاَّ بالتكاتف واستشعار المسئولية من الجميع.

المسلك الثالث: المرأة في سوريا.

نشر الشيخ خبرًا من سوريا، مفاده أنَّ أهل السفور في دمشق دفعوابزوجاتهم إلى أن يخرجن في مظاهرة، يطالبن فيها بتبرُّج المرأة السورية وسفورها، ولقد عزمن على عرض محاسنهن ومفاتنهن أثناء مسيرهن في المظاهرة، عندها نهض أهل المروءات من رجالات دمشق لمقاومة ذلك، واشترك في هذه المقاومة أهل الدين وأهل الوطنية معًا، وقد ذهب إلى ولاة الأمور وفد عظيم، أبلغ الحكومة بأنه يجب عليها أن تمنع المظاهرة السفورية، إذا كانت الحكومة ترغب في استقرار الأمن العام؛ لأن في البلد قوة هائلة متمثِّلة في القِيَم الإسلامية التي يعتزُّ بها أهل سوريا،وأنَّ هذه القوة ستقلب البلد عاليها سافلها، وعلى ذلك

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٠٩، ص: ٢، مقال بعنوان: مقاومة التيار من إحدى نواحيه، القاهرة، الخميس ١٣ جمادى الأولى، سنة: ١٣٥٣هـ.

صدرت الأوامر من الحكومة إلى جميع أقسام البوليس بمنع مَن يحاول هـذا الأمـر منعًـا باتًا[١].

ويهدف الشيخ من إيراد هذا الخبر، أن يُحذِّر الحكام والشعوب من الآثار المترتبـة على استقرار الأمن من إباحة البغاء، والتبرُّج والسفور، وأنَّ التمادِي في هـذا الجانـب ستكون له آثاره السلبية من الفوضى، وإثارة الفتن، والتصادم بين أبناء البلد الواحد والملة الواحدة، وأنَّ الأولى والأجدر بالجميع التمسُّك بشرع الله جلَّ جلاله.

(١) انظر: المرجع السابق، العدد ٦٤، ص: ٨، مقال بعنوان: ما وراء الأكمة، القاهرة، الخميس ٤ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٦هـ.

المطلب الثاني:

الاهتمام بإصلاح حال المرأة المسلمة

ويحوي ثلاثة مسالك.

المسلك الأول: التعريف بنساء العصر الفضليات.

اهتم الشيخ بالتعريف بامرأة فاضلة، خدمت الدين الإسلامي، وتمسكت بثوابتها الدينية، حتى في زيارتها لبلاد الغرب، وأدركت مكانتها في دينها، وأهمية عملها الدؤوب لخدمة الإسلام والمسلمين، وسخّرت منصبها وملكها في خدمة دينها والدعوة إليه، وذلك لغرس روح التنافس في نفوس نساء المسلمين، وبالذات الثريات منهن، ولقد عرَّف الشيخ بهذه المرأة، وأن لها مملكة يزيد عدد سكانها على المليون(١)، أقامت هذه الملكة في مملكتها التحكيم بشرع الله جلَّ جلاله، واهتمت اهتمامًا بالغًا بتعليم المرأة في مملكتها تعليمًا على نفقتها، يستهدف هذا التعليم أربع طبقات من النساء، ووفَّرت لكلٍّ طبقة ما يناسبها، ثم ذكر الشيخ زيارة هذه الملكة لبلاد الإنجليز بحجابها الكامل، ولَّما قُوبِلت من أحد المذيعين، سألها المذيع عن رأيها في المرأة الإنجليزية، فصرحت للمذيع بأنالمرأة الإنجليزية فقدت الكثير من طبيعتها الأنثوية، وتنكَّرت لأساس خلقتها في كونها جزءًا من الرجل، فإذا بها تحاول أن تتساوى معه في خصوصياته، وأيضًا لم يعجب هذه الملكة استرسال المرأة الإنجليزية في ما يُسمَّى بالحرية، وهو في حقيقته فوضوية، واستهتار، وعدم انضباط، وأنَّ من الواجب على المرأة الإنجليزية أن تكون لها روح أنثوية أشدّ وأكثر ممَّا هي عليه، وأن تُعنَى بعمل نافع،يصرفها عن قتل الوقت بالملاهي الحمقاء، وأن تحرص على إتقان صناعة أو حرفة تسدُّ بها حاجياتها المعيشية(٢).

---

(١) هي فاطمة بيكم محبوب عالم، ملكة مملكة بهوبال إحدى أهم المدن في بومباي في دولة الهند، وقفت حياتها على تثقيف المرأة المسلمة بالعمل الرسمي، وعلاوة على كونها ملكة إلا أنها تشرف بنفسها على إدارة التعليم النسائي في مملكتها، ولها جهود أدبية في مجلتها النسائية (خاتون)، انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥، ص: ١٥.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥، ص: ١٥، مقال بعنوان: ملكة بهوبال تتكلم عن المرأة الإنجليزية.

المسلك الثاني: وعظه للمرأة المسلمة.

يذكّر الشيخ نساء المسلمين بنداء الله لهن في كلّ يوم وليلة "حيٍّ على الفلاح"، فهذه عبارة لم يؤلّفها المؤذن، و لم يقلها باختياره، فهي كلمة يقولها المؤذّن في الظاهر، ولكنها في الحقيقة كلمة الإسلام يهتف بها على لسان بني الإسلام، بما فيهم نساء المسلمين، وأيُّ فلاحٍ هذا وأجساد نساء المسلمين في الشوارع شبه عارية؟ وروائح العطر تفوح منهن؟ وعلى أبواب المحلات التجارية شبَّان من شتى الملل يضاحكون هذه المسلمة، ويمازحون تلك؟ ثم يتساءل الشيخ: أما لهؤلاء النسوة أزواج وآباء وإخوة تأخذهم الغيرة على حماية محارمهم؟ ثم يستبعد الشيخ فكرة الاستقلال الذي تحلم به مصر، طالما أنَّ بعض الرجال فقدوا رجولتهم وبعض النساء فقدن أنوثتهن، إذ لابدَّ للاستقلال من رجال بمعنى الرجولة، ونساء يتحقق فيهن معنى الأنوثة، فإذا ما استقلَّ كلا الجنسيْن بوظيفته التي جبله الله عليها، وقام بدوره ومهمته في المجتمع، فلابدَّ عندئذٍ للاستقلال أن يتحقَّق بإذن الله جلَّ جلاله[1].

يهدف الشيخ من هذه الموعظة إلى إشعار المرأة المسلمة بمكانتها العالية في المجتمع، وأنَّ هذه المكانة تكريم من الله جلَّ جلاله لها، وأنه يجب على المرأة المسلمة أن تعرف دورها الحقيقي في المجتمع؛ حتى يتسنى لأمة الإسلام تحقيق أهدافها السامية بإذن الله جلَّ جلاله، وأنها شريك أساسي في النهضة والاستقلال والعزة وتحكيم منهج الله جلَّ جلاله في الأرض.

المسلك الثالث: بيانه ضرورة الحفاظ على الأعراض وصيانتها.

يؤكّد الشيخ على أنَّ المرأة أمانة الأسرة والملة والوطن عند أبيها وذويها، ثم هي أمانة النسب والفضيلة والهناء المترلي عند زوجها وأهله. وممَّا يُؤسَف له ما يتردَّد صداه في كلّ

---

(١) انظر: "المرجع السابق"، العدد ٤٥٣، ص: ١، مقال بعنوان: أين هو الفلاح الذي ننادي به من مآذننا؟ القاهرة، الخميس ١٠ ربيع الثاني، سنة: ١٣٥٤هـ.

يوم عن جرائم الشرف والعار من سفك الدماء والعنف بمَن سقطت في الخزي والعـــار، وكان الأولى بالرجل سواء أكان زوجًا أو أبًا أو أخًا من سفك الدماء والعنـــف، كـــان الأولى بهم حماية محارمهم وصيانتهن من الذئاب البشرية العابثة، ولو أنهم سهروا على عفة نسائهم فصانوها قبل أن تتلطَّخ، لما حصل في مجتمع مصر ما يحصل من قتـــل، وهـــروب للفتيات؛ خوفًا من المصير المحتوم الذي يخشينه، ويذكّر الشيخ الرجال بحمايـــة أعـــراض المسلمين، بعدم الوقوع فيها حتى يحمي الله أعراضهم من تدنيسها[1].

ويهدف الشيخ من الإهابة بحفظ الأعراض إلى تحميل مسؤولية حفظها على كلٍّ من المرأة بذاتها، والرجل الراعي لرعيته، والمجتمع بأسره، وذلك باستشعار مســـؤولية حفـــظ الأعراض من الجميع، كما أهاب بالرجال أن يأخذوا حذرهم، ويستعدوا للســـداد مـــن نسائهم وأعراضهم إذا وقعوا في أعراض المسلمين، وأنَّ الوقوع في الأعراض سبب لعـــدم الاستقرار، وانتشار الجرائم، وإراقة الدماء والعنف، كما أنَّ حفظها سبب لتحقيق الكرامة والرخاء ورغد العيش.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٨٠، ص:١، مقال بعنوان: جرائم الخزي، القاهرة، الخميس ١٣ شوال، سنة: ١٣٥٦هـــ.

المطلب الثالث:
تحذيره من مخالفات تقع فيها المرأة المسلمة
ويضم مسلكين.

المسلك الأول: إسراف المرأة المسلمة في شراء الكماليات.

انتقد الشيخ مبالغة المرأة المسلمة في شراء أدوات الزينة، والاهتمام بالملاهي والسهرات، والذهاب إلى مسارح التمثيل والسينما، ويرى الشيخ أنَّ هذه الأمور ليست من حقوق المرأة، ولكنها دعوة لها لتقصيرها في الحقوق التي عليها، من رعاية الأبناء وتربيتهم، والاهتمام بحاجيات زوجها وبيتها، وعدم تكليفه من النفقات ما لا يطيق واضطراره إلى الوقوع في الدَّيْن من أجل الحصول على الكماليات(١).

ولقد أورد الشيخ هذه المخالفة، وله في إيرادها أهداف، هي:

- صرف نظر المرأة المسلمة عن مظاهر المدنية الزائفة.
- تضييق الخناق على التجارة الغربية في بلاد المسلمين وعلى المروِّجين لها.
- تحقيق السعادة الأسرية والترابط الأسري بتوفير المال والاستغناء عن الناس.
- استقرار المرأة المسلمة في بيتها للقيام بمهامها التي كلَّفها الله جلَّ جلاله بها.

المسلك الثاني: رفضها تعدُّد الزوجات.

نشر الشيخ تقريرًا من الحكومة الألمانية، يفيد بزيادة عدد النساء إلى ستة ملايين على عدد الرجال، ولهذا السبب فقد سعى كثيرٌ من النساء في البلاد الأوروبية؛ ومنها ألمانيا، إلى المطالبة بإيجاد تشريع يُبيح تعدُّد الزوجات في أوروبا؛ لئلاَّ تبقى الملايين من النساء محرومات من الحياة العائلية(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٢، ص: ١٥، مقال بعنوان: المطالبة بحقوق النساء.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧١، ص: ٧، مقال بعنوان: زيادة عدد النساء ونتائجه الاجتماعية، القاهرة، الخميس ٢٣ جمادى الأولى، سنة: ١٣٤٦هـ.

ويهدف الشيخ من نشر هذا التقرير إلى إقناع المرأة المسلمة بما شرعه الله جلَّ جلاله وأحلَّه، وأنَّ في هذا الحكم الإلهي اختبارًا لامتثالها أمر الله من رفضه، ويريد الشيخ أن يقنع المرأة المسلمة بضرورة توسيع دائرة تفكيرها بالنظر إلى مصلحة المجتمع المسلم، وعدم النظر بأنانية إلى مصالحها الخاصة، وضرب لها المثل بدولة كافرة تطالب فيها نساؤها بإباحة تعدُّد الزوجات، وأنَّ الأولى بالمرأة المسلمة أن تمثِّل دور القدوة في الاعتزاز بتعاليم دينها، وبثِّها في المجتمعات الأخرى بكل فخر وصادق انتماء، مع تطبيقها على نفسها أولاً، وأن تقتنع أنَّ في حكم اللهجلَّ جلاله بإباحة تعدُّد الزوجات رحمة بها من القيام لوحدها برعاية الزوج كلَّ يوم.

المطلب الرابع:
رده على شبهات تتعلق بالمرأة المسلمة وحقوقها في الإسلام.
ويضم مسلكين.

المسلك الأول: تصديه للمطالبة بالمساواة التامة في كل شيء بين الرجل والمرأة.

بعد أن ظهرت الدعوة إلى المساواةالتامة بين المرأة والرجل، بيّن الشيخ الفوارق في الشريعة الإسلامية بين الرجال والنساء، والتي لا يمكن بحال من الأحوال المساواة بين الرجال والنساء فيها، وهي:

- أنَّ الذكر من الأبناء له من الميراث مثل ما لاثنتيْن من أخواته.
- أنَّ الشهادة إذا وُجِد لها اثنان من الرجال، كان الأكمل والأفضل، وإذا لم يوجد لها إلاَّ رجل واحد، فلا يقوم مقام الرجل الثاني إلاَّ امرأتان؛ وذلك لضعف ضبط المرأة، وكون الرجل أقوى عقلاً منها.
- يعتري المرأة من الأعذار الشرعية ما لا يعتري الرجل.
- أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يرسل رسولاً إلاَّ ذكرًا، ولم يرسل رسولاً من النساء.
- جواز لبس المرأة للمخيط أثناء الإحرام بالحج والعمرة، وتحريمه على الرجال.
- تحريم حلاقة المرأة رأسها في الحج والعمرة، وجواز الحلق للرجل.
- لا يجوز للمرأة أن تصوم صيام تنفل في حضور زوجها إلاَّ بإذنه، ولا يشرع استئذان الرجل لزوجته في الصوم[1].
- إعفاء الإسلام المرأة من القتال في سبيل الله جلَّ جلاله وفرضه على الرجال.
- تحريم إسبال الثياب على الرجال، ومشروعيته للمرأة؛ ليتحقَّق الستر لها.
- تحريم سفر المرأة بدون محرم، وجواز سفر الزوج لوحده.
- إذا أخطأ الإمام، فإنَّ الرجل يرفع صوته ويسبِّح، والمرأة لا ترفع صوتها، وإنما تصفِّق.

---

(١)انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٩، ص: ٥، مقال بعنوان: بعض الفوارق الإسلامية بين الرجال والنساء، القاهرة، الخميس ١٤ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٥هـ.

- أنَّ المرأة ممنوعة من الأذان، وخطبة الجمعة، وإمامة الرجال، وجواز ذلك للرجال.
- أنَّ خير صفوف الرجال أولها، وخير صفوف النساء آخرها؛ ليتحقَّق المقصد من ستر النساء وعدم اختلاطهن بالرجال.
- أنَّ صلاة المرأة في بيتها أفضل، وصلاة الرجل في المسجد أفضل.
- وجوب صلاة الجمعة على الرجال، وإسقاط هذا الواجب عن النساء.
- أنَّ المهر والقوامة والطلاق بيد الزوج، وليس بيد المرأة.
- جواز التعدُّد للرجل، وأن يجمع في وقت واحد بين أربعة نسوة، ولا يجوز للمرأة إلاَّ زوج واحد ما دامت على ذمته(١).

هذه هي الفروق الشرعية التي ذكرها الشيخ بين الرجال والنساء، ويؤكِّد على أنه لا يمكن لعاقل أن ينكرها، أو يدَّعي بطلانها؛ لأنه إذا ادَّعى ذلك، فقد عارض نصوص الكتاب والسنة، ويصبح بذلك رافضًا لأمر الله، يتخبَّط في ظلمات الهوى، والنفس الأمارة بالسوء، ومغالطًا للحقيقة الواضحة الجلية، ومحاولاً تغيير سنة الله جلَّ جلاله وحكمه، وقضائه وقدره.

المسلك الثاني: شبهة تقليل الإسلام قدر المرأة، بجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل.

كتب الشيخ بحثًا مدعمًا بالأدلة النقلية والعقلية، ونتائج الدراسات العلمية، في سبب جعل شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل، وبيَّن الشيخ أنَّ سبب ذلك هو قوة عواطف المرأة ومشاعرها أعظم من قوتها العقلية، وأنَّ ذلك من حكمة الله جلَّ جلاله، وأنه لا يُنقِص من قدر المرأة، أو يحطُّ من كرامتها(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٩، ص: ٥، مقال بعنوان: بعض الفوارق الإسلامية بين الرجال والنساء، القاهرة، الخميس ١٤ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٥هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٦٦، ص:١٠، بحث بعنوان: نفسية المرأة، القاهرة، الخميس ١٨ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٦هـ.

ويريد الشيخ أن يبيِّن أنَّ في ذلك مدحًا للمرأة بأنها عطوف على زوجها وأبنائـــه، وأنَّ جُلَّ اهتمامها هو رعايتها في بيت زوجها، وتربية أبنائه، ولولا العاطفة لما قدرت على ذلك، وأنَّ هذه المهمة السامية أشغلت تفكيرها عن كلِّ مهمة أخرى، وأنَّ الإسلام كرَّمها بقبول نصف شهادتها، و لم يهمّش دورها في المجتمع، فجعلها عضوًا فاعلاً حتى في إحقاق الحق وإرساء العدل، فقبول نصف شهادتها ليس إنقاصًا من قدرها، وإنما هو تكليف لها.

المطلب الخامس:
الاهتمام بالزواج والعشرة والآداب

ويحوى ثلاثة مسالك:

المسلك الأول: بيانه صفات الزوجة المسلمة.

بيَّن الشيخ صفات المرأة التي يتوخَّى الإنسان توفرها عند زواجه منها، وأنَّ أهمها الدين، فإذا توفَّر الدين، توفَّرت باقي المقاصد من الجمال، والمال، والحسب، والنسب، وإذا توفَّر الدين في المرأة، فإنَّ دينها سيحملها بلا شكٍّ على مراعاة ما ينبغي للرجل، وسيحثُّها دينها على إسعاد زوجها في أمر دينه ودنياه، وستكون عونًا له على معالي الأمور، وعلى خدمة دينه ووطنه، وعلى تربية أبنائه تربية صالحة(١).

المسلك الثاني: توجيهه إلى مراعاة آداب العشرة بين الزوجيْن.

بيَّن الشيخ الأسباب التي يتحقَّق بها حسن المعاشرة بين الزوجيْن، وذكر ما يجب على الزوج تجاه زوجته، واختار الشيخ ما يجب على الزوج؛ لأن الزوج هو أساس الإصلاح، وصاحب القوامة، وسأعرض هذه الآداب في نقاط:

- تليين الزوج الجانب للزوجة وتعمُّد القول الحسن.
- ألاَّ يحمّل زوجته من أعمال المترل ما لا تطيق، وأن يكون عونا لها.
- أن يكون الزوج مبسوط اليد جوادًا كريمًا؛ لأنَّ خلق البخل من أسوأ الأخلاق التي تمقتها الزوجة.
- أن يراقب الزوج زوجته في دينها، وأن يحبِّب إليها الطاعة ويأمرها بالمعروف(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٧، ص: ٧، مقال بعنوان: الزواج ومقاصده وبمن يتوخى الإنسان زواجها، القاهرة، الخميس ٢٩ ربيع الأول، سنة: ١٣٤٥هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٢٢، ص: ١١، مقال بعنوان: كيف يعاشر الرجل زوجته ليعيشا في صفاء، القاهرة، الخميس ٦ جمادى الأولى، سنة: ١٣٤٥هـ.

- أن يعلِّمها من دينها ما يجب عليها من أحكام؛ كالصلاة والحيض والنفاس وغيرها من أمور الدين.
- أن يعلِّمها ويعوِّدها على إجابة طلبه إذا دعاها إلى فراشه.
- تعويدها على القناعة في ما يأتي به الزوج من حاجيات المترل كالطعام وغيره.
- أن يتجنَّب الزوج ضرب زوجته، وأن يعوِّد نفسه على التفاهم والصبر والحلم وأن يتذكَّر أن الضرب له أحكام في كتاب الله عزَّ وجلَّ.
- ألاَّ يسمح الزوج بدخول الأجنبي على زوجته مهما كانت الأسباب(١).
- ألاَّ يتساهل في الإذن لها بالخروج من المترل كلما شاءت، وأن يحرص ألاَّ يكون خروجها إلاَّ لضرورة.
- أن يستقيم الزوج في سيره ويعتدل في طريقه، وأن يحفظ نفسه من الوقوع في شباك النساء المحرَّمات عليه.
- أن يكون الزوج وسطًا في غيرته، بلا إفراط ولا تفريط.

ويؤكِّد الشيخ على أنَّ هذه الأخلاق إذا طبَّقها الأزواج مع زوجاتهم، كفيلة بإذن الله—جلَّ جلاله لجعل بيوت المسلمين ترفرف عليها أجنحة السعادة(٢).

المسلك الثالث: آداب يجب على المرأة المسلمة التمسُّك بها.

وجَّه الشيخ المرأة المسلمة إلى بعض الآداب والتوجيهات، التي تحفظ بها كرامتها وعرضها، وسأجملها في نقاط:

- أنَّ الأصل في المرأة أن تلزم بيتها، وألاَّ تخرج منه إلاَّ للضرورة.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٤، ص: ٣، مقال بعنوان: كيف يعاشر الرجل زوجته ٢، القاهرة، الخميس ٢٠ جمادى الأولى، سنة: ١٣٤٥هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٢٥، ص: ٣، مقال بعنوان: كيف يعاشر الرجل زوجته ٣، القاهرة، الخميس ٢٧ جمادى الأولى، سنة: ١٣٤٥هـ.

- أنَّ المرأة إذا خرجت وأرادت الدخول في بيت آخر، فإنه يجب عليها الاستئذان قبل الدخول، وهذا الحكم للرجال وللنساء على حدٍّ سواء.
- أنه يجب على المرأة إذا طرق أحد عليها الباب أن تجيبه بأسلوب لا خضوع فيه، وأن تحتجب عن الرجل بحيث لا يراها.
- أن تستأذن زوجها قبل خروجها من المنزل.
- ألاَّ تلبس عند إرادة الخروج من المنزل ثيابًا تلفت الأنظار.
- أن تضع على وجهها نقابا يحجب بشرتها عن أن يراها أحد، بُعدًا عن أسباب الفتنة.
- أن تتلفلف بملاءة، بحيث لا يظهر منها من رأسها إلى قدمها إلاَّ عين واحدة ترى بها الطريق.
- ألاَّ تمس طيبًا.
- أن تحرص على وجود محرم يصحبها حيث شاءت.
- غضّ بصرها عن الرجال، وأن تتجنَّب أواسط الطريق وتلزم حافتها قدر استطاعتها[1].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٠، ص: ٣، مقال بعنوان: حجاب المرأة بقسميه: الحقيقي وما يقوم مقامه، القاهرة، الخميس ٢١ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٥هـ.

المطلب السادس:
قضايا تتعلَّق بالزواج
ويشتمل على ثلاثة مسالك.

المسلك الأول: تحذيره منالزواج من الأجنبيات، بلا ضوابط شرعية.

حذّر الشيخ شباب مصر من الزواج من الأجنبيات[١]،ورأى أنَّ الزواج من الأجنبيات مرض من الأمراض الاجتماعية في مصر، وفي غيرها من البلاد الإسلامية، ويجب مكافحته والقضاء عليه، وذلك للأسباب التالية:

- لأنَّ الأجنبية – في الغالب – لديها عنصرية وقومية غير إسلامية، فعندما تتزوَّج بالعربي أو المسلم، فإنها ترى في نفسها أنها اختارت جانب التضحية في زواجها يوم رضيت بهذا الزوج، فتحتقر زوجها وتزدريه، وتنغِّص عليه عيشه، وتعتبر هذا التنغيص ثمنًا لتضحيتها.
- إذا سلم الزوج من التنغيص، لن يسلم من اختلاف العادات والتقاليد، والتباين المستمر بينه وبين زوجته، وبينه وبين أهلها.
- الضرر القومي الذي ينشأ من زواج المسلم بالأجنبية.
- حرص الاستعمار على التحكُّم في بلاد المسلمين، والدخول إلى قلوبهم بتسهيل هذا الزواج.
- أن هذا الزواج يساعد على أن يكون في صميم بيئتنا وفي بيوتنا مَن يربي أبناءنا على ما يساعد استعمار ديار المسلمين وقلوبهم[٢].
- يولِّد عند المسلمين مجاملة هذا الاستعمار، وتجاهل ضرره، ثم يستشهد الشيخ بإقرار دولة ألمانيا قانونًا بمنع زواج الألماني من غير الألمانية، بالذات الوزراء، وضباط

---

(١) يقصد الشيخ محب الدين بالأجنبيات: الأجنبيات في الدين، والأجنبيات في العروبة.

(٢)انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢، ص: ٦، مقال بعنوان: الزواج من الأجنبيات من أمراضنا الاجتماعية.

الجيش، والموظفين في وظائف للدولة، والإقالة فورًا لَمن يقوم بذلك، ولقد تَّمتطبيق هذا القانون في دولة تركيا أيضًا، و لم تُشرّع هاتان الدولتان هذا النظام إلاَّ بعد دراسة وتمحيص، ودراسة لأضراره على المدى الطويل[١].

المسلك الثاني: مكافحة البغاء، بكل صوره.

أشاد الشيخ بجهود فضيلة الشيخ محمود أبو العيون[٢]في مطالبته بإلغاء قانون البغاء في مصر، وذلك بمناصحة ولاة الأمر، وإرساله لهم تقريرًا عن أضرار الزنا، يناشدهم فيه بحرمة الدين والوطن أن يعملوا على إلغاء البغاء الرسمي في بلدهم الإسلامي بلد مصر. وكان من حرص الشيخ على تنفيذ طلب إلغاء الزنا نشره لنص التقرير كاملاً، مع الإشادة بجهود فضيلة الشيخ محمود أبو العيون. ولقد دعا الشيخ محبُّ الدين العلماء والغيورين إلى الاقتداء بهذا الرجل وعدم احتقار أنفسهم، وأن يجتهدوا في إيصال النصيحة إلى مَن ولاَّه الله أمرهم[٣].

ولَّما ظهرت الدعوة في مصر إلى السماح للبغاء رسميًا وتنظيميًا، مع مراعاة الجوانب الصحية في هذا التنظيم، كان من وجهة نظر أصحاب الدعوة لهذا الداء الفظيع، أنَّ البغاء موجود، ولا يمكن إنكاره، فالأولى تنظيمه حفاظًا على صحة المجتمع، وأنَّ البغاء شر لابدَّ منه، وقد قارعهم الشيخ، وردَّ باطلهم، وذلك بنشره في مجلة الفتح ملخَّصًا للتقرير الصادر من جمعية الأمم المتحدة المتضمّن مقاومة البغاء، والعمل على

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢، ص: ٦، مقال بعنوان: الزواج من الأجنبيات من أمراضنا الاجتماعية.

(٢) محمود أبو العيون: فاضل، أزهري، مصري، ولد في دشلوط، من قرى ديروط، بأسيوط، سنة: ١٣٠٠هـ: ١٨٨٢م، اشتهر بكتاباته الكثيرة في محاربة التهتك والبغاء، ومنح شهادة العالمية من الأزهر، سنة: ١٣٢٦هـ، وعين مدرسا فيه، فمفتشا، فشيخا لمعهد أسيوط، فمعهد الزقازيق، فمعهد الإسكندرية، ثم كان سكرتيرا عاما للأزهر، والمعاهد الدينية الإسلامية إلى أن توفي، وكان من خطباء الحركة الوطنية وكتابها سنة: ١٩١٩م، له مؤلفات، منها: تاريخ العرب، توفي سنة: ١٣٧١هـ: ١٩٥١م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٧: ١٧٩. وانظر: "معجم المؤلفين"، عمر رضا كحالة، ١٢: ١٨٨.

(٣) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢، ص: ٥، مقال بعنوان: تقرير المطالبة بإلغاء البغاء الرسمي في مصر.

مكافحته، وقد زوَّد الحكومة المصرية بهذا التقرير سفيرها في لندن، على أمل أن تنتفع به الحكومة المصرية في مقاومة البغاء، وأن تدرك أنها أولى من غيرها من الدول الكافرة في محاربة الزنا، وأن لا تكون الحكومة المصرية واسطة في تسهيل أسبابه بقدر استطاعتها، وفي ما يلي لمحات عن هذا التقرير[1]:

أنشأت جمعية الأمم المتحدة سنة: ١٩٢٣م لجنة فنية لدرس مرض الزنا الرسمي في الممالك الغربية، تنفيذًا لاقتراح اقترحه عليها مندوب أمريكا بدراسة هذا الداء، وبعد اشتغال اللجنة ثلاث سنين، أصدرت تقريرها الذي افتُتح بذكر إجمال تاريخي للحسِّ الإنساني النبيل، حيث استنهض أهل الفضيلة في أوروبا، فحملهم هذا الحسُّ على مكافحة هذه الرذيلة الشائنة الفاتكة بالصحة والأخلاق معًا، وتضمَّن التقرير أيضًا الجهود التي بذلها محاربو البغاء في أطراف الأرض، لتخليص الإنسانية منه، ولو بالتدريج، وإنَّ من أقدم ما عمله الغربيون للخلاص من تجارة الزنا في بلادهم، أنهم عقدوا مؤتمرًا في باريس لهذا الغرض سنة: ١٩٠٢م، وفي سنة: ١٩١٠م أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية قانونًا يعدُّ خطوة في هذا السبيل، وفي سنة: ١٩٢٣م كانت أمريكا سببًا لاشتغال جمعية الأمم بهذا العمل النافع، وفيما يلي العناوين الرئيسية التي تناولها هذا التقرير:

- تعريف البغاء وحالته الحاضرة.
- مقدار اتِّساع هذه التجارة القذرة.
- نشاط تجار الأعراض في الحصول على البنات القاصرات وإغرائهن بالفحش المحمي بالقوانين.
- ما يحصل عليه تجار البغاء من كميات النساء.
- تصنيف المتَّجرين بأعراض النساء وتقسيمهم إلى أقسام متنوِّعة.

---

(١)انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٢، ص: ١٤، مقال بعنوان: مسألة البغاء تدرسها جمعية الأمم وتبدي رأيها فيها، القاهرة، الخميس ٨ المحرم، سنة: ١٣٤٦هـ.

- مصادر هذه التجارة ومواردها وطرق نقل النساء ونظام توريدهن.
- الوسائل التي تتَّخذها الإنسانية الضعيفة لمحاربة هذه التجارة الفظيعة لمحاربة هذه التجارة الفظيعة.
- اشمئزاز الرأي العام الإنساني من هذه التجارة.
- النظر إلى هذا الداء على أنه وباء من الأوبئة التي يجب على الإنسانية المبادرة إلى مداواتها لمنع فتكها.
- نتائج البحث الذي قامت به لجنة جمعية الأمم وما توصي به في هذا السبيل، وقد حثَّت جمعية الأمم في تقريرها هذا جميع أمم الأرض وحكوماتها على التضامن في محاربة هذا المرض، ومن رأيها أنَّ هذا التضامن واجب جدًّا على الأفراد والجماعات، وأنَّ من الإجرام الذي يستحق اللعنة محاولة الدفاع عن هذا المرض(١).

ويهدف الشيخ من خلال نشر تقرير الأمم المتحدة، إلى ترسيخ المفهوم عند المسلمين بأنَّ هذا التقرير صادر من الأمم المتحدة التي لا تدين بدين الإسلام، والتي كانت سببًا في تسهيل أمر الزنا وسن أنظمته، ولكنها اضطرت إلى العودة إلى الفطرة بسبب ما عانته من تجربة إباحته، لذلك فإنه يجب على المسلمين أن يتمسَّكوا بدينهم، ويعتزوا بتطبيق تعاليمه، وأن يعتبروا بتراجع مَن سبقهم في هذه التجربة.

المسلك الثالث: محاربته لظاهرة العزوف عن الزواج.

نشر الشيخ نتائج مناظرة أُقِيمت بين فريق من الرجال وفريق من النساء في مصر، بعنوان: أسباب أزمة العزوف عن الزواج، وهل تقع تبعاتها على الرجال أم النساء؟ وبعد الانتهاء من المناظرة، تمَّ الاتفاق بين الفريقيْن على النقاط التالية:

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٢، ص: ١٤، مقال بعنوان: مسألة البغاء تدرسها جمعية الأمم وتبدي رأيها فيها، القاهرة، الخميس ٨ المحرم، سنة: ١٣٤٦هـ.

- أنَّ الحالة التي صارت إليها المرأة حالة قبيحة منكرة، نُسبت إلى الترقِّي والنـــهوض والحرية نسبة ظهر كذبها للجميع.
- أنَّ ما وصلت إليه المرأة في مصر من التحرُّر سهَّل الوصول إليها بالحرام، وأنَّ ذلك كان سببًا في سوء ظن الفتيان بعفاف الفتيات، إضافةً إلى أنَّ سهولة الاتصال بهـــن صرف الفتيان عن الاهتمام برباط الزوجية، وتأسيس البيـــوت، وإنشـــاء الأُســـر، واكتفى الشاب والفتاة بإشباع رغباتهم عن طريق الحرام.
- تخلِّي الرجال عن مسؤوليتهم في حماية محارمهم، وتردِّي بعضهم في الرذيلة، ممَّا كان له سبب في غضِّ الطرف عن بعض السلوكيات المحرمة من محارمهم(١).

ويهدف الشيخ من نشر نتائج هذه المناظرة إلى ترغيب الناس في التمسُّك بتعـــاليم دينهم، وتمييز المنكر، ولو ادعى الداعون إليه أنه رقي وتقدُّم، كما يهـــدف الشـــيخ إلى الترغيب في الزواج والتحبيب فيه، ومحاربة الزنا والتزهيد فيه.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٤٦، ص: ١، مقال بعنوان: إجماع، القاهرة، ١١ صفر، سنة: ١٣٥٦هـــ.

المبحث الرابع:

جهـــوده في الترجمـــة

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: ترجمة بحث لمستشرق، كشفا لخطط التنصير والاحتلال.**
- **المطلب الثاني: ترجمة مذكرات امبراطور ألمانيا، تحتوى على شؤون سياسية تهم الأمة.**
- **المطلب الثالث: ترجمة مذكرة تاريخية بعنوان: أسباب هزيمة الجيش العثماني والأرنؤوط.**
- **المطلب الرابع: ترجمة المقالات والروايات المتعلقة بأحوال الأمة. ويحتوى على مسلكين.**

المطلب الأول:
ترجمة بحث لمستشرق، كشفا لخطط التنصير والاحتلال

ترجم الشيخ بالتعاون مع مساعد اليافي[١] بحثًا باللغة الفرنسية، بعنوان: (الغارة على العالم الإسلامي) أو (فتح العالم الإسلامي) لأحد كبار المستشرقين، وهو:لوشاتليه[٢]، وهذا البحث تبشيري، يدور حول ما تقوم به إرساليات التبشير البروتستانتية في العالم الإسلامي، وما قِيل في المؤتمرات التي عقدتها تلك الإرساليات في أوقات مختلفة، وبفضل اللهجلَّ جلاله انتشرت هذه المقالات في مصر، وفي العالم الإسلامي، واهتمت به العديد من الصحف والمجلات على مستوى العالم،وكان لها وقع عظيم جدًا، وبعثت اليقظة في كثيرٍ من الناس، ولقد ضاق صدر الكُتَّاب المستشرقين، وصدر أمثالهم من أنصار التبشير والاستعمار من ذيوع هذه المقالات بين المسلمين؛ لأنهم يودَّون أن يقوم التبشير بأعماله والمسلمون نيام[٣]. وبعد

---

(١) مساعد اليافي: هو مساعد بن مصطفى بن محمد أبي النصر بن عمر العبدلي الحسيني اليافي، ولد في طرابلس الشام، سنة: ١٣٠٣هـ: ١٨٨٦م، وهو من المشاركين في حركة اليقظة العربية الحديثة، انتقل إلى مصر، فعمل في دار (المنار)، وعين بوظيفة مالية في حكومة السودان سنة: ١٩١٠م، وعاد إلى القاهرة، فتولى الترجمة في جريدة (المؤيد) مدة عامين، وترجم عن الفرنسية كتاب (الغارة على العالم الإسلامي) ودعي في أواخر الحرب العامة الأولى إلى مكة، فسمي وكيلا للخارجية بقصر الملك الحسين، ثم عاد إلى مصر، وعمل في التجارة، فضاع ماله، وسافر إلى أميركا الجنوبية سنة: ١٩٢١م فذكر في رسالة خاصة بعث بها سنة: ١٩٢٣م أنه قام بسياحة في أنحاء البرازيل، ووضع كتابا عنها تُرجم إلى لغة تلك البلاد، وكان يجيد الفرنسية، ويحسن الإنكليزية والإيطالية، وتوفر في المهجر الأميركي على دراسة العبرية، فنشر أبحاثا فضح بها بعض أسرار الصهيونية، وبينما هو عائد إلى منزله في مدينة (تيوفيدوأوتوني) من مقاطعة (ميناس) ليلا، طعنه آثم من عمال الصهيونية، بخنجر في صدره، ووجد في الصباح مضرجا بدمه أمام داره، وكان ذلك سنة: ١٣٦٣هـ: ١٩٤٣م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٧: ٢١٣. وانظر: "معجم المؤلفين"، عمر رضا كحالة، ١٢: ٢٢٣.

(٢) مسيو شاتليه: هو مستشرق فرنسي، ولد سنة: ١٨٥٥م، وهو أول من أشرف على مجلة العالم الإسلامي، عني بالأوضاع الاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي، واهتم بالإسلام في إفريقية الغربية والمغرب، مات سنة: ١٩٢٩م. انظر: "موسوعة المستشرقين"، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ٥١٧، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م.

(٣)"الغارة على العالم الإسلامي"، مسيوشاتليه، لخصها ونقلها إلى اللغة العربية مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط ١، القاهرة: ١٣٥٠هـ، ط ٢، جدة: ١٣٨٧هـ.

أنْ اهتمَّ الشيخ بترجمة هذا البحث ونشره على شكل مقالات، وبعد أن لاقت هذه المقالات قبولاً في الأقطار الإسلامية، جمع الشيخ هذه المقالات في كتاب واحد، وقام بطبعه في المطبعة السلفية ومكتبتها في القاهرة.

وسأوجز أهم القضايا التي احتواها هذا الكتاب في نقاط:

- مقدمة الناشر، والطبعة الأولى، ومقدمة المؤلف: مسيو شاتليه.
- تاريخ التبشير، وأبرز المؤلفين المنصرين، مع تعليق الشيخ على كتبهم.
- الحديث عن تأسيس جمعية الشبان المسيحية، سنة: ١٨٥٥م.
- تاريخ التبشير في أفريقية، وآسيا الغربية، والهند، وجزائر الملايو، والصين.
- مؤتمر القاهرة التبشيري سنة: ١٩٠٦م، وما ورد فيه من مؤلفات ومشاركات.
- كتاب (العالم الإسلامي اليوم)، للقسيس زويمر، وتلخيص أهم قضاياه.
- مؤتمر (أدنبرج التبشيري)، سنة: ١٩١٠م، والتعريف به، وبما حصل فيه، وأهدافه، والمشاركات التي تمت فيه.
- المؤتمر الاستعماري الألماني، والقرارات التي تم اتخاذها فيه.
- مؤتمر (لكنو التبشيري)، سنة: ١٩١١م، والمشاركات التي تمت فيه.
- الجامعات الإسلامية في السلطنة العثمانية، وأفريقية، وماليزيا، والحبشة، وتقارير مفصلة عنها، ودواعي انتشار الإسلام في أفريقية.
- الانقلابات السياسية في ممالك الإسلام، واستغلالها في نشر التنصير.
- التنظيم المادي لإرساليات التبشير، ومقاصد المبشرين، والأماكن الخالية من المبشرين، وضرورة اكتساحها.
- خاتمة رائعة جليلة بقلم الشيخ[1].

---

(١) انظر: "الغارة على العالم الإسلامي"، مسيوشاتليه، لخصها ونقلها إلى اللغة العربية مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب.

المطلب الثاني:

ترجمة مذكرات امبراطور ألمانيا تحتوي على شؤون سياسية تهم الأمة.

ترجم الشيخ المذكرات التي كتبها إمبراطور ألمانيا: غليوم الثاني، ولقد كتب إمبراطور ألمانيا هذه المذكرات باللغة الإنجليزية، لتنشر في أمريكا، وباللغة الألمانية لتنشر في ألمانيا، وقد نقلت جرائد العالم هذه المذكرات من مصادر النشر في أمريكا وألمانيا، ثم تُرجِمت هذه المذكرات إلى لغتيْن، هما: الفرنسوية، والتركية، ولقد قام الشيخ بترجمة هذه المذكرات من التركية إلى العربية، وتعاون معه أسعد داغر[١]، فترجمها من الفرنسية إلى العربية، ولَّما انتهيا من الترجمة، عارض الشيخ بين الترجمتيْن، فوجد أنَّ الصحف التركية والصحف الفرنسية أسقطتا من مذكرات إمبراطور ألمانيا ما يعارض مصلحة تركيا وما يعارض مصلحة فرنسا، فاجتهد الشيخ في إرجاع المذكرات إلى أصلها بقدر الاستطاعة، وقام بطبعها ونشرها، ولقد حرص الشيخ على ترجمة هذه المذكرات؛ لأنها تكشف القناع عن كثيرٍ من الخفايا في الشؤون السياسية في الغرب والشرق، لا سيَّما وأنَّ كاتبها له مركزه السياسي، الذي خوَّله الوقوف على دخائل السياسة في أدوارها المختلفة، وكان ذلك بين سنتي ١٩١٤م و ١٩١٨م.

ولقد جمع الشيخ هذه المذكرات في كتاب واحد، وقسَّم هذا الكتاب على حسب تتابع هذه المذكرات إلى أربعة عشر فصلاً، ويبلغ عدد صفحات هذا الكتاب ٢٥٥ صفحة، وأسماه الشيخ:(مذكرات غليوم الثاني)[٢].

---

(١) أسعد داغر: هو أسعد خليل داغر، ولد سنة: ١٣٥٣هـ: ١٩٣٥م، وهو أديب لبناني، ولد في (كفرشيما) وتعلم في الجامعة الأميركية ببيروت، واشتغل بالتدريس في مدرسة للأميركيين باللاذقية، وانتقل إلى مصر، فعمل في تحرير (المقطم) عامين، وعين في وكالة حكومة السودان إلى سنة: ١٩٢٤م وانقطع للأدب، توفي بالقاهرة. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ١: ٣٠٠.

(٢) كتاب: مذكرات غليوم الثاني، اشترك في نقلها إلى اللغة العربية: أسعد داغر، ومحب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، سنة: ١٣٤١هـ.

المطلب الثالث:

ترجمة مذكرة تاريخية بعنوان: أسباب هزيمة الجيش العثماني والأرنؤوط.

كتب هذه المذكرةضابط في الجيش العثماني، كتبها باللغة التركية، وقام الشيخ بترجمتها من التركية إلى العربية، ولقد ترجمها الشيخ، ولم يقُم بالتعليق عليها، ولا بطباعتها، حيث قام ناسخ من النسَّاخ بنسخ ما كتبه الشيخ بخط اليد، وسأذكر القضايا الرئيسية التي تناولها الكاتب:

- بيَّن الكاتب أنه كتب هذه المذكرة بكلِّ تجرُّد وموضوعية وحياد، وأقسم بالله العظيم أنه لا ينتمي لأيِّ حزب سياسي.
- يؤكِّد الكاتب على أنَّ الحقائق التي كتبها في مذكراته، هي أصدق ما قِيل في أسباب هزيمة الجيش العثماني، ودعا القرَّاء إلى اعتقادها، والاعتماد عليها، ومجانبة الشكِّ في مصداقيتها[1].
- يردُّ الكاتب على الذين أرجعوا سبب الهزيمة إلى عوامل هي:
  - عدم كفاءة القوَّاد في الجيش العثماني.
  - تفوُّق السلاح الفرنسي الذي في يد الأعداء على السلاح الألماني الذي في يد الجيش العثماني.
  - زيادة عدد الأعداء على عدد الجيش العثماني.
  - فقدان الذخائر من معسكرات الجيش العثماني.

ولقد كان للكاتب رأي آخر في اتجاه آخر، وهو أنَّ الهزيمة للجيش العثماني كانت بسبب واحد، هو: فقدان الوحدة الفكرية من الجيش العثماني؛ بمعنى أنَّ لأفراد الجيش انتماءات وقناعات مختلفة، ممَّا سبب اختلاف الهدف بين أفراد الجيش العثماني، وسبّب انعدام الطاعة، وانعدام الإخاء العسكري، والتخلِّي عن الفضائل العسكرية.

---

(١) هذه ثقة مفرطة من الكاتب، وكان الأولى به أن يذكر ما يعتقده من حقائق ويترك للقارئ حرية الاختيار والقرار.

- حصل تحوُّلٌ للجيش العثماني من كونه جيش الأمة الذي تثق به، وكان جديرًا باحترامها له، حتى أصبح خائنًا لها،وآلة في يد أعدائها.
- أورد الكاتب تفاصيل آخر المعارك التي خاضها الجيش العثماني، وأفاض في تفاصيلها بأماكنها، وقدراتها، وقائديها، كما حدَّد أيضًا أسباب الانهزام[١].
- أغلب المعارك التي تحدَّث عنها الكاتب كان بنفسه مشاركًا فيها.
- ختم الكاتب رسالته بالتأكيد على مصداقية كلِّ ما ورد في هذه المذكرة[٢].

(١) للاستزادة من تفاصيل المعارك: راجع النسخة.

(٢) انظر: "أسباب هزيمة الجيش العثماني والأرنؤوط"، أليوز باشي أحمد حمدي، ترجمها محب الدين الخطيب، القاهرة، ١٣٣١هـ.

المطلب الرابع:
ترجمة المقالات والروايات المتعلقة بأحوال الأمة.

ويحتوي على مسلكين.

المسلك الأول: ترجمة المقالات، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ترجمة مقال يتصدى للعلمنة، والإلحاد الأتاتوركي، من التركية إلى العربية.

ترجم الشيخ مقالاً من اللغة التركية إلى العربية بعنوان: (الحروف الجديدة)، للعلامة الجليل:مصطفى صبري أفندي[1]،وفي هذا المقال ردَّ العلامة مصطفى صبري أفندي على حكومة مصطفى كمال أتاتورك، عندما اتَّخذت قرارًا بإلغاء العمل بالحروف العربية، التي دام العمل بها في تركيا قرابة عدة قرون، في ظل الخلافة الإسلامية، زاعمين أنَّ الحروف التي يكتبون بها لا سبيل إلى تتريكها؛ لأنها حروف عربية، وأمَّا الحروف اللاتينية، فهي التي يمكن تتريكها، ومعنى هذا التحوُّل في حكومة مصطفى كمال أتاتورك أنه ليس في الدنيا شيء أجنبي عن الترك بقدر ما العرب أجانب عنهم، كيف لا؟ وأتراك اليوم ينتحلون كلَّ شيء لكل أمة أخرى ما لم يكن عربيا!.ويذكر الشيخ مصطفى صبري أنَّ حكومة مصطفى كمال أتاتورك تمادت كثيرًا في أنانيتها وإفكها، وبُعدها عن الحياء، وذلك عندما زعمت أنَّ اليد التي خلصتهم من العرب والعربية هي يد آتية من الله! وليتهم إذْ تخلَّصوا

---

(١) مصطفى صبري أفندي: هو الشيخ مصطفى صبري التوقادي بن أحمد بن محمد القازابادي، ولد بمدينة طوقات في تركيا، يوم ١٢ ربيع الأول، سنة: ١٢٨٦هـ: ١٨٦٩م، تقلد منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية أربع مرات متتالية، كما شغل مناصب سياسية متعددة في عهد السلطان عبد الحميد، وله العديد من المؤلفات، منها: مسألة ترجمة القرآن، المجددون الدينيون، وغيرها، توفي في مصر، في الإسكندرية، في رجب، سنة: ١٣٧٣هـ: ١٩٥٤م. انظر: "وحدة الوجود عند شيخ الإسلام مصطفى صبري"، عبد الحليم قفاف، رسالة ماجستير، ص: ٢٦- ٣٦، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة بن يوسف بن خدة، ١٤٢٥هـ: ٢٠٠٤م.

من العرب اتَّصلوا بأنفسهم ولجأوا إلى أنانيتهم، لكنهم تفرنجوا، ويرى الشيخ مصطفي صبري أفندي أنَّ ابتهاج الحكومة التركية وفرحها بإلغاء الحروف العربية هو ضرب من الجنون، ويتجلَّى هذا الجنون في النقاط التالية:

- إهمال خلاصة ألف سنة من التأليف، والأدب، والتراث القيّم، وصرف الناس عنه.
- حُكم الدولة التركية بالأمية على كلِّ مَن يقرأ ويكتب بالعربية، بما فيهم الوزراء ونوَّاب البلاد.
- إنكار جميع العلوم والمعارف الماضية، وقطع الصلة بها.
- إلحاق العار والحقارة بالقومية التركية الجديدة الناشئة مع الحروف الجديدة التي ليس لها تاريخ في تركيا.
- اختيار الحكومة التركية لإلغاء تاريخ تركيا المشرق، والتنكُّر لعلومها ومعارفها لتحقيق هدف أسوأ منه؛ وهو التخلُّص من الإسلام، واستبداله بفتات الحضارة الغربية.
- إذا أرادوا التخلُّص من اللغة العربية، فعليهم إخراج الكلمات العربية من اللسان التركي الذي تأصَّلت فيه اللغة العربية أكثر من ألف سنة، وإذا لم يستطيعوا ولن يستطيعوا ، فلن يبقَى لهم حينئذٍ شيء اسمه لغة تركية، وسيمتنع على الترك النطق والبيان، لذلك فعليهم أن يوطِّنوا أنفسهم على أن يكونوا بغير لغة، كما وطَّنوا أنفسهم على أن يكونوا بغير دين.
- أنَّ الأسماء التركية تسعون بالمائة منها أسماء عربية، فما مصيرها في هذا القرار؟
- يجب على مصطفى كمال أتاتورك أن يغيِّر اسمه؛ لأنه اسم عربي، حتى يكون قدوة لشعبه في إلغاء هذا الاسم العربي[1].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٢١،ص: ١، ترجمة مقال بعنوان: الحروف الجديدة، القاهرة، ٢٥ جمادى الأولى، سنة: ١٣٤٧هـ.

المسألة الثانية: ترجمة مقال لفرنسي ينصف المسلمين، من الفرنسية إلى العربية.

ترجم الشيخ مقالاً لكاتب فرنسي منصِف، يتألَّم على سقوط حكم المسلمين في فرنسا، على يد القائد (شارل مارتل[١])، وسأُوجِز الأفكار الرئيسية لهذا المقال:

- أنه بسقوط حكم المسلمين في فرنسا عام ٩٣٢م، أُصِيبت الإنسانية والعالم الغربي بكارثة عظيمة، لم تُصَب بمثلها في القرون الوسطى، وظلت آثار هذه المصيبة في العالم قرابة ثمانية قرون.
- كان دافع شارل مارتل هو التجدُّد، ولكن ويالالأسف فقد تأخَّرت الحضارة، ورجع العالم إلى الوراء.
- سمَّى الكاتب اليوم الذي انتصر فيه ذلك القائد على المسلمين باليوم المظلم.
- أنَّ المسلمين الذين حكموا الأندلس إنما هم شعب متفنِّن، يدعو إلى السلام والتسامح الخالص من شوائب التعصُّب.
- كانت الحالة في الأندلس قبل الإسلام يسودها ظلمات الجهل الكثيف، ولقد خلّص المسلمون الفرنسيين من الوحوش المدمِّرين، وحرَّروهم من الرقِّ المهين، وحقنوا دماءهم من الفتن والحروب.
- أنَّ انتصار الأمة الفرنسية على الأمة الإسلامية هو انتصار الأمة الهمجية على الأمة المهذَّبة، وفي هذا تكمُن الكارثة.
- يجب على الفرنسيين قرَّاء المقال أن يتجرَّدوا من المؤثِّرات والتصوُّرات والنقائص التي اعتاد الفرنسيين أن ينسبوها إلى الإسلام[٢].

---

(١) شارل مارتل: ولد سنة: ٦٨٩م، تغلب على القائد عبد الرحمن الغافقي في معركة بلاط الشهداء، سنة: ١١٤هـ: ٧٣٢م، مات سنة: ٧٤١م. انظر: "تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط"، شكيب أرسلان، ص: ٩٤، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ للنشر.

(٢) انظر: "مجلة الفتح": العدد ٧. ص ١١. ترجمة مقال بعنوان: كارثة الإنسانية بتغلب شارل مارتل على المسلمين في فرنسا.

المسلك الثاني: ترجمة رواية، تؤرخ لتركيا، ومحاولات تدميرها.

ترجم الشيخ رواية بعنوان: قميص من نار[١]، ولقد ترجمها الشيخ من اللغة التركية إلى اللغة العربية،وتتضمَّن هذه الرواية تاريخ نهضة الترك بعد الحرب العالمية الأولى.

مؤلِّفة هذه الرواية: خالدة أديب[٢].

عدد صفحات هذه الرواية: تقع هذه الرواية في ٢٠٨ صفحة.

(١) لم أتمكن من الحصول على نسخة لهذه الرواية، ولقد حصلت على هذه المعلومات من إعلان الشيخ عن طباعتها ونشرها بالمطبعة السلفية ومكتبتها، في كتاب مذكرات غليوم الثاني، ص: ٢٥٦.

(٢) خالدة أديب: هي وزيرة من وزراء دولة تركيا، انظر: "مذكرات غليوم الثاني"، غليوم الثاني، ص: ٢٥٦.

المبحث الخامس:
منهج الشيخ محبِّ الدين في خدمة القضايا الإسلامية

ويحتوى على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: منهج الشيخ في خدمة قضايا التعليم.
- المطلب الثاني: منهج الشيخ في خدمة قضايا الشباب المسلم.
- المطلب الثالث: منهج الشيخ في خدمة قضايا المرأة.
- المطلب الرابع: منهج الشيخ في الترجمة.

المطلب الأول:
منهج الشيخ في خدمة قضايا التعليم

اهتمَّ الشيخ بالتعليم اهتمامًا كبيرًا، وأولاه عناية عظيمة، في مصر خاصة، وفي بلاد المسلمين عامة، ولقد سلك الشيخ في خدمة التعليم منهجًا متميزًا، أُجمِله في النقاط التالية:

- استغلال الحوادث النازلة بالأمة الإسلامية عامة، وبمصر خاصة، وربطها بالتعليم، حيث ربط الشيخ بين ضرورة الاهتمام بالتعليم لحماية الاستقلال في مصر.
- التفريق بين المفاهيم العلمية التي خلط الاستعمار فيما بينها، حيث فرَّق الشيخ بين الثقافة والعلم.
- مراقبة القرارات التعليمية في مصر، وتقييمها، وتبيين الجوانب التي ينبغي على وزارة المعارف الاهتمام بها، كما بين الجوانب التي يجب تجاهلها.
- الاهتمام بقضايا التعليم في بلاد المسلمين، وتقييم الواقع التعليمي، والتحذير من الآفات التي أصيب بها التعليم، والدعوة إلى إصلاحها.
- التحذير من الاستعمار ومن أعوانه، والدعوة إلى محو آثاره السيئة في التعليم.
- الاهتمام بالأزهر، والحرص على إصلاح مواضع الخلل في تعليمه.
- الدفاع عن الأزهر بالردِّ على خصومه، أمثال طه حسين.
- مراقبة التعليم في بلاد المسلمين، والدعوة إلى الاستفادة من التجارب التعليمية.
- الدعوة إلى التفرد في التعليم، بتعريب المقرَّرات غير العربية.
- إقناع الشعب المصري بضرورة المساهمة في صنع القرار التعليمي؛ لضمان التعليم الهادف لأبنائهم.
- الاهتمام بتوجيه الطالب، ووالده، ومعلمه.
- نصيحة العاملين في وزارة المعارف، باستشعار الأمانة، والعمل المتواصل، واستغلال الإجازات الرسمية في العمل لمصلحة الطلاب.
- الدعوة إلى إنشاء جمعيات خيرية؛ لإيجاد التعليم الذي يطمح إليه الشعب.
- دعوة أصحاب الثراء من المهتمين لقضايا أمتهم، إلى التبرِّع والإنفاق، للمساعدة على بناء لو مدرسة واحدة.

المطلب الثاني:
منهج الشيخ في خدمة قضايا الشباب المسلم

حرص الشيخ على الشباب المسلم في مصر وغيرها، وخصَّص لهم الكثير من المقالات، التي تضمَّنت عصارة أفكار الشيخ وتجاربه عبر السنين، وكان في اهتمام الشيخ بقضية الشباب المسلم منهج اعتمد عليه، وسأُبرِز هذا المنهج في نقاط:

- الحرص على حفظ أوقات الشباب المسلم، والرغبة في الاستفادة من مواهبهم وقدراتهم، وتوظيفها في خدمة الإسلام والمسلمين، وذلك من خلال مساهمته في إنشاء جمعيات للشباب المسلم، ودعوته إلى ذلك، مع دعمه الجمعيات الشبابية في أرجاء العالم الإسلامي، ودعوة الشباب المسلم إلى الالتحاق بها، مثل جمعية الشبان المسلمين.
- رفع معنويات الشباب المسلم، وإقناعه بأهميته، وبحاجة الأمة الإسلامية إليه، وحثّه على العمل وطرد الكسل.
- تحذير الشباب من الآفات التي تُشتِّت شمل المسلمين، وتقطع ما بينهم من الأواصر، وتذكيرهم بأهمية الجماعة، وفاعليتها في تحقيق أفضل النتائج لخدمة الإسلام والمسلمين.
- المحافظة على الشخصية المثالية للشاب المسلم، بتحديد مظاهر الانحراف، والتحذير منها.
- الاهتمام بشباب العالم الإسلامي، ومراسلتهم، ونصحهم بنصائح تضمن لهم الاستقلال، والتحرُّر من المستعمر، ووضع النقاط التي تعينهم على المحافظة على الاستقلال.
- تحذير الشباب من الانغماس في الرذائل، وتحبيبهم في الفضائل، والقِيَم الإسلامية.
- دعوة أجهزة الدولة بأسرها إلى المساهمة في إصلاح حال الشباب المسلم، ودعاهم إلى حفظ هذه الثروة الهائلة، وتوظيفها بشكل جيد.

- نشره المواقف الشبابية المشرِّفة، وحثّ الشباب المسلم إلى الاقتداء بمثل هذه النماذج المشرقة؛ مثل إكباره لشباب دمشق في قرارهم لمقاطعة الدخان.
- التذكير بدور الشباب في نهضة الأمم غير المسلمة، ودعوة المسلمين حكامًا ومحكومين إلى إدراك ذلك، والعمل على الإعداد الجيد لشباب المسلمين للاستفادة منهم.
- متابعة قضية الشباب المسلم، والتواصل مع الشباب فترة بعد فترة على مر السنين، وحثُّهم على الأخذ بتوجيهاته ومقترحاته.
- حثُّ الشباب المسلم على العمل البنَّاء، وعدم مواجهة الدولة، والانخراط في طلبات الدولة بحسن التعاطي معها، فلمَّا طلبت الدولة المصرية من الشباب في مصر دعم قرار دور السينما، طلب الشيخ من شباب مصر إيجاد السينما الهادفة المباحة والمطالبة بها.
- بيانه أهمية ارتباط الشباب المسلم بتاريخه، وأمجاده، وبطولاته، وطالب الشباب المسلم إلى دراسة ذلك، والاستفادة منه.
- ذكر الشيخ لشباب مصر الأخطار التي تحدِّق بهم بعد الحرب العالمية الأولى، ودعاهم إلى لزوم الطريق الصحيح؛ لردِّ هذه الأخطار، وتجاوزها.

المطلب الثالث:
منهج الشيخ في خدمة قضايا المرأة

اهتمَّ الشيخ بالمرأة، وأولاها عناية خاصة، لاسيَّما وأنها حجر الأساس الذي ينطلق منه أعداء الإسلام؛ إدراكهم أنه لن تتحقَّق بعض مآربهم إلاَّ بوصولهم إلى المرأة المسلمة، ولقد كان لاهتمام الشيخ بالمرأة منهجًا يسير عليه، ولهذا المنهج ملامح، أُجمِلها في نقاط:

- التركيز على أهمية التمسك بالدين، وضرورة حفظه.
- الاهتمام بالجانب الأخلاقي للمرأة، وتبيين ما يجب أن تكون عليه مع زوجها، وفي بيتها، وفي نفسها، ومع مجتمعها.
- التحذير من الزواج من الأجنبيات، وتوضيحه الأخطار الاجتماعية المترتبة على ذلك.
- الإشادة بالمواقف النبيلة التي خدمت المرأة المسلمة، والتي تدعو إلى حفظ كرامتها، ودينها، وعرضها، وذلك في الإشادة بالشيخ محمود أبو العيون عندما طالب بإلغاء قانون البغاء في مصر.
- نشر الشيخ التقرير الصادر من جمعية الأمم المتحدة، الذي يتضمَّن الدعوة إلى إلغاء البغاء الرسمي، وحثّه المسلمين بألاَّيبدأوا من حيث انتهى الكافرون.
- الدعوة إلى الفضيلة، بمعالجة مشكلة العزوف عن الزواج، ونشره للمناظرة التي تمَّت في هذا الموضوع.
- تصحيح فكر المرأة المسلمة، بتبيين حقيقة الشبهات التي يحاول أعداء الإسلام إقناعهم بها.
- تذكير المرأة المسلمة بالمخالفات التي تقع فيها، وحثّها على الابتعاد عنها، مع بيان خطورة الإقدام عليها، والنتائج المحمودة في الابتعاد عنها، ودور ذلك على الاستقرار الأسري والمجتمعي.

- تخويف المرأة المسلمة بالله جلَّ جلاله وتذكيرها بأنَّ الخير فيما شرعه الله—جلَّ جلاله، ويجب عليها الامتثال لأمر اللهجلَّ جلاله وعدم رفضه، وذلك في حكم تعدُّد الزوجات.
- الاهتمام بواقع المرأة في أنحاء العالم، ونشر أخبارهن، وتوظيف ذلك في نصح المرأة المسلمة، ودعوتها إلى الاستفادة من تجارب النساء الأخريات، مسلمات وغير مسلمات.
- الاهتمام بالمرأة المصرية، وحثُّها إلى تمييز أعدائها، ممَّن يزيِّن لها القبح والإثم، بحجة التحرُّر والتقدُّم، والتأكيد على أنهم ليسوا إلاَّ لصوصًا لسرقة عرضها وشرفها.
- التعريف بنساء خدمن النساء المسلمات، وكان لهن دور بارز في الإصلاح، وحثُّ الشيخ النساء المسلمات إلى الاقتداء بهن والعمل مثلهن وعدم احتقار أنفسهن.
- الاهتمام بتخصيص جزء من النصيحة والإرشاد والوعظ للمرأة المسلمة.
- التذكير بأنَّ المرأة المسلمة أمانة في رقبة مَن ولاَّه الله أمرها، والدًا كان، أو زوجًا، أو أخًا، أو حتى حاكمًا جعل اللهجلَّ جلاله بيعته في رقبتها، ودعاهم الشيخ جميعًا إلى التكاتف والتعاون؛ لإصلاح حال المرأة المسلمة، والعمل على صيانتها ورعايتها.

المطلب الرابع:
منهج الشيخ في خدمة الترجمة

- الاهتمام بترجمة ما كتبه المستشرقون.
- التعاون مع مَن يمتلك مهارة الترجمة، والاستفادة من مهارته.
- الاهتمام بتأصيل ما يترجمه، ومعارضته بنسخ أخرى، بلغات مختلفة، حتى يتحقَّق من عين الصواب.
- عرض ما يُترجَم على العلماء، للمساهمة في تحقيقه والتعليق عليه.
- الاهتمام بالطباعة والنشر لما يحقِّقه.
- الاهتمام بترجمة المقالات، ونشرها في مجلة الفتح.
- الدعاية والإعلان لما تَمَّت ترجمته، لتسويقه ونشره.

الفصـــل الثالث

جهوده في مقاومة الغزو الفكري

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: جهوده في مقاومة التنصير، وفيه سبعة مطالب.
- المبحث الثاني: جهوده في مقاومة الاستشراق، وفيه ستة مطالب.
- المبحث الثالث: جهوده في مقاومة التغريب، وفيه ثمانية مطالب.
- المبحث الرابع: منهج الشيخ في مقاومة الغزو الفكري، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الأول:

جهوده في مقاومة التنصير

ويضم سبعة مطالب:

- **المطلب الأول: رصده واقع التنصير في العالم الإسلامي. وفيه ثلاثة مسالك.**
- **المطلب الثاني: بيانه أسباب انتشار التنصير في بلاد المسلمين.**
- **المطلب الثالث: كشفهأساليب التنصير، وتحذير الشيخ منها، وفيه ثلاثة مسالك.**
- **المطلب الرابع: ثناء الشيخ على جهود المجتمع المسلم في مقاومة التنصير. وفيه خمسة مسالك.**
- **المطلب الخامس: فضح الشيخ للمنصرين، ونشره لمؤتمراتهم وخطبهم، تحذيرا منها. ويضم مسلكين.**
- **المطلب السادس: رؤيةوخطة الشيخ لمقاومة التنصير في بلاد المسلمين.**

المطلب الأول:
رصده واقع التنصير في العالم الإسلامي

ويضم أربعة مسالك:

المسلك الأول: التنصير في السودان.

نشر الشيخ جزءًا من مقال لكاتب إنجليزي[١] بعنوان: كيف تؤثِّر المسيحية في الإسلام في دولة السودان؟ وممَّا يراه الكاتب الإنجليزي أنَّ المسيحية تؤثِّر في الإسلام في دولة السودان لأسباب:

- أنَّ الروح المعنوية للإسلام أصبحت ضئيلة في قلوب المسلمين، فصاروا لا يغارون على دينهم، ولا يبنون المساجد في الأماكن التي تمسُّ الحاجة فيها إلى المساجد.
- أنَّ حكومة السودان لا تعمل رسميًا على دعم جمعيات التبشير، ولكن الموظفين البريطانيين قائمون بما يلزم بإخلاص وأمانة.
- أنَّ الموظفين البريطانيين في السودان لا يستعملون مراكزهم الرسمية في حمل السودانيين على الانتقال من الإسلام إلى النصرانية، ولكنهم من وجهة نظرهم يشعرون بالحرية في تعضيد ما تقوم به كنيستهم، من أعمال الدعوة لإدخال المسلمين السودانيين في النصرانية[٢].

المسلك الثاني: ثناء الشيخ على حكومة السعودية في مقاومتها للتنصير.

أكبر الشيخ من شأن الحكومة السعودية، لَمَّا ألقت القبض على رجلَيْن في شمال أراضيها، حيث تمَّ اكتشاف أمرهما بأنهما قدِما لغرض التنصير، فتمَّ إرسالهما مخفوريْن إلى

---

(١) الكاتب هو: مستر جوين، نشر المقال في جريدة (نوتنجهام اكسبرس)، انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦٨، ص: ٦، مقال بعنوان: الإسلام والنصرانية في السودان، القاهرة، الخميس ٢ جمادى الأولى، سنة: ١٣٤٦هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق.

جدة، وتمَّ على الفور ترحيلهما، وهنا يذكّر الشيخ حكام البلاد الإسلامية بواجبهم في حماية الدين الإسلامي، ونشره، والتنبُّه للمتربصين والمنصرين(١).

المسلك الثالث: رصده للتنصير في تركيا.

كشف الشيخ الستار عن سياسة حكومة مصطفى كمال أتاتورك، لَمَّا تظاهرت في تصريحها المزيَّف عن غضبها من تنصُّر أربع فتيات تركيات، وأنها تستنكر ذلك ولا تؤيِّد حدوثه، وأنها قد شكّلت لجنة للتحقيق في هذه القضية، ولقد كشف الشيخ أمرهم بأنهم في تصريحهم بالإنكار وعدم الموافقة، وبتشكيلهم لجنة للتحقيق، ليسوا إلاَّ مضطرين ومجبورين ومكرهين على هذه الإجراءات، التي توحِي بعدم رضاهم عن حادثة التنصّر، ويبرهن الشيخ على كذبهم، بالمقالات والصور الفوتغرافية في الصحف التركية التي تؤيِّد هذا التنصُّر، ولكن هياج الشعب التركي، وغضبه من حادثة تنصُّر الفتيات الأربع، وازدحام الوفود على باب الوالي يطلبون منه بيانًا صريحًا عن موقف الحكومة تجاه حادثة التنصُّر، غيّر مسار الحكومة من التأييد إلى الاستنكار المزيَّف؛ لتهدئة الشعب، ولإقناع العالم أنَّ هياج الشعب التركي لم يكن هياجًا على الحكومة في قوانينها المعادية للإسلام، ولكنه هياج على مبشِّرين أجانب، وأنَّ الحكومة بهذا الاستنكار، وبتوجيه لجنة للتحقيق، كلُّ غرضها الدفاع عن نفسها، ويؤكِّد الشيخ أنَّ حكومة مصطفى كمال أتاتورك لها الدور البارز في هذه القضية، وأنها تحرص على محاربة الإسلام بشتى الوسائل والسبل، وأنها أجازت لجمعيات التبشير المسيحي أن تبثَّ دعوتها بين المسلمين(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧٩، ص: ٣، مقال بعنوان: المبشرون في بلاد العرب، القاهرة، الخميس ١٩ رجب، سنة: ١٣٤٦هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٨٤،ص: ٨، مقال بعنوان: الدخائل في تركيا. بمناسبة تنصر الفتيات الأربع، القاهرة، الخميس ٢٤ شعبان، سنة: ١٣٤٦هـ.

المسلك الرابع: متابعته لمحاولات التنصير في الأردن.

نشر الشيخ خبر حدوث هياج في دولة الأردن، عندما رأوا مبشِّرين أميركيين يدعونهم لاعتناق النصرانية، والطعن في الحنيفية السمحة، فثارت ثائرة المسلمين، وتمَّ رفع عرائض تفيد بتحميل حكومة الأردن تبعة ما سيحدث للمبشِّرين؛ بسبب تركهم يجوسون خلال الديار، ويطعنون في دين الإسلام، فأرسلت الحكومة سكرتيرها العام لإجراء التحقيق بهذا الموضوع[1].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٨٥، ص: ٧، خبر بعنوان: المبشرون في الشراة ومعان، القاهرة، الخميس ٢ رمضان، سنة: ١٣٤٦هـ.

المطلب الثاني:
بيانه أسباب انتشار التنصير في بلاد المسلمين

يؤكِّد الشيخ على أنَّ المجتمع الإسلامي مصاب بداء الضعف والتفكُّك والاتِّكالية، ممَّا سهَّل على المنصِّرين نشر دعوتهم بين أبناء المسلمين، والعرض لهذا المرض الفتَّاك هو: أنَّ الفرد المسلم يعنى بحياته الفردية الدنيوية، ويقوم عليها بجد واهتمام، ويقوم أيضًا بواجباته الأخروية وبما يجب عليه من الفروض والنوافل، ولكنه يتهاون في نصيبه من واجب الحياطة والصيانة للكيان الإسلامي، حتى غُزِي الإسلام في عقر داره، فالمسألة مسألة عناية من الفرد المسلم بنفسه، وتقصير منه نحو الكيان الإسلامي. ولعلي أُورِد هنا كلامًا للشيخ في وصف هذا الداء، مع المقارنة بالدين المسيحي[١]،فيقول: "الدين المسيحي دين أفراد، والدين الإسلامي دين جماعة، وما برح المسيحيون يعالجون حياتهم المشتركة ويحوطونها بأسباب القوة حتى تحوَّلوا عن طبيعة دينهم الذي يزهِّدهم بكل ما في الدنيا، فقبضوا على ناصية المجتمع، واستولوا على كلِّ ما في الدنيا، وما زال المسلمون يهملون أمر حياتهم المشتركة، ويحولون بينها وبين بواعث الحياة، حتى تحوَّلوا عن طبيعة دينهم الذي يستفزُّهم للتخلُّق بخلق الكرامة والتحلِّي بحلية العز، ويُعدُّهم للاستيلاء على الدنيا، فصاروا أذل من اليهود، المسيحي ترك دينه فخسر الآخرة، ولكنه كسب الدنيا، والمسلم ترك دينه، فخسر الآخرة وخسر معها الدنيا"[٢].

ثم بيَّن الشيخ أسباب انتشار التنصير في بلاد المسلمين، وهي:

- الغفلة من الحكام والعلماء عن داء التنصير الذي استشرى في بلاد المسلمين، وعدم التعاون فيما بين الحاكم والمحكوم في القيام بما أمر الله جلَّ جلاله به من حفظ الدين وصيانته[٣].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٨١، ص: ١، مقال بعنوان: حياة الفرد وحياة الجماعة الإسلامية، القاهرة، الخميس ١٦ شوال، سنة: ١٣٥٢هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق، العدد ٩٦، ص: ١٢، مقال بعنوان: المكفوفون ودعاة النصرانية، القاهرة، الخميس ٢٧ ذي القعدة، سنة: ١٣٤٦هـ.

- الغفلة المعيبة من المسلمين عن واجبهم في الدعوة وإعداد الدعاة إلى الإسلام، بتهيئة المدارس، وتفرُّغ الجماعات لتنظيم ذلك، وبالاستعداد بالمال، والصحافة، والتأليف، وبالمؤتمرات والمعاهد.
- نشاط الدعاة إلى النصرانية بعد الحرب العالمية الأولى على الخصوص، وذلك لعلم هؤلاء الدعاة بعد هذه الحرب أنه لا يوجد لدى المسلمين خطة مرسومة لخدمة الإسلام وعروته الوثقى، وليس هنالك تعاون ولا تفاهم بين المسلمين في أنحاء المعمورة(١).
- سخاء أغنياء المنصِّرين بمئات الألوف؛ لإنشاء المستشفيات، والمدارس، ومعاهد التثقيف، وإقامة الملاجئ والأندية، وكثير من الأعمال النافعة، مع أنَّ دينهم لم يفرض عليهم حقًا في أموالهم للسائل والمحروم، ويتعجَّب الشيخ من وفائهم لدينهم، وإمدادهم دعاته بمئات الآلاف، حتى وصلوا بدعوتهم إلى جميع أطراف المعمورة(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٥٣، ص: ١، مقال بعنوان: تسوية الصفوف لإقامة الدعوة الإسلامية، القاهرة، الخميس ٢٠ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٢هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٣٧٦، ص: ١، مقال بعنوان: صاحبة القصور في الفردوس، القاهرة، الخميس ٤ رمضان، سنة: ١٣٥٢هـ.

المطلب الثالث:
كشفه أساليب التنصير وتحذير الشيخ منها

ويحتوي على ثلاثة مسالك.

المسلك الأول: إغراء الفتيات المسلمات وإفسادهن.

يؤكِّد الشيخ على تفريط بعض الآباء في بناتهم، ولم يقوموا بما أوجب الله جلَّ جلاله عليهم من حفظ الأمانة، ووقاية بناتهم من أسباب سخط الله جلَّ جلاله، ممَّا جعلهن صيدًا ثمينًا سهلاً بين يدي المنصرين، ولقد فرط الآباء في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تفريطهم في تربية بناتهم على العقيدة الإسلامية الصحيحة.

الأمر الثاني: تفريطهم في تربيتهن على نور القرآن ومعانيه السامية.

الأمر الثالث: تفريطهم في عدم اهتمامهم باختيار البيئة التي تحميهن من تربُّص المنصِّرين.

ويضرب الشيخ على تساهل الآباء تجاه بناتهم بمثال من الواقع، لرجل من أعيان المنصِّرين، وهو أحد أعضاء مجلس النواب الإيطالي، حيث قدِم هذا الرجل إلى بحيرة طبريا[1] بلد من بلاد المسلمين، وجعل يتحبَّب إلى التلميذات المسلمات وغير المسلمات، ودعاهن إلى الفسحة والتنزُّه حول البحيرة، وقام بإلقاء بعض المواعظ والعِبَر، من التاريخ المسيحي المتعلِّق بهذه البحيرة، وقام باصطحابهن إلى الكنائس، وتعليمهن أساسيات النصرانية، وقام بإغرائهن بصور لشبَّان مسيحيين على قدر من الجمال، ووعدهن بزواج الشباب منهن بشرط أن يتنصَّرن، ومنعهن من الاتصال بأهليهن أثناء إقامتهن معه، ولقد تنصَّر الكثير من بنات المسلمين على يد هذا الرجل الإيطالي. ويتعجَّب الشيخ من ردود الفعل التي قام بها آباء الفتيات من اعتراضهم على تنصير بناتهن، ومنعهن من الاتصال

---

(١) سبق التعريف بها ص ١٤١.

بأهلهن، ويحمِّلهم الشيخ المسؤولية الكاملة، في عدم أخذ الاحتياطات اللازمة من حماية بناتهم، وتحصينهن بالعقيدة الصحيحة، وبكتاب الله جلَّ جلاله[١].

المسلك الثاني: السيطرة على مناهج التعليم.

انتشرت المدارس التنصيرية في بلاد المسلمين عمومًا، وفي مصر على وجه الخصوص، وممَّا يُؤسَف له أنَّ بعض المسلمين أدخل أبناءه في هذه المدارس، بل وأصبحت الدراسة في هذه المدارس من علامات الرقي والتقدُّم، وبذلك استفحل شرُّ المنصِّرين في مصر، وظهر خطرهم، ولما ثبت استفحال شرهم للحكومة، وللرأي العام، كوّن الأزهر لجنة عليا لمكافحة التنصير في مصر، وقام بفتح باب التبرُّع من العلماء، والوجهاء، وعموم المسلمين، في مصر وغيرها؛ وذلك لدعم عمل اللجنة، وتيسير مهمتها، وقد انهالت الأموال على هذه اللجنة، وبعد عام كامل من تحمُّل اللجنة هذه المسؤولية، تفاجأ المسلمون في أنحاء الأرض بإلقاء المسؤول عن الكنيسة في مصر والسودان خطبة في لندن، على جمعٍ من العظماء وذوي النفوذ، تؤكِّد أنَّ عدد المسلمين المتنصِّرين عن طريق المدارس، والمستشفيات التنصيرية، ازداد عمَّا كان عليه من قبل، وخطب مسؤول آخر في الحفل، أشار في خطبته إلى تأسيس محطة قوية للتبشير في السودان؛ لتكون سدًّا يحول دون انتشار النفوذ الإسلامي[٢].

وهنا يتساءل الشيخ عن أسباب نشاط المنصِّرين، بعد تحمُّل اللجنة الأزهرية هذه الأمانة أمام الله -جلَّ جلاله، ثم أمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ثم ذكر الشيخ اعترافًا بسرٍّ من الأسرار؛ وهو إنشاء جمعية خيرية لمقاومة التنصير في مصر، وتمَّ اختيار الشيخ من أعضائها اسمها: (جماعة الدفاع عن الإسلام)، ولكن لجنة الأزهر العليا أفهمت

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٤٩، ص: ٨، مقال بعنوان: الآباء التيوس، القاهرة، الخميس ٢١ صفر، سنة: ١٣٥٢هـ.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٠٤، ص: ٢، مقال بعنوان: هل هذا صحيح؟ واجب حديد نرجو من الأزهر أن ينهض به، القاهرة، ٧ربيع الثاني، سنة: ١٣٥٣هـ.

أعضاء هذه الجمعية أنها ترغب بالنيابة عنهم في هذا الواجب، فاضطروا إلى التنازل عن ذلك؛ لما يتمتَّع به الأزهر من إمكانيات، ورجال، ومفكِّرين، وعلماء، وميزانية، وأنَّ هذه المقوِّمات كفيلة لتمكين الأزهر من القيام بالأمانة كما ينبغي، إضافةً إلى إتاحته المجال أمام المتبرِّعين، وإصدار القوائم الكثيرة بأسمائهم، ويطلب الشيخ من اللجنة الأزهرية أن تُصدِر بيانًا بما تمَّ إنجازه في مواجهة خطر المنصِّرين، وإذا لم تبدأ في مهمتها بعد نظرٍ لما صرَّح به المسؤول في لندن، فإنَّ الشيخ يدعو هذه اللجنة إلى البدء فورًا، وأن تكتفي بعام كامل ضاع على أمة الإسلام، وذلك حفظًا للتعليم في بلاد المسلمين من أن تتطاول عليه يد التنصير البغيضة، وحفظًا لعقول الناشئة، وعقيدتهم الإسلامية الصحيحة(١).

ويضرب الشيخ مثالاً على استهداف التعليم برجل من المنصِّرين، تبرَّع بتعليم القراءة لفاقدي البصر في مسجد من مساجد مصر، وكان منضبطًا في درسه، لا يتخلَّف عنه، وقد تمَّ اكتشاف أمره بأنه من دعاة النصرانية، فلمَّا علم هذا الرجل باكتشاف أمره، قام باستئجار منزل بجوار الأزهر؛ وذلك ليكون محطة تبشيرية، وقام بتسمية هذا المنزل ب "المدرسة المجانية لتعليم العميان"، ولقد تطوَّرت هذه المدرسة في عملها، بحيث أصبحت جمعية شبه سرية، تعمل بنشاط، وتتبرَّع بالمال لَمن يتَّصل بها، ولقد ظهرت لها آثار في الأزهر، منها الدعوة إلى الأزياء والموضة، ويؤكِّد الشيخ بأنَّ مَن أخبره هو رجل ضرير اتَّصل بهم، وزارهم، واطَّلع على نشاط هذه المدرسة(٢).

ويرى الشيخ أنَّ سدّ حاجة المكفوفين التعليمية هو من مقدِّمات واجبات وزارة المعارف، ويجب على النوَّاب، وعلى الصحافة، أن يقوموا بتذكير وزارة المعارف بواجبها. ويتألَّم الشيخ لوصول دعاة النصرانية إلى الأزهر وطلابه، وأنهم بدأوا في البحث عن أرض

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٠٤، ص: ٢، مقال بعنوان: هل هذا صحيح؟ واجب حديد نرجو من الأزهر أن ينهض به، القاهرة، ٧ربيع الثاني، سنة: ١٣٥٣هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٩٥، ص: ١، مقال بعنوان: غفلة علمائنا وحكومتنا، القاهرة، الخميس ٢٠ ذي القعدة، سنة: ١٣٤٦هـ.

يبنون عليها مقرًّا لهم، ويؤكِّد الشيخ أنَّ مثل هذه الأعمال سيؤدِّي إلى نفاد صبر الأمة الإسلامية، وأنه يجب على الحكومة المصرية أن تضع لذلك حدًّا قبل أن يضطر الغيورون على دينهم إلى وضع هذا الحدِّ بأنفسهم، ويأمُل الشيخ في المعالجة الحاسمة والسريعة من الحكومة[١].

المسلك الثالث: التأثير على الصحافة وتوجيهها لخدمة أهدافهم. (الأهرام أنموذجا).

نشر الشيخ نداءً[٢] إلى ملوك الإسلام، وإلى الهيئات، والجمعيات الإسلامية، في أنحاء العالم، وإلى الشعوب المسلمة في جميع الأقطار الإسلامية، مبيِّنًا لهم ما حدث في بلاد المغرب الأقصى من تنازل الحكومة عن الإشراف على الأمور الدينية للمستعمر الفرنسي، وأنَّ هذا المستعمر قد بدأ بالفعل في التنفيذ، حيث قامت السلطة العسكرية في المغرب الأقصى بالحيلولة بين السكان وبين القرآن، فأبطلوا المدارس القرآنية، ووضعوا عقول وقلوب الأطفال بين يدي أكثر من ألف مبشِّر كاثوليكي في مدارس للبنين والبنات، وأقفلوا جميع المحاكم الشرعية، وأجبروا الملايين من المسلمين على أن يتحاكموا في أنكحتهم ومواريثهم وسائر أحوالهم الشخصية إلى قانون جديد أخذوه من عادات البربر، التي كانت في جاهليتهم، ولا تتَّفق مع مبادئ الإسلام، وحالوا بين جميع مناطق البربر وبين علماء المسلمين ورؤسائهم، فلا يتَّصل بهم أحد، فكان هذا المرسوم توطئة لتنصير هذه الأمة، عقيدة وعبادة وعملاً، وأنَّ مَن قام بهذه الإجراءات وأقرها وساندها فهو مرتدٌّ بإجماع العلماء في جميع المذاهب، وأنه يجب على فرنسا أن تعلم أنها إذا لم تتراجع عن هذه الجريمة، فإن العالم الإسلامي يعتبر ذلك مجاهرة منها بعداوته، وأنَّ العالم الإسلامي سيعلِن ذلك على منابر المساجد، وعلى صفحات الجرائد والمجلات، وفي حلقات الدروس الدينية، وفي نظم الجمعيات الإسلامية، وأنَّ فرنسا بذلك تسعى جاهدة لطمس معالم الدين

(١) انظر: المرجع السابق، العدد ٩٦، ص: ١٢، مقال بعنوان: المكفوفون ودعاة النصرانية.

(٢)انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢١٤، ص: ١، بعنوان: نداء إلى ملوك الإسلام وشعوبه جميعا، القاهرة، الخميس ٣ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٩هـ.

الإسلامي في المغرب الأقصى، وإذا لم يدافع المسلمون عن دينهم، فسوف يحذو حذو فرنسا في طمس معالم الإسلام دولٌ أخرى، لذلك فإنه يجب ويتحتَّم على المسلمين بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الدفاع عن دينهم، مستشعرين قول الله –جلَّ جلاله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[١]وقوله جلَّ جلاله:﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٢]وقولهجلَّ جلاله ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٣]. ولقد تمَّ التوقيع على هذا النداء من قِبَل اثنيْن وعشرين من علماء الأزهر، ومن محامين، ومستشارين، وأعضاء في جمعيات، وصحف، ومجلات إسلامية في مصر وفلسطين[٤].

ثم إنَّ جريدة الأهرام[٥]وقفت موقف الخصم من مجلة الفتح؛ لإذاعتها النداء العام لمناهضة الحملة الصليبية على بلاد المغرب، متَّهمة إيَّاها بأنها تريد إشغال مصر عن قضاياها الأساسية، ومدَّعية عليها بأنَّ أقلَّ ما يُقَال عن نشر هذا النداء أنه عمل بعيد عن الشرف. ولقد ردَّ الشيخ على هذا الموقف من جريدة الأهرام، فقال عن نفسه أولاً: (لقد اضطر كاتب هذه السطور رغم اشتغاله في قلم تحرير الأهرام سنوات كثيرة إلى أن يصارح الأهرام، وأن يقول أقلَّ ما يجب على مثله أن يقوله؛ لأني عرفتُ ديني قبل أن أعرف

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٧.

(٤) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢١٤، ص: ١، بعنوان: نداء إلى ملوك الإسلام وشعوبه جميعا، القاهرة، الخميس ٣ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٩هـ.

(٥) سبق التعريف بها في التمهيد ص ٣٩.

جريدة الأهرام ومَن فيها)[١]، ولقد حاولت جريدة الأهرام بوسائل شتَّى أن تطفئ جذوة نار الاحتجاج بالذات في مصر، فاستنجدت بوزير فرنسا المفوَّض؛ ليبيِّن للناس حقيقة الأمر في المغرب، فلمَّا طلع هذا الوزير للناس، اعترف بالممارسات التنصيرية في بلاد المغرب، و لم يُنكِر شيئًا ممَّا أعلنه الشيخ في النداء الذي وجَّهه للأمة الإسلامية، فازداد سخط المصريين وهياجهم واستنكارهم لهذا العمل، وأُسقِط في يد جريدة الأهرام، فحاولت محاولة أخرى، واستنجدت بمراسلها في باريس؛ ليقول كلامًا يهدِّئ فيه من نار الاحتجاج والاستنكار، فقام هذا المراسل بجمع معلومات توافق مطمع جريدة الأهرام، فكان ممَّا أعلنه أن استفتح بيانه بالمنَّة على المسلمين بجامع باريس في فرنسا، وأنَّ القائمين بحركة التنصير في المغرب إنما هم عدد قليل، وأنَّ المغاربة هم الذين رفضوا حكم الشرع، وطمأن هذا المراسل الشعوب الإسلامية أنَّ الوزير الفرنسي المقيم في باريس هو في طريقه عائد إلى المغرب، لمفاوضة وجهاء البلاد في تعديل مرسوم فرنسا. ولقد ردَّ الشيخ على ماورد في بيان هذا المراسل في النقاط الآتية[٢]:

- بالنسبة للمنَّة على المسلمين بجامع باريس، فإنَّ كاتب البيان لم ينسَ هذا الجامع، وليعلم هذا المراسل أنَّ المسلمين لديهم علم بالخمور التي تُحتَسى في بوفيه جامع باريس، وبالموبقات التي تُرتكَب هناك، فضلاً عن المظالم التي جُمِعت بها الأموال لجامع باريس من سكان تونس، والجزائر، والمغرب الأقصى.
- وبالنسبة لزعم المراسل بأنَّ القائمين بحركة التنصير إنما هم عدد قليل من رجال الإدارة الفرنسية، فإنَّ المراقبة الدقيقة التي يقوم بها المسلمون لأعمال فرنسا في المغرب تُثبِت أنَّ في المغرب خطة رسمية تعمل بها السلطة الفرنسية، وأنَّ هنالك ألف راهب وراهبة يعملون بنشاط، وأنَّ أموال الأوقاف الإسلامية في بلاد المغرب تُنفَق على

---

(١) "مجلة الفتح"، العدد ٢١٨، ص: ١، مقال بعنوان: الأهرام شر وسيط بين الإسلام وفرنسا.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢١٨، ص: ١، مقال بعنوان: الأهرام شر وسيط بين الإسلام وفرنسا.

هذه الحركة التنصيرية، وأنه تمَّ بالفعل إقفال المدارس الإسلامية، وتمَّ منع الفقهاء المسلمين من مباشرة التعليم والإرشاد، وأنَّ المحاكم الشرعية أُبطِلت.

- وبالنسبة لزعم المراسل بأنَّ المسلمين هم مَن رفضوا حكم الشرع، فإنَّ هذا الأمر فوق كونه غير معقول صدوره من مسلم، فإنَّ الواقع يكذِّبه؛ لأنَّ السلطة الفرنسية سجنت بالفعل في الرباط وغيرها من مدن المغرب الذين احتجوا على إبطال الأحكام الشرعية.
- وأمَّا عودة الوزير الفرنسي إلى المغرب للتفاوض، فهذا يكفي لإعلام فرنسا بمركزها الحقيقي في العالم الإسلامي، ونبذه لها، وحنقه عليها، وإفهامها أنَّ الذين يدفعونها إلى هذه السخافات إنما هم أعداء فرنسا الحقيقيين، حتى ولو كانوا من أبنائها[١].

ولَّما رأت جريدة الأهرام أنَّ تصريح المراسل لم يزِد المصريين إلاَّ إلحاحًا وتمسُّكًا باحتجاجهم، واستنكارهم، وطلبهم إيقاف الحركة التنصيرية، اتَّصلت به مرة أخرى ليقول كلامًا آخر، فادَّعى هذا المراسل أنَّ المنصِّرين في المغرب بلغت بهم العفة وطهارة الذمة أنهم إذا حصلوا على اللقطاء فإنهم يربُّونهم فقط، ويمتنعون عن تنصيرهم؛ ليتركوا لهم حرية اختيار الدين إذا رشدوا، ويرد الشيخ عليهم بأنه لا يوجد استخفاف بعقول المسلمين أكثر من هذا الاستخفاف، والأشدُّ سخفًا أنَّ المنصِّرين يتوقَّعون عندما يصرحون بهذه السخافات أنَّ المسلمين سيصدِّقونهم[٢]،ويختتم الشيخ هذا المقال بقوله: "فرنسا الآن بين أمريْن: إمَّا أن تصرّ على التقاليد السياسية التي ترجع إلى الحروب الصليبية، فتكون سببًا في يقظة المسلمين من أقصى الأرض إلى أقصاها، أو أن تنسحِب عن هذه السياسة بانتظام، وتعترف للمسلمين في المغرب بحق الحياة، وبذلك تحسِن إلى نفسها"[٣].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢١٨، ص: ١، مقال بعنوان: الأهرام شر وسيط بين الإسلام وفرنسا.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

المطلب الرابع:
ثناء الشيخ على جهود المجتمع المسلم في مقاومة التنصير

ويشتمل على خمسة مسالك.

كان لهجمات المنصِّرين على بلاد المسلمين أعظم الأثر على نفوس الغيورين على دينهم من المسلمين، ولكن لم تكن لهم رابطة ينضوون تحت رايتها للتعاضد، والتكاتف، واجتماع القوى، واتِّحاد الصف، ومع ذلك فإنَّ التنصير واجه بعض المقاومة من المسلمين. ومن ذلك:

المسلك الأول: احتجاج الطلاب الفلسطينيين على محاولات التنصير داخل الأزهر.

نشر الشيخ نصَّ احتجاج الطلاب الفلسطينيين في الأزهر، ويفيد هذا الاحتجاج اعتراض الطلاب الأزهريين الفلسطينيين على حكومة فلسطين إفساح المجال للمبشرين يعيثون فسادًا في صفوف المسلمين، ويفرِّقون شملهم، ويقيمون المؤتمرات لأغراضهم التبشيرية، ويطالبون الحكومة المصرية أن تقف بحزم وعزم لإيقاف هذه المؤتمرات، وكافة الأنشطة التي تحارب الإسلام في عقر داره، ويؤكِّدون في احتجاجهم أنَّ هذه الأنشطة التبشيرية ستُحدِث أمرًا لا تُحمَد عقباه، وأنه يجب على المستعمر البريطاني احترام دين الأكثرية الساحقة في فلسطين، ثم كتب أصحاب هذا الاحتجاج أسماءهم(١).

المسلك الثاني: احتجاج المغاربة في بلادهم على دعم الاحتلال للتنصير.

نشر الشيخ الشروط والبنود التي أعدَّها الشعب المغربي؛ لإلزام المفاوض الفرنسي، وهي:

- إيقاف حركة المبشِّرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم، ومنعهم من التجوُّل، والحضور في الأسواق، ونشر أيِّ شيء يمسُّ بكرامة الإسلام وحرمة النبي -عليه الصلاة والسلام- بأيِّ نوع من أنواع النشر.
- لا تُعطَى أيُّ إعانة من ميزانية الدولة، أو مِلك من أملاك المخزن الشريف للجمعيات التبشيرية من الساعين في تشييد الكنائس، ومنتديات التبشير في أطراف البلاد المغربية.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٨٥، ص: ١٣، خبر بعنوان: مؤتمر المبشرين في فلسطين.

- عدم السماح للمبشِّرين بإنشاء ملاجئ للأيتام واللقطاء، ومدارس صناعية وعلمية للبنين والبنات، والإنفاق عليها من المال المعدِّ للمصالح العامة، وأموال جماعة المسلمين كما هو مقرَّر في الشريعة الإسلامية، وأمَّا ما سبق تأسيسه، فإمَّا أن تقوم به الحكومة، وإمَّا أن يُقفَل، وعلى أيِّ حال لا ينبغي أن تبقى هذه لنفوذ المبشِّرين.
- لا يُعيّن الرهبان والمبشرون للتدريس في مدارس الحكومة، أو لإدارتها.
- منح العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين، وعدم التعرُّض لغيرهم(١).

المسلك الثالث: الإشادة بتصريحات مقاومة للتنصير، من رئيس وزراء مصر.

استبشر الشيخ وفرح كثيرًا بإعلان حكومة مصر بأنها لن تسمح بأن تكون مصر ميدانًا للتبشير، وبأنها بيَّنت للمشرفين على الإرساليات الدينية للمبشرين وجهة نظر الحكومة، وذلك بقصر جهود الإرساليات على أبناء الديانة التي تتبعها إرسالياتهم، وأنَّ الحكومة لن تتوانى في التدخُّل إذا حصل أيُّ امتعاض من الشعب المصري بسبب جهود المنصِّرين، ويؤكِّد الشيخ أنَّ كلَّ مسلم غيور قد قام بنقش هذا التصريح في قلبه، وأنه خطوة للأمام في سبيل الحياة الروحية السعيدة في مصر، وأنَّ الشعب المصري سيراقب، وسيراقب كلّ مسلم غيور ما يستجد من أحداث، ومدى موافقة القول للعمل(٢).

المسلك الرابع: الإشادة بسيدة أوقفت مترلَيْن لها لمواجهة التنصير.

يُثني الشيخ على سيدة مصرية تبرَّعت بمترلَيْن عظيمَيْن، يُقدَّر ثمنهما بعشرين ألف جنيه، جعلتهما وقفًا ليُتَّخذا ملجأيْن يأوي إليهما أبناء المسلمين وبناتهم، الذين تنقذهم الحكومة من مصايد دعاة النصرانية، ثم تبرَّعت هذه السيدة أيضًا بأرض صالحة للبناء، تبلغ مساحتها ٢٥٠٠ مترا، جعلتها وقفًا على عمل الخير، وجعلت التصرُّف فيها لصاحب الجلالة ملك مصر، فأصدر جلالة الملك أمره في الحال إلى وزير الداخلية بأن تخصَّص هذه الأرض لبناء الملاجئ والمستشفيات، حيث تهتم باليتامى وأبناء السبيل، ممَّا سيكون سببًا في

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢١٨، ص: ١٠ ، مقال بعنوان: الأمة المغربية تعلن مطالبها.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٢٨٩، ص: ١، مقال بعنوان: ثلاث خطوات إلى الأمام، القاهرة، الخميس ٣ ذو القعدة، سنة: ١٣٥٠هـ.

حمايتهم من أن تمتد إليهم يد المنصِّرين، مستغلة عوزهم واضطرارهم، ثم تبرَّعت هذه السيدة بمائة جنيه لمطعم خُصِّص للفقراء في القاهرة. ولقد جعل الشيخ هذه السيدة مضرب مثل، يستنهض بها هِمَم ونخوة وبذل الموسرين من المسلمين لمقاومة التنصير في بلاد المسلمين، وسد حاجة الفقراء، وإغناؤهم عن الجمعيات الخيرية التنصيرية(١).

ثم يتألَّم الشيخ لحال المسلمين تجاه دينهم، والعمل على نهضته، فيقول: "وقفت أتأمل في حظ الإسلام من بنيه، فرأيتُ أغنياءنا محسوبين على الإسلام ظلمًا، ولم ينتفع الإسلام بشيءٍ ممَّا أنعم الله به عليهم بلا تعب منهم في جمعه، ورأيتُ الفقراء قد سحقتهم كوارث الحياة حتى أمعنوا في الفقر، وقد كاد الفقر أن يكون كفرًا"(٢)،(٣).

المسلك الخامس: متابعة الشيخ لنتائج المقاومة للتنصير.

نشر الشيخ النتائج المذهلة التي تحقَّقت بعد ثلاث سنوات من إعلان النداء الذي أهاب فيهب المسلمين، لمقاومة الحملة التنصيرية في بلاد المغرب، وهي كالآتي:

- حدث عند المسلمين في المغرب انقلاب في النفوس والقلوب، فظهر للميدان أمة تعرف حقها وتطالب به، ويؤكِّد ذلك طائفة كبيرة من حجاج المغرب الذين التقى بهم الشيخ أثناء مرورهم من مصر.
- صدرت مجلة في باريس برعاية شباب مسلمين، بعضهم من بلاد المغرب، من أهدافها مقاومة الاستعمار(٤).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٧٦، ص: ١، مقال بعنوان: صاحبة القصور في الفردوس، القاهرة، الخميس ٤ رمضان، سنة: ١٣٥٢هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٥٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦١٢)، من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-، وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٠٨٠).

(٤) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٤٤، ص: ١، مقال بعنوان: فضل فرنسا على المغرب الأقصى، القاهرة، ١٦ المحرم، سنة: ١٣٥٢هـ.

المطلب الخامس:

فضح الشيخ للمنصِّرين، ونشره لمؤتمراتهم وخطبهم، تحذيرا منها.

ويضم مسلكين.

المسلك الأول: فضح المنصِّرين بنشر مؤتمراتهم المخططة والداعمة للتنصير.

ذكر الشيخ النصَّ الكامل لبيان المؤتمر التبشيري العام، الذي عُقِد في مدينة القدس، سنة ١٩٢٤م، ونظرًا لطول هذا البيان، فلقد جزَّأه الشيخ إلى سبعة أجزاء، وقام بنشر كلِّ جزء في عدد مستقل بالتوالي، وكان الهدف من نشر الشيخ لهذا البيان كاملاً أن يعتبر المسلمون بما فيه، ولقد تضمَّن هذا البيان الحقائق التي توصَّل إليها المنصِّرون، والنتائج التي تحقَّقت على أيديهم في أنحاء العالم الإسلامي، والتوصيات التي يهيبون بالمنصِّرين العمل بها، وفيما يلي مقتطفات للأفكار الرئيسية التي تناولها هذا البيان التبشيري:

- أنَّ الإسلام انتقض غزله، وحاق به الضعف، وتفكَّكت حزمته، وذلك أكثر ما يكون سياسيًا، وأصبحت الروح القومية تدحر روح الجامعة الإسلامية، حيث أصبح لإلغاء الخلافة تأثير عميق في تركيا، وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي[١].
- أنَّ القابلية العظيمة التي تُرى اليوم في العالم الإسلامي لتلقِّي بشارة الدين المسيحي بروح الطمأنينة والرضا قد ظهرت وبانت أجلى بيان[٢].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٩٠، ص: ٨، بيان المؤتمر التبشيري العام. (١)، القاهرة، الخميس ١٤ شوال، سنة: ١٣٤٦هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٩١، ص: ٥، بيان المؤتمر التبشيري العام. (٢)، القاهرة، الخميس ٢١ شوال، سنة: ١٣٤٦هـ.

- أنَّ الجهود التي يبذلها المبشِّرون من الطائفة الكاثوليكية[١] أكثر من جهود الطائفة البروتستانتية[٢]، وأنها لم تُحرِز ما كان ينبغي عليها إحرازه نحو المسلمين[٣].
- أنه يمكن تنصير المسلمين، والمسلمون يُنَصّرون الآن، وأنَّ الدين المسيحي يتمتَّع بالقوة والحيوية الغالبة والجارفة[٤].
- الوسائل الشائعة في التبشير هي الإيجابية، والعاطفة شكلاً وروحًا، وهي تقوم مقام ما كان شائعًا من قبل من الوسائل السلبية الهادمة الحادة العقيمة[٥].

---

(١) الطائفة الكاثوليكية: المقصود بها الكنيسة الكاثوليكية، حيث تم عقد المجمع الثاني عشر من مجامع الكنيسة الذي عُقد سنة: ١٢١٥م، وتقرر في هذا المؤتمر استئصال المراطقة، ويعنون بذلك كل من يرى رأيا مخالفا للكنيسة، وبالفعل تم ممارسة العنف على المسيحيين، وبالغت في فرض آرائها عليهم، ولقد سلكت سبيل العنف والشدة، وجعلت الحرق والتعذيب مصير كل من يخالفها ولو في أدق الجزئيات، ولو كانت غير دينية. انظر: "محاضرات في النصرانية"، محمد أبو زهرة، ص: ٢٠٤، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ.

(٢) الطائفة البروتستانتية: نهضت الإرادة الإنسانية في العصر المشهور في التاريخ الأوروبي، والمعروف بعصر النهضة، وهو العصر الذي اتصل فيه الشرق بالغرب، وتبين للنصارى رقي الإسلام وسماحته، ولقد ظهر في فجر القرن السادس أصوات من النصارى تنادي بالإصلاح، وكان النقد هادئا، وكان ذلك من سنة: ١٤٧٨م، إلى سنة: ١٥٣٥م، ثم بدأ عصر العنف، حيث قام لوثر بثورة احتجاج، وكان ذلك سنة: ١٥٢٩م، ومن ذلك الحين تم تسمية المحتجون: بروتستانت، أي المحتجون، ومن حينها انقسم هؤلاء المحتجون بقيادة لوثر عن الكنيسة الكاثوليكية، وقاموا بإصلاح الكثير من مفاسدها الاجتماعية والعقائدية، -كما يرون-. انظر: "محاضرات في النصرانية"، محمد أبو زهرة، ص: ٢٠٥- ٢٣١.

(٣) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٩٢، ص: ٦، بيان المؤتمر التبشيري العام.(٣)، القاهرة، الخميس ٢٨ شوال، سنة: ١٣٤٦هـ.

(٤) انظر: المرجع السابق، العدد ٩٣، ص: ٥، بيان المؤتمر التبشيري العام. (٤)، القاهرة، الخميس ٦ ذي القعدة، سنة: ١٣٤٦هـ.

(٥) انظر: المرجع السابق.

- أصبح تخريج المبشِّرين تخريجًا عاليًا على طريقة النظام والتخصُّص، أمرًا ضروريًا لا غنى عنه(١).
- حان الوقت للتأليف من زعماء الكنائس في البلاد الإسلامية؛ وذلك لتوحيد جهود المبشِّرين العاملين في الميادين الإسلامية(٢).
- أنَّ الدين المسيحي متوقِّف في عمله على الفرصة السانحة من العالم الإسلامي(٣).

كانت هذه هي الأفكار الرئيسية التي تناولها المؤتمر التبشيري في بيانه، ولقد تبيَّن منها كيف أنَّ القوم يكيدون بعزم وإصرار، ومواصلة بلا كلل، مع التضحيات وتوزيع العمل باهتمام وانتظام، ومتابعة النتائج عن طريق المؤتمرات الدورية لعرض الجهود، وتقدير أصحاب الإنجازات ودعمهم، وتحفيز مَن لم يحقِّق النتائج المطلوبة، وشحذ همته للعمل، وذلك في ظل صمت وتخاذل ويأس وخور وتقاعس من أصحاب القبلة الواحدة، أصحاب الدين الصحيح، والكتاب المبين، والرسالة الخالدة، والله المستعان.

المسلك الثاني: فضح المنصِّرين بنشر خطبة لأحدهم، تدعو التنصير.

نشر الشيخ خطبة لأحد دعاة النصرانية، يذكر فيها لإخوانه المنصرين خلاصة تجربته في تنصير المسلمين في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، وسأُجمِل الأفكار الرئيسية لهذه الخطبة فيما يلي:

- يذكر هذا المنصّر أنه توصَّل من خلال تجربته في الدعوة إلى النصرانية في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي أنَّ الطريقة التي سار عليها الدعاة إلى النصرانية وأنفقوا فيها

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٩٥، ص: ١٥، بيان المؤتمر التبشيري العام. (٦)، القاهرة، الخميس ٢٠ ذي القعدة، سنة: ١٣٤٦هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٩٦، ص: ١٥، بيان المؤتمر التبشيري العام. (٧)، القاهرة، الخميس ٢٧ ذي القعدة، سنة: ١٣٤٦هـ.

(٣) انظر: المرجع السابق.

الكثير من الوقت والذهب وتأليف الكتب وإلقاء الخطب لم توصِّل إلى الغاية التي ينشُدها الدعاة إلى النصرانية.

- أنَّ الذين دخلوا في النصرانية من المسلمين لا يعدو الواحد منهم إلاَّ أن يكون صاحب هوى، أو نصَّابًا سافلاً، لم يكن داخلاً في دينه من قبل حتى يعدّ قد خرج منه، وأنَّ الواحد من المسلمين الذين تنصَّروا لو بِيع بالمزاد لا يساوي ثمن حذائه.
- أنَّ ما يسعى إليه دعاة النصرانية من نقل المسلمين إلى النصرانية، هو باللعب أشبه منه بالجد، وأنَّ من الشجاعة إعلان فشل وإفلاس جهود تنصير المسلمين.
- يرى هذا الخطيب أنه يجب على دعاة النصرانية إذا أرادوا تحقيق أهدافهم وتسهيل مهمتهم ومهمة مَن يأتي بعدهم من المنصِّرين، أن يكثِّفوا الجهود التي تحقِّق لهم هدم الإسلام في نفوس المسلمين أولاً؛ لأنه من الصعوبة بمكان أن يتقبَّل المسلم النصرانية ولا يزال في قلبه عقيدة الإسلام، وأنَّ على الدعاة إلى النصرانية أن يتذكَّروا أنَّ عملية الهدم أسهل من البناء دائمًا، إلاَّ في موضوع هدم الإسلام في نفوس المسلمين[1].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٩١، ص: ١، مقال بعنوان: دعاة النصرانية في ديار الإسلام.

المطلب السادس:

رؤية وخطة الشيخ لمقاومة التنصير في بلاد المسلمين

اقترح الشيخ بعض الآراء الكفيلة بمقاومة التنصير في البلاد الإسلامية، والكفيلة كذلك بنشر الدين الإسلامي، وتعميم نوره وهدايته على أنحاء المعمورة، وهي:

- أنْ تبدأ الأمة الإسلامية من لحظتها بالاستفادة من عقلائها وعلمائها بالدأب على رسم برنامج لا تقل مدته عن مائة سنة، وهذا أمر واجب في إعداده، وواجب في تنفيذه، وواجب على الأمة أن تتقاسم جوانب التنفيذ؛ لأنها إذا لم تواجه خطط التنصير بخطط لمواجهتها، فإنَّ مثلها كمثل الجيش الذي يسير إلى المعركة ويطمع في النصر من دون أن يعدَّ الخطط التي يسير عليها، ويفترض الاحتمالات التي تحقِّق له النصر.
- أن ينسى المسلمون الدنيا وحظوظها وهم يعملون للدين، وأن يتجنَّبوا الاصطدام وهم يعملون؛ لأنهم باصطدامهم سيخسرون، وستزداد حينها وطأة المنصِّرين.
- إنشاء قسم في الأزهر للبنات، يتعلمن فيه تعليمًا مبنيًا على الثقافة الإسلامية، ويقمن بعد تخرُّجهن بالتدريس في مدارس الفتيات.
- يجب على الحكومة والجمعيات الخيرية التعاون فيما بينها لإنشاء الملاجئ والمستشفيات، والاهتمام فيها بطب الأرواح قبل الأجساد.
- إيجاد المناعة في أبناء المسلمين، ولن يكون ذلك إلاَّ بحمل جميع المدارس على جعل الثقافة الإسلامية أساس التعليم والتربية.

- أن تكون هناك رابطة تفاهم ذات نظام متَّفق عليه من كلِّ الأعضاء في هذه الرابطة، وأن تحرص هذه الرابطة وكلُّ مَن يعمل بها لمقاومة التنصير على أن يكون العمل خالصًا لوجه الله جلَّ جلاله وحده(١).
- حثُّه للموسرين وأصحاب الثراء من المسلمين على البذل والعطاء، وألاَّ يكونوا بشحِّهم وقلة عطائهم بلاءً على الإسلام والمسلمين، وليعلموا أنَّ حاجة الإسلام منهم ليست بالدعاء له، ولا بكتابة المقالات والتأليف، وليدعوا هذه الأمور مع أهميتها للفقراء من العلماء، ويجب عليهم أن يدركوا أهمية بذلهم وعطائهم بالمبالغ المالية، وبالأراضي الصالحة للبناء، وبما أنعم الله عليهم من القصور والدور، وليدركوا أنَّ السعادة في العطاء أكثر منها في الأخذ، وسيفرحون بادِّخارهم ما أنعم الله جلَّ جلاله عليهم من المال، وسيباهون بعطاء الله جلَّ جلاله لهم يوم العرض الأكبر(٢).
- إنشاء مستشفيات تُغني الأربعة عشر مليونًا من مسلمي مصر عن مستشفيات المنصِّرين، في مصر وغيرها.
- إنشاء أندية للشبَّان المسلمين، يكون هدفها العمل بأسباب النماء والبقاء للإسلام والمسلمين، ولشغل أوقات فراغهم بما يعود للفائدة على أمة الإسلام، وحتى تُضمَن حمايتهم من أن تتخطَّفهم يد التنصير، فيصبحوا أداة لهدم الدين الإسلامي بأيدي أبنائه.
- مبادرة الأزهر في الحال، لتخصيص طوائف من رجاله لدراسة البلايا المحيطة بالأمة الإسلامية، وتفريغهم للقضاء عليها، وأهمها التنصير.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٥٣، ص: ١، مقال بعنوان: تسوية الصفوف لإقامة الدعوة الإسلامية، القاهرة، الخميس ٢٠ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٢هـ.

(٢) انظر: "المرجع السابق"، العدد ٣٧٦، ص: ١، مقال بعنوان: صاحبة القصور في الفردوس.

- يجب أن يأخذ المسلمون بيد كلِّ مَن يعالج أمراضهم الاجتماعية، فيؤيِّدونه ويساعدونه، ويوسِّعوا دائرة جهاده؛ لأنه إذا لم يجد مَن يسانده، فإنَّ قواه ستنفد، وإذا سقط، كان غيره أجبن من أن يُقدِم على مثل تجربته.
- يجب على الفقهاء أن يُفتُوا المسلمين بما يجب عليهم من إنفاق لدينهم وحمايته وحماية أبنائه من الانزلاق في هوَّة الردَّة عن الدين الإسلامي(١).
- تفعيل دور المسجد في النصح والإرشاد وبناء النفوس وتأصيل العقيدة ونشر ثقافة البذل والعطاء والتعاون والفداء والمحبة والإخاء، فالرسول عليه الصلاة والسلام اتَّخذ من مسجده في المدينة ناديًا ومثابة للناس ودارًا لحكومتهم ومركزًا لقيادتهم ومنبرًا للوعظ ومصدرًا لخيرهم في الدنيا والآخرة(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٨١، ص: ١، مقال بعنوان: حياة الفرد وحياة الجماعة الإسلامية.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٥٥٦، ص: ٣، مقال بعنوان: إمام الحي، القاهرة، الخميس ٢٢ ربيع الآخرة، سنة: ١٣٥٦هـ.

المبحث الثاني:

جهوده في مقاومة الاستشراق

ويحتوى على ستة مطالب.

- المطلب الأول: أغراض الاستشراق.
- المطلب الثاني: بيانه تاريخ الاستشراق، ورحلات المستشرقين.
- المطلب الثالث: بيانه مشاهير المستشرقين، وأهم أعمالهم، للتحذير منها.
- المطلب الرابع: رصده لمؤتمرات المستشرقين، ويضم مسلكين.
- المطلب الخامس: أهم المكتبات الغربية التي تضم كتبًا ومخطوطات شرقية إسلامية.
- المطلب السادس: رؤية الشيخ لمقاومة الاستشراق.

المطلب الأول:
أغراض الاستشراق.

بين الشيخ أغراض الاستشراق، وحذر منها، وهي—كما يرى:

- الغرض الديني؛ لدراسة الدين الإسلامي، ومعرفة أسراره، وأسباب انتشاره، والعلاقة بين الدين والنهضة الإسلامية المبهرة التي تحقّقت خلال عشرات السنين في عصر صدر الإسلام، وما تبعه من عصور القوة والفتوحات، وتسخير ذلك للنيل من الدين الإسلامي.
- الغرض الثقافي؛ لدراسة ما توصَّل إليه المسلمون من علم، وحضارة، ودراسة التراث الفكري، والاستفادة من معارف المسلمين وعلومهم، في الأندلس خصوصًا، وفي بلاد المسلمين عمومًا، والاستفادة من ثقافتهم الأصيلة لتوظيفها، ومعرفة أسرارها؛ لمحاولة الوصول إلى زعزعة الثوابت عند المسلمين.
- الغرض السياسي؛ لمعاونة الاستعمار، وإمداده بالأخبار العلمية، والاقتصادية، وتقييم عقول سكان الشرق الإسلامي، والبحث عن الثقافة المؤثِّرة في عقول المسلمين؛ وذلك للاستفادة منها، ومحاولة الهيمنة على توجُّهات المسلمين وأفكارهم(١).

ولقد حذر الشيخ المسلمين، حكومات وشعوبا، من هذه الأغراض السيئة للاستشراق، وحمّلهم مسؤولية التصدي للاستشراق، ونبّههم إلى الالتفات لدراسة تراثهم، وعلومهم، وتاريخهم المجيد، وأنهم هم الأولى من غيرهم بدراسة كل ما يتصل بهم، وأن وسائل القوة، ومقومات العزة، لا تزال كامنة بين أيديهم، وأنها في حاجة ماسة إلى من يهتم بها، ويسخرها كوقود للنصر والتمكين(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧٠١، ص: ٢٤، مقال بعنوان: المستشرقون، القاهرة، الخميس ٣ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٩هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٧٠١، ص: ٢٤، مقال بعنوان: المستشرقون، القاهرة، الخميس ٣ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٩هـ.

المطلب الثاني:
بيانه تاريخ الاستشراق، ورحلات المستشرقين

أقدم ما عُرِف من تاريخ الاستشراق هو عصر الترجمة، الذي عُني بترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية، وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي، حيث كانت الترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية، ثم بدأ عصر الإرساليات في القرن الخامس عشر الميلادي، حيث بدأت الإرساليات بمجهود شخصي لأحد المستشرقين، فلمَّا رأى تراجم الكتب المنقولة من العربية إلى اللغات الأوروبية ليس فيها عناية، أخذ على عاتقه دراسة العربية في صميم أوطانها، فذهب إلى دمشق، وأقام فيها يدرس ويتعلَّم، ثم قام برحلة إلى سائر بلاد سوريا ومصر وفارس وآسيا الصغرى، وعاد بعد ذلك ليشرح لتلاميذه ما تحصَّل عليه من علوم العرب، وفي نفس القرن الخامس عشر الميلادي قصد أحد الأطباء الأوروبيين بلاد الشام، سنة: ١٤٨٣م؛ ليتبحَّر في فهم الكتب العربية، وليعلِّق شروحًا على ترجمته لها[1].

تأسيس الطباعة: بعد عصر الترجمة بدأ عصر الطباعة، حيث كانت فاتحة القرن السادس عشر الميلادي بدء تأسيس الطباعة بالعربية في أوروبا، فقد أُنشِئت أول مطبعة عربية، واحتُفِل بافتتاحها سنة ١٥١٤م، وأول كتاب طُبِع فيها بحروف عربية كتاب(صلاة السواعي).

ثم بدأ العمل على غزو بلاد العرب الإسلامية غزوًا دينيًا مسيحيًا بواسطة الطباعة والنشر، فتمَّت طباعة بعض الكتب العربية طباعة كانت موضع إعجاب من حسن طبعها.

وفي أوائل القرن السابع عشر، تأسَّست في روما مطبعة حجرية بالحروف العربية، وقد نُشِر منها في سنة ١٦١٣م كتاب (التعليم المسيحي).

وفي أوائل القرن السابع عشر أيضًا تأسَّست مدرسة (امبرواز)، ولها مكتبة في إيطاليا، وقام مؤسِّس هذه المدرسة والمكتبة بتأليف أقدم معجم صنَّفه الأوربيون.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧٠١، ص: ٢٤، مقال بعنوان: المستشرقون.

ومن أقدم الأوربيين الذين رحلوا إلى بلاد العرب (دوتي)[١]الذي زار مدائن صالح[٢].

(١) دوتي: رحالة انجليزي، ولد في ١٩ أغسطس، سنة: ١٨٤٣م، وتوفي في ٢٠ يناير سنة: ١٩٢٦م، منعته السلطات التركية من الالتحاق بقافلة الحجاج، المتجهة من دمشق إلى مكة، فأقام في دمشق عاما كاملا، وأطلق على نفسه اسم خليل، وتنكر في ملابس النصارى العرب، تعلم اللغة العربية، وبعد عام من إقامته في دمشق تسلل بين قافلة الحجاج المسافرة من دمشق، وانفصل عن القافلة في مدائن صالح، وكان ذلك في نوفمبر سنة: ١٨٧٦م، حيث شرع في دراسة النقوش الصخرية، ثم توجه إلى داخل قلب الجزيرة العربية، فسافر إلى حائل، وخيبر، والقصيم، واستمرت هذه الرحلة واحدا وعشرين شهرا، وانتهت في يوم ٢ أغسطس سنة: ١٨٧٨م، ووصل إلى انجلترا أواخر سنة: ١٨٧٨م، وفي سنة: ١٨٨٤م انتهى من كتابه في وصف رحلاته إلى الجزيرة العربية تحت مسمى: (رحلات في قفار الجزيرة العربية). انظر: "موسوعة المستشرقين"، د/ عبد الرحمن بدوي، ص:٢٥٠، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٩٣م.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧٠١، ص: ٢٤، مقال بعنوان: المستشرقون.

المطلب الثالث:
بيانه مشاهير المستشرقين، وأهم أعمالهم، للتحذير منها

كان الشيخ متابعا لأشهر المستشرقين، ولأعمالهم المجرمة في حرب الإسلام والمسلمين، ومن أشهر هؤلاء المستشرقين، الذين حذر منهم:

١) كاترمير[١].

٢) هوتسما[٢].

٣) دوزي[٣].

---

(١) كاترمير: مستشرق فرنسي، عني بالتاريخ الإسلامي، كما اهتم بنشر العديد من المخطوطات العربية، وكان يتقن اليونانية، كما أتقن معظم اللغات السامية، ولد في باريس في ١٢ يوليو سنة:١٧٨٢م، اتسمت أسرته ووالده بالجد وبالتمسك بالمسيحية، حكمت الثورة الفرنسية على والده بالقتل لتمسكه بالدين، ولقد أثرت هذه الحادثة في نفس الطفل كاترمير، فحرص على تكريس نفسه للعلم، وكان نبوغه مبكرا جدا، إذ كان يعرف القراءة وهو في سن الثالثة، وبعد أن أتم الدراسة الثانوية بدأ في دراسة العلوم، خصوصا علم النبات، وعلم المعادن، والرياضيات، ثم بدأ في دراسة اللغات الشرقية، له بحث بعنوان: (أبحاث نقدية وتاريخية عن اللغة والأدب في مصر)، وكتب عدة مقالات عن عبدالله بن الزبير -رضي الله عنه-، والأمويين، والعباسيين، والفاطميين، وغيرها من الكتب التي ترجمها من العربية إلى الفرنسية، توفي في أكتوبر سنة: ١٨٥٧م، في باريس. انظر: "موسوعة المستشرقين"، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ٤٤٦.

(٢) هوتسما: مستشرق هولندي، ولد في ١٥ يناير سنة: ١٨٥١م في إقليم فريسلند، وبعد دراسته الثانوية في دوكوم دخل جامعة ليدن، وفي عام ١٨٧٥م حصل على درجة د/اه في اللاهوت، برسالة عنوانها: (النزاع حول العقيدة في الإسلام) وكانت الرسالة باللغة الهولندية، وفي الفترة من سنة: ١٨٧٤م إلى سنة:١٨٩٠م كان مساعد محافظ لقسم المخطوطات الشرقية في مكتبة جامعة ليدن، كما قام خلال هذه الفترة بتدريس اللغتين الفارسية والتركية في المعهد الإسلامي بجامعة ليدن، نشر فهرسا بعنوان: (فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة جامعة ليدن)، حقق بعض قصائد الأخطل في كتاب بعنوان: (الأخطل، مادح الأمويين) وحقق كتاب: (الأضداد) لابن الأنباري، وحقق كتاب: (تاريخ اليعقوبي) وهو من المؤلفات المهمة في التاريخ الإسلامي من وجهة نظر الشيعة. كما أصدر أربعة مجلدات: اثنان بالفارسية، وواحد بالعربية، والرابع بالتركية، من كتابه الجامع: (مجموع نصوص تتعلق بتاريخ السلاجقة)، وغيرها من الأعمال. توفي في ٩ فبراير سنة: ١٩٤٣م. انظر: "موسوعة المستشرقين"، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ٦١٦.

(٣) دوزي: مستشرق هولندي، ولد في ٢١ فبراير سنة: ١٨٢٠م، في مدينة ليدن، أولع منذ صباه باللغات، فأتقن الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية، ثم درس العربية والعبرية والكلدانية والسريانية، فاز في مسابقة أعلن عنها المعهد الملكي الهولندي بعنوان: (الملابس العربية لكلا الجنسين الرجل والمرأة)، حصل على د/اه في تحقيق جزء من كتاب بعنوان: (أخبار بني عباد عند الكتاب العرب)، ترجم مخطوط بعنوان (تاريخ بني زيان في

=

٤) جوليوس[١].

٥) دي خويه[٢].

٦) باربيهدمنار[٣].

٧) نللينو[٤].

=

تلمسان)، وغير ذلك من الأعمال، توفي سنة: ١٨٨٣م. انظر: "موسوعة المستشرقين"، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ٢٥٩.

(١) جوليوس: مستشرق هولندي، ولد سنة: ١٥٩٦م، درس في جامعة ليدن عدة علوم: اللاهوت، والفلسفة، والطب، والرياضيات، ثم استقر اهتمامه على التخصص في الدراسات العربية، في سنة: ١٦٢٢م سافر إلى مراكش بصحبة مبعوث هولندي، فأقام فيها طويلا، وقام بجمع المخطوطات العربية، واهتم بمعرفة الأسماء العربية لمنتجات بلاد المغرب لما في ذلك من فوائد للتجار الهولنديين، تم تعيينه أستاذا للغة العربية في جامعة ليدن سنة:: ١٦٢٤م، ثم سمحت له الجامعة بالقيام برحلة أخرى إلى الشرق، ووضعت تحت تصرفه مبلغا كبيرا من المال، وذلك لشراء مخطوطات عربية، فأقام في حلب عاما ونصف، وزار أنطاكية، وزار مدنا سورية أخرى، وكانت حصيلة المخطوطات التي حصل عليها مائتين وخمسين مخطوطا، توفي سنة: ١٦٦٧م. انظر: "موسوعة المستشرقين"، للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص: ٢٠٤.

(٢) دي خويه: مستشرق هولندي، ولد في ٩ أغسطس سنة: ١٨٣٦م، دخل جامعة ليدن، وتخصص في الدراسات الشرقية، وحصل على د/اه بعنوان: (نموذج من الكتابات الشرقية في وصف المغرب مأخوذ من كتاب البلدان لليعقوبي)، اهتم بالجغرافية العربية، حقق كتاب (فتوح البلدان) للبلاذري، نشر جزءا من كتاب: (العيون والحدائق في أخبار الحقائق) لمؤلف مجهول، وهذا الكتاب يتحدث بالتفصيل الواسع عن تاريخ الخلفاء ابتداء من الوليد بن عبد الملك حتى المعتصم، أي من عام ٨٦هـ- إلى عام ٢٢٧هـ، أشرف وشارك في تحقيق (تاريخ الطبري)، وغيرها من الأعمال، توفي في ١٧ مايو سنة: ١٩٠٩م. انظر: "موسوعة المستشرقين"، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ٢٣٠.

(٣) باربيهدمنار: مستشرق فرنسي، ولد في مارسيليا، سنة: ١٨٢٧م، تم تعيينه أستاذا للغة التركية في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس، اختير عضوا في أكاديمية النقوش والآداب في فرنسا، شغل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية إلى أن توفي، استخرج المواد المتعلقة ببلاد فارس في كتاب: (معجم البلدان) لياقوت الحموي، ألف كتاب: (وصف مدينة قزوين)، وكتاب: (دراسة عن محمد بن الحسن الشيباني، الفقيه الحنفي)، توفي سنة: ١٩٠٨م. انظر: "موسوعة المستشرقين"، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ٦٠.

(٤) نللينو: مستشرق إيطالي، ولد في ٦ فبراير سنة: ١٨٧٢م، كان متفوقا على أقرانه في دراسته، أولع ولعا شديدا بالجغرافيا وبخاصة كتب الأسفار والرحلات، وكان يحلم بأن يصير في يوم ما رحالة مغامرا يستكشف المجهول من البقاع والأصقاع، كما كان مغرما بدراسة اللغات الأجنبية، فدرس بنفسه اللغة العربية من غير معلم، أصدر بحثا بعنوان: (قياس الجغرافيين العرب لخطوط الزوال) وكان هذا البحث قبل التحاقه بالجامعة، يعتبر نللينو أكبر حجة في تاريخ الفلك عند العرب، له محاضرات باللغة العربية تم إفراغها ونسخها وطباعتها بعنوان: (علم الفلك، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى)، كتب مقالا قيما بعنوان: (نظام القبائل العربية في الجاهلية)، منحته وزارة المعارف الإيطالية مكافأة دراسية لكي يدرس في القاهرة، وكان ذلك عام ١٨٩٣م، وبعدها أخرج كتابا بعنوان: (اللغة العربية في لهجتها المصرية)، لما عاد إلى بلاده أسند إليه شغل كرسي اللغة

=

٨) كرتشكو فسكي[١].[٢].

ثم أورد الشيخ أهمَّ أعمال هؤلاء المستشرقين، وهي:

- تأليفهم دائرة المعارف الإسلامية[٣].
- تأسيس جمعيات بمساعدة الحكومات؛ كالجمعية الآسيوية التي تأسست في باريس سنة ١٨٢٢م.
- تأسيس مدارس للغات الشرقية والمعارف العربية في معظم عواصم الغرب؛ لتخريج الساسة والقناصل والمستشرقين الذين يعملون في بلاد تلك اللغات، ولا تقوم أمة بعمل يتعلَّق بالاستشراق إلاَّ تبادر الأمم الأخرى إلى عمل مثله وما هو أتقن منه.
- إنشاء مجلات كثيرة خاصة بالشرق وعلومه وأحواله.

وإنَّ أحدث ما وصل إلى المسلمين من أعمالهم، كتاب: أغناطيوس غويدي، في لغة اليمن القديمة، مستنبطة من آثارها وأحجارها، وقد طبعته الجامعة المصرية في روما.

=

العربية في معهد نابلي الشرقي، وذلك في نوفمبر عام ١٨٩٤م، اهتم بالدراسات العربية وحدها دون غيرها، على العكس من باقي المستشرقين الذين كانوا يهتمون بالعلوم الشرقية عموما، من فارسية وآرامية وكلدانية وغيرها، وغير ذلك من الأعمال، توفي سنة: ١٩٣٨م. انظر: "موسوعة المستشرقين"، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ٥٨٣.

(١) كرتشكو فسكي: مستشرق روسي، ولد في ١٦ مارس سنة: ١٨٨٣م، يعتبر أبرز المختصين بالدراسات العربية من بين المستشرقين الروس، تعلم اللغة العربية بغير معلم، التحق بكلية اللغات الشرقية في جامعة سان بطرسبرج، فتعلم اللغة العبرية والحبشية والفارسية والتركية والتتارية، برز في دراسته الجامعية، له بحث جامعي بعنوان: (خلافة المهدي العباسي وفقا لمصادر عربية)، كتب بحثا عن أبي العتاهية، وحصل على الماجستير بعنوان: (أبو الفرج الوأواء الدمشقي، دراسة لخصائص إنتاجه الشعري)، اعتنى بالعلاقات بين الآداب المسيحية والآداب الإسلامية في الشرق، وغير ذلك من الأعمال، توفي سنة: ١٩٥١م. انظر: "موسوعة المستشرقين"، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ٤٦٨.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧٠١، ص: ٢٤، مقال بعنوان: المستشرقون.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: تعتبر دائرة المعارف الإسلامية من أهم أعمال المستشرقين، لأنها جمعت جهودهم العلمية في عمل موحد، ابتدأت فكرة دائرة المعارف الإسلامية منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وأول بحث لها كان في سنة ١٩١٣م، تعبر عن رؤية المستشرقين للتراث والحضارة الإسلامية. انظر: "الاستشراق، تعريفه، مدارسه، آثاره"، للدكتور محمد فاروق النبهان، ص: ٤٠-٤٤، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

وأهم مركز للاستشراق في البلاد العربية ففي مدينة بيروت؛ وذلك لكثـــرة عـــدد المسيحيين بلبنان[١].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧٠١، ص: ٢٤، مقال بعنوان:المستشرقون.

المطلب الرابع:
رصده لمؤتمرات المستشرقين

ويضم مسلكين.

المسلك الأول: المؤتمرات الستة عشر.

أول هذه المؤتمرات مؤتمر باريس سنة ١٨٧٣م.

والثاني في لندن سنة ١٨٧٦م.

والثالث في بطرسبرج (لينيغراد) سنة١٨٧٧م.

والرابع في فلورنسة سنة١٨٧٨م.

والخامس في برلين سنة ١٨٨١م[1].

والسادس في ليدن سنة ١٨٨٢م، وقد امتاز هذا المؤتمر ببحثٍ تمَّ تقديمه عن كتابات عاد وثمود الموجودة في جزيرة العرب، وبيان أشكالها وحروفها، ووصف الأحجار والآثار المكتوبة عليها، وبعض هذه الأحجار في اليمن؛ وهي التي تتضمن كتابات عاد، وبعضها في مدائن صالح وهي التي تتضمَّن كتابات ثمود.

والسابع في فينا سنة ١٨٨٦م.

والثامن في استوكهلموكرستيانا سنة ١٨٨٩م.

والتاسع في لندن سنة ١٨٩٢م.

والعاشر في جنيف سنة ١٨٩٤م.

والحادي عشر في باريس سنة ١٨٩٧م.

والثاني عشر في روما سنة ١٨٩٩م.

والثالث عشر في هامبورغ سنة ١٩٠٥م.

والرابع عشر في الجزائر سنة ١٩٠٥م.

والخامس عشر في كوبنهاغ سنة ١٩٠٩م.

والسادس عشر في أثينة سنة ١٩١٢م.

---

(١) انظر: "مجلة الزهراء". ج ١ م ٥. القاهرة. ربيع الأول ١٣٤٧. تقرير بعنوان: مؤتمر المستشرقين السابع عشر.

المسلك الثاني: مؤتمر الاستشراق السابع عشر.

بين الشيخ أهمية هذا المؤتمر، حيث كانت العادة الغالبة في عقد مؤتمرات المستشرقين السابقة أنها تُعقَد كلَّ ثلاث سنوات، أمَّا هذا المؤتمر السابع عشر، فإنه يُعقَد بعد فترة استمرت ستة عشر عامًا، وفي هذه الفترة تطوَّرت علوم البشر تطوُّرًا انتقلت فيه من حال إلى حال، ولقد قدَّم علماء المستشرقين في هذا المؤتمر معارف واسعة جدًّا، هي نتيجة بحوثهم العلمية والعملية خلال الستة عشر عامًا السابقة[١].

مكان إقامته وتاريخه: مدينة أكسفورد، الاثنين ١١ ربيع الأول (٢٧ أغسطس)[٢].

لمحة عن المشاركين في هذا المؤتمر: شارك في هذا المؤتمر بضع مئات من علماء الغرب الذين وقفوا حياتهم على درس علوم الشرق وتاريخه وآثاره وأحواله؛ منهم ٢١٥ عضوًا يمثّلون بلادهم بصفة رسمية، ولقد كان من اللافت للأنظار أنَّ ربع الأعضاء المندوبين كانوا من ألمانيا، ولا عجب فالألمان أكثر الناس صبرًا على درس العلوم الشرقية والتأليف فيها، بالرغم من أنهم لا تربطهم بالشرق أواصر الاستعمار.

لجان المؤتمر: انقسم رجال المؤتمر إلى تسع لجان، التحق بكل لجنة منها أهل التخصُّص بموضوعها، وهذه اللجان هي:

١- اللجنة العامة.

٢- لجنة تاريخ الأثوريين وآثارهم.

٣- لجنة مصر وإفريقية.

٤- لجنة أواسط آسيا وشماليها.

---

(١) انظر: "مجلة الزهراء". ج٧، ٨: م٤. القاهرة. رمضان – شوال ١٣٤٦هـ. مقال بعنوان: مؤتمرات المستشرقين.

(٢) انظر: "المرجع السابق". ج ١ م ٥. القاهرة. ربيع الأول ١٣٤٧. تقرير بعنوان: مؤتمر المستشرقين السابع عشر.

٥- لجنة الشرق الأقصى.

٦- لجنة الهند القديمة، والهند الحديثة، وفارس، وإرمينية، والقفقاس.

٧- لجنة اللغة العبرية.

٨- اللجنة الإسلامية.

٩- لجنة الفنون الشرقية.

ولقد أوجز الشيخ ما تكلّمت به كل لجنة من اللجان التسع المشاركة في هذا المؤتمر[١].

(١) انظر: "مجلة الزهراء". ج١ م٥. القاهرة. ربيع الأول ١٣٤٧. تقرير بعنوان: مؤتمر المستشرقين السابع عشر.

المطلب الخامس:
أهم المكتبات الغربية التي تضم كتبًا ومخطوطات إسلامية شرقية

ذكر الشيخ من خلال إلمامه وعلمه، مجموعة من المكتبات العالمية، التي تضم هذه الكتب والمخطوطات الإسلامية، ومن أهمها:

- مكتبة ليدن.
- ومكتبة باريس.
- والمتحف البريطاني.
- ومكتبة لينغراد.
- ومكتبة برلين.
- ومكتبة الفاتيكان(١).
- ومكتبة الاسكوريال.

وذكر أن في تركيا نحو أربعين مكتبة، كلٌّ منها صغيرة، لكنها بمجموعها تعدُّ من أثمن المكتبات العربية، ومنذ شاع استعمال الفوتوغراف في نقل المخطوطات القديمة، صارت كلُّ مكتبة تنقل ما ينقصها من الكتب التي امتازت بها المكتبات الأخرى، حتى إنَّ دار الكتب المصرية نقلت من مكتبات أوروبا مئات كثيرة من الكتب النفيسة(٢).

---

(١) مكتبة الفاتيكان: أسسها البابا نيكولاس الخامس، في الفترة بين ١٤٤٧م و ١٤٥٥م، وهي مكتبة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ومقرها في مدينة الفاتيكان، بروما، إيطاليا، وتعد من أهم المكتبات عالميا، لاحتوائها على مقتنيات مهمة ونادرة من المخطوطات والكتب القديمة، انظر: "الموسوعة العربية العالمية"، حرف الميم، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط ٢، بدون تاريخ للنشر.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧٠١، ص: ٢٤، مقال بعنوان: المستشرقون.

المطلب السادس:
رؤية الشيخلمقاومة الاستشراق

- يؤكِّد الشيخ على أنَّ الخلاص من الاستعمار الثقافي لا يعني أن نكـــون جـــاهلين بثقافات الأمم، فكما أنَّ المستشرقين هم عيون الغرب التي يُبصِر بها دخائل الشـــرق ومكنوناته، كذلك يجب أن يكون من رجال الشرق العربي، والمبدعين من رجـــال العالم الإسلامي، أخصائيون يتفرَّغون لدراسة مختلف الثقافات والتأليف فيها.
- نبّه الشيخ على أنَّ دراسة المستشرقين لثقافات الشرق وعقائده، لم تكن مؤدِّيـــة إلى انسلاخ أولئك عن ثقافاتهم وعقائدهم، وكذلك يجـــب علـــى أفاضـــل المجتمـــع الإسلامي، الذين يتفرَّغون لدراسة ثقافات الغرب، وغيره من مختلف الأمم، يجب أن يكون عملهم هذا لأجل المعرفة والتعريف، ثم يكون الواحد منهم أشد الناس تمسُّكًا بثقافته الأصيلة، وقوميته، وسُنن أمته، وأهدافها[1].

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الخامس، المجلد الثامن والعشرون، مقال بعنوان: درس، القاهرة، سنة: ١٣٧٦هـــ.

المبحث الثالث:
جهوده فى مقاومة التغريب

ويشتمل على ثمانية مطالب.

- **المطلب الأول: بيانه أساليب التغريب كما يراها، ويضم ثمانية مسالك.**
- **المطلب الثاني: توضيحه وسائل التغريب كما يراها، وقد حوى أربعة مسالك.**
- **المطلب الثالث: بيانه أسباب انتشار التغريب في المجتمع المصرى. وقد اشتمل على ثلاثة مسالك.**
- **المطلب الرابع: كشفه السياسة التغريبية في بعض بلاد المسلمين، ويضم مسلكين.**
- **المطلب الخامس: أساليب الشيخ في مقاومة التغريب، وقد احتوى ثلاثة مسالك.**
- **المطلب السادس: كشفه الأفراد والقوى الداعمة للتغريب في بلاد المسلمين، وقد اشتمل على مسلكين.**
- **المطلب السابع: تبيينه الفرق بين التجديد في نظر الأوربيين، والتجديد في نظر حكام المسلمين.**
- **المطلب الثامن: رؤية الشيخ المعتدلة فيما نأخذه من الغرب، وما يجب تركه.**

ظهرت الدعوة إلى التغريب في عصر الشيخ، تحت مُسمَّى التجدُّد، ولقد عرّف الشيخ هذا التجدُّد بأنه: "اعتناق ما عليه الغربيون اليوم أو الخليعون من الغربيين مهما كان، ونبذ القديم الذي كان عليه الآباء والأجداد والأجيال الماضية من سلفنا الصالح أيًّا كان"(١).

ويرى الشيخ أنَّ الدعوة إلى التجدُّد هي في حقيقتها دعوة إلى الانسلاخ من الدين الإسلامي، والذوَبان في الشخصية الغربية، وكان الأولى بالمسلمين التنبُّه لهذه الدعوة المزيَّفة، وتصحيح مسارها بمجاراة الغرب في مضمار التقدُّم الصناعي، والعلمي، والاقتصادي؛ ليتحقَّق لهم النهوض، مع الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية، وأنه من الخطأ اعتقادهم بأنَّ الإسلام هو الذي منعهم من أن تكون أممهم عظيمة كأمم الغرب، ممَّا أدَّى بهم إلى محاولة الانسلاخ من دينهم، والاندماج في الغرب اندماجًا تامًّا(٢).

---

(١) "مجلة الفتح"، العدد ١٤، ص: ٥. مقال بعنوان: التجدد وشيء من آثاره وواجب الأمة نحو أهله، الخميس ٩ ربيع الأول، سنة: ١٣٤٥هـ.

(٢) انظر: "المرجع السابق"، العدد ٥٤٨، ص: ١، مقال بعنوان: مغزى دعوة المسلمين إلى لبس البرنيطة، ٢٥ صفر، سنة: ١٣٥٦هـ،

المطلب الأول:
أساليب التغريب كما يراها الشيخ

ويضم ثمانية مسالك.

المسلك الأول: خلط التغريب بين مفهوم الثقافة، ومفهوم العلم.

من أساليب التغريب التي استخدمها الاستعمار أنه خلط لمصر بين الثقافة والعلم، فأوهم الاستعمار الإنجليزي مجتمع مصر بأنَّ الثقافات الأجنبية هي من العلم الذي لا غنى عنه، وأوهمهم أنَّ الثقافات الأجنبية مقدَّمة على الحاجة إلى العلم، ولقد أحكم الاستعمار صلة المجتمع المصري بالثقافات الأجنبية، وحرص كلَّ الحرص على جعلهم أجانب عن ثقافتهم الإسلامية الأصيلة، وأقنع الاستعمار المصريين بأنَّ قبلتهم إنما هي في العواصم الأوروبية، حتى أصبح الكثير من المجتمع المصري وبيوته تظهر عليه آثار الاقتباس من الثقافة الغربية(١).

يقول الشيخ: "لقد شوّه الاستعمار لأبنائنا جمال ماضيهم، وكرّهه إليهم بقدر ما موّه لهم مخازي ماضيه وحبَّبها إليهم"(٢).

المسلك الثاني: الترويج للمدنية الغربية.

روّج الاستعمار الإنجليزي في مصر للمدنية الغربية، وأنها من الرقي والحضارة ومواكبة العصر، وبثّ سمومه التي يدَّعي أنها من التجدُّد؛ كالاختلاط، والتبرج، وارتداء اللبس الغربي، وتناول الأطعمة الغربية، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ للشعب الغربي ظاهرًا وباطنًا، فباطنه الدين الذي يحكم الفرد، وظاهره القانون الذي يحكم الجميع، ومن هنا يتبيَّن موضع الخلل في المدنية الغربية، فهي في ظاهر الشعب دون باطنه، والفرد فاسد في

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء التاسع، المجلد الثامن والعشرون، مقال بعنوان: من البلبلة إلى الاستقرار.

(٢) المرجع السابق.

ذات نفسه، إذا هو تحلَّل من الدين، ومع ذلك فهو منتظم في ظاهره الاجتماعي بالقوانين، وبالآداب العامة التي تفرضها القوانين، ومعيار الأخلاق عنده يكون دائرًا مع المصلحة والمضرة، وأمَّا المسلم الحق، فباطنه كظاهره، لا مراء ولا مخادعة ولا نفاق؛ لأنه يتعبَّد الله –جلَّ جلاله في كل أحواله[١].

المسلك الثالث: استخدام القوة والقهر في فرض التغريب.

أسِف الشيخ على تبدُّل حال الأمة التركية، والتي كانت مضرب المثل في حب الدين، والعمل به، والخضوع لأوامره ونواهيه، واحترام شعائره، فإذا بهذه الأمة يتسلَّط عليها مصطفى كمال أتاتورك[٢]بقوة السلاح والنار تارةً، وبالإكراه والسجن والتعذيب تارةً أخرى، وقام بمسخها ظاهرًا وباطنًا، حتى أصبحوا في ناحية، ودين الإسلام في ناحية أخرى، لا رابطة لهم به ولا بأهله، وكأنهم لم يُخلَقوا له ولا خُلِق لهم، ثم يذكر الشيخ أنَّ السبب الذي دعا مصطفى كمال أتاتورك إلى الإصرار على تغريب المسلمين في تركيا، هو أنَّ الرجل نشأ هو وكلُّ مَن عاونه نشأة على الجهل بالإسلام، وتمكَّنت من قلوبهم الشَّبَه التي سمعوها من أعداء الإسلام، فشبُّوا وهم على ذلك، فلم يكن للدين عندهم أيُّ احترام، لذلك فضَّلوا الحياة الأوروبية وصبغتها وطريقتها على نهج الإسلام وتعاليمه، وهجموا بشراسة على الدين الإسلامي، ينقُضون عراه عروةً عروةً؛ كلُّ ذلك لإقناع نفوسهم أنهم يسيرون في طريق الرقي، ولإرضاء الغربيين بأنهم اختاروا طريقتهم ويسيرون على نهجهم[٣].

---

(١) انظر: مجلة الأزهر، الجزء الثاني، المجلد الثامن والعشرون، مقال بعنوان: أخلاق جديدة لحياة جديدة، القاهرة، سنة: ١٣٧٦هـ.

(٢) سبقت ترجمته ص ٤١.

(٣) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٤، ص: ٥، مقال بعنوان: التجدد وشيء من آثاره وواجب الأمة نحو أهله.

المسلك الرابع: السيطرة على اقتصاد المسلمين، لضمان تبعيتهم للغرب.

من أساليب التغريب الماكرة الاهتمام بالترابط الاقتصادي بين الشرق والغرب، الذي هو أشد اتِّصالاً وأكثر ارتباطًا من الروابط السياسية والحربية، وإنَّ هذا الارتباط كان لسعادة الغرب وشقاء الشرق، وفتحٌ للغرب في أوطان الشرق، وإنَّ الشرق كان قبل أن تشتبك أواصر الصلة الاقتصادية بينه وبين الغرب كان متمتِّعًا بسعادته، متلذِّذًا بوقته، مالكًا لما تتداوله أيدي أبنائه من نقود قبضًا أو صرفًا، فلما تديَّن الشرق من الغرب، خضع للربا ولنظام البنوك، وكان التاجر يتاجر بمواد هي من نتاج بلاده، أو مصنوعة بأيدي مواطنيه، ولكن بعد الارتباط الاقتصادي بين الشرق والغرب، أصبح التاجر يتفنَّن في إقناع المستهلك الوطني بابتياع مواد يعود ثمنها إلى بلاد العدو، وهو مضطر إلى الإسراع في إبدال سلعة الإفرنج بنقود الوطن، وتحويل نقود الوطن إلى بلاد الإفرنج، إنَّ هذا الارتباط حوّل الشرق من القناعة التي كان يرى أنها كنز لا يفنى، إلى الجشع الذي سلبه سعادته، وقضى على ما فيه من سكينة وعافية[١].

المسلك الخامس: سعي التغريب إلى زعزعة التمسُّك بالدين في نفوس المسلمين.

من أساليب التغريب التي استخدمها لتغريب المسلمين ومجتمعاتهم، العبث بالدين وبالحرمات، وإحراج صدور المؤمنين بالعدوان على الثوابت والأخلاق، ومحاولة تلقِّي كلّ ما عليه الغربيون، واستبدال الثوابت الدينية والأخلاقية بحجة التجديد، والتحرُّر، ونبذ الرجعية، وإنَّ استجابة الدولة المصرية وغيرها من الدول الإسلامية وإحراج صدور المؤمنين بما يتردَّد على صفحات الجرائد ومنابر الخطابة بالدعوة إلى ذلك، وهم بصنيعهم هذا إنما يسيؤون إلى الشعب والحكومة في آنٍ واحد، وأنهم يعتدون على الحرية باسم الحرية[٢].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٦٤، ص: ١، مقال بعنوان: حياتنا الاقتصادية بين الأمس واليوم، الخميس ٦ ربيع الثاني، سنة: ١٣٥٠هـ.

(٢) انظر: "المرجع السابق"، العدد ٨٧، ص: ٨، مقال بعنوان: العبث بحرية الاعتقاد والجناية على الحرية باسم الحرية، الخميس ١٦ رمضان، سنة: ١٣٤٦هـ.

المسلك السادس: تزيين الباطل، وخداعهم للمسلمين.

اشتهر التغريبيون بنفاقهم الذي استخدموه كأسلوب من أساليبهم في التغريب، ولقد ذكر الشيخ عبارة مشهورة عند التغريبيين يخدعون بها الناس، ويرغبونهم بها في دعوتهم إلى اعتناق ما عليه الأوربيون، وهي أنهم يسعون إلى نبذ الرجعية، وترك العمل بقانون القرون الوسطى، والرجعية وقوانين القرون الوسطى في نظرهم هي نبذ الإسلام، والكيد به، والعمل على تقليص ظله، وملاشاة معالمه(١).

المسلك السابع: تتابع الموجات التغريبية وسرعتها، للقضاء على تماسك المسلمين، وإضعافا لهم.

استخدم التغريبيون أسلوب الاستمرارية والتتابع والإسراع في حملاتهم التغريبية، فلقد تطوَّرت مصر تطوُّرًا سريعًا في تحقيق مكاسب للتغريب، بحيث لم يتمكَّن أصحاب البصيرة من إيقاف هذا التطوُّر؛ وذلك لأنَّ هذا التطوُّر كان يسير بخطوات سريعة، وموجات متعاقبة، وهذه الموجات هي:

- موجة استهداف أخلاق الشباب من الجنسيْن، بإشغالهم بالسفاسف، وإضاعة الشطر الكبير من أوقاتهم في المتعة، والاسترسال مع الشهوات.
- موجة استهداف نظام الأسرة، وتقبيح قوامة الرجل على المرأة، وإضعاف ولاية الأب على الابن والبنت، وتزهيد الفتيان في الزواج، فخطبهم الفتيات بوسائل الإغراء التي تحوَّلت إلى وسائل غواية، فما لبث الفريقان أن اكتفيا بالوسائل عن الغايات، وخطر ذلك يكمُن في تفكُّك الأسر في مصر، وسيصبح تماسك الأسرة المصرية من الحوادث النادرة.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٨٧، ص: ٨، مقال بعنوان: العبث بحرية الاعتقاد والجناية على الحرية باسم الحرية، الخميس ١٦ رمضان، سنة: ١٣٤٦هـ.

ويرى الشيخ أنَّ الذين انساقوا خلف هذا التيار، وظهرت ملامحه عليهم بشكل أكثر وضوحًا هم المسلمون، الذين هم أكثرية الشعب المصري[١].

المسلك الثامن: تمجيد التغريب للمسلمين المتبنين للتغريب، والإشادة بهم، دعما لهم، ودعاية لهم.

بيَّن الشيخ أسلوبًا من الأساليب التي استخدمها التغريبيون في تغريبهم، وهي الافتخار بمَن يوافق آراءهم من داخل المجتمعات المسلمة المحافظة، وبالذات من العلماء المسلمين، فإنهم يقومون بالدعاية والنشر والإعلاء من شأن أولئك النفر؛ ليخدعوا بأقوالهم عامة المسلمين، ومن ذلك أنَّ فريد وجدي[٢]وهو الكاتب الإسلامي المعروف بثباته على الحق، ومناضلته للمحافظة على المبادئ الإسلامية، تنكَّب عن الطريق القويم، وأيَّد حكومة مصطفى كمال أتاتورك في سفور المرأة، وفي رقص المرأة مع غير محارمها، وأيَّده في زواج المسلمة بغير المسلم، ولقد ظنَّت حكومة مصطفى كمال ومَن هم على شاكلتها من الدعاة إلى التغريب، أنهم ازدادوا بهذا الرجل قوة وعددًا، وأنه سيكون سببًا في تحقيق بعض أهدافهم التغريبية للمجتمعات الإسلامية، ولكن الشيخ يحمد الله جلَّ جلاله على ارتفاع درجة الوعي عند عامة المسلمين، حيث لم يُخدَعوا بآراء هذا الرجل الذي منحوه الثقة في دينهم، ولكنهم أنزلوه منزلته العلمية التي استحقها سابقًا، وأيضًا وضعوه في المكان اللائق به لاحقًا؛ لَمَّا تنكَّب الصراط في آرائه الحديثة الموافقة للتغريبيين، وأنَّ المسلمين وبالذات

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٩٣، ص: ٣، مقال بعنوان: توجيه تطور مصر الاجتماعي، القاهرة، الخميس ١٧ المحرم، سنة: ١٣٥٥هـ.

(٢) فريد وجدي: محمد فريد بن مصطفى وجدي، ولد بالإسكندرية سنة: ١٢٩٥هـ: ١٨٧٨م، ونشأ فيها، وهو مؤلف (دائرة المعارف)، من الكتاب الباحثين، أقام زمنا في (دمياط) وكان أبوه وكيل محافظ فيها، وانتقل مع والده إلى السويس، فأصدر بها مجلة (الحياة) ونشر رسالة له سماها (الفلسفة الحقة في بدائع الأكوان) سنة ١٨٩٩م، وكتاب (تطبيق الديانة الإسلامية على نواميس المدنية) كتبه أولا باللغة الفرنسية، وترجمه إلى العربية بهذا الاسم، وسماه في طبعة أخرى (المدنية والإسلام) وسكن القاهرة، فعمل في وظيفة صغيرة بديوان الأوقاف، أنشأ بعدها مطبعة أصدر بها جريدة (الدستور)، توفي في القاهرة، سنة: ١٣٧٣هـ: ١٩٥٤م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٦: ٣٢٩. وانظر: "معجم المؤلفين"، عمر رضا كحالة، ١١: ١٢٦.

عامتهم اعتبروه بسبب آرائه الحديثة شخصًا آخر مولودًا حديثًا، وأنَّ فريد وجدي القديم رجلٌ مات أو انتحر، و لم ينساقوا خلف آرائه الحديثة؛ بسبب ثقتهم السابقة فيه، ولقد ظنَّ أنصار حكومة مصطفى كمال أنهم إذا اكتسبوا في صفوفهم رجلاً يدعو إلى مذهبهم من علماء المسلمين المعتبرين، أنهم سيصلون به إلى خداع الأمة، ويدعونها إلى مذهبهم بقلمه الآثم[١].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٨٩، ص: ١، مقال بعنوان: ثلاث خطوات إلى الأمام، الخميس ٣ ذو القعدة، سنة: ١٣٥٠هـ.

المطلب الثاني:
توضيحه وسائل التغريب كما يراها.

وقد حوى أربعة مسالك.

المسلك الأول: التغلغل في أجهزة الدولة المصرية، وغيرها من دول المسلمين.

من الوسائل التي استخدمها التغريبيون لضمان تحقُّق أهدافهم، التغلغل في أجهزة الدولة المصرية، حيث سيطر الإنجليز على مرافق مصر، وعلى نشاطها الاقتصادي والتجاري، وكانت الحكومة المصرية – الاستعمارية تدعم ذلك بفرضه بالقوة والإكراه، ممَّا زاد من وطأة التغريب ومكّن له، حتى إنَّ نشاط التغريب امتدَّ إلى الأراضي والصناعات الزراعية، كما كانت للتغريب كذلك سيطرته على وزارة الداخلية، وعلى أقسام البوليس، وكان له الإشراف على وزارة المالية، ووضع السياسة التعليمية من قِبَل القسِّيس البروتستانتي دانلوب، وكان ذلك قبل نجاح الثورة المصرية على المستعمر، وبعد نجاح الثورة، أهاب الشيخ المجتمع المصري بأن يخطو الخطوات الراسخة، وأن يتَّخذ الوسائل المناسبة للتخلُّص من الإرث الفاسد والكبير الذي خلَّفه الاستعمار في أجهزة الدولة المختلفة، بل وكانت له بصماته الجلية في الشعب المصري كافة، ووضع الشيخ مسؤولية التغيير على كلِّ مؤمن بأنَّ الأخلاق هي حياة الأمم، وحمّل الأمانة على أعناق المعلمين، وأساتذة الجامعات، وعلى الصحافة، وعلى الأفلام السينمائية، وعلى كلِّ فرد مصري، ويرى الشيخ أنه لا يمكن أن يصدر هذا التغيير وتحمّل الأمانة إلاَّ من القدوات العاملين، فالقدوة أساس الإقناع والاقتناع[1].

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الثامن، المجلد السابع والعشرون، مقال بعنوان: بين الأمس واليوم والغد، القاهرة، سنة: ١٣٧٥هـ.

المسلك الثاني: تغريب مظاهر المجتمع المسلم، والنظام الأسري.

من الأساليب التي استخدمها التغريبيون في تحقيق تغريبهم للمجتمعات الإسلامية الدعوة إلى لبس القبعة بدلاً من الطربوش؛ لأنَّ الطربوش كان رمزًا للمسلمين، وتراثًا يرمز إلى الحضارة الإسلامية في بعض بلاد المسلمين، بينما القبعة دخيلة على المجتمعات الإسلامية، وترمز إلى الغرب الذين لا يدينون بالإسلام. ولقد ردَّ الشيخ على كاتب دعا إلى لبس القبعة، وحجته في دعوته هذه أنَّ لابسي الطرابيش أذلاَّء، ويتساءل الشيخ عن وجه العلاقة بين لبس الطربوش والذل الذي ادَّعاه هذا الكاتب؟ وهل لبس القبعة سيغيِّر الحال من الذلِّ إلى العزِّ؟ وهل الشرط الوحيد للعزِّ هو لبس القبعة؟ وهل السبيل الوحيد لنيل العزِّ هو إلقاء الطرابيش المصرية وارتداء القبعات الغربية؟ ويرى الشيخ أنه ما من مسلم يخلع الطربوش ويرتدي القبعة إلاَّ يعدّ اعترافًا منه بالذل، وشعورًا منه بالحاجة إلى استعارة الشرف من الغير[1].ويقول الشيخ في ردِّه على هذا الكاتب: "يجب أن يعلم الداعون إلى هذا البرنامج الواسع أنَّ مصر والأوطان العربية أوطان إسلامية قبل كلِّ شيء، وأنَّ الإسلام يتميَّز عن غيره من الأديان بنزعته القوية إلى انفراد شعوبه بمظهر يميِّزهم عن غيرهم، ونحب كلَّ مَن وُلِد من أبويْن مسلميْن ويريد أن يبقى مسلمًا، أن يعرف هذه النزعة القوية في طبع الدين الإسلامي، وأن لا يحاول حمل أحد على تغييره، فإنَّ هذا عبث، والدعوة إلى هذا التغيير من السفاسف التي تذروها الرياح، ولا يترتَّب عليها غير تضييع أوقات العاملين، وإرباك الأمة بما لا طائل تحته، ونحن لا يهمنا الطربوش أحمر كان أم أسود، ولا تهمنا السدارة، ولا العقال، ولكن يهمنا ما وراء ذلك، وهو أن يبقى المسلمون متميِّزين يُعرَفون بسيماهم مهما كانت هذه السيما، وإنَّ الخلاف ليس على الطربوش ولا على البرنيطة، وإنما الخلاف على مصير المسلمين بالنسبة إلى حضارة الغرب، وهل

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٣٦، ص: ١، مقال بعنوان: سفاسف، القاهرة، الخميس ٢٩ ذي القعدة، سنة: ١٣٥٥هـ.

يأخذونها بكل ما فيها من صناعات وآداب وشرائع وتقاليد وأحكام، أم يأخذون منها ما يكونون به أغنياء وأقوياء من علم وصناعة ونظام مع التزامهم بكلِّ ما يطلبه الإسلام من المسلم؟"[١].

ولقد ردَّ الشيخ على عالم في جماعة كبار العلماء في مصر، يرى أنَّ الفقه الإسلامي ليس فيه ما يمنع لبس البرنيطة، ولا ما يوجِب لبس الطربوش، وكان ردّ الشيخ عليه في هذه النقاط:

- أنَّ روح التشريع الإسلامي ومن مقاصده العامة تمييز المسلمين ومنعهم من التشبُّه بغيرهم، وأنَّ نبينا عليه الصلاة والسلام كان حريصًا على ذلك الحرص كله.
- أنَّ الشيخ لا يشكُّ في تحريم البرنيطة؛ لأنَّ فيها تشبها بغير المسلمين، ولأنها أصبحت شعارًا على غير المسلمين.

ثم أشاد الشيخ بملك مصر لَمَّا رفض تاجًا من الذهب أُهدِي إليه؛ لأنَّ لبس الذهب يخالف التعاليم الإسلامية، ثم تعجَّب الشيخ من بعض محرِّري الصحف المصرية لَمَّا حاولوا أن يبرِّروا لأصحاب الهدية بأنهم ذهبوا إلى مشيخة الأزهر، وتحصَّلوا على فتوى بجواز لبس الذهب مع الكراهة. ولقد ردَّ الشيخ على هؤلاء المحرِّرين في هذا التملُّق لملك مصر، وأنَّ هذه محاولات فاشلة لن تنفعها شيئًا، وأنَّ ما ذهب إليه الملك من رفض هذه الهدية هو الصواب بعينه، وقد وافق برفضه هداية الإسلام ومقاصده العظيمة[٢].

ولقد تحدَّث الشيخ عن نفسه في كسوة العيد، وأنه لابدَّ وأن يشتري طربوشًا جديدًا له ولابنه، لذلك فقد اختار الشيخ طربوشًا صُنِع في مصر، مع أنه أعلى سعرًا من الطربوش المستورد؛ وذلك لأنَّ النقود التي تُدفَع في الطربوش المصنوع في مصر ستبقى في مصر، وأمَّا

---

(١) المرجع السابق، العدد ٥٣٦، ص: ١، مقال بعنوان: سفاسف، القاهرة، الخميس ٢٩ ذي القعدة، سنة: ١٣٥٥هـ.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٦٨، ص: ١، مقال بعنوان: فقه، القاهرة، الخميس ١٨ رجب، سنة: ١٣٥٦هـ.

النقود التي تُدفَع في الطربوش المستورد مع أنها أقل سعرًا ستذهب إلى جيب التاجر الغربي، ثم أعلى الشيخ من تجربة تاجر مصري افتتح مصنعًا في مصر لصناعة الطرابيش المصرية، إذْإنَّ هذه تجربة أُولى دعا الشيخ إلى إنجاحها بدعمها بالشراء، وبالشجاعة للإقدام على خطوة الاستغناء عن الطرابيش المستوردة، لتتحطَّم قيود الاستعباد السياسي، ثم تنبَّأ الشيخ بأنَّ التاجر الغربي إذا رأى انصراف الناس إلى شراء الطربوش المصنوع في مصر، فسوف يخفض سعر الطربوش المستورد إلى النصف أو أقل من النصف؛ لتكسد تجارة التاجر المصري، حتى إذا تحقَّق إفلاس المصنع المصري للطرابيش، ابتاعوه بما فيه، على أمل أن يخلو لهم الميدان بما فيه، فيضاعفوا ثمن طربوشهم المستورد ليستردوا قيمة التخفيض الذي كان سببًا في إغلاق المصنع المصري. ولقد حذَّر الشيخ من هذه الدسيسة الشيطانية، ودعا أصحاب المصنع والمستهلكين إلى الصمود والتفاني من أجل الاستقلال الذي تنشده الأمة الإسلامية عمومًا، والأمة المصرية خصوصًا، وأنَّ من أبسط أشكال الاستقلال أن تستقلَّ بمآكلها وملابسها، وأن تحرص ألاَّ يخرج القرش من جيب بعض أبنائها إلاَّ ليدخل في جيوب أبنائها[1].

المسلك الثالث: الدعوة لتحديد نسل المسلمين، وإفساد الأسرة المسلمة.

من وسائل التغريب التي استخدمها التغريبيون لتحقيق مقاصدهم تغريب النظام الأسري بالدعوة إلى تحديد النسل، بدعوى أنَّ نسبة المواليد في زيادة، وأنها ستكون سببًا في تخفيض نسبة دخل الفرد، وبدعوى أنَّ الحمل والوضع يشوّه جمال المرأة المصرية، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ الدعوة إلى تحديد النسل في مصر تعتبر دعوة إلى تعطيل القوى وتضييعها؛ لأنَّ ميدان زيادة النسل في مصر هو الريف والأيدي العاملة في الزراعة، وإنَّ زيادة الأيدي العاملة في الزراعة هي ثروة مصر الأولى بعد الأرض والنيل، كما أنَّ الدعوة إلى تحديد النسل وإقرارها سيكون بشارة خير لإسرائيل، حيث إنَّ أعداد الجيش المصري

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٧٧، ص: ١، مقال بعنوان: الثمرة الأولى، القاهرة، الخميس ١١ رمضان، سنة: ١٣٥٢هـ.

ستقل، وسيقل عدد الفدائيين المتطوّعين، وسيضعف الإنتاج الزراعي، وباختصار فإنَّ أمة مصر ستفقد الكثير من عوامل قوتها[١].

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الثاني، المجلد الخامس والعشرون، مقال بعنوان: قوى ضائعة، القاهرة، سنة: ١٣٧٣هـ.

المسلك الرابع: تغريب الإعلام، والسيطرة عليه.

اهتمَّ التغريبيون بالإعلام، وجعلوا منه وسيلة فاعلة في تغريب المجتمع المصري، ولقد كان للصحافة والسينما في مصر دور كبير في تغريب المجتمع المصري، وكان الأجدر بالصحافة والسينما أن تقوم بدورها الحقيقي والأساس في النصح والإرشاد وإصلاح المجتمع، ولكنها تحوَّلت إلى أداة تغريبية هادمة للقِيَم والأخلاق، ومن آثارها:

- اهتمام الصحافة ودور السينما بعرض ما يوافق أهواء الجماهير من مواد قليلة العمق هزيلة النفع.
- الاهتمام بصور النجوم وكواكب السينما، وبتصوير المصطافين والمصطافات على كورنيش الإسكندرية.
- استخفاف الشبان والشابات بالقِيَم والأخلاق، والاندفاع نحو الملذات.
- نشر القصص الغرامية التي أوصلت رسائل إلى الشبَّان والشابات أنَّ العفاف والصون خرافة من الخرافات.
- أصبحت وسائل الإعلام تمثِّل دور القدوة السيئة، وأنَّ طلب الملذات أمنية الجميع المسلّم بها.
- تهييج غرائز الشبَّان والشابات والعوام والأحداث بما تحتويه من مواد تهوّن عليهم أمر الأعراض.
- انتشار الجرائم الجنسية والخيانة الزوجية في المجتمع المصري[1].

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر". الجزءان ١١ و ١٢. المجلد السادس والعشرون. مقال بعنوان: أثر الصحافة والسينما في توجيه المجتمع، القاهرة، سنة: ١٣٧٤هـ.

المطلب الثالث:

بيانه أسباب انتشار التغريب في المجتمع المصري

وقد اشتمل على ثلاثة مسالك.

المسلك الأول: اعتماد أكثرية الشعب على الحكومة في شؤونهم العامة، وعدم قيام الشعب بدوره وواجبه.

من الأسباب التي ساعدت في انتشار التغريب في المجتمع المصري، اتِّكالية المجتمع المصري، وتقاعسه عن طلب وفعل ما يفيده في أمر دينه ودنياه، وانتظارهم من الحكومة المصرية فعل كلِّ شيء. ويؤكِّد الشيخ على أنَّ هذا الأمر من الأسباب التي ساعدت على انتشار التغريب، ووجهة نظر الشيخ هي أن يتكاتف المسلمون الغيورون على دينهم في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يكوِّنوا لهم أحزابًا وجماعات تتوافق مع كتاب الله –جلَّ جلاله ومع سنة رسوله –عليه الصلاة والسلام، حتى يكونوا قادرين على صدِّ العدوان الآثم من التغريبيين على الثوابت الدينية، فلقد استنهض الشيخ هِمَم المسلمين في مصر بإيراده خبرًا يقضي بعقد مؤتمر من الطائفة الكاثوليكية[1]؛ لتدعيم نظام الأسرة، والتفكير فيما يتهدَّدها من أمراض، وما يقوِّيها من أسباب، واشتركت في هذا المؤتمر عقول ناضجة، ورجال ونساء من ذوي الخبرة والاختصاص، واستعانوا برجال كنيستهم، وبجميع القوى المنسوبة إليهم، ولقد انتهى هذا المؤتمر بتوصيات تحقَّق بعضها على أرض الواقع، ويذكر الشيخ أنَّ جميع الأقليات في مصر لها أساليب ووسائل لدفع شرور التجدُّد؛ لتمنع بيوتها وأسرها من خطر التحلُّل الذي يهاجم بلد مصر من كلِّ نواحيه، في ظل غياب لدور الشريحة الكبرى التي يتألَّف منها شعب مصر وهي شريحة المسلمين[2].

---

(١) سبق التعريف بها ص ٢٦٨.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٩٣،ص: ٣، مقال بعنوان: توجيه تطور مصر الاجتماعي.

المسلك الثاني: عدم أخذ المسلمين بأسباب القوة المادية، مما أدى إلى سيطرة الغرب عليهم.

من الأسباب التي ساعدت على انتشار التغريب الغفلة المعيبة التي يتَّصف بها المسلمون، فلقد كان الغرب في سبات عميق، وفي عصور الظلام والجهل، وأهلم يفِق من سباته إلاَّ بعد اتِّصاله بالشرق في الحروب الصليبية وكوارث الأندلس، فتجدَّدت فيه مظاهر الحياة، وبدأ الغرب يولد من جديد، ولكن الشرق الإسلامي كان في غفلة عن مراقبة مراحل تلك النهضة، مع أنه كان أساسها وأصلها، ولَّما بعدت الشُّقَّة وعظُم التفاوت بين الشرق والغرب، وتحكَّم الغرب في الشرق لضعفه واتِّكاله على غيره، اغتنم الغرب الفرصة، وتحكَّم في خطوات الشرق، ووضع يده على مرافق حياته، وطمع أن يكون له سلطان على العقول والقلوب، بعد أن بسط سلطانه على الأملاك والجوارح، فكان من نتيجة الوسائل والمناهج الأجنبية التي وُضِعت لتثقيف أبناء المسلمين والتأثير في عقولهم وقلوبهم، أن نشأت بين المسلمين ناشئة كفرت بالشرق، وآمنت بالغرب، وصارت لا تبالي أن تذوب فيه[1].

المسلك الثالث: سكوت كثير من العلماء في مصر عن مقاومة التغريب، والتحذير منه.

على العلماء مسؤولية في مقاومة التغريب، وسكوتهم عن التغريب جعل منه سببًا في انتشاره وظهوره، ويرى الشيخ أنَّ لهذا السكوت أسبابًا؛ منها: أنَّ العالم إذا بيَّن حكم الشرع في ما يدعو إليه التغريبيون، تسلَّطت عليه صحف كبرى يؤيِّدها أعضاء في مجلسي النوَّاب والشيوخ في مصر، ولها مشجِّعون من مراسلي الصحف الأوروبية التي يسرُّها ملاشاة هذا الدين الإسلامي، فيخشى العالم على نفسه من التشهير، ويميل إلى العزلة، وهذه عزلة مقيتة، وكان الأولى بالعالم المسلم أن يقول كلمة الحق ولا يبالي؛ لأنَّ هذا هو

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦٠٣، ص: ١، مقال بعنوان: هل يوجد اليوم شرق؟، القاهرة، الخميس ٢٦ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٧هـ.

الوقت المناسب لقول كلمة الحق الظاهرة، وإذا كانت الكلمة خالصة لله جـلَّ جلالـه وحده، فإنَّ الله جلَّ جلاله سيبارك فيها وفي نتائجها[١].

(١) انظر: المرجع السابق، العدد ٨٧، ص: ٨، مقال بعنوان: العبث بحرية الاعتقاد والجناية على الحرية باسم الحرية.

المطلب الرابع:
كشفه السياسة التغريبية في بعض بلاد المسلمين

ويضم مسلكين.

المسلك الأول: كشفه واقع التغريب في تركيا، على يد العلمانيين.

من وسائل التغريب التي انتهجتها دولة تركيا بقيادة مصطفى كمال أتاتورك: تغريب المرأة التركية بجعلها متأثِّرة بالمدنية الغربية، وأغريت المرأة التركية بحضور السهرات الليلية والمراقص، والأماكن التي تبيع فيها شرفها، والمشاركة في المجون والخلاعة والعار، وزيَّنوا لها المبالغة في شراء الحلي وأدوات الزينة المستوردة من بلاد الغرب، وجعلوا المرأة التي تقوم بذلك امرأة عصرية متفتِّحة متقدِّمة، حتى وقع كثير من النساء في هذه الهوة السحيقة لتلبية رغباتهن، حتى إذا ما خلا القلب من الإيمان وحلَّ مكان الإيمان الهوى، وأصبحت المرأة تبحث عن ما يروي نهمها ويلبِّي رغباتها ويسعد قلبها، ظانَّة أنَّ سيرها في طريق الغواية يكفُل لها ذلك، لم تدرك أنَّ مثلها كمثل الظمآن إذا شرب من البحر، ازداد ظمأً، جعلت تبحث عن طريق آخر يكفُل لها الحلَّ السريع والقريب والعاجل، فلم تجده إلاَّ في الانتحار، وإنهاء الحياة والتعدِّي على النفس التي عظَّم الله جلَّ جلاله شأنها[1]، ونتيجة لتغريب المجتمع التركي، فإنَّ جريمة الانتحار تفشَّت بين النساء؛ بسبب ما يدَّعيه أدعياء التغريب من الحرية للمرأة التي تكفُل لها سعادتها، فكانت لهم هذه النتائج المؤلمة التي سعت حكومة تركيا إلى إيقافها ومعالجتها، والإيعاز إلى أساتذة الجامعات أن يحاضروا في مضار الانتحار، فلم يقل لهم هؤلاء المحاضرون أنَّ داء الانتحار وصل إليكم في حقيبة اسمها التفرنج، وإنما أوعز السبب إلى ضعف الأعصاب، ولقد شهد على حكومة تركيا رجل إنجليزي يكتب رسائله بالإنجليزية، حيث نسب سبب انتحار نساء تركيا إلى الانتقال السريع والمفاجئ لنساء المدن في تركيا إلى الحياة المدنية، واستدلَّ

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١١٥، ص: ١، مقال بعنوان: انتحار النساء في تركيا، القاهرة، الخميس ١٣ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٧هـ.

بأنَّ ظاهرة الانتحار لم تُسجَّل في القرى والهجر التركية، ولم يعلم أنَّ السبب في اطمئنان قلوب نساء القرى والهجر بالإيمان، وانحلال النساء المتمدنات من المبادئ والقِيَم الإسلامية، واستبدالهن حياة الإيمان بالحياة الغربية المنحلَّة في بعض نواحيها(١).

ثم ذكر الشيخ خطوة جديدة قامت بها تركيا في منهجها التغريبي لشعب تركيا؛ وهي إلغاء العمل بالحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية، في محاولة من حكومة مصطفى كمال أتاتورك لجعل تركيا دولة غربية مكتملة الأركان، ونست هذه الحكومة أو تناست ما سيترتَّب على هذه الخطوة من مشاكل واضطراب، بين الأمة التركية والحكومة في العلاقات والروابط القضائية والإدارية والعسكرية والانتخابية وغيرها، ولَّما تفاقمت المشاكل بين الشعب والحكومة من جرَّاء تطبيق هذا القرار، لجأت الحكومة إلى وضع مشروع لتغيير أسماء الداخلين في الجنسية التركية، وقد بنوه على أساسيْن:

- الأساس الأول: انتخاب ألوف من الأسماء اللاتينية والتوراتية المستعملة في أوروبا، ووضع جداول بها، وإجبار تسمية المواليد الجدد بأحد هذه الأسماء، ولا يُقبَل في سجلات الدولة أيُّ اسم آخر.
- الأساس الثاني: إطلاق الحرية لجميع المولودين قبل القانون الجديد أن يحتفظوا بأسمائهم الهمجية القديمة، أو تغييرها باسم من الأسماء الجديدة، وعلى موظفي الدولة العمل بذلك(٢).

ولقد ذكر الشيخ المجالات التي عملت حكومة مصطفى كمال أتاتورك على تغريبها، وهي:

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١١٥، ص: ١، مقال بعنوان: انتحار النساء في تركيا، القاهرة، الخميس ١٣ ربيع الثاني، سنة: ١٣٤٧هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٢٠٦، ص: ١، مقال بعنوان: الأسماء اللاتينية، القاهرة، الخميس ٧ صفر، سنة: ١٣٤٩هـ.

- التغريب في عبادة الله جلَّ جلاله، بتغيير المساجد إلى أشبه ما يكون بالكنائس، وذلك باستبدال تلاوة القرآن بالموسيقى، واستبدال الوقوف بين يدي الله جلَّ جلاله بالجلوس على المقاعد، واستبدال الأذكار الشرعية بعد الصلاة بتلاوة بعض الرطانات التركية مصحوبة بالموسيقى.
- التغريب في اللباس، بإجبار الأتراك على ارتداء البرنيطة على رؤوسهم، وتكليف الجنود بالنزول إلى الطرقات للقبض على مَن لم يرتديها، لتتم معاقبته في أماكن العقاب(١).

المسلك الثاني: كشفه للتغريب في الجزائر، على يد الاحتلال الفرنسي وعملائه.

من السياسة التغريبية التي انتهجتها فرنسا في حكمها للمسلمين في الجزائر بين عامي: ١٨٣٠م ١٩٦٢م، أنها أصدرت قانونًا يخرج القبائل البربرية عن أحكام الشريعة الإسلامية، وأحلَّت محلها عادات عرفية كانت للبربر في أيام جاهليتهم، ومنها:

- أنَّ المرأة لا ترث، وتعتبر ملكًا للرجل، وتندمج في الأمتعة الموروثة إذا مات زوجها أو أبوها.
- أنَّ الورثة من الرجال لهم أن يزوِّجوها لَمن أرادوا، ويأخذوا مهرها لأنفسهم حقًا لهم؛ لأنه ثمنها.

ومن السياسات التغريبية كذلك التي انتهجتها فرنسا في الجزائر:

- أنَّ فرنسا سلَّمت القضاء في الجزائر للقضاة الفرنسيين، يحكمون فيهم بعادات البربر بدلاً من الشريعة الإسلامية.
- أنَّ الفرنسيين أجبروا المسلمين على ترك أحكام شرعهم في الزواج والطلاق والميراث(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٠٢، ص: ١، مقال بعنوان: مصطفى كمال والإسلام، القاهرة، الخميس ١٠ المحرم، سنة: ١٣٤٧هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٧٢٢، ص: ١، مقال بعنوان: فرنسا والعالم الإسلامي، القاهرة، الخميس ٣ شعبان، سنة: ١٣٥٩هـ.

المطلب الخامس:
أساليب الشيخ في مقاومة التغريب

وقد احتوى ثلاثة مسالك.

المسلك الأول: الكتابة في الصحف والمجلات، للتحذير من التغريب وعملائه.

من أساليب الشيخ في مقاومة التغريب متابعة ما يصدر عن التغريبيين من محاولات، والردُّ عليهم في الصحف والمجلات، فلقد ردَّ الشيخ على كاتب مصري الولادة، تركي النشأة، كان مسلمًا في زمن العثمانيين، ولكنه تحوَّل إلى داعم ومؤيِّد للسياسة التغريبية، التي تنتهجها دولة تركيا بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، فلقد حبَّذ هذا الكاتب ما فعلته حكومة تركيا من أعمال تغريبية، وسأُورد أبرز القضايا التي دعا إليها هذا الكاتب، مع ردِّ الشيخ عليها:

- إلغاء العمل بالفقه الإسلامي في المعاملات، وإحلال القوانين الغربية بدلاً منه، وحجته بأنه لا يصحُّ باسم الحرية الدينية إجبار أحد على قبول تلك الأحكام الدينية المبنية على الدين الإسلامي؛ لأنَّ هذه الأحكام جعلت تركيا لا تستطيع الفوز بالاستقلال القضائي[1].

ولقد ردَّ الشيخ عليه بأنه درس في جامعة القسطنطينية بتركيا في قسم الحقوق ثلاث سنوات وفي أثناء هذه المدة خالط الشيخ كثيرًا من الطلبة المسلمين وغير المسلمين الذين درسوا القانون المدني الإسلامي المعمول به في تركيا، فلم يجد من أحد منهم إطلاقًا أيَّ تذمر من هذا القانون الإسلامي، ولم يكن أحد من غير المسلمين يعدُّ ذلك إجبارًا على قبول الأحكام الإسلامية، وذلك لما لمسوه من معنى العدل المشاع بين البشر، على اختلاف دياناتهم، من جرَّاء تطبيق هذه الأحكام، بل ولم يخطر على بال أحد من المواطنين اعتبار العمل بالقانون الإسلامي ضغطًا على الحرية.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١١، ص: ١، مقال بعنوان: حول القانون المدني التركي مسلم يحبذ تغيير حكم الله.

- ممَّا حبَّذه الكاتب المصري في مقاله: استحسان تزوُّج المسلمة بغير المسلم، وحجته في ذلك: أنَّ المانع الذي يمنع المسلمين والمسلمات من التزوُّج بالمسيحيين والمسيحيات، هو مانع اعتقادي وجداني، وليس للدولة أيُّ حق للتدخل في اعتقاد الناس.

ولقد ردَّ عليه الشيخ بأنَّ ما تقوم به حكومة مصطفى كمال أتاتورك بقوة الدولة على المسلمين، من أجل أن يخالفوا مقدَّساتهم الدينية، وشعائرهم الإسلامية جهارًا نهارًا، في الحقيقة أنَّ هذا هو عين التدخُّل في اعتقاد الناس، والضغط على المسلمين بالذات، ومضايقتهم، بل وإجبارهم على مخالفة دينهم واعتقادهم.

- ممَّا حبَّذه الكاتب المصري ودعا إليه: الحكم بغير ما أنزل الله في الميراث، وحجته: أنَّ أكثر الوقفيات التي يقرِّرها علماء المسلمين، وتقبلها المحاكم الشرعية الإسلامية، تنص في أكثرها على أنَّ حصة المرأة كحصة الرجل، فلماذا يكون ذلك مشروعًا من الأفراد وتقبله المحاكم الشرعية؟ ولا يكون مقبولاً من الدولة إذا شرّعت ذلك؟

ويردُّ عليه الشيخ بأنَّ هذا الرجل أبله، يريد أن يغالط المسلمين، وأنه قاس قياسًا فاسدًا، ولم يراعِ الفروق بين الإرث والوقف، فالواقف له الحرية الكاملة في أن يقف في حياته من ماله، وليس لأحد حق في أن يعارضه في اختياره، وله الحق أيضًا أن يقدِّر العطاء من وقفه لمن يستحق، وربما يقدَّر لامرأة أكثر من نصيب الرجل، ومدار الأمر في ذلك على الحاجة، وليس على نوع الجنس ذكرا أم أنثى[1].

وممَّا كتبه الشيخ في الصحف والمجلات، ردَّه على رسالة للقائم بأعمال المفوضية التركية في الحجاز، وتحديدًا في جدة، مفادها أنَّ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فسَّروا توجُّهات حكومة مصطفى كمال أتاتورك في تركيا تفسيرات شائنة، وأنَّ الحقيقة غير ما تبادر إلى أذهان المسلمين، فكان ردُّ الشيخ عليه بأنه طلب منه أن يجيب باسم

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١١، ص: ١، مقال بعنوان: حول القانون المدني التركي مسلم يحبذ تغيير حكم الله.

حكومته على استفسارات، حتى يقتنع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بأنَّ فهمهم من السياسة التغريبية في تركيا غير صحيح، وهذه الاستفسارات هي:

- ألم تكشف حكومة مصطفى كمال عن الصلبان والصور الدينية المسيحية في جدران ومباني بعض المساجد التي عُطّلت فيها الشعائر الإسلامية، وجعلتها متحفًا للآثار النصرانية وغيرها؟
- ألم تُبطِل حكومة مصطفى كمال أتاتورك العمل في محاكمها بالشريعة الإسلامية وأحلَّت محلها القانون الغربي، حتى فيما يتعلَّق بالزواج والطلاق والميراث، وما إلى ذلك من الأحوال الشخصية الداخلة في صميم أحكام الدين الإسلامي؟
- هل إذا أرادت بنت تركية مولودة من أبويْن مسلميْن أن تتزوَّج يهوديًا أو نصرانيًا من رعايا تركيا يبيح لها قانونكم هذا العمل رسميًا أم لا[1]؟
- ألم يضطر بعض المسلمين الأتقياء إلى الاحتيال بطريق الوصية، لإقامة حكم الله—جلَّ جلاله في توريث الذكر مثل حظ الأنثييْن، فرارًا من قانون حكومة مصطفى كمال أتاتورك الذي عطَّل هذا الحكم الشرعي، وجعل نصيب الأنثى كنصيب الذكر في الميراث؟
- هل صحيح أنَّ حكومة مصطفى كمال أتاتورك تعاقب المؤذِّن إذا أذَّن للصلاة بالألفاظ التي كان يؤذِّن بها مؤذِّن رسول الله عليه الصلاة والسلام؟
- هل مطابع استنبول وسائر البلاد التركية لا تزال تطبع القرآن الموحَى به كما كانت تفعل من قبل؟ أم أنها منعت ذلك وتعاقب مَن يفعله وتعدُّ فعله جريمة؟ وهل يمكن أن تطلبوا لنا من حكومتكم أن تنشر للمسلمين إحصاء بعدد المصاحف العربية

---

١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٨٢، ص: ١، جزء من مقال بعنوان: تركيا وموقفها من الإسلام، القاهرة، الخميس ٢٧ شوال، سنة: ١٣٥٦هـ.

والتركية معًا التي تطبع في كل سنة في تركيا مدة الحكم الحاضر، وما يقابل ذلك في سنوات الحكم العثماني الذي كانت له صبغة إسلامية؟

- هل يجوز لأبناء العرب الذين يعيشون الآن تحت الحكم التركي أن يقرأوا كتاب الله جلَّ جلاله بلغتهم العربية، وأن يعلِّموه لأطفالهم، أم أنَّ الحكومة تعدُّ ذلك جريمة يعاقب عليها القانون؟
- هل حج بيت الله جلَّ جلاله مباحًا لرعاياكم منذ قام الحكم الكمالي الحاضر، وهل جوازات السفر التي كان يحملها العدد القليل من حجاج الجمهورية التركية كان مصرَّحًا فيها أنهم خرجوا من تركيا لأداء فريضة الحج، أم أنهم تجار وخارجون من تركيا بقصد التجارة، حتى ينالوا موافقة السلطات التركية على سفرهم؛ لأنها ما كانت تأذن لهم لو علمت أنهم مسافرون للحج؟
- هل يمكنكم أن تعلنوا للمسلمين رسميا وبألفاظ صريحة أنَّ حكومة الجمهورية التركية لم تستعمل شيئًا من الجوامع والمساجد في غير ما أُنشِئت له؟

ثم يذكر الشيخ أنَّ هذه الأسئلة تتعلَّق بأمور يُشاَع في جميع أنحاء العالم الإسلامي وقوعها من الحكومة الكمالية، ويتمنَّى الشيخ أن يسمع تصريحًا بشأنها مختصرًا واضحًا مجرَّدًا من التفسيرات والتأويلات[1].

المسلك الثاني: الإشادة بمَن يقاوم التغريب من المسؤولين في مصر.

من أساليب الشيخ في مقاومة التغريب: الإشادة بمَن يقاوم التغريب من المسؤولين في مصر، حيث نشر الشيخ كلمات لستة وزراء في مصر، يعبِّرون فيها عن رأيهم في توجُّه الحكومة المصرية إلى إقرار البغاء الرسمي في مصر، ولقد أجمعوا جميعًا على عدم رضاهم عن

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٨٢، ص: ١، جزء من مقال بعنوان: تركيا وموقفها من الإسلام، القاهرة، الخميس ٢٧ شوال، سنة: ١٣٥٦هـ.

هذا المنكر الفظيع والإثم الشنيع، وأنه يهدِّد دولة مصر في دينها وصحتها وثقافتها ووحدة أمتها وفي أمنها، وأنهم جميعًا يرغبون في أن تتَّخذ الدولة قرارًا بمنعه في أسرع وقت[1].

المسلك الثالث: الردُّ على شبه التغريبيين، وكشفها.

من أساليب الشيخ في مقاومة التغريب: الرد على الشُّبَه التي يغالط بها الدعاة إلى التغريب المسلمين، ومن ذلك ردُّه على شبهة التغريبيين بأنهم لا يريدون إلاَّ الخير والتقدم والرقي لأمتهم، وأنهم رأوا أممهم في أمور الدنيا في تأخر، ورأوا الأمم الغربية في تقدم باهر، فظنوا أنَّ ما هم عليه من الدين والفضائل هو سبب التأخر، وأنَّ ما عليه الغربيون من التحرُّر من الدين هو سبب ذلك التقدم، فقاموا بكل حدة ونشاط يخلعون هذا ويلبسون ذاك، وفي نظر الشيخ أنَّ هذه الشبهة لها وجه من الصواب، ولها وجه من الخطأ، فأمَّا الصواب: فلأنَّ الغربيين في كدٍّ مستديم، وتفكير دائم، وعمل لا ينقطع، وتدبير أيّ تدبير لأمورهم الدنيوية؛ وذلك لأنَّ القوم ليس لهم أمل في الآخرة، وإنما كلُّ همهم في الدنيا، فجنتهم ونعيمهم في تقدم حياتهم العلمية والعملية، فإذا تشبَّه الشرقيون بالغربيين في هذا المجال من تدبير أمورهم الدنيوية، فليس ببعيد أن يوازوهم أو يتغلَّبون عليهم، وأمَّا وجه الخطأ في شبهة تقدم الغربيين هو أنَّ الداعين إلى التجديد يظنون أنَّ أخلاقهم المرتكزة على الدين الإسلامي، وعاداتهم المختلفة من ملبس وغيره ولغتهم العربية التي يتكلَّمون بها يظنون أنَّ انحطاطهم وتأخرهم بسبب هذه الأمور، وهذا ظن ليس في موضعه، إذ إنَّ فعل المأمورات من الصلاة والزكاة والصوم وغيرها من التشريعات الإسلامية، وترك النواهي من السرقة والزنا والغش والقتل، لا يستطيع عاقل أبدًا أن يدَّعي أنها من أسباب انحطاط المسلمين، وأنها من موانع نهضتهم، فالتغريبيون لقصر عقولهم، ولجهلهم، ظنوا أنَّ كلَّ ما

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١١، ص: ٣، بعنوان: كلمات الوزراء المصريين في البغاء الرسمي.

هم عليه فاسد، فنبذوه، وإن كان دين من رب العالمين، وظنوا أنَّ كلَّ ما عليه الغـــربيين صالح، وإن كان الكفر برب العالمين[١].

(١) انظر: المرجع السابق، العدد ١٤، ص: ٥، مقال بعنوان: التجدد وشيء من آثاره وواجب الأمة نحو أهله.

المطلب السادس:
كشفه الأفراد والقوى الداعمة للتغريب في بلاد المسلمين

وقد اشتمل على مسلكين.

المسلك الأول: الأفراد الداعمون للتغريب في بلاد المسلمين.

من الشخصيات الداعمة والداعية للتغريب في مصر: طه حسين[١]، الذي تسلَّط على الثقافة الإسلامية في مصر، وانخدع به الكثيرون بما بثَّه في الصحف، وفي كتبه، وفي أذهان طلبته من وجوب الانصراف عن الشرق إلى الغرب، وقطع الأواصر الدينية والجنسية بالشعوب العربية، وذلك للأخذ بمدنية الغرب كاملة غير منقوصة على أنها كلٌّ لا يتجزَّأ[٢].

ولقد ردَّ الشيخ على محاضرة لطه حسين، استمع لها عبر المذياع، تكلَّم فيها طه حسين عن وجوب الأخذ بحضارة أوروبا، وبالذات أفضل ما فيها وهو الخُلق؛ لأنَّ الخلق ضروري لإنشاء جيل متماسك يكره النفاق، وذكر طه حسين أيضًا أنَّ الذين يستنكرون الأخذ بحضارة أوربا أناس يكذبون على أنفسهم؛ لأنهم يستفيدون من ثمرات هذه الحضارة، فيركبون السيارات، وسكك الحديد، ويستمعون إلى المذياع، ويستخدمون التلغراف والبريد، فاستنكارهم لحضارة أوروبا مع استفادتهم من ثمراتها يعد من النفاق، ويذكر طه حسين أيضًا أنه لو أخذ برأي الذين يرفضون حضارة أوروبا لذهب إلى الجامعة على حمار، لذلك كان لزامًا عليه أن يتكلَّم بهذا الكلام؛ لأنه لا يحب أن يكون منافقًا.

ولقد ردَّ عليه الشيخ بأنه لا يوجد لا في مصر ولا في العالم الإسلامي مَن ينطبق عليه هذا الوصف، وأنَّ طه حسين يعدُّ الغيورين على دين الله جلَّ جلاله، وعلى الهوية الإسلامية، والحفاظ عليها، يعدُّونهم رجعيين، ولقد أخطأوا في وصفهم، فالشيخ منذ أن

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٧٨.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد٦٦٦، ص: ١، مقال بعنوان: تعاون الناطقين بالضاد في عشرين سنة، القاهرة، الخميس ٢٤ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٥٨هـ.

أقام في مصر، وعلى مدى أربعة عشر عامًا من تأسيس مجلة الفتح، وهو يبتهج بكل خطوة تخطوها مصر والعالم الإسلامي نحو الحضارة، والعمران، والتقدم في الصناعات، ووسائل النهوض، بل ويدعو إلى ذلك، ولكن طه حسين يريد أن تأخذ مصر من حضارة الفراعنة شيئًا، وأن تدَع أشياء، وأن تأخذ من حضارة العرب والإسلام شيئًا، وأن تدَع أشياء، أمَّا حضارة أوروبا فهي عنده كلٌّ لا يتجزَّأ، وتناسى الدكتور طه حسين أنَّ مصر لديها من الموروث الإسلامي الخلقي، ما يغنيها عن الخلق الأوروبي، وأنَّ مصر والعالم الإسلامي لا يحتاج من أوروبا إلاَّ للعلوم التي تتقدم بها في الصناعات، وتضطلع بأسباب القوة، لذلك أصبح المتمسكين بالتراث الإسلامي وبأخلاق الدين الإسلامي منافقون في نظر طه حسين، وهذا خلاف قديم منذ بضعة عشر عامًا بين طه حسين، وبين الذين عارضوه، فهو يريد أن تكون الناشئة الإسلامية مثل الناشئة الأوروبية في كلِّ شيء، والذين عارضوه يرون أنَّ الناشئة الإسلامية يجب أن تتمسك بدينها وبثقافتها، وأن تتحلَّى بعلوم أوروبا التي تتوقَّف عليها أسباب القوة والتقدم العلمي والاقتصادي والعمراني.

ويرى طه حسين أنَّ الحضارة الأوروبية كلٌّ لا يجوز أن يتجزَّأ، والذين يعارضونه يرون أنَّ المعارف تراث إنساني ليس خاصًا بالغرب دون الشرق، ولا بأوروبا دون آسيا وإفريقية، وكما أخذت الحضارة الإسلامية من معارف اليونان وغيرها من الأمم القديمة، وبقيت مع ذلك إسلامية، وكما أخذت أوروبا من معارف المسلمين وبقيت مع ذلك غربية مسيحية، كذلك نحن المسلمين في هذا العصر، يجب أن نأخذ بهذا العلم العالمي المشاع، الذي هو تراث الإنسانية، فنستفيد منه ونقوى، ونبقى مع ذلك مسلمين عربًا شرقيين[١].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦٩١، ص: ١، مقال بعنوان: مغالطة، القاهرة، الخميس ٢٢ ذي الحجة، سنة: ١٣٥٨هـ.

المسلك الثاني: كشفه القوى الداعمة للتغريب في بلاد المسلمين.

كشف الشيخ عن أن يد التغريب في تركيا امتدت إلى مصر، وأنها تتم بمؤامرة واتِّفاق وتنسيق بين تركيا ومصر، وأنَّ الناشر للتغريب في مصر بعض الجرائد، منها: جريدة الأهرام[١]،وجريدة السياسة[٢]،وأنَّ مهمتهما تعمية الحق، ومخادعة الناس في معرفة الغاية التي هم إليها مساقون[٣]،والحل في نظر الشيخ حيث يقول: "قد تسألني: وماذا يجب علينا أن نعمل؟ وجوابي على ذلك: سوُّوا صفوفكم"[٤].

---

(١) سبقت ترجمتها٣٩.

(٢) جريدة السياسة: صدرت جريدة السياسة في شهر أكتوبر، سنة: ١٩٢٢م، في مصر، ومحررها هو: محمد حسين هيكل، ظهرت بعد الثورة على الإنجليز، وكانت متحدثة باسم حزب الأحرار الدستوريين، برئاسة عدلي يكن، وكانت ضد سعد زغلول ومن معه، وصارت هذه الجريدة تدعو إلى احترام الحرية، وإلى التمسك بالوحدة القومية، فاتهمها سعد زغلول ومن كان معه في حزبه من صُحفيين وغيرهم بالخيانة الوطنية، و لم يمض على إصدار الصحيفة أكثر من تسعة عشر يوما حتى اغتيل اثنان من رجال الحزب الذي تنطق باسمه هذه الجريدة، فأصبحت جريدة السياسة محل احترام الكثير من الشعب المصري، وانخرط في خدمتها والكتابة فيها الكثير، منهم طه حسين، ومحمود عزمي، وسيد كامل، وغيرهم، ثم حوكمت جريدة السياسة في أخطر قضية لها، وهي قضية نزاهة الحكم. انظر: "الصحافة المصرية في مائة عام"، د/ عبد اللطيف أحمد حمزة، ص: ١٠٥-١٠٨.

(٣) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٠٢، ص: ١، مقال بعنوان: مصطفى كمال والإسلام.

(٤) المرجع السابق.

المطلب السابع:
تبيينه الفرق بين التجديد من منظور أوروبي، والتجديد من منظور حكام المسلمين

عقد الشيخ مقارنة بين التجديد في نظر الأوربيين، والتجديد في نظر حكام المسلمين:

- التجديد في نظر الأوربيين: يؤكِّد الشيخ على نهضة الأوربيين بعد سباتهم العميق، وقيامهم بحركة الإحياء والتجدُّد، في معارفهم وصناعاتهم، وجعلوا يتسابقون حكومات وشعوبًا إلى اقتباس بعضهم من بعض، وتفوَّق بعضهم على بعض، وكان لكل دولة في بلاد الدولة الأخرى عيون من أهل العلم والمعرفة، يراقبون ما يحدث في معاهد العلم ودور الصناعات، من تجديد في المعارف، والنظام، والآلات، والأسلحة، فيبادروا إلى نقل ذلك إلى بلادهم، وإحداث مثله، أو خير منه إن استطاعوا، ولقد فعلوا ذلك بالرغم من وقوف الكنيسة في طريقهم.
- التجديد في نظر حكام المسلمين: لقد تجاهل أولياء أمر المسلمين واجبهم، وكان الأولى بهم أن يكونوا أسبق من غيرهم إلى مراقبة هذا التقدم، وإلى مسابقة الدول فيه؛ لأنَّ دينهم يأمرهم به، ولكنهم في فترات الحكم الإسلامي غالبًا ما كانوا في شغل عن هذا الأمر، فكانت قصور السلاطين في القسطنطينية تموج بمئات المحظيات والسراري من كل جنس وبلد، وكان للسلاطين عيون في بلاد الشرق والغرب، يراقبون النساء البارعات في الجمال، ويغرونهن بالذهب الوهاج ليحملونهن إلى القصور المشيدة، ولقد استغل ساسة أوروبا هذا التوجُّه من حكام المسلمين، وصاروا يدسون النساء الجميلات في طريق سماسرة القسطنطينية، حتى إذا حُملن إلى تلك القصور كنَّ جاسوسات، وتذرَّعن بجمالهن لتوجيه السياسة إلى جهات مخصوصة[1].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٤٨، ص: ١، مقال بعنوان: مغزى دعوة المسلمين إلى لبس البرنيطة.

المطلب الثامن:
رؤية الشيخ المعتدلة فيما نأخذه من الغرب، وما يجب تركه.

يرى الشيخ أنه يجب على المسلمين وعلى عقلائهم وقادتهم أن يأخذوا من الغرب الجانب الذي ينفعهم، من العلوم، والصناعات، والأنظمة، مع الاحتفاظ بهويتهم، ومبادئهم، وتشريعهم الرباني، وألاَّ يذوبوا في الحضارة الغربية لدرجة التنازل عن المسلمات في شرع الله القويم، ويجب على المسلمين عمومًا في شتى بقاع الأرض، حكامًا ومحكومين أن يهتموا بتأسيس المصانع، وبتنظيم الحياة الاقتصادية، واقتباس الأنظمة النافعة من الغرب، مع الاهتمام بتجديد النهضة الإسلامية، والتمسك بها، والضرب على أصابع كلِّ حامل قلم يُزهّد المسلمين في الإفاقة من سباتهم، ويرغِّبهم في الاستسلام لواقعهم المؤسف، ويحبِّذ إليهم الاصطباغ بصبغة المجتمع الأوربي، والتخلُّق بأخلاقه، وأن يتذكروا أنَّ حضارة الغرب لم تصل إلى ما وصلت إليه، إلاَّ بعد الاعتماد على الموروث الحضاري للمسلمين في الأندلس[1].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦٠٣، ص: ١. مقال بعنوان: هل يوجد اليوم شرق؟، القاهرة، الخميس ٢٦ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٧هـ.

المبحث الرابع:

منهج الشيخ في مقاومة الغزو الفكرى

ويشتمل على ثلاثة مطالب.

- المطلب الأول: منهجه في مقاومة التنصير.
- المطلب الثاني: منهجه في مقاومة الاستشراق.
- المطلب الثالث: منهجه في مقاومة التغريب.

المطلب الأول:
منهج الشيخ في مقاومة التنصير

- بيّن الشيخ واقع التنصير في بلاد المسلمين.
- استشفَّ الشيخ أسباب انتشار التنصير في بلاد المسلمين، ونشرها.
- حدّد أساليب التنصير، وحذّر منها.
- تابع أخبار مقاومة التنصير في بلاد المسلمين، وأعلى من شأنها.
- اقترح على المسلمين في أنحاء العالم اقتراحات تضمن لهم تطهير بلادهم من المنصرين.
- فنّد تهم المنصرين، وردَّ عليها.
- أشاد بأصحاب المواقف النبيلة لمواجهة التنصير.
- سخّر مجلتي الفتح والزهراء لمقاومة التنصير.
- استنهض هِمَم المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، وحثَّهم على حماية دينهم.
- تعايش مع كلِّ بقعة مسلمة على وجه الأرض طالتها يد التنصير، وكأنها موطنه الذي وُلِد وترعرع فيه.
- أكبر وأعلى من شأن كلِّ مبادرة لمقاومة التنصير مهما كان حجمها، وعدم احتقار أيِّ جهد ولو كان ضئيلاً.
- واجه الصحف المحسوبة على الإسلام،والتي جعلها التنصير منبرًا له.
- تابع المؤتمرات والخطب التنصيرية، ونشرها، وردّ عليها.
- وجّه رسائل ومقالات للحكومة المصرية، وحمّلها المسؤولية لمواجهة خطر التنصير.
- اهتم بالأسرة المسلمة، وأهاب بأولياء الأمور بالمحافظة على مَن ولاَّهم الله أمرهم.
- تابع باستمرار نتائج جهوده المباركة في مقاومة التنصير، وقام بنشر تلك النتائج.
- استنهض هِمَم علماء المسلمين، وحثَّهم على استشعار المسؤولية الملقاة على عواتقهم.

- شجّع الموسرين وأصحاب الثراء، ورغّبهم في البذل والعطاء لمقاومة التنصير، ابتغاء ما عند الله جلَّ جلاله.
- وضع خطة للمسلمين تبدأ من الصفر إلى مائة عام، لمقاومة التنصير.
- اهتمَّ بإنشاء الجمعيات الإسلامية، والأندية الشبابية، ورغّب الشباب المسلم للالتحاق بها.

المطلب الثاني:
منهج الشيخ في مقاومة الاستشراق

- بيّن أغراض الاستشراق، وتاريخه.
- ذكر الرحلات الاستشراقية، وأشهر المستشرقين.
- لخّص أهم أعمال المستشرقين ومؤتمراتهم التي عقدوها على مر السنين الماضية.
- أنصف المستشرقين، وأشاد بجهودهم العلمية، و لم يهضمهم حقهم.
- وضّح للقراء أهم المكتبات الغربية التي تحوي تراثًا عربيًا.
- قارن بين المؤتمرات الاستشراقية، ووضّح الفروق فيما بينها.
- حثّ المسلمين على خدمة علومهم وتراثهم، والاحتفاظ بخلاصة أفكار أسلافهم.
- لم يحتدّ على المستشرقين فيما قاموا به من أعمال علمية، وإنما دعا المسلمين إلى الاعتبار بما قاموا به، ودعاهم إلى تسخير طاقاتهم للنهوض والارتقاء.
- نبّه الشيخ إلى محافظة الغربي على معتقداته، وعاداته، وتقاليده، مع ما قام به من دراسة لعلوم الشرق، وإقامة في ديارهم، ودعا المسلمين إلى أن يكونوا أشد تمسكًا بدينهم.

المطلب الثالث:
منهج الشيخ في مقاومة التغريب

- راقب الواقع الإسلامي، وأدرك ما يتهدَّده من أخطار.
- أدرك حقيقة من يقف وراء التغريب، وفضحهم.
- توصّل إلى الدعم الخارجي، والتنسيق الداخلي في مصر لتحقيق التغريب.
- لم ينخدع بما أظهره التغريبيون من حسن النوايا في حرصهم على التجديد والتطور.
- وجّه الأفهام إلى الفهم الصحيح للتجديد والتطور.
- تعايش مع البلاد الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي، وأظهر ما يتعرضون له من هجمات تغريبية.
- قاوم وبشدة وجرأة وشجاعة الاستعمار في شتى بلاد المسلمين، والدول المنفذة لتعاليمه التغريبية.
- حرص على الثقافة الإسلامية، وبيَّن الفرق بينها وبين العلم.
- أحاط بجميع الأطراف والجهات التغريبية في أنحاء العالم.
- سخّر مجلتي الفتح والزهراء لتكونا المنبر المتحدث الرسمي لمقاومته التغريب.
- لم يتنازل أبدًا عن الثوابت في الدين، ولا عن الشخصية الإسلامية مهما كانت المبررات.
- حمى حياض الدين الإسلامي، وبرّأه من التخلف والرجعية.
- حمّل مسؤولية تخلف المسلمين على المسلمين أنفسهم، ودعاهم إلى الفهم الصحيح لدينهم، وبيّن أنَّ الفهم الصحيح للدين هو السبيل الوحيد للتقدم والنهضة والتطور.
- نشر كلَّ ما يستجد عن التغريب، سواء من دول وحكومات، أو جهات، أو كُتّاب، وقام بالردِّ عليهم، ومقارعتهم، وتبيين باطلهم.
- ذكّر العلماء بواجبهم ومسؤوليتهم أمام الله –جلَّ جلاله.
- ردّ على الشُّبَه التي أثارها التغريبيون.
- ميّز بين التجديد في نظر الأوربيين، والتجديد في نظر حكام المسلمين.
- اتّزن في نظرته إلى الغرب، ولم يتعنّت في التعامل معهم، بل ودعا إلى الاستفادة من علومهم، والتي كان أساسها من التراث الإسلامي.

الفصـــل الرابـــع

جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في مواجهة الفرق المنحرفة

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: جهوده في بيان بطلان مذهب الرافضة. وفيه ثلاثة مطالب.**
- **المبحث الثاني: جهوده في بيان بطلان مذهب البهائية.**
- **المبحث الثالث: جهوده في بيان بطلان مذهب الصوفية.**
- **المبحث الرابع: منهج الشيخ في مواجهة الفرق المنحرفة.**

المبحث الأول:

جهوده في بيان بطلان مذهب الرافضة

ويحتوي على ثلاثة مطالب.

- المطلب الأول: مؤلَّفات الشيخ في بيان بطلان مذهبهم.
- المطلب الثاني: منشورات الشيخ لبيان بطلان مذهبهم.
- المطلب الثالث: تحقيقه وتعليقه على الكتب التي بيَّنت بطلان مذهبهم.

للشيخ جهود عظيمة في مواجهة الرافضة، فقد حرص الشيخ على تعريتهم، وكشف باطلهم بالحجة والبرهان، فقارعهم بالتأليف تارةً، وبالنشر تارةً، وبتحقيق بعض الكتب وبالتعليق عليها تارةً أخرى.

المطلب الأول:

ما ألَّفه[١] الشيخ في بيان بطلان مذهبهم

ألَّف الشيخ كتاب: (الخطوط العريضة للأُسُس التي قام عليها دين الشيعة الإثني عشرية) وسأُعرّف بهذا الكتاب في نقاط:

- سبب تأليف هذا الكتاب: إنَّ سبب تأليف الشيخ لهذا الكتاب هو الردُّ على ما ظهر في عصره من محاولة التقريب بين مذهب الشيعة الإثني عشرية ومخالفيهم من أهل السنة، بحجة أنَّ الخلاف بين الطائفتيْن هو خلاف في الفروع لا في الأصول[٢].
- النتيجة التي توصَّل إليها الشيخ في كتابه: توصَّل الشيخ في كتابه إلى الأدلة الواضحة، التي تُثبِت بأنَّ الشيعة الإثني عشرية أقاموا دينهم على دعائم منافية لما جاء به النبيعليه الصلاة والسلام، ومخالف لما دعا إليه أصحابه، وتركهم بعده على محجة واضحة منيرة، لذلك فإنَّ الدعوة إلى التقارب بين السنة والشيعة الإثني عشرية دعوة لا يمكن تحقيقها أبدًا[٣].
- منهج الشيخ في تأليف كتابه: أثبت الشيخ في هذا الكتاب بأنَّ الدعوة إلى التقارب بين مذهب السنة ومذهب الشيعة الإثني عشرية، دعوة مستحيلة التحقُّق، من خلال الاعتماد على النقول الواردة في الكتب المعتمدة عند الطائفة الإثني عشرية ودراستها، ولقد أورد الشيخ هذه الأقوال وبيَّن مدلولاتها، مع عزوها إلى اسم

---

(١) مؤلفات الشيخ: هي إنتاجه الفكري الذي انفرد به، و لم يشاركه في محتواه الفكري أحد.

(٢) انظر: "الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإماميةالإثنى عشرية"، محب الدين الخطيب،ص: ٧، المكتبة المكية، دار عمار، ط ١، سنة: ١٤٢٠هـ: ١٩٩٩م.

(٣) انظر: المرجع السابق.

الكتاب وأرقام الصفحات وبيان الطبعة، بحيث لا يستطيع أحد أن يماري في صحة نسبتها[١].

- محتويات الكتاب:بيَّن الشيخ في مقدمة الكتاب أنَّ التقريب بين المسلمين في تفكيرهم واقتناعاتهم واتِّجاهاتهم وأهدافهم من أعظم مقاصد الإسلام، ومن أهم وسائل القوة والنهوض والإصلاح، وهو من الخير لشعوبهم وجامعتهم في كلِّ زمان ومكان.

ولكن لهذا التقريب ضابطان، ذكرهما الشيخ في مقدمة الكتاب، وهما:

الضابط الأول: أن تكون الدعوة إلى هذا التقريب بريئة من الغرض القبيح.

الضابط الثاني: ألاَّ يترتب على ما في تفاصيلها ضرر يطغى على ما يُرجَى من نفعها، وهذان الضابطان ليسا متحققان من الدعوة إلى التقريب بين مذهب السنة، ومذهب الشيعة الإثني عشرية[٢].

- بيَّن الشيخ أنَّ الدعوة إلى التقريب بين المذهبيْن دعوة كثُر الحديث عنها، والدعوة إليها، وتطوَّرت حتى وصل التأثُّر بها إلى الأزهر، فتبنَّى الأزهر فكرة التقريب بين المذاهب، بما فيها مذهب الشيعة الإثني عشرية، ولا يزال الأزهر في بداية الطريق، لذلك رأى الشيخ أن يكتب هذا الكتاب ليُسهم في مشاركة الأزهر في أداء الرسالة[٣].

- خطورة موضوع التقريب بين مذهب السنة، ومذهب الشيعة الإثني عشرية؛ وذلك لأنَّ المسائل الدينيةعلى درجة عالية من الحساسية، وينبغي عند معالجتها أن تكون بحكمة وبصيرة وسداد، وأن يكون المتصدِّي لدراستها على بيِّنة من دخائلها، وعلى

---

(١)انظر: المرجع السابق

(٢) انظر: "الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإماميةالإثنى عشرية"، محب الدين الخطيب،ص: ٨.

(٣)انظر: المرجع السابق.

نور من الله جلَّ جلاله، وإنصاف في التحرِّي والحكم؛ لتؤدِّي هذه المعالجة الغرض المطلوب منها، ولتنتج النتائج النافعة بإذن الله جلَّ جلاله[١].

أقوى أسباب نجاح التقريب بين مذهب السنة، ومذهب الشيعة الإثني عشرية:

يرى الشيخ أنَّ أقوى أسباب نجاح التقريب بين المذهبيْن هو أن يكون هناك تجاوب بين الطرفيْن، وألاَّ يقتصر نشاط الدعوة إليه والعمل على تحقيقه على جهة أهل السنة، مع الإعراض من أهل المذهب الإثني عشري، وأن يكون ذلك بمصداقية وإخلاص وتجرد، من أجل الوصول إلى النتائج التي ترضي الله –جلَّ جلاله، وأن تُوافق الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة الأخيار العدول[٢].

الافتراق الأساسي بين مذهب السنة والمذهب الإثني عشري:

يرى الشيخ أنَّ الافتراق الأساسي فيما بيننا وبين الشيعة الإثني عشرية، هو في دعواهم أنهم أكثر من أهل السنة ولاءً لآل البيت–رضي الله عنهم، وعلى دعواهم أنهم يُبطنون الحقد والكراهية والضغينة على أصحاب رسول اللهعليه الصلاة والسلام ، فالفقه عند أهل السنة وعند الشيعة لا يرجع إلى أصول متفق عليها عند الفريقيْن، والتشريع الفقهي عند الأئمة الأربعة من أهل السنة قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة، فما لم يحصل التقريب بين الفريقين للأصول والجذور الأولى التي يقوم عليها الدين، فلا فائدة لإضاعة الوقت في الفروع قبل الأصول[٣].

المسائل التي منعت التجاوب في التقريب بين السنة والشيعة الإثني عشرية:

- مسألة التقيَّة: وهي عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لمخالفيهم بغير ما يُبطِنون، فينخدع سليمو القلب بما يتظاهرون به، ولقد أورد الشيخ الأدلة من كتبهم على جواز هذه التقيَّة[٤].

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: "الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإماميةالإثنى عشرية"، محب الدين الخطيب، ص: ١٠.

(٣)انظر: المرجع السابق، ص: ١٠.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص: ١١.

- الطعن في القرآن: وهو المرجع الأساس الذي ينبغي أن يكون المرجع الجامع بين السنة والشيعة، فهم يدّعُون أنَّ القرآن الكريم محرَّف، ولقد أثبت الشيخ ما يثبت ادِّعاؤهم تحريف القرآن الكريم، مع الاستشهاد على ذلك من أقوال علمائهم، وبالتصوير الفوتوغرافي من كتبهم(١).
- اعتقادهم بأنَّ أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما الجبت والطاغوت، وأنهما صنما قريش، وأنهم يقومون بلعنهما ولعن ابنتيْهما، رضي الله عنهم أجمعين(٢).
- ابتهاجهم بقتل الخليفة الثاني من الخلفاء الأربعة، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويسمُّون يوم مقتله يوم العيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم التبجيل، ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة، ويوم التسلية؛ وذلك لأنه أطفأ نار المجوسية في إيران، وتسبَّب في دخول أهلها في الإسلام، ويسمون قاتله أبو لؤلؤة المجوسي(٣): بابا شجاع الدين(٤).
- أنهم يعتقدون خروج المهدي للاقتصاص، وإعدام مغتصبي إمامتهم ودينهم، وهذا المهدي في عقيدتهم هو الإمام الثاني عشر، ويعتقدون أنه حي الآن وينتظرون

---

(١) انظر: "الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإماميةالإثنى عشرية"، محب الدين الخطيب،ص: ١١، ١٣، ١٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص: ٢١.

(٣) أبو لؤلؤة المجوسي: جاء في رواية عند ابن سعد أن المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه-، ضرب لغلامه أبي لؤلؤة لعنه الله عشرين ومائة درهم كل شهر، أربعة دراهم كل يوم، وكان خبيثاً إذا نظر إلى السبي الصغار، يأتي فيمسح رؤوسهم ويبكي، ويقول: إن العرب أكلت كبدي، فلما قدم عمر من مكة جاء أبو لؤلؤة إلى عمر يريده، فوجده غادياً إلى السوق، وهو متكئ على يد عبد الله بن الزبير، فقال: يا أمير المؤمنين، إن سيدي المغيرة يكلفني ما لا أطيق من الضريبة، قال عمر: وكم كلفك؟ قال: أربعة دراهم كل يوم، قال: وما تعمل؟ قال: الأرحاء، وسكت عن سائر أعماله، فقال: في كم تعمل الرحى؟ فأخبره، قال: وبكم تبيعها؟ فأخبره، فقال: لقد كلفك يسيراً، انطلق فأعط مولاك ما سألك، فلما ولى قال عمر: ألا تجعل لنا رحى؟ قال: بلى، أجعل لك رحى يتحدث بها أهل الأمصار، ففزع عمر من كلمته. الطبقات الكبرى ٣٤٧/٣، من طريق الواقدي، ورواه من طريق آخر بإسناد حسن لكنه منقطع من رواية الزهري عن عمر بلفظ مقارب وفيه طول ٣٤٥/٣. انظر: "دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه"، عبد السلام بن محسن آل عيسى، ٢: ١١٠٨، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ: ٢٠٠٢م.

(٤)انظر: "الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإماميةالإثنى عشرية"، محب الدين الخطيب،ص: ٢٣

خروجه، ولقد مضى ألف ومائة سنة وهم ينتظرون خروجه، وإذا ورد اسمه في كتبهم يكتبون أمام اسمه: (عج)؛ أي عجَّل الله فرجه[١].

- أنهم يعتقدون الرجعة إلى الحكم الذي أباده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بلاد فارس، وقتل ثلاثة آلاف من قريش، يقيمهم الإمام الثاني عشر من قبورهم، ويضرب أعناقهم بعدد خمسمائة في كلِّ مرة، حتى يصل إلى عدد ثلاثة آلاف[٢].
- يعتقدون أنه مع قيام المهدي يعود المصحف الحقيقي كما أنزل، وهذا تعريض بأنَّ المصحف الموجود بين أيدي المسلمين محرَّف[٣].
- يعتقدون أنَّ المهدي الذي سيظهر سيصلب أبا بكر وعمررضي الله عنهما على شجرة[٤].
- اعتقادهم أنَّ الفرقة الناجية المذكورة في النصوص النبوية هي الإماميةالإثني عشرية[٥].
- اعتقادهم أنَّ الشهادتيْن لا تكفيان في دخول الجنة، بل لا بدَّ من اعتقاد ولاية الإمام الثاني عشر، والبراءة من أعدائهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما [٦].

المطلب الثاني:

مانشره[١]الشيخ لبيان بطلان مذهبهم

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢)انظر: "الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإماميةالإثنى عشرية"، محب الدين الخطيب،ص: ٢٥ .

(٣) انظر: المرجع السابق، ص: ٢٧ .

(٤) انظر: المرجع السابق، ص: ٢٨ .

(٥)انظر: المرجع السابق، ص: ٣٧ .

(٦) انظر: المرجع السابق.

نشر الشيخ ما أسماه (مؤتمر النجف)، وهذا المؤتمر اجتمع فيه مجتهدوالشيعة من الإيرانيين وعلماء النجف، وكان هذا الاجتماع في يوم الخميس ٢٥ شوال سنة ١١٥٦هـ، بمحضر من علماء أهل السنة والجماعة، برئاسة علامة العراق السيد عبدالله السويدي[٢]الذي نقل وقائع هذا المؤتمر في هذا الكتاب، وقام الشيخ بنشره، واجتمع للاستماع لهذا المؤتمر خلائق من العجم والعرب والتركستان لا يحصي عددها إلاَّ الله سبحانه، ولعلي أُجمِل ما نشره الشيخ فيما يتعلَّق بهذا المؤتمر في نقاط:

- الفرق بين أهل السنة والشيعة راجع إلى ثلاثة أمور، هي:

الأمر الأول: أنَّ أهل السنة يحصرون مصدر التشريع في النبي عليه الصلاة والسلام، أمَّا الشيعة الإثني عشرية، فيدّعون العصمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأحد عشر رجلاً من سلالته، ويرى الشيعة أنَّ هؤلاء الإثني عشر هم مصدر التشريع، على خلاف ما كان يؤمن به هؤلاء الصالحون رحمهم الله.

الأمر الثاني: أنَّ مفهوم الخلافة عند الصحابة رضي الله عنهم كان في نظرهم تكليفًا وعبئًا يحمله مَن يحمله منهم تديُّنًا وتطوُّعًا، ولم تكن حقًّا لأحد ولا متعة له أو مأكلة بعد ولايتها، ولم يتنازعوا عليها أو يتعادوا لأجلها[٣].

الأمر الثالث: أنَّ أهل السنة والشيعة يلتقون في اسم الإسلام فقط، دون الجوهر والعقيدة ومصادر التشريع[٤].

=

(١) منشورات الشيخ: ما أظهره الشيخ وأبرزه، من حقائق ووقائع، كانت غائبة عن المكتبة الإسلامية، وقام بشرحه، والتعريف بعناصره، والحكم عليه، وطبعه، ونشره.

(٢) انظر: تعريف الشيخ به في آخر هذا المطلب.

(٣) انظر: "مؤتمر النجف"، السيد عبد الله السويدي، حققه محب الدين الخطيب، ص: ٥٠، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، بدون تاريخ للنشر.

(٤) انظر: المرجع السابق،ص: ٥٠.

- الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها التقريب بين المذهبيْن هي أن يتنازل أتباع أحد المذهبيْن عن مذهبهم ويلتحق بالمذهب الآخر[١].
- أنَّ كتاب (مؤتمر النجف) حكاية للتقريب على طريقة تنازل أحد الفريقيْن عن أصوله، حيث قرَّر علماء الشيعة ومجتهدوهم بلا استثناء، أنهم يترلون على مذهب أهل السنة في الصحابة رضوان الله عليهم، ويعترفون بأنَّ اتِّفاق الصحابة عند وفاة النبي عليه الصلاة والسلام إنما كان على أفضلهم وأخيرهم وأعلمهم الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأنَّ الإمام عليًّا رضي الله عنه بايعه، كما بايعه سائر الصحابة رضوان الله عليهم، وأنَّ إجماع الصحابة حجة قطعية، ثم عهد أبو بكر لعمر، فبايعه الصحابة والإمام علي معهم، ثم اتَّفق رأيهم على عثمان، ووليها بعده علي، وأنَّ فضلهم وخلافتهم على ذلك الترتيب رضوان الله عليهم أجمعين، فمَن سبَّ أو قال خلاف ذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وقد وضعوا جميعًا أختامهم على المحضر الرسمي لهذا المؤتمر[٢].
- الفرق بين الدعوة إلى التقريب، وبين نتائج مؤتمر النجف:

يرى الشيخ أنَّ نتائج مؤتمر النجف التي تمَّ التوقيع من الشيعة على محضرها، هي التي يمكن القول بأنها تقريب؛ لأنَّ مؤتمر النجف أزال الكفر الذي ابتعد به الشيعة عن أهل السنة افتراقًا أساسيًا، وأمَّا الدعوة إلى التقريب فإنها دعوة مريبة، تدعو إلى الجمع بين مذهبيْن مختلفيْن في الأُسُس التي قام عليها كلٌّ منهما[٣].

- مَن يقف خلف الدعوة إلى التقريب بين مذهب السنة وبين مذهب الشيعة: يتوقَّع الشيخ أنَّ الدعوة إلى التقريب بين أهل السنة وبين مذهب الشيعة لها أيدٍ خفية،

---

(١) انظر: "مؤتمر النجف"، السيد عبد الله السويدي، حققه محب الدين الخطيب، ص: ٥١.

(٢) انظر: المرجع السابق،ص: ٥٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص: ٥٤.

لجهات دبلوماسية تشجِّع عليها، وبطرق سخيفة لا تنطبق على علم ولا على شرع[١].

- الخطورة المتوقَّعة من التقريب بين أهل السنة، وبين مذهب الشيعة:

يحذِّر الشيخ من الخطورة المتوقعة من العبث بالمذهبيْن بدعوى التقريب، ممَّا قد ينتج عنه مذهب ثالث تزداد به الفرقة بين المسلمين، ويرجو الشيخ من أهل السنة ومن الشيعة أن يرفضوا هذه الدعوة المريبة[٢].

- معلومات عن مؤتمر النجف: سبق نشر مؤتمر النجف قبل أن ينشره الشيخ في عام ١٣٢٣هـ بعنوان: الحجج القطعية لاتِّفاق الفرق الإسلامية، بمطبعة السعادة بالقاهرة، إلاَّ أنَّ انتشاره كان محدودًا وفي نطاق ضيق[٣].

- سبب نشر الشيخ مرة أخرى لهذا المؤتمر: لقد حرص الشيخ على نشر هذا المؤتمر مرة أخرى لسببيْن:

السبب الأول: لأنَّ كثيرًا من أهل العلم لم يطَّلع على هذا المؤتمر لندرة نسخه، ولا سبيل إلى الحصول عليه إلاَّ بإعادة طبعه ونشره.

السبب الثاني: أنَّ هذا المؤتمر هو الأول من نوعه في المجتمع الإسلامي، ولم يتكرَّر مرة أخرى[٤].

- التعريف برئيس المؤتمر وكاتبه:

اسمه: عبد الله السويدي، أبو البركات ابن السيد حسين بن مرعي بن ناصر الدين.

---

(١) انظر: "مؤتمر النجف"، السيد عبد الله السويدي، حققه محب الدين الخطيب،ص: ٥٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص: ٥٦.

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر: المرجع السابق.

أسرته: أسرة السويدي إحدى الأسر العظيمة الكريمة في بغداد، وهي من سلالة البيت العباسي الذي اضطلع بأمر الخلافة الإسلامية زمنًا طويلاً.

ولادته: ولد السيد عبدالله سنة ١١٠٤هـ.

وفاته: توفي سنة ١١٧٠هـ.

عمره عند رياسة المؤتمر: كان عمره عند رياسة المؤتمر ٥٢ سنة.

شيوخه: أخذ العلم عن:

- أحمد بن أبي القاسم المدايني المغربي.
- عمه السيد أحمد بن مرعي السويدي.
- الشيخ سلطان الجبوري.
- محمد بن عقيلة المكي.
- الشيخ علي الأنصاري الأحسائي.
- غيرهم من علماء العراق والحجاز والشام.

الأقوال فيه: امتدحه السيد محمود شكري الألوسي بأنه "شيخ البسيطة على الإطلاق، وزين الشريعة بالإجماع والاتفاق"[١].

مؤلفاته:

- شرح صحيح الإمام البخاري.
- المحاكمة بين الدماميني والشمني فيما كتباه على "مغني اللبيب".
- رشف الضرب.
- النفحة المسكية.
- الأمثال السائرة.
- شرح دلائل الخيرات.
- الرحلة المكية ، الذي ذكر فيه هذا المؤتمر[٢].

---

(١) انظر: "مؤتمر النجف"، السيد عبد الله السويدي، حققه محب الدين الخطيب، ٥٧.

(٢) انظر: المرجع السابق.

المطلب الثالث:
تحقيقه وتعليقه على الكتب التي بيَّنت بطلان مذهبهم

أولاً: حقَّق الشيخ وعلَّق على كتاب مختصر التحفة الإثني عشرية، ومؤلفه هو: علامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، وهو ابن الإمام المجدِّد شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، ألَّفه باللغة الفارسية، ولقد هيأ الله –جلَّ جلاله لهذا الكتاب مَن يخدمه، فنقله من الفارسية إلى العربية الشيخ الحافظ محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي، نقله إلى العربية سنة ١٢٢٧هـ. ثم هيَّأ الله–جلَّ جلاله لهذا الكتاب علاَّمة العراق السيد محمود شكري الألوسي[١]، فاختصره وهذَّبه سنة ١٣٠١هـ، ولا تزال خدمة هذا الكتاب تتوالى، ولا يزال هذا الكتاب محل عناية ورعاية من العلماء العاملين، حتى قام عليه الشيخ تحقيقًا، وتعليقًا، وطباعة، ونشرًا.

ولقد قدَّم الشيخ لهذا الكتاب الجليل بمقدمة رائعة، أجملها فيما يأتي:

- بدأ الشيخ مقدمة هذا الكتاب بذكر مزايا أنظمة الإسلام التي نظَّمت الدين والدنيا معًا، وامتاز الإسلام أيضًا بحفظ الله–جلَّ جلاله له في أصليْه الأصيليْن: القرآن الحكيم، والحديث النبوي، بما لم يسبق له نظير في كل هداية عرفها البشر[٢].

---

(١) محمود شكري الألوسي: هو العالم العلامة المؤلف اللغوي، الأديب المصلح أبو المعالي السيد محمود شكري ابن السيد عبد الله بن السيد محمود شهاب الدين الألوسي، ولد سنة ألف ومائتين واثنتين وسبعين من الهجرة، في أسرة عريقة في المجد والنسب، ومعروفة بالعلم والدين، تلقى العلم عن أبيه وعمه أبي البركات نعمان خير الدين الألوسي والشيخ إسماعيل بن مصطفى الموصلي والسيد محمد أمين الخراساني الفارسي وغيرهم، وتقدم في العلوم العقلية والنقلية، ودرّس وألّف فذاع صيته وقصده الناس من بلدان متعددة، فكان زعيما من زعماء النهضة الدينية، ورائدا من رواد العلم والأدب، وداعيا من دعاة الإصلاح، حارب البدع والخرافات، ودعا إلى نهج السلف الصالح، وهاجم التصوف وطرقه، وكان مثالا للعالم الجريء أمام الدولة العثمانية وفترة الاحتلال الإنجليزي للعراق، ألف مؤلفات كثيرة في الدين واللغة والتاريخ والأدب والعلم، توفي في بغداد سنة: ١٣٤٢هـ. انظر: "مشاهير علماء نجد وغيرهم"، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله، ص: ٢٨٦.

(٢) انظر: "مختصر التحفة الإثني عشرية"، شاه عبد العزيز الدهلوي، تحقيق محب الدين الخطيب، ص: ب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، بدون تاريخ للنشر.

- بيَّن الشيخ مكانة الصحابة رضوان الله عليهم ، الذين تولَّى الرسول عليه الصلاة والسلام تربيتهم، وتوجيههم، وإعدادهم للاضطلاع بمهمة الإسلام العظمى، فكانوا بحق المثل الكامل للعمل بالإسلام، في إيمانهم، وطاعتهم لله –جلَّ جلاله، وأخلاقهم الكريمة، وسياستهم الحكيمة، وفتوحهم الرحيمة، وتكوينهم المجتمع الإسلامي الصالح، والدولة الإنسانية المثالية، ولقد كافأهم الله–جلَّ جلاله على ذلك بانتشار رسالته على أيديهم، وذيوع دعوته بين الأمم اقتداء بهم، واتِّباعًا لهم(١).
- لَّما تخطَّت رسالة الإسلام حدود الجزيرة العربية المباركة، فدخلت العراق وإيران شرقًا، والشام شمالاً، ومصر وإفريقية غربًا، كان ذلك سعادة للأخيار من أهل البلاد المفتوحة، وغذاء لعقولهم، وبهجة وحبورًا، وكانت هذه الرسالة أيضًا شجًى للأشرار، وغصَّة في حلوقهم، ومبعث غلٍّ وإحنة تسمَّمت بهما دماؤهم وأرواحهم(٢).
- إنَّ الأشرار وألوفًا كثيرة منهم قد أبغضوا من صميم قلوبهم أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم أطفأوا نار المجوسية إلى الأبد(٣).
- لَّما طالت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واتَّسعت الفتوح في زمنه، وانتشرت كلمة الإسلام في آفاق مترامية الأطراف، تآمروا حينئذٍ على سفك دم عمر رضي الله عنه(٤).
- ظن المجوس أنهم بقتلهم عمر رضي الله عنه قد قتلوا الإسلام بقتله، ولكن الله حفظ رسالته، وحاط دعوة الحق بعين عنايته، وجميل رعايته، وعادت جيوش الإسلام في

---

(١) انظر: "مختصر التحفة الإثني عشرية"، شاه عبد العزيز الدهلوي، تحقيق محب الدين الخطيب،ص: ج.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق،ص: ب.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص: د.

خلافة ذي النورين رضي الله عنه توغل فيما وراء إيران، وتفتح لكلمة الله—جلَّ جلاله آفاقًا أخرى[١].

- أيقن المجوس واليهود أنَّ الإسلام إذا كان إسلامًا ربانيًا محمديًا صحيحًا لا يمكن أن يحارب وجهًا لوجه في معارك شريفة سافرة، ولا سبيل إلى سحقه باغتيال أئمته وعظمائه، فأزمعوا الرأي أن يتظاهروا بالإسلام، وأن ينخرطوا في سلكه، وأن يكونوا الطابور الخامس في قلعته، ومن ذلك الحين رسموا خطتهم على أن يحتموا بحائط يقاتلون من ورائه الرسالة المحمدية وأهلها الأولين ، فتخيَّروا اسم (علي) ليتَّخذوه ردءًا لهم[٢].
- يصوِّر الشيعة عليا رضي الله عنه بأنه مُراءٍ جبان، يمدح إخوانه الصحابة تقيَّة ونفاقًا، ويُضمِر لهم البغضاء حسدًا وأنانية، ويثبت الشيخ بالحقائق التاريخية الثابتة أنَّ تصويرهم هذا تصوير متناقض يجمع بين تأليه علي، ونعته بأحطِّ النعوت وأسوأها[٣] .
- يؤكِّد الشيخ أنَّ شيعة علي رضي الله عنه في زمانه لم يكونوا كلهم يغالون فيه، بل كان منهم صحابة كرام، ومؤمنون صالحون، أنزلوا عليًّا رضي الله عنه منزلة يستحقها، عدلاً وإكرامًا وإقرارًا بمكانته في الإسلام، بل ويتعبَّدون الله بها، ومع ذلك فهي مترلة لا تتعارض مع دين الله تبارك وتعالى، ولكن التحق بالصحابة رضوان الله عليهم، واندسَّ في صفوفهم الكفرة والحمقى والغلاة وضعاف العقول والكاذبون في إسلامهم، ومنهم أُتي رضي الله عنه[٤].

---

(١) انظر: "مختصر التحفة الإثني عشرية"، شاه عبد العزيز الدهلوي، تحقيق محب الدين الخطيب، ص: د.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ه.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص: ٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص: ز.

- إنَّ الشيعة الذين يتظاهرون بالولاء لعلي بن أبي طالب وابنيْه الحسن والحسين رضي الله عنهم هم الذين تجرَّأوا على إسالة دمه بغيًا عليه وكفرًا، وهم الذين أغروا أخاه الحسين ودعوه من بلده إلى بلدهم، ثم تولوا بأيديهم سفك دمه الطاهر، وبعد مقتله خرجوا يستقبلون آله بعيون باكية، وقلوب آثمة[١].
- ميزان الشيعة الذي يزنون به الصحابة الكرام رضوان الله عليهم: أنَّ الشيعة أبغضوا أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام الذين قام الإسلام على أكتافهم، واخترعوا عداوة كاذبة لا أصل لها بين علي وإخوانه الصحابة رضوان الله عليهم، وبنوا دعوتهم على أنَّ الحب والبغض في الإسلام ليس لرسالة الإسلام نفسها، بل لأشخاص اخترعوا لهم شخصيات وهمية لا يعرفها التاريخ، ورووا أخبارًا من أناس معروفين بالكذب، ولا صحة لما نقلوه من أخبار، وإنَّ العقل والمنطق يكذِّب تلك الأقوال فضلاً عن الإسناد وعلم الرجال، واخترعوا عداوة بين آل البيت رضي الله عنهم، وزعموا أنَّ بعض آل البيت أعداء لبعض، ومن هنا يظهر أنَّ ميزان الشيعة هو ميزان الشخصيات الوهمية[٢].
- ميزان أهل السنة الذي يزنون به الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هو الاتِّباع لله — جلَّ جلاله ولرسوله —عليه الصلاة والسلام، فما جاء به القرآن والسنة فإنه هو الميزان عندهم، وعند الأئمة الصالحين، حتى من آل البيت أنفسهم، فبه يعرفون عدالة المسلم وصحة إيمانه، وكلما كان المسلم أصدق اتباعًا لرسول الله عليه الصلاة والسلام فيما جاء به من الله جلَّ جلاله كان أصح إيمانًا وأصدق إسلامًا، ومقياس الاتِّباع عندهم اتِّباع كتاب الله جلَّ جلاله على ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم من رسول الله عليه الصلاة والسلام، واتِّباع سنته الصحيحة[٣].

---

(١) انظر: "مختصر التحفة الإثني عشرية"، شاه عبد العزيز الدهلوي، تحقيق محب الدين الخطيب، ص: ز.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص: ى.

(٣) انظر: المرجع السابق.

- أصل موضوع هذا الكتاب يدور حول ميزان الشيعة وميزان أهل السنة في الولاء لآل البيت، وبيان حقيقة هذيْن الميزانيْن عند كلٍّ منهما[١].
- يقول الشيخ عن أعلام الشيعة: "وإذا تتبَّعت تراجم أعلام الشيعة في زمن أئمتهم رأيتهم بين كذابين، وملاحدة، وشعوبيين، وفاسدي العقيدة، ومذمومين من أئمتهم، أو عابثين بأثداء جواري أئمتهم، وكل ما يخطر ببالك من نقائص، وسبب ذلك أنَّ دينهم من أصله فاسد، وهل يُثمِر الدين الفاسد إلاَّ الفساد؟"[٢]

التعريف بمحتويات الكتاب:

قسَّم الشيخ هذا الكتاب بعد تحقيقه والتعليق عليه ومعالجة أسلوب العجمة فيه إلى تسعة أبواب:

- الباب الأول: ذكر فرق الشيعة، وبيان أحوالهم، وكيفية حدوثهم.
- الباب الثاني: بيان أقسام أخبار الشيعة، وأحوال رجال أسانيدهم، وطبقات أسلافهم.
- الباب الثالث: في الإلهيات، اختلاف السنة والشيعة في معرفة الله—جلَّ جلاله بالوجوب العقلي أو الشرعي، ومخالفة مذهب الإمامية للكتاب والسنة.
- الباب الرابع: في النبوة، اعتقادهم أنّ بعث الأنبياء واجب على الله—جلَّ جلاله.
- الباب الخامس: في الإمامة، أهل السنة يوجبون على الأمة نصب الإمام، والشيعة يوجبونه على الله جلَّ جلاله، ونتائج ذلك.
- الباب السادس: في بعض عقائد الإمامية المخالفة لعقائد أهل السنة.
- الباب السابع: في الأحكام الفقهية الخاصة بالشيعة.
- الباب الثامن: مطاعنهم في الخلفاء الراشدين والصحابة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) "مختصر التحفة الإثني عشرية"، شاه عبد العزيز الدهلوي، تحقيق محب الدين الخطيب، ص: ط .

- الباب التاسع: ما اختصَّ به الشيعة و لم يوجد في غيرهم من فرق الإسلام.

ولكلِّ باب من هذه الأبواب تفصيل، وتبيين، وإيضاح، وكشف للأستار، وتعرية للقوم على حقيقتهم، بالأدلة الواضحة الجلية، التي لا يستطيعون إنكارها، مع المناقشة الهادئة بالأدلة، وبالحجج القاطعة[١].

ثانيًا: حقَّق الشيخ وعلَّق على كتاب "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"، وهو مختصر "منهاج السنة"، الذي ألَّفه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية[٢] رحمه الله ، واختصره الحافظ أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي[٣]، وطُبِع على نفقة بعض المحسنين الطبعة الثالثة، تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وكالة الطباعة والترجمة، في المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤١٣هـ.

ولقد قدَّم الشيخ لهذا الكتاب بمقدمة رائعة، تستحق أن تكون نسخة مستقلة[٤]، تناول الشيخ في هذه المقدمة عددًا من القضايا التي ردَّ بها على الرافضة، أُجمِلها في نقاط، هي:

- بدأ الشيخ هذه المقدمة بالتذكير بقوله جلَّ جلاله:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٥]وبيَّن الشيخ أنَّ الإسلام يدعو أهله إلى كلِّ ما يوافق العدل والقسط، ويدعوهم إلى أن يشهد كلُّ واحد منهم بما يعلمه منه، وأن يعملوا جميعًا على بسط سلطان العدل ونشر لوائه في دار الإسلام، وفي سائر آفاق الأرض، كاملاً وافيًا بأقصى ما يستطيعونه، فالحق والعدل وإقامتهما، والشهادة

---

(١) انظر: "مختصر التحفة الإثني عشرية"، شاه عبد العزيز الدهلوي، تحقيق محب الدين الخطيب، ص: ى.

(٢) سبقت ترجمته ص ٨٥.

(٣) سبقت ترجمته ص٨٥.

(٤) أفرد هذه المقدمة في نسخة مستقلة قصي بن محب الدين الخطيب، أسماها: "الإسلام دعوة الحق والخير وكيف شوه المغرضون جماله" وقام بطبعها ونشرها في المكتبة السلفية، القاهرة، بدون تاريخ للنشر.

(٥) سورة المائدة: الآية: ٨.

بهما، ميزة صدر الإسلام، وخلقه المقدم، والسمة التي تميَّز بها أهله، ويجب أن يتميَّز بها المسلمون من بعدهم[١].

- تطرَّق الشيخ للخلفاء الأربعة لهداية الإسلام، من بعد الرسول عليه الصلاة والسلام، وبيَّن أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلاَّ بعد أن أقرَّ الله عينيْه الكريمتيْن باجتماع الصفوة المختارة منهم كالبنيان المرصوص، وبعد فراق الرسول عليه الصلاة والسلام لمّ الصحابة البررة الأخيار شعثهم في جزيرتهم المباركة، ووحدوا صفوفهم العامة للجهاد، وسرعان ما كافأهم الله على جهادهم الصادق بالنصر الموعود، ثم استعرض الشيخ تتابع الأحداث، ودور كل خليفة من الخلفاء الأربعة، مع بيان أهم ما يميزهم، وهو الأخوة الصادقة، وسلامة صدورهم على بعض[٢].
- بيَّن الشيخ المدة التي سمَّاها (عصر الإسلام الذهبي)، وهي المدة التي سمَّاها الرسول عليه الصلاة والسلام بـ (خير القرون)، وهذا يدل على نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام، بحيث لم يتكرَّر على أمة الإسلام عصرًا خيرًا من تلك العصور، لا في جهاده، ولا في دعوته، ولا في حفظ القرآن الكريم والعمل به، ولا في حفظ السنة والحرص على صحة نقلها[٣].

---

(١) انظر: "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"، ابن تيمية، وهو مختصر منهاج السنة، الذي ألفه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، واختصره الحافظ أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي، ص: ٣، طبع على نفقة بعض المحسنين،ط ٣، تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وكالة الطباعة والترجمة، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤١٣هـ.

(٢) انظر: "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"، ابن تيمية، وهو مختصر منهاج السنة، الذي ألفه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، واختصره الحافظ أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي، ص: ٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص: ٥.

- امتنَّ الشيخ للصحابة الكرام، أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ما قاموا به من جمع القرآن الكريم، وتوحيد تلاوته، وحفظه في المصاحف، ولقد حفظ الصحابة الكرام هذا الميراث العظيم للإنسانية كلها، وسيجازيهم الله –جلَّ جلاله على صنيعهم خير الجزاء، فكان ذلك الميراث من أعظم مواريث الإنسانية كلها في الأخلاق، والتشريع، وتكوين الأمم الاجتماعي، والتقريب بين البشر في طبقاتهم، وأجناسهم، وأوطانهم، وألوانهم، ولا يغمط حق الصحابة فيما قاموا به للإسلام وأهله، وللإنسانية بأسرها إلاَّ ظالم يغالط في الحق إن كان غير مسلم، أو زنديق يبطن للإسلام غير الذي يظهره لأهله إن كان من المنتسبين إليه(١).
- ممَّا تميَّز به الصحابة رضي الله عنهم حسن عرضهم الدين الإسلامي للأمم، ممثَّلاً بأخلاقهم الإسلامية السليمة، وأعمالهم الجليلة الرحيمة، فحبَّبوه إلى الناس، وعرَّفوهم به من خلال القدوة الحسنة(٢).
- بيَّن الشيخ ستة فوارق بين عقيدة أهل السنة، وعقيدة الشيعة، وهي:

الفارق الأول: أنَّ أهل السنة يقولون بمشرّع واحد، ومعصوم واحد، وأنه لا معصوم بعده ولا مشرع، وهو الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وأمَّا الشيعة فيقولون بإثني عشر معصومًا كلهم مصادر تشريع(٣).

- الفارق الثاني: أنَّ أهل السنة يعتقدون بأنَّ الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول، وأمَّا الشيعة فإنهم يلعنون طائفة منهم(٤).

---

(١) انظر: "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"، ابن تيمية، وهو مختصر منهاج السنة، الذي ألفه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، واختصره الحافظ أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي،، ص :٦.

(٢) انظر: المرجع السابق،ص: ٧.

(٣) انظر: المرجع السابق،ص: ٩.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص: ١٠.

- الفارق الثالث: أنَّ أهل السنة يعتقدون أنَّ الأحاديث النبوية هي بعد كتاب الله- جلَّ جلاله في التشريع، فاهتموا بها وبضوابط نقلها وقبولها، وأمَّا الشيعة فإنهم لا يعبأون بضوابط التحمل والأداء، والضوابط التي يهتمون بها هي العصبية، والتشيُّع المفرط، والحب والبغض[١].
- الفارق الرابع: أنَّ أهل السنة يرون أنَّ الإسلام بمصادر تشريعه فيه الكفاية لتوجيه الأمة إلى سعادتي الدنيا والآخرة، وأنها إن عملت بالدين الصحيح فإنها ستكتفي بنفسها عن غيرها، وتصبح في مقدمة الأمم، وأمَّا الشيعة فإنهم يرون أنَّ الأمة الإسلامية محكوم عليها بأن تكون في حكم القاصر إلى يوم القيامة، فتحتاج في حكمها وأحكامها إلى أئمة معصومين بعد النبي عليه الصلاة والسلام[٢].
- الفارق الخامس: أنَّ أهل السنة يعتقدون أنَّ الإسلام دين جماعة، وأنَّ إجماع أعلام العلماء بالفقه والتشريع، يعتبر دليلاً على شرع الله-جلَّ جلاله ورسوله-عليه الصلاة والسلام، وأمَّا الشيعة فإنهم ينكرون على الإسلام أنه دين جماعة، وينكرون على المسلمين أنهم يُجمعون على أمر لم يرِد فيه نص جلي واضح يقصد الحكم بذاته[٣].
- الفارق السادس: أنَّ أهل السنة لديهم كعبة واحدة، يتوجَّهون إليها بدعائهم وضراعتهم، وعند اتِّصال قلوبهم بربهم في صلاتهم وعبادتهم، وأمَّا الشيعة فإنَّ لهم

---

(١) انظر: المرجع السابق،ص: ١١.

(٢) انظر: "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"، ابن تيمية، وهو مختصر منهاج السنة، الذي ألفه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، واختصره الحافظ أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي، ص: ١١.

(٣) انظر: المرجع السابق ص: ١٢.

كعبات متعدِّدة، منها القبر المكذوب للحسين بن علي -رضي الله عنه في كربلاء[١].

وبعد عرض أبرز أفكار هذه المقدمة، أستعرض محتويات الكتاب التي دعت الشيخ إلى تحقيقه، والتعليق عليه:

- التعريف برموز الشيعة ومجتهديهم قديمًا وحديثًا.
- العلاقة والتوافق والاختلاف بين الشيعة والمعتزلة.
- جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في ردِّ باطلهم، ومناظرته لبعض أئمتهم.
- نقل المذاهب في مسألة الإمامة[٢].
- المذهب الواجب الاتِّباع، ودعوى الشيعة في مذهبهم، وزعمهم أنَّ الصحابة افترقوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام إلى أربعة أصناف[٣].
- إمامة علي رضي الله عنه،والقادحون في إمامته[٤].
- إمامة الإثني عشر، وكذب الشيعة على الحسين وجده -رضي الله عنهما[٥].
- تخرصات الشيعة في إمامة الصديق والفاروق وذي النورين -رضي الله عنهم[٦].
- الحجج على إمامة أبي بكر الصديق، والإجماع على بيعته -رضي الله عنه[٧].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص: ١٤.

(٢) انظر: "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"، ابن تيمية، وهو مختصر منهاج السنة، الذي ألفه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، واختصره الحافظ أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي،ص: ٣٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص: ٦٧.

(٤) انظر: المرجع السابق،ص: ٣١١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص: ٥٦٠.

(٦) انظر: المرجع السابق،ص: ٥٦٤.

(٧) انظر: المرجع السابق، ص: ٥٧٣.

- جيل الصحابة –رضي الله عنهم– هو الجيل المثالي الذي كانت تنشده الإنسانية، و لم ترَ غيره[١].

هذه أبرز المواضيع، مع غضِّ النظر عن الإسهاب والتفصيل الذي لا غنى عنه، مع الاستدلال على ثبوتها من مراجع الشيعة المعتمدة، وحصر القضايا المخالفة لأهل السنة، وردِّ الشُّبَه بالأدلة والبراهين، ودراسة سير الأئمة المضلين للشيعة[٢].

---

(١) انظر: المرجع السابق،ص: ٥٩٠.

(٢) انظر: المرجع السابق.

المبحث الثاني:

جهوده في بيان بطلان مذهب البهائية

ويتضمن خمسة مطالب.

- المطلب الأول: بيانه الأساس الذى قامت عليه البهائية.
- المطلب الثاني: توضيحه عقيدة البهائيين.
- المطلب الثالث: كشفه علاقة البهائيين بالشيعة.
- المطلب الرابع: رصده علاقة البهائيين بالاستعمار.
- المطلب الخامس: جهد الشيخ في وضع خطة للأزهر لمقاومة البهائية.

اهتمَّ الشيخ بمقاومة الفرق المنحرفة، ومن أخطر الفرق المنحرفة فرقة البهائية، ولقد تصدَّى الشيخ لهذه الفرقة، وقاومها، وبيَّن بطلانها، وعلاقتها بالاستعمار، كما وضع خطة للأزهر لمقاومة البهائية.

المطلب الأول:
بيانه الأساس الذي قامت عليه البهائية[١].

البهائية هي نحلة قامت على أساس أنه ليس لله وجود مطلق بأسمائه وصفاته، التي وصف بها نفسه في كتب أنبيائه ولا سيَّما خاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام بل إنَّ وجوده تعالى مفتقر عندهم إلى مظاهر أمره الذي جاءوا -بزعمهم ليبشروا بمظهره الأبهى الذي لقَّبوه ببهاء الله، فبهاء الله هو الرب الذي بشَّرت به الديانات كلها، وهو المشرِّع الأعلى الذي تنبَّأت بظهوره البوذية والبرهمية واليهودية والمسيحية والإسلام، وكلُّ هذه الديانات وغيرها كانت بزعمه وزعمهم مقدمات لظهوره: فالبهاء هو مظهر صفات الله، وهو المتَّصف بها من دون الله، ثم هو مصدر أفعال الله، فهو فاعلها من دون الله، وهو المعني بالقيامة، وبالساعة الكبرى، وهو وجه الله، وهو جمال الله البهي الأبهى، وهو الموعود في البشارات التي سبقت في كلِّ الأديان، ولا إله إلاَّ هو، ولا قيامة إلاَّ قيامه، ولا آخرة إلاَّ بدايته، ولا دين إلاَّ دينه، وكما أنَّ الإسلام نسخ الديانات السابقة، فالبهائية نسخت الإسلام، وكلَّ الأديان كانت ناقصة وبدائية، وإنما جاءت لتُكمِل بدين البهاء الكامل، ومع ذلك فإنَّ البهاء يتظاهر باحترام الأديان الأخرى ليقول لأتباعها: إنَّ دياناتكم جاءت لتبشِّر بقيامي[٢].

---

(١) كتب الشيخ بحثا بعنوان البهائية لـ"مجلة الأزهر" عام ١٣٧٤هـ، ونشر في جزأي رجب وشعبان من المجلد السادس والعشرين، ثم خدم هذا البحث وأفرد في نسخة مستقلة، ثم طبع مرات في المطبعة السلفية ومكتبتها.

(٢) انظر: "البهائية"، محب الدين الخطيب، ص: ٥، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط ٣.

المطلب الثاني:
توضيحه عقيدة البهائيين

عقيدة البهائيين الفاسدة من أشنع وأفظع ما مرّ على أمة الإسلام، حيث أنها نازعت الله جلَّ جلاله في ربوبيته، وسأُجمِل عقيدتهم كما ذكرها الشيخ في نقاط:

- استقرت عقيدة البهائيين كما قرَّرها لهم البهاء حسين علي المازندراني (١٢٣٣: ١٣٠٩هـ) في ألواحه ووحيه، وكما فسَّرها دعاته في كتبهم ونشراتهم، على أنَّ الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال، وأنَّ كلَّ ما يضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال هي رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديمًا وحديثًا، هم مظاهر أمر الله ومهابط وحيه في زعمهم، وآخرهم وأكملهم هو ميرزًا حسين المازندراني الذي لقب نفسه (بهاء الله)، فهو عند نفسه وعند أذنابه مظهر الله الأكمل، وهو الموعود، ومجيئه الساعة الكبرى، وقيامه القيامة، ورسالته البعث، والانتماء إليه الجنة، ومخالفته هي النار، وعندهم أنَّ الديانات السابقة والأنبياء كانت مهمتهم التبشير بسخافاته، وأنه ظهور جمال الله الأبهى، وأنَّ أتباعه يدعونه (ربنا)، وليس ذلك تعظيمًا له، ولا اعتقادًا بتفوقه عليهم، ولكن بغضًا في الإسلام، وحقدًا عليه، وتآمرا مع ربهم على الكيد للرسالة المحمدية[1].
- كتاب (الإيقان): نُسبت إلى ربهم كتبًا يؤمنون بأنها هي وحي الله، ومنها كتاب (إيقان) الذي طُبِع في مصر سنة ١٣٥٢هـ، وهو في ٢٠٠ صفحة.

ومن العجيب أنَّ كتاب (إيقان) هذا يتنازعه عدو الله البهاء المازندراني، وأخوه المخالف له يحيى المازندراني، فكلٌّ منهما يدَّعيه لنفسه، ومعلوم أنهما كانا معًا في إيران،

---

(١) "البهائية"، محب الدين الخطيب، ص ٣٠ – ٤٦، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة،ط ٣، بدون تاريخ للنشر.

وانتقلا معًا إلى العراق، ثم إلى القسطنطينية، فلما تقرَّر نفيهم إلى عكا سنة ١٢٨٥هـ أبى أخوه يحيى أن يبقى في عشرته، وتمرَّد على ربوبيته، وطلب الانفصال عنه، فأُرسِل إلى جزيرة قبرص، ومن هناك ادَّعى يحيى أنَّ كتاب (الإيقان) من إنشائه باللغة الفارسية، وقال أخوه حسين (البهاء): بل هو من وحيي وتنزيلي.

- مجموعة الألواح: وممَّا يسمِّيه البهائيون وحيًا من ربهم البهاء، كتاب يسمونه (مجموعة الألواح المباركة) وهو مطبوع بأمر عبد البهاء في مطبعة السعادة بالقاهرة، سنة: ١٣٣٨هـ: ١٩٢٠م، وقد جاء في الصفحة: ١٦١، منه في لوح من ألواحه عنوانه (هو الناظر من أفقه الأعلى) مخاطبًا شخصًا اسمه عبدالوهاب:

"ياوهاب، إذا اجتذبك ندائي الأحلى، وصرير قلمي الأعلى، قل: إلهي إلهي، لك الحمد بما فتحت على وجوه أوليائك أبواب الحكمة والعرفان... أي ربِّ، أسألك بالذين أسرعوا إلى مقر الفداء شوقًا للقائك، وما منعتهم سطوة الأمراء من التوجُّه إليك بما أنزلته في كتابك، ثم بالذين أقبلوا إلى أفقك بإذنك، وقاموا لدى باب عظمتك، وسمعوا نداءك، وشاهدوا أفق ظهورك، وطافوا حول إرادتك، أن تقدِّر لأوليائك ما يؤيِّدهم على ذكرك وثنائك وتبليغ أمرك، إنك أنت المقتدر على ما تشاء، لا إله إلاَّ أنت الغفور الرحيم، ياقلمي الأعلى، بدِّل اللغة الفصحى باللغة النوراء"، يقصدون باللغة الفصحى اللغة العربية محاولة منهم فصل المسلمين عن تراثهم وقرآنهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام. هذا الخطاب مبني على أنَّ البهاء حسين علي المازندراني هو الله، وأنه لا إله إلاَّ هو الغفور الرحيم المقتدر على ما يشاء، وأنَّ أساس عقيدتهم أنَّ الله جلَّ جلاله ليس له وجود الآن إلاَّ بظهوره في مظهر البهاء الأبهى، بلغ الكمال الأعلى، وأنه ليس لله -عندهم أسماء ولا صفات ولا أفعال، إلاَّ ما يتَّصف به من صفات مظهره وهو البهاء، وما يصدر عن البهاء من أفعال إلهية[1].

---

(١) انظر: "البهائية"، محب الدين الخطيب، ص: ١٥ - ٢٠.

- عقيدتهم في الله وأنبيائه:

يقول أبو الفضائل الجرفادقاني في الصفحة: ٥٤ ٥٦، من كتابه: (الدرر البهية) المطبوع بمطبعة الموسوعات، بالقاهرة، سنة: ١٣١٨هـ ١٩٠٠م:

" نحن معاشر البهائية نعتقد بأنَّ مظاهر أمر الله ومهابط وحيه هو بالحقيقة مظاهر جميع أسمائه وصفاته، ومطالع شموس آياته وبيناته، لا تظهر صفة من صفات الله تعالى في الرتبة الأولية إلاَّ منهم، ولا يمكن إثبات نعت من النعوت الجلالية والجمالية إلاَّ بهم، ولا يُعقَل إرجاع الضمائر والإشارات في نسبة الأفعال إلى الذات إلاَّ إليهم؛ لأنَّ الذات الإلهية والحقيقة الربانية غيب في ذاتها، متعالٍ عن الأوصاف بحقيقتها، مترَّه عن النعوت بكينونتها، لا تدركها العقول، ولا تبلغ إليها الأفهام، ولا تحويها الضمائر، ولا تحيط بها المدارك، فلا توصف بوصف، ولا تسمَّى باسم، ولا تُشَار بإشارة، ولا تتعين بإرجاع ضمير.

- تفضيلهم ضلالتهم على جميع الأديان: يقول الداعية البهائي أبو الفضائل الجرفادقاني في الصفحة: ٨٩، من كتابه (الحجج البهية): "اعلموا أضاء الله وجوهكم البهية بنوره الوضَّاح، وأيَّد كلمتكم العالية بآيات اليسر والنجاح، أنَّ هذه الأدلة والبراهين تثبت حقية مظهر أمر الله في زماننا هذا أكثر وأوضح وأجلى مما كانت عليه حقية مظاهر أمر الله (أي الأنبياء) في الأزمنة السابقة، إنَّ هذه البراهين قائمة ومتوفرة في هذا الظهور الأعظم الأسنى، والطلوع الأفخم الأبهى، ونعني به ظهور سيدنا(البهاء)، جلَّ اسمه وعزَّ ذكره، أكثر ممَّا توفّر في ظهور مَن سبقه من الأنبياء، بحيث لو أنكر أحد هذا الظهور الأعظم وأنكر أدلته وبراهينه الواضحة الجلية لا يمكنه إثبات حقيقة دين من الأديان الماضية "(١).

- تبجُّحهم بالوحي البهائي: "أمَّا الكتاب الإلهي أي الوحي السماوي فمع ما كانت تصادف ربنا الأبهى طوال أيام ظهوره من البلايا والمصائب الجسيمة والدواهي العظيمة ممَّا ليس هنا محل لذكره، ومع أنه لم يكن من أهل العلم، و لم يدخل المدارس العلمية، فقد ملأ الآفاق من ألواحه المقدسة الفارسية والعربية، ممَّا لا نبالغ إذا قلنا: إنها تزيد على ما عند مثل أهل الأرض جميعًا من كتبهم السماوية وصحفهم الإلهية(٢).

---

(١) انظر:"البهائية"، محب الدين الخطيب، ص: ٣٠ — ٣٥.

(٢) انظر: المرجع السابق،ص ٣٦ — ٤٦.

المطلب الثالث:
كشفه علاقة البهائيين بالشيعة

يؤكِّد الشيخ على أنَّ الدين البهائي الجديد منبثق عن العقيدة الشيعية، وقد تمخَّضت بيئته في إيران، وصنعه نفر من أذكياء أهلها، وقد سبقته إرهاصات:

أولها دعوة رجل من شيعة العراق يُدعَى أحمد زين الدين الأحسائي (١١٥٧ ١٢٤٢هـ) وله أتباع يسمّون (الشيخية).

وتلاه آخر من شيعة إيران يُدعَى كاظم الرشتي (١٢٠٩ _١٢٥٩هـ) .

ثم تأثَّر بهما وبتلاميذهما شاب عامي من تجار إيران اسمه علي محمد الشيرازي (١٢٣٥ ١٢٦٦هـ).

إنَّ هؤلاء الثلاثة وكثيرين غيرهم معهم كانوا طلائع البهائية، والتجارب الأولى لظهورها، وكانوا يرمون إلى غرض واحد هو إكمال الخطوة التالية التي كان يطمع فيها غلاة الشيعة المنحرفين من ألف سنة، وهي إعلان تغيير دين الإسلام في عقائده وتشريعه وأنظمته وجميع أهدافه.

كان هذا الشخص الثالث (علي محمد الشيرازي) فتى يتديَّن تديُّن العوام، ويلغو في ذلك على طريقة الأعاجم، ويستعيض في تديُّنه عن العلم بدعوى الفهم، وكان يتردَّد على مجالس كاظم الرشتي في أُخريات أيامه، فتعَّرف به في مجالس الرشتي شيطان من شياطين الشيعة يُدعَى ملا حسين البشروئي، فلمَّا هلك كاظم الرشتي سنة ١٢٥٩هـ، خطر ببال البشروئي أن يستغل سذاجة هذا الشاب وغروره وغلوه في الدين، فواصل الاجتماع به، وأوهمه أنه يوشك أن يكون له شأن، وأنَّ هذا أوان "المنتظر"، وقد يكون في مقام "الباب" الذي يقوم بتبليغ الشيعة الإمامية عن المهدي، فإن تمَّ ذلك له فإنه أي البشروئي يرجو أن يكون له "باب الباب" فيمده بكلِّ ما يحتاج إليه من وسائل الجدل إذا قاومه المجتهدون والعلماء[1].

---

(١) انظر: "البهائية"، محب الدين الخطيب، ص: ٦.

المطلب الرابع:
رصده علاقة البهائيين بالاستعمار

يؤكِّد الشيخ من مصادره الموثوقة، ومن الوقائع والحوادث، أنَّ البهائيين هم آلات الاستعمار لتنفيذ مخططاته في بلاد المسلمين، وهم جواسيسه لنقل الأخبار والتطورات، وهم أيضًا عيون الاستعمار الساهرة لمراقبة أيِّ تحرك، أو مقاومة لردع المستعمرين، ولقد كان نشاط البهائيين متزامنًا مع الهجمات الاستعمارية على بلاد المسلمين، والتي كان بداياتها أثناء وقائع الحرب العالمية الأولى، واستدلَّ على ذلك بأنه رأى في مكة المكرمة أثناء الحرب العالمية الأولى تسكُّع جواسيس من البهائيين، في كل بقعة يتردَّد عليها أشخاص تودُّ بعض الجهات الأجنبية استقاء أخبارهم، حيث كُوفِئ بعض هؤلاء الجواسيس بمناصب عالية في حكومات المستعمرين[١].

ولقد أعلى الشيخ من شأن مجاهد من فلسطين، غيور على دينه، أطلق النار على قائم مقام البهائية في فلسطين، حيث تسلَّل إلى داخل مقر المستعمرة البريطانية، والتي يجتمع فيها البهائي بأعوانه، من الإنجليز والخونة، وأطلق النار على البهائي ومَن معه، إلاَّ أنهم نجوا من وابل الرصاص، واستطاع الهرب، ولم يظفروا به، ولقد سمَّاه الشيخ بطلا[٢].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح". العدد ٦٠٩. مقال بعنوان: البهائيون وخدمة الاستعمار. ص ٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٦٠٥، هـ، مقال بعنوان: بطل، ص: ١١.

المطلب الخامس:
جهد الشيخ فيوضع خطة للأزهر لمقاومة البهائية

دعا الشيخ الأزهر إلى الالتفات إلى مقارعة البهائيين، والتي تصدَّى دُعاتها لإفساد عقائد المسلمين، ولقد اقترح الشيخ على الأزهر خطة يسير عليها في مقاومته للبهائية، وهذه الخطة على النحو التالي:

- دعا الشيخ الأزهر إلى الرجوع لطريقة القرآن في تقرير عقيدة الإسلام لطلاب الأزهر.
- تخريج جماعة تتفرَّغ لمقاومة عدوان البهائية على الإسلام، وأخذ الطريق على دعوتهم التي تنتشر في أوساط القطر المصري وغيره من أقطار الشرق.
- أن يتعلَّم المتخصِّصون في مقاومة البهائية اللغة الفارسية.
- أن تُجهَّز هذه الجماعة المتخصِّصة بمكتب تعمل به تابعًا للجامعة الأزهرية.
- أن يكون في منهاج الدراسة الأزهري درس خاص بتاريخ النحل الإسلامية الزائلة يحرص المؤلفون والمدرسون فيه على أن يستمدوه من النقول الصحيحة عن أهل هذه النحل نفسها، لا ممَّا يكتبه بعضهم عن بعض، ولا من كتب أهل الشذوذ الذين لا تقرهم فرَّقتهم على أنهم يتكلَّمون باسمها، وعند تقرير ما كانت عليه كل فرقة يجب مقارنة ما انفردت به بما أجمع عليه أهل السنة، وبيان حجة أهل السنة ووجهة نظرها.
- أن يكون الطلبة على بصيرة من الشبهة، ومواضع ضعفها.
- أن يكون الأزهريون على إلمام يسير بتاريخ الديانات البشرية بوجه عام[1].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٩٢، مقال بعنوان: رسالة الأزهر في القرن الرابع عشر، ص: ٢.

المبحث الثالث:

جهوده في بيان بطلان مذهب الصوفية

ويشتمل على ثلاثة مطالب.

- المطلب الأول: معالجة قضية المولد النبوى.
- المطلب الثاني: الردُّ على عقيدة الحلول والاتِّحاد في الهند.
- المطلب الثالث: دور الصوفية التيجانية في التمكين للاستعمار.

المطلب الأول:
معالجة قضية المولد النبوي

اهتمَّ الشيخ بقضية المولد النبوي، وسأُجمِل جهوده في معالجة هذه القضية في نقاط:

- بيَّن الشيخ تاريخ المولد النبوي وأنه لم يكن معروفًا في الإسلام قبل الدولة الأيوبية، فقد أحدث ذلك منهم الملك المظفر أبو سعيد كوك برى (٥٤٩هـ-٦٣٠هـ)، وكان صهر السلطان صلاح الدين[١] على أخته، فكان المظفر يُقِيم لذكرى المولد النبوي في كلِّ عام احتفالاً يكلِّف الدولة أموالاً طائلة، ثم أخذت عادة الاحتفال بالمولد النبوي تنتشر في العالم الإسلامي بعد الملك المظفر، وأضيف إليها ارتكاب الآثام، وآخر العهد بإحياء ذكرى الاحتفال بالمولد النبوي كان في القاهرة، بإقامة الحفل الرسمي في صحراء العباسية، وكانت تشترك فيه الطرق الصوفية بدفوفها، وفي عشرات السنين الأخيرة تحوّل إحياء ذكرى المولد النبوي إلى الحفلات في مصر والبلاد العربية والإسلامية، وتُلقَى فيها الخطب البليغة والقصائد الرائعة، ولم يكن لهذه الخطب والقصائد نتائج عملية في تربية الأسوة والقدوة لإصلاح المجتمع الإسلامي[٢].
- انتقد الشيخ كثيرًا سوء استغلال المسلمين للمولد النبوي بالبدع البعيدة كلَّ البعد عن الهدي النبوي، بالمنكرات والشهوات، واختلفت مشارب المحتفلين في الاحتفال ممَّا سبب الفرقة بين المسلمين، ولقد سمَّى الشيخ هذا الحال في الاحتفال: (وقرًا)، ثم جعل سبب استعباد المسلمين وطمس هويتهم هو البعد عن الهدي النبوي، وفي ذلك يقول الشيخ: "ومهما طال بنا وبأعدائنا الأمد، فإننا سنستيقظ يومًا ما، وسنهدر

---

(١) سبقت ترجمته ص ١١٣.

(٢) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الثالث، المجلد التاسع والعشرون، مقال بعنوان: كيف نحب رسول الله وبماذا نحيي ذكراه؟القاهرة، سنة: ١٣٧٧هـ.

هدير السخط والغضب في وجه كلِّ منافق كذَّاب يبتسم لنا اليوم، ويغرينا على تثبيت هذا الوقر في آذاننا، وإبعادنا عن هداية محمدنا عليه الصلاة والسلام، احتفلنا أمس بمولد سيد الكائنات، وكان احتفالنا منطويًا على مظاهر ذات أشكال وألوان ليس فيها ما يساعد على نزع ذلك الوقر من آذاننا، فكان ألوف من المسلمين يطوفون في حفلات المولد النبوي باحثين عمَّا تميل إليه شهواتهم، وكان مئات من المسلمين يحضرون في حفلات المولد ليهزؤوا بما فيه من بدع، لا لأنها بدع بذاتها، بل ليتَّخذوها ذريعة إلى تزهيد الناس في الاعتبار بصاحب الذكرى، وكان في حفلات المولد ممَّا لست أذكره لأنه شر كله، وكيف لا يكون شرًّا، ونحن مدفوعون إليه وفي آذاننا وقر عن سماع صوت الحياة الصارخ من آفاق الإيمان المحمدي"[١].

- دعا الشيخ المسلمين إلى التجديد في إحياء الذكرى المحمدية الشريفة، وذلك بأن يأخذ المسلمون العهد على أنفسهم، بأن ينظروا فيما كان يحبه الرسول عليه الصلاة والسلام من الأخلاق، والنصح، وتكريم النفس، فتُمرِّن الأمة نفسها على ذلك إلى العام القادم، وأن يستعد الدعاة والأفاضل لدراسة هذا التجديد دراسة علمية، وتحضير محاضرات فيه للعام القادم، تكون مقتبسة من سيرته الشريفة، وأن يكون إحياء المولد النبوي بقراءة سيرته الصحيحة من مصادرها الموثوقة، وفي ذلك يقول الشيخ: "إنَّ إحياء الذكرى بهذا الأسلوب يوافق المقاصد الإسلامية، ويكون فيه للمسلمين أسوة بما كانت عليه حياة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ويجعل المسلمين يستغنون بالتدريج عن الأساليب الأخرى المبتدعة التي اعتاد الناس إحياء الذكرى النبوية بها"[٢].

---

(١) "مجلة الفتح"، العدد ٦١، مقال بعنوان: مولد سيد الكائنات، ص: ١١.

(٢) المرجع السابق.

- يتساءل الشيخ بعد تسعة أعوام من دعوته إلى التجديد في الاحتفال بالمولد النبوي: هل حاسبت نفسك أيها المسلم المحتفل بذكرى المولد النبوي، ماذا فعلت منذ احتفلت بهذه الذكرى في العام الماضي، إلى أن حال على ذلك الحول، فجئت تحتفل بها في هذا العام لحمل المسلمين على العمل بالمبادئ والأخلاق المحمدية، وعلى توثيق أواصرهم بالأخوة الإسلامية، وجعل شريعة القرآن قانونًا معمولاً به في بلاد المسلمين، وآدابه متَّبعة في منازلهم وأسواقهم؟.
- يؤكد الشيخ أنَّ سرورنا بأنَّ محمدًا – عليه الصلاة والسلام وُلِد ووُجِد في هذه الدنيا ناشئ عن سرورنا بما أهداه إلى الإنسانية من فضائل، وتشريع، وعقائد، فمَن كان منَّا ضعيف الغيرة على هذه الفضائل، وهذا التشريع، وتلك العقائد، و لم يفتح في دفتره حسابًا للجهاد في سبيل إحياء ذلك وتعميمه، فهو كاذب في دعوى السرور بالمولد النبوي، وكاذب فيما يتظاهر به من خشوع في حفلة المولد النبوي.
- نبه الشيخ المسلمين إلى أنهم صاروا أمام واجب جديد نحو الإسلام، يقضي عليهم بالعمل على تعريف الأمم به، ولن تعرِّفه الأمم إلاَّ إذا أبدينا صفحة جماله في نفوسنا، وبيوتنا، وأسواقنا، ومحاكمنا، وهذا شيء في مقدور كلِّ مسلم إذا بدأ ذلك من نفسه، ومن بيته، ومن بيئته[١].
- حثَّ الشيخ على تقديم هدية للنبي عليه الصلاة والسلام في يوم مولده، من كلِّ فرد من أمته، والهدية هي: أن يعمل كلُّ مسلم على إحياء ما يستطيع إحياءه من هداية هذا الهادي عليه الصلاة والسلام، سواء أكانت في الآداب، أم في العقائد، أم في التشريع[٢].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد: ٥٥٠، مقال بعنوان: المولد النبوي والتاريخ العام، ص: ٦، القاهرة، ١٠ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٦هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق.

ثم يقول الشيخ: "هذه هي الهدية التي ينتظرها صاحب المولد من محبيه، فمَن من المسلمين والمسلمات يستعد للتجمُّل بها غدا عند صاحب هذا المولد؟"(١). ويقول أيضا: "إنَّ خير ما نحتفل به في ذكرى مولد صاحب الرسالة العظمى إحياء رسالته والعمل بها، والتخلُّق بأخلاقها، من الصدق، والأمانة، والتضحية، والتعاون، والإيثار، والاعتدال، والاقتصاد، والرحمة، ووضع الأشياء في مواضعها، واستعمال نعم الله فيما خُلِقت له"(٢).

- يذكّر الشيخ مصر وأهلها بأنهم في مرحلة انتقال من القول إلى العمل، في نواحي حياتها كلها، وأنها تحاول أن تستمد القوة والرجاحة والسداد من ينابيع قوتها الأدبية والمادية، فقد آن الأوان بالعمل على إحياء ذكرى حامل أكمل رسالات الله إلى الإنسانية، بإحياء عناصر رسالته التي حملها إلى الأمة كلها، لا بالاحتفالات الكلامية المجردة من الأفعال(٣).
- يؤكّد الشيخ على حب الرسول عليه الصلاة والسلام، ولابدَّ من البرهان على محبته عليه الصلاة والسلام باختبار محبتنا له، فكلُّ خطوة أو أمر أو كلمة يجب أن نعرضها على سيرته وسنته، فإذا وجدنا في سيرته وسنته ما يؤيِّدنا، فهذا دليل حبنا لنبينا عليه الصلاة والسلام، وإذا وجدنا ما يخالف سنته وسيرته، فإنه يجب علينا الانتهاء فورًا، وإذا أصررنا على الخطأ، فنحن كاذبون في ادِّعائنا محبته عليه الصلاة والسلام، فمحبتنا لرسول الله—عليه الصلاة والسلام تُقَاس بمقدار محبتنا للمبادئ، والسُّنن، والتوجيهات التي بعثه الله—جل جلاله بها، وبمقدار إقامتنا لها، وتعميمها في المجتمع الإنساني، وإحياء ذكرى صاحبها بها(٤).

---

(١) المرجع السابق، العدد: ٥٥٠، مقال بعنوان: المولد النبوي والتاريخ العام، ص: ٦، القاهرة، ١٠ ربيع الأول، سنة: ١٣٥٦هـ.

(٢) "مجلة الأزهر"،الجزءان الخامس والسادس. المجلد السادس والعشرون، مقال بعنوان: مولد رسالة، القاهرة، سنة: ١٣٧٤هـ.

(٣) انظر: "المرجع السابق"، الجزء الثالث، المجلد التاسع والعشرون، مقال بعنوان: كيف نحب رسول الله وبماذا نحيي ذكراه؟ .

(٤) انظر: المرجع السابق.

المطلب الثاني:
الردُّ على عقيدة الحلول والاتِّحاد في الهند

عرَّف الشيخ بشاب من الهند، تأثَّر بالفكر الصوفي، ودعا إليه في الهند، وهـذا الشاب هو: (كرشنا مورتي)، تعلَّم في أحد جامعات أوروبا، يحب مدينة باريس ومراقصها، ولم يكن ينقطع عن مسارحها، وكان يقلِّد ولي عهد ملك الإنجليز في لبسه، ولَّما وصل من باريس إلى الهند شرع أنصاره في إعلان دعوته بعد أربعة أشهر من وصوله، وكان أكثر أنصاره من الأوروبيين، وقد قام أنصاره هؤلاء بمراسلة الصحف العالمية للتعريف به، ونشر دعوته، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ الدين الذي تكوَّنت أخيلته في دماغ هذا الشاب صادر من نفس الينبوع الذي يضيع فيه البهائيون والقاديانيون أوقاتهم، في تصوُّر الأوهام وتصويرها للناس، وترتكز عقيدة هذا الشاب في اعتقاد أنَّ الألوهية تحلُّ في بعض الخلق، أو جميعهم بمقادير متفاوتة، وأنَّ النبوة لم تنقطع بعد، كما يؤكِّد الشيخ على دسيسة يدسها الغرب في دعمهم لهذا الشاب، يقصدون بها زعزعة العقيدة الصحيحة في نفوس أبناء الشرق المسلمين[1].

---

(١) انظر : "مجلة الزهراء"، جمادى الثانية ١٣٤٤هـ، ج ٦ : م ٢ ، مقال بعنوان: مسيح آخر في الهند.

المطلب الثالث:
دور الصوفية التيجانية في التمكين للاستعمار

كتب الشيخ بحثًا في "مجلة الأزهر" عن حقيقة الفرقة الصوفية التيجانية، ودورها في تمكين الاستعمار الفرنسي من احتلال بلاد الجزائر، وسأعرض القضايا الأساسية التي تناولها الشيخ في بحثه عن الفرقة الصوفية التيجانية:

- **مؤسِّس الجماعة:**

هو أبو العباس سيدي أحمد التيجاني، ظهر في الجزائر قبل أن يحتل الاستعمار الفرنسي الجزائر بسبعين سنة تقريبًا، وهو شاب يتَّصف بالغرور، وبضعف العقل، وبالمعرفة السقيمة بالإسلام، وكانت هذه الصفات سببًا في تصوُّفه على جهل وهوى[1].

- **أفكاره:**

بنى طريقته المنحرفة على زعمه أنه يلقى النبي عليه الصلاة والسلام يقظة، ويتلقَّى عنه ما يخالف شريعته، فزاده هذا الزعم غرورا إلى غروره، فصار يقول لأتباعه: "كلُّ الشيوخ أخذوا عني من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور"، وكان يقول لهم أيضًا: "إنَّ مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه، وإنَّ جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم مَن يصل إلى مقامنا، ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منهعليه الصلاة والسلام تحقيقًا"، واخترع لأتباعه صيغة من صيغ الصلاة على النبي سمَّاها: "صلاة الفاتح لما أُغلِق" وقال عنها: "إنَّ المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل من كلِّ تسبيح وقع في الكون، ومن كلِّ ذكر، ومن كلِّ دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة"، وقال عنها أيضًا: "نهاني صلى الله عليه وسلم عن التوجُّه بالأسماء الحسنى، وأمرني بالتوجه بصلاة الفاتح لما أُغلِق".

---

(١) انظر:"مجلة الأزهر"، الجزء الأول، المجلد التاسع والعشرون، بحث بعنوان: من الإسلام إلى الإيمان، القاهرة، سنة: ١٣٧٧هـ.

- **انتشار دعوته:**

يؤكّد الشيخ على أنَّ الانحطاط في الوعي الإسلامي بين الجماهير، وغياب العلم الشرعي الصحيح، قد جعل لهذا المعتوه شأنًا، فصار له في الجزائر أتباع يعدُّون بالألوف، ثم كان له مثل ذلك في المغرب الأقصى، وغيرها من أصقاع إفريقية، ولقد نال كلامه استحسان العامة من الناس، حتى صار أتباعه يعدون بالملايين، ومنهم دجالون في مصر والشام وحتى في ألبانيا.

- **تواريخ هامة عن الفرقة الصوفية التيجانية:**

١٨٧٠م: استبشر الفرنسيون بولاء أحمد التيجاني لهم، وقاموا بتزويجه من امرأة فرنسية مكافأة له، وقد استمرت هذه المرأة على كاثوليكيتها حتى مات عنها، فتزوَّجها بعده أخوه سيدي علي الذي خلفه في زعامة الطريقة، فصار أتباع الطريقة التيجانية يسمّون هذه المرأة: زوجة السيديْن، ولقد عظَّم التيجانيون هذه المرأة حيث كانوا يتمسَّحون بآثارها ويتيممون لصلواتهم بالتراب الذي تمشي عليه، وكانت هذه العجوز تسيطر على الجماعة التيجانية وتقبض على أزمتها، و لم تقطع علاقتها بها مع أنها كانت مستمرة على كاثوليكيتها، ثم إنها نالت بعد ذلك وسام الشرف من الجمهورية الفرنسية لحسن إدارتها للطريقة التيجانية على ما تحب فرنسا وترضى[1].

١٩٣١م: قامت بعثة عسكرية فرنسية برحلة في الجزائر، فدعاها شيخ الطريقة التيجانية في ذلك الحين، وهو الشيخ سيدي محمد الكبير، لزيارة المركز الرئيسي للطريقة التيجانية، وفي أثناء تناول الشاي، خطب هذا الشيخ الصوفي، مبينا الخدمات التي قامت بها الطائفة التيجانية لفرنسا، حتى مكَّنتها من الاستعمار واحتلال بعض بلاد المسلمين. ولعل أهم فقرة وردت في الخطبة قول شيخ الطريقة التيجانية: "حتى الأراذل والأوباش أعداء

---

١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الأول، المجلد التاسع والعشرون، بحث بعنوان: من الإسلام إلى الإيمان، القاهرة، سنة: ١٣٧٧هـ.

فرنسا الذين ينكرون الجميل، ولا يعترفون لفاضل بفضل، قد اعترفوا لفرنسا بالمدنية والاستعمار، وبأنها حملت عنَّا ما كان يُثقِل كواهلنا من أعباء الملك والسيادة"، وتضمَّنت هذه الخطبة أيضا تذكير الفرنسيين بأشكال وأوجه التعاون التي بادرت بها هذه الطائفة التيجانية خلال ما يزيد على تسعين سنة، موثَّقة بالتواريخ، والأحداث، والأماكن، وأسماء الرجال، من العام ١٨٣٨م إلى عام ١٩٣١م، ثم ختم شيخ الطريقة التيجانية خطبته بالثناء العاطر على الموظفين الفرنسيين، وعلى الضباط العسكريين واحدًا واحدًا، ولَّما انتهت هذه الاعترافات بالخيانات على مدى تسعين سنة أو تزيد، نهض رئيس البعثة العسكرية، وشكر الشيخ وأثنى عليه، ثم قال: "من كمال مروءتك وإحسانك ياسيدي الشيخ المرابط، أنك لم تذكر ولا نعمة واحدة من النِّعم التي غمرتني بها، فأنت الذي أنجيتني من الطوارق الملثَّمين وأنقذتني من أيديهم"[(١)].

- **تعقيب الشيخ على خطبة شيخ الطريقة الصوفية التيجانية:**

يرى الشيخ أنَّ القليل من هذه المخازي الكثيرة كان يكفي لانفضاض مريدي هذه الطريقة الصوفية عن طواغيتها الكبار، الذين رضوا لأنفسهم بالعبودية لفرنسا من دون الله، وما كان لهذه الطريقة أن تتمكَّن وأن يتمكَّن منها أعداء الإسلام لو كان هناك وعي إسلامي سليم، مؤسَّس على الإيمان الإسلامي القويم في مدارس المسلمين، ومعاهدهم، ومرافقهم، وصحفهم، وأنديتهم، ومنابر مساجدهم، وفي سائر مظاهر حياتهم، ومن العجيب أن نرى المستعمرين أيقاظًا للتمييز بين أعدائهم وأصدقائهم، وأن يعرفوا كيف يسلطون المسلمين بعضهم على بعض، بينما المسلمون لا يميِّزون بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الأول، المجلد التاسع والعشرون، بحث بعنوان: من الإسلام إلى الإيمان، القاهرة، سنة: ١٣٧٧هـ.

- **إنصاف من الشيخ لرجل من الطائفة التيجانية، أقلع عن ضلالها:**

هذا الرجل هو الحاج عمر السنغالي، وُلِد في مقاطعة ديمار سنة: ١٢١٢هـ: ١٧٩٧م، وهو ابن رجل من صلحاء السنغال، وقد تربى في حجر والده على الصلاح والاستقامة والوفاء للإسلام، وكان منتسبًا إلى الطائفة التيجانية، ولكن الله طهَّره من رجسها، وقد التحق بالجامع الأزهر، يتضلَّع فيه من علوم الشريعة الإسلامية وآدابها وسنن الإسلام، ثم عاد إلى بلاده، وظهر في بورنو سنة ١٢٤٩هـ؛ أي بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر بثلاث سنوات، وقد رسم لعمله خطة حكيمة، وهي أن يدعو الوثنيين من بني جلدته إلى الإسلام؛ ليذوقوا ما ذاق هو وقومه من حلاوة الدين الإسلامي، وليروا ما رأى هو ومواطنوه من جمال الإسلام، ولقد كان من خطته الحكيمة أيضًا أنه آلى على نفسه أن لا يتعرَّض للاستعماريين إلاَّ إذا اعترضوا دعوته، وكان يرى أنَّ أجمل صورة للإسلام هي الصورة التي كان عليها النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم، ولذلك فقد كانت دعوته سلفية سليمة من الشوائب، ولَّما اتَّسع نطاق الدعوة هذه، ظهر لها مقاومون من الوثنيين، فحشد لهم الحاج عمر جيشًا صغيرًا من المؤمنين، تولَّى بهذا الجيش حماية الدعوة من الوثنيين ومن الفرنسيين، واستمر على ذلك ناشرًا ومطبِّقًا وحاميًا لدين الله—جلَّ جلاله حتى انتقل إلى جوار ربه سنة: ١٢٧٠هـ عن عمر يناهز سبعين سنة[1].

- **أسباب انتشار فكر الفرقة الصوفية التيجانية:**

١- عدم وجود قيادة للمسلمين تقوم بتوجيههم؛ ليكونوا مؤمنين صادقين من أهل الخير، فإنَّ الرجل الصالح الواحد يستطيع بإذن الله أن ينقذ بلادًا غارقة في الظلمات، مثل ما فتح الله جلَّ جلاله على الحاج عمر السنغالي الأزهري.

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء الأول، المجلد التاسع والعشرون، بحث بعنوان: من الإسلام إلى الإيمان، القاهرة، سنة: ١٣٧٧هـ.

٢- التهاون من المسلمين في أمر دجَّال واحد معتوه تافه مثل أحمد التيجاني، قد يؤدي إلى كارثة على الإسلام والمسلمين، كما حصل في الجزائر من وقوعها في يد الاستعماريين الفرنسيين بسبب هذا الرجل الخائن، والمحسوب زورًا على الإسلام والمسلمين[1].

- **وسائل مقاومة فكر الفرقة الصوفية التيجانية:**

١- أن يتحمَّل أمانة المسلمين كلُّ مَن أوكله الله أمرهم من علماء، وأساتذة مدارس وجامعات، ومؤلفين، وصحفيين، وأن يتولوا تحويل المسلمين من تفاهاتهم وانعدام هويتهم إلى مؤمنين أقوياء، لهم رسالة سامية في الحياة، وأن يدركوا أنَّ إهمال المسلمين جريمة سيُسأَلون عنها بين يدي الله جلَّ جلاله، وسنتحمَّل جرائر الإهمال في مجتمعنا ومستوانا من الكرامة بين الأمم.

٢- أن يتولَّى أهل القيادة الفكرية من المسلمين النهوض بالمسلمين من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان، والارتقاء من الإسلام الصوري في شهادة الميلاد إلى الإيمان الذي يدفع بصاحبه إلى كتائب الجهاد الأدبي والعسكري لإعلاء كلمة الحق والخير.

٣- تحلِّي المؤمنين ودعوتهم للناس إلى شعب الإيمان التي هي بضع وسبعون شعبة، وأن يحرصوا على بثِّها في نفوس المسلمين بالحكمة والأساليب الجميلة، وأن يبدأوا بتحلية أنفسهم بهذه الشعب، ولا غنى عن هذه الشعب؛ لأنَّ كلَّ شعبة منها هي في حقيقتها فضيلة من فضائل الإسلام؛ كالصدق، وإقامة الحق، والتعاون على الحق والخير، وغيرها من الفضائل.

٤- الثقة في أنَّ الإنسانية لن تتوصَّل إلى معنى من معاني الحق ولا لون من ألوان الخير إلاَّ وهو جزء من إيماننا نحن المسلمين، ولو ربَّينا أنفسنا وأهلينا وعامة الناس على ذلك،

---

(١) المرجع السابق، الجزء الأول، المجلد التاسع والعشرون، بحث بعنوان: من الإسلام إلى الإيمان، القاهرة، سنة: ١٣٧٧هـ.

لما كان في أمم الأرض أمة مثلنا ترفل في حلل القوة العسكرية، والعمرانية، والخلقية، والصناعية[١].

(١) "مجلة الأزهر"، الجزء الأول، المجلد التاسع والعشرون، بحث بعنوان: من الإسلام إلى الإيمان، القاهرة، سنة: ١٣٧٧هـ.

المبحث الرابع:

منهج الشيخ في مواجهة الفرق المنحرفة

ويتضمن ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: منهجه في بيان بطلان مذهب الرافضة.**
- **المطلب الثاني: منهجه في بيان بطلان مذهب البهائية.**
- **المطلب الثالث: منهجه في بيان بطلان مذهب الصوفية.**

المطلب الأول:
منهجه في بيان بطلان مذهب الرافضة

- بيّن بطلان مذهب الرافضة عن طريق التأليف.
- نشر المؤتمرات القديمة للرافضة، وعلّق عليها.
- أكّد على أنَّ مذهب الرافضة باطل من أساسه الذي بُنِي عليه.
- نفى إمكانية التقارب بين مذهب السنة، ومذهب الشيعة الإثني عشرية، ووصفها بالمستحيلة.
- بيّن الخطورة المتحقِّقة من التقارب بين مذهب السنة، ومذهب الشيعة الإثني عشرية.
- اهتمَّ كثيرًا بإبراز مكانة الصحابة –رضوان الله عليهم، وبيّن منهج أهل السنة والجماعة في محبتهم.
- فصّل في المسائل الأساسية المختلف فيها بين أهل السنة والجماعة، وبين مذهب الشيعة الإثني عشرية.
- حقّق، وعلّق، على بعض الكتب التي أُلّفت في الرافضة.
- عرّف برموزهم، وبمؤسسي المذهب، وبيّن حقيقتهم.
- وضّح أساس التشيُّع، وأنَّ بعض شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم كانوا صحابة كرام، ومؤمنون صالحون، لم يغالوا في محبته.
- أكّد على أنَّ الرافضة هم السبب في مقتل علي بن أبي طالب وابنه الحسين –رضي الله عنهما.
- فرّق بين مذهب أهل السنة والجماعة، وبين مذهب الشيعة الإثني عشرية في ستة فوارق.
- فرّق بين ميزان أهل السنة والجماعة، وبين ميزان الرافضة الإثني عشرية في الموقف من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

- أيّد الحوار بين المتخصِّصين من أهل السنة والجماعة، وبين علماء الرافضة؛ وذلك لأنَّ الرافضة لا يمتلكون القاعدة الصلبة التي يثبتون عليها في الحفاظ على مذهبهم الباطل.

المطلب الثاني:
منهجه في بيان بطلان مذهب البهائية

- كتب بحثًا مستقلاً عن البهائية، وقام بنشره.
- أفرد البحث الذي كتبه عن البهائية في نسخة مستقلة، وقام بنشره.
- بيّن العلاقة بين البهائية والاستعمار.
- وضّح العلاقة بين البهائية والرافضة.
- فصّل في سبب بطلان مذهب البهائية، وبطلان عقيدتهم.
- وضع خطّة للأزهر لمقاومة البهائية، وحثّ على تطبيقها.
- حذّر الأمة الإسلامية من الاغترار بمذهب البهائية.

المطلب الثالث:
منهجه في بيان بطلان مذهب الصوفية

- اهتمَّ بقضية الاحتفال بالمولد النبوي، نقدًا وتوجيهًا وتصحيحًا للمسار.
- استغلّ محبّة الصوفية للرسول –عليه الصلاة والسلام وصحّح مفهوم المحبة وحقيقتها.
- استخدم لغة العصر الداعية إلى التجديد، ووظفها في التجديد في محبة الرسول عليه الصلاة والسلام بتطبيق سنته، ودراسة سيرته.
- تلطّف مع الصوفية في قضية المولد النبوي، و لم يشنّع عليهم، في محاولة منه لاستمالة قلوبهم لاتباع السنة.
- تابع تطورات الاحتفال بالمولد النبوي في أنحاء العالم الإسلامي، وقدّم لهم النصح والإرشاد.
- اقترح دراسة السيرة النبوية وتطبيقها بدلاً من الاحتفال، وتابع الاستجابة لهذا الاقتراح.
- عرّف بشاب هندي صوفي، دعمه الغرب سياسيًا وصحفيًا، في محاولة من الشيخ لإثبات أنَّ الصوفية مدعومة من دول أجنبية.
- عرّف بعقيدة فاسدة من عقائد الصوفية، هي عقيدة الحلول والاتِّحاد؛ وذلك ليُثبِت أنَّ الصوفية أخذت منعطفًا خطيرًا بالشرك بالله.
- كتب بحثًا عن الصوفية التيجانية، وبين مؤسِّسها، وأفكاره، ودعوته، وحقائق عنه، ووسائل مقاومة الصوفية التيجانية، ونشر ذلك في مجلة الأزهر.

الفصـــل الخامس

جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في مواجهة المذاهب الفكرية المنحرفة

ويشتمل على خمسة مباحث:

- المبحث الأول: جهوده في مواجهة الإلحاد، ويحتوى على خمسة مطالب.
- المبحث الثاني: جهوده في مواجهة العلمانية، وفيه ثمانية مطالب.
- المبحث الثالث: جهوده في مواجهة القومية، وفيه تسعة مطالب.
- المبحث الرابع: جهوده في مواجهة القاديانية، وفيه مطلبان.
- المبحث الخامس: منهج الشيخ في مواجهة المذاهب الفكرية المنحرفة.

المبحث الأول:

جهـــوده في مواجهـــة الإلحـــاد

ويحتوى على خمسة مطالب.

- المطلب الأول: بيانه أهمية الدين في حياة الأمم واستقرارها.
- المطلب الثـانى: تعريفـه بالإلحـاد، والـردُّ علـى شُـبَهه. ويضـم مسلكين.
- المطلب الثالث: بيانه خطورة الإلحاد وآثاره. ويحتوى على أربعة مسالك.
- المطلب الرابع: فضحه لدعاة الإلحاد ومخططاتهم. ويضم أربعة مسالك.
- المطلب الخامس: خطته في مقاومة الإلحاد في مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامي. ويتضمن ثلاثة مسالك.

المطلب الأول:
بيانه أهمية الدين في حياة الأمم واستقرارها

ركَّز الشيخ على أهمية الدين في حياة الإنسان، وأنه ركيزة أساسية في حياتـــه، لا يمكن بحال من الأحوال أن يعيش بلا دين، ناهيك عن الدين الإسلامي، والمنهج الرباني، الذي إذا تمسَّك به المسلم، واعتقد عقيدته، وذاق حلاوة الإيمان به، أصبح هذا الـــدين الخالص الصحيح بمثابة اللذة المطلقة، التي لا تنازعها ولا تساومها لذة من لذات الحيـــاة الدنيا، لا الأولاد، ولا المال، ولا الأملاك والثراء، ولا غيرها من المتع الدنيوية، بل تصبح هذه المتع بأسرها خادمة وتابعة للدين، تنضبط به، وتتوجَّه معه حيث يأمرها، وتتفانى في خدمة الدين، وترخص في سبيل نصرته، كلُّ ذلك بسبب التعلُّق بهذا الدين القويم، الذي هو أغلى كنز يحصل عليه الإنسان، ولا ينازعه شيء أبدًا، ولقد ضرب صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام أروع الأمثلة في خدمة الدين الإسلامي، لَّما ربَّاهم نبيه على المنهج القويم، وتشرَّبت به نفوسهم، فكانت ترخص أمام الدين الأنفس، والأموال، والنسب، كلُّ ذلك لما لمسوه من لذة خالصة، لبّت لهم رغباتهم من التجـــرُّد لله، ومـــن العـــزة، والسؤدد، والمجد، والكرامة، وراحة النفس، وهدوء البال، وغيره من المعـــاني والمبـــادئ القويمة، كلُّ ذلك بسبب تمسُّكهم بدينهم الحق[1].

وإنه من المقرَّر أنَّ لذة الدين، وفائدته، ومنفعته للنفس، هي منفعة دنيوية، وبرزخية، وأخروية أبدية، ولو ذاق الملحدون لذة حلاوة الإيمان بالله، ومعرفته جلَّ جلاله، لقاتلوا العارفين العابدين بالسيوف، ولو علموا ما في خدمة الدين من تيسير الأرزاق، وسهولتها، وبركتها، ولزومها للمتدين لزوم ظله، لما وسعهم إلاَّ التمسُّك بالدين والعمل له، قال الله جلَّ جلاله ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٨، ص: ٩، مقال بعنوان: الدين أغلى من الأنفس والأموال والأولاد.

مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[١]، وقال الله جلَّ جلاله﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[٢]، وقال–عليه الصلاة والسلام: "وإنَّ الرجل لَيُحرَم الرزق بالذنب يصيبه"[٣].

كما أنَّ للدين فائدة برزخية، وهي النعيم في روضة من رياض الجنة حتى يبعثوا، وأيضًا للدين فائدة أخروية أبدية، كما يقول الله جلَّ جلاله في الحديث القدسي: "غرستُ كرامتهم بيدي فلم ترَ عين و لم تسمع أذن و لم يخطر على قلب بشر"[٤].[٥].

ثم إنَّ الشيخ شهد شهادة لله جلَّ جلاله، وأشهد عليها عباده لملك مصر الراحل فؤاد الأول[٦]، فيقول الشيخ: "لَّما تفاقم طغيان الإلحاد في مصر قبل إحدى عشرة سنة، وظن

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٢– ٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٢)، وأحمد (٢٢٣٨٦)، وابن حبان (٨٧٢)، والطبراني في الكبير (٢/١٠٠رقم١٤٤٢)، والحاكم (١/٦٧٠)، من حديث ثوبان –رضي الله عنه–، والحديث حسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤).

(٤) أخرجه مسلم (٣١٢)، (١٨٩)، من حديث المغيرة بن شعبة –رضي الله عنه–.

(٥) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٨، ص: ٩، مقال بعنوان: الدين أغلى من الأنفس والأموال والأولاد.

(٦) الملك فؤاد: هو أحمد فؤاد الأول ابن الخديوي إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي، ملك مصر، ولد بالقاهرة، سنة: ١٢٨٤هـ: ١٨٦٩م، تعلم بها، ثم في جنيف (بسويسرا)، ثم في المدرسة الحربية بتورينو (إيطاليا)، وتخرج ضابطا في الجيش الإيطالي، وألحق بالبلاط الملكي برومة، ورحل إلى الآستانة فعين (ياورا) فخريا للسلطان عبد الحميد، ثم ملحقا حربيا للسفارة العثمانية بعاصمة النمسا، وعاد إلى مصر سنة: ١٨٩٢م فعين (ياورا) للخديوي عباس الثاني، واستمر ثلاثة أعوام، وكان يُنتدب في بعض المهمات، إلى أن دُعي لتولي سلطنة مصر، سنة: ١٣٣٥هـ: ١٩١٧م، بعد وفاة أخيه السلطان حسين كامل، والحماية البريطانية مضروبة على مصر، وفي أيامه قامت مصر بحركتها الوطنية سنة: ١٩١٨م بقيادة سعد زغلول، فرفعت الحماية سنة: ١٩٢٢م، ووُضع دستور للبلاد، وقانون لتوارث العرش، وقانون لأمراء الأسرة الحاكمة، وتحول لقبه من (سلطان) إلى

=

أهلوه أنَّ الميدان خلا لهم، فلم يبقَ في وجوههم معارض، شعر أهل الدين بحاجة الدين إلى صحيفة تؤذِّن باسمه، وتهتف بحقائقه، وتدحض دعاوى أعدائه، وكانت وزارة الداخلية في ذلك الحين مقفلة دفتر الترخيص بصدور أية صحيفة جديدة، وكان فقيد العربية والإسلام أحمد تيمور باشا(١)رحمه الله من أحرص الناس على تحقيق أمنيتنا في إصدار هذه الصحيفة (الفتح)، فلجأ إلى القصر الملكي يستعين به على وزارة الداخلية، وأُشهِد الله والنـــاس أنَّ صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول هو الذي كان سبب وجود هذه الصحيفة، وقد تلقَّـــى عددها الأول بابتهاج وتشجيع لا يشعر بهما إلاَّ ملك يوالي الدين ويعطف على أهله، وإني أنتهز الفرصة فأسجِّل هذه الحقيقة في تاريخ الفتح لئلاَّ تنسى"(٢).

ثم ذكر الشيخ موقفًا آخر للملك فؤاد الأول، يدل على حرص جلالة الملك علـــى دور علماء الأزهر، في القيام بدورهم، وبأمانتهم التي على عواتقهم، وهي مواجهة الإلحاد الذي ظهر في مصر، وقام الداعون إليه بتأليف بعض الكتب ونشرها، كما قاموا بكتابـــة بعض المقالات الإلحادية، ولم يلاقِ عملهم الإلحادي أيَّ استنكار أو مواجهـــة، لا مـــن الشعب، ولا من العلماء، ولا من الدولة، فلما اجتمع جلالة الملك بعلماء الأزهـــر علـــى مائدة الإفطار في رمضان، سألهم جلالة الملك: ما وظيفة الأزهر؟ فسكت العلماء ينتظرون

=

(ملك)، وفي أيامه أنشئ (مجمع اللغة العربية) بمصر، وكان يحسن مع العربية التركية، والفرنسية، والإيطالية، ويفهم الإنجليزية، وحفل عهده بالأحداث إلى أن توفي في القاهرة، سنة: ١٣٥٥هـــ: ١٩٣٦م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ١: ١٩٦.

(١) أحمد تيمور باشا: هو أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، ولد في القاهرة، سنة: ١٢٨٨هـــ: ١٨٧١م، عالم بالأدب، باحث، مؤرخ، من أعضاء المجمع العلمي العربي، من بيت فضل ووجاهة، كردي الأصل، تلقى مبادئ العلوم في مدرسة فرنسية، وأخذ الأدب عن علماء عصره، وجمع مكتبة قيمة، وكان رضي النفس، كريمها، متواضعا، فيه انقباض عن الناس، من كتبه: تصحيح لسان العرب، وتصحيح القاموس المحيط، وغيرها من الكتب القيمة، توفي بالقاهرة، سنة: ١٣٤٨ هـــ/١٩٣٠م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ١: ١٠٠.

(٢) "مجلة الفتح"، العدد ٤٩٦، ص: ٢، مقال بعنوان: فؤاد الأول ملك مصر، القاهرة، ١٦ صفر، سنة: ١٣٥٥هـــ.

قرينة تدل على الغرض من السؤال، ليكون الجواب موافقًا لغرض جلالة الملك من السؤال، فقال لهم جلالة الملك مجيبًا على نفسه بنفسه: إن كانت وظيفة الأزهر في تعليم النحو والصرف، فإنَّ جماعات من غير المسلمين ألَّفوا في النحو والصرف كتبًا حسنة الترتيب، سهَّلت هذا العلم لطالبيه، وإن كانت وظيفة الأزهر في الدفاع عن الدين، فإني لا أراكم تقومون بهذه الوظيفة، فخطر على بال أحد العلماء المؤلفات والمقالات الإلحادية، فقال: إذا كان مولانا صاحب الجلالة يأمر، فكلُّنا مستعدون للقيام بالواجب، فقال له جلالته: إنَّ الجندي الذي رأيتموه واقفا بسلاحه أمام باب القصر، إذا رأى إنسانًا يقصدني بسوء، لا ينتظر مني إذنًا ولا أمرًا في دفع أذاه، بل يقوم بواجبه من نفسه، وحماة الدين يجب ألاَّ ينتظروا إذنًا أو أمرًا من أحد ليقوموا بواجبهم، ولو كان الأذى يأتي إلى الدين من ناحيتي، لوجب عليكم أن تنبِّهوني[1].

لقد سجَّل الشيخ هذا الموقف لجلالة الملك، والغرض منه تذكير العلماء بهذا الموقف النبيل، شحذًا لهممهم في خدمة الدين والدفاع عنه، وعدم انتظار الإشارة من الدولة للبدء في ذلك؛ لأن حماية الدين والدفاع عنه مهمة كلِّ مسلم على وجه الأرض.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٩٦، ص: ٢، مقال بعنوان: فؤاد الأول ملك مصر، القاهرة، ١٦ صفر، سنة: ١٣٥٥هـ.

المطلب الثاني:
تعريفه بالإلحاد، والردُّ على شُبَهِه

ويضم مسلكين.

المسلك الأول: تعريفه للإلحاد.

ادَّعى دعاة الإلحاد أنَّ العلم الحديث نظر في الأديان، وفي أصولها، فلم يجدها قائمة على أساس علمي، في حين أنه نظر في الإلحاد نظرة دقيقة، فوجد أصوله متينة راسخة، ومبانيه ثابتة قوية، فمال العلم الحديث إلى الإلحاد، وتخلَّى عن نصرة الدين، ولقد ردَّ الشيخ على هذا الادِّعاء مُعرِّفًا بالإلحاد، وبملامح فكر الملحدين، وسأُوجِز التعريف بالملحدين، وبملامح فكرهم في نقاط:

- أبان الشيخ أنَّ دعاة الإلحاد كلّما آنسوا من أصحاب العلم والدين تقاعسًا عن نصرة دينهم ورسالتهم، نشطوا في تضليل الناس ومغالطتهم بمثل هذه الدعاوى الباطلة.
- بين أنَّ الإلحاد وهم كاذب، وتخبط، وضلال، تحت مُسمَّى العلم.
- ذكر أنَّ للإلحاد جرأة صريحة على الثوابت الدينية، والمسلمات العقدية، وأنه نبذ للدين، واجتثاث لجذوره.
- أكد على أنَّ الإلحاد ليس من نتائج العلم الطبيعي، وبناءً على ذلك، فإنَّ دعوى أنَّ العلم الحديث يؤيِّد فكرة الإلحاد، دعوى خاطئة كاذبة، فإنَّ الإلحاد شيء، والعلم الصحيح شيء آخر[1].
- أظهر أنَّ دعاة الإلحاد ليست لهم أدلة، وليست لهم قواعد تؤيِّد صحة دعواهم.

---

[1] انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٠، ص: ٧، مقال بعنوان: العقل مقيد في تفكيره واعتقاده بدائرة الدين.

- وضح أنَّ الدليل الوحيد الذي يستدل به دعاة الإلحاد هو النقل عن المؤلفين الغربيين، وليس لهم حظ من البحث في الأدلة، ولا إطالة التفكير فيها، ولا صحة المقدمات، ولا سلامة الدليل من الغلط.
- بين أنَّ دعاة الإلحاد لم يقدموا للإسلام والمسلمين خطط الغرب النافعة، وأنظمته القيِّمة، وصناعاته الخطيرة، وإنما جلبوا للإسلام والمسلمين ترك أوامر الله جلَّ جلاله وتعاليمه، ووصاياه، ممَّا يوحي بأنَّ أساس الدعوة للإلحاد هو سوء النية. قال الله جلَّ جلاله:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

المسلك الثاني: الردُّ على شُبَهه.

كان للإلحاد شبهتان، الشبهة الأولى: ادِّعاء الملحدين أنَّ العقل مقيَّد في تفكيره واعتقاده بدائرة الدين، وأنَّ الأولى أن يكون الإنسان حرًا في أفكاره، وأنَّ كلَّ ما تؤدِّي إليه أفكاره يجب أن يتمتع بالحرية المطلقة، وألاَّ يقيِّدها شيء، ولكن الدين ضيَّق على الناس دائرة التفكير والإبداع، لذلك يجب على المفكِّرين التحرُّر من القيود التي يدَّعون أنها من الدين، وهي قيود وهمية لا تنافي الدين أبدًا، يجب عليهم إطلاق الفكر في سماوات الإبداع والإنجاز، ومن ثمَّ فأيُّ فكرة ينتجها هذا التفكير يجب الأخذ بها وعدم ردِّها؛ لأنها جهد عقلي تمَّ التوصُّل إليه، ورفضها يعني التوقُّف عن الإبداع والتقدم[2].

ولقد ردَّ الشيخ على هذه الشبهة بأنَّ الدعوة إلى هذا التحرُّر من القيود، كما يسمُّونها يعني أنه إذا فكَّر واحد من المفكرين أنَّ الله واحد لا شريك له، كانت هذه النتيجة صحيحة، وإذا فكَّر آخر أنَّ خالق الخلق اثنان أو ثلاثة أو مائة أو ألف، كانت هذه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١- ١٣.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٠، ص: ٧، مقال بعنوان: العقل مقيد في تفكيره واعتقاده بدائرة الدين.

النتيجة أيضًا صوابًا، وإذا برهن بعض الناس على أنه كان هناك أنبياء، وجب الإيمان بكلامهم، وإذا برهن أحدهم أنه لم يكن هناك لا أنبياء ولا كتب سماوية، فإنَّ هذه النتيجة عين الصواب، يجب الأخذ بها وعدم ردّها، وكذلك إذا تنازع اثنان في وجود الشمس والسموات والأرض، وبرهن كلٌّ منهم على قوله، فإنه يجب عدم ردِّ أفكارهما؛ لأنها نتاج جهد عقلي لا يليق بالفكر إنكاره، وليعلم من يدَّعون إلى حرية التفكير هذه، أنه لو كان كلامهم صوابًا، لكان إرسال الرسل عبثًا، وكان إنزال الكتب عبثًا، وكانت إقامة الحكومات عبثًا، وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبثًا، ولكان الوعد والوعيد عبثًا، ولكان الحق هو ما يقوم بمُخيّلة الإنسان فينفذه، وكان الوقوف أمامه بناءً على ما تخيَّله وقوفًا باطلاً؛ لأنه يصادر المشروع الذي كلَّف الله جلَّ جلاله به عباده، فيكون الأمر بالخير لَمن تلبَّس بالشر شرًّا، ويكون النهي عن المنكر منكرًا، ويكون الزنا، وشرب الخمر، والقتل، والنهب، والربا، وعقوق الوالدين، كلها طاعات،وليعلم الداعون إلى حرية التفكير ونبذ الدين، أنَّ أنظار العقول ونتائجها محدودة في دائرة معروفة، هي الدائرة التي جاء بها الشرع، فما قال الشرع أنه واجب، فلا يمكن للعقل أن يعطيه غير درجة الواجب، وما قال الشرع أنه حرام، حرُم على العقل أن يقول فيه غير ذلك، وهكذا كلُّ الأحكام الشرعية، وحظ العقل في ذلك أنه يفهمه ويتدبَّر لماذا كان واجبًا أو محرَّمًا أو غير ذلك، وما الفوائد التي تترتَّب على عمله إن كان محرَّمًا، وما المضار التي يعقبها تركه إن كان واجبًا، وما المضار التي يعقبها فعله إن كان حرامًا[1]. فإنَّ لكلِّ فعل من الأسرار ما لا يعلمها إلاَّ الحاكم الخبير بوجوبه أو سواه، وهو العليم الخبير جلَّ جلاله، ويدعو الشيخ الدَّاعين إلى حرية التفكير والتحرُّر من الدين، إلى الاعتبار بواضعي الشرائع الأرضية، والدساتير البشرية، فإنهم يكدُّون خواطرهم، ويعصرون قرائحهم، ويبذلون منتهى ما في طوقهم من تفكير؛ لتكون شرائعهم مبعث هدى، ومصدر أسرار، تملأ الكون نورًا

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٠، ص: ٧، مقال بعنوان: العقل مقيد في تفكيره واعتقاده بدائرة الدين.

ورشادًا، ولكنهم لجهلهم بكُنه كثير من الأمور وما يترتَّب عليها، يظهر لهم في كلِّ يومٍ خطأ تشريعهم وضلاله، فيعدلون عنه إلى غيره، وهكذا لا يستقر لهم قرار على حال من الأحوال، بخلاف خالق الخلق وخالق أنفسهم، العالم بما يضرُّهم وبما ينفعهم من الأفعال ماضيًا وحالاً ومستقبلاً. ويتساءل الشيخ عن الإنجاز الذي حصل على أيدي الدَّاعين إلى التحرُّر من قيود الدين، لينطلق الفكر في الإبداع والإنجاز، ويردُّ الشيخ على الملحدين وشبهتهم في أنَّ العقل والتفكير مقيَّدٌ بالعلم بهذه الأدلة العقلية المفحمة، في صورة أسئلة موجهة لهم:

- هل وصلتم في اختراعاتكم إلى اختراع سراج واحد لليل؟
- وهل وصلتم في اختراعاتكم إلى سراج واحد للنهار؟
- وهل اخترعتم من نطفة من ماء مهين إنسانًا سميعًا بصيرًا متكلمًا عليمًا مدبرًا؟
- وهل عُبِدت الشمس والقمر إلاَّ بالعقول؟ وهل سُجِد للفرُّوج والبقر إلاَّ بالعقول؟ وهل عبد العابدون الحجارة ينحتونها بأيديهم إلاَّ بالعقول؟ وهل كفر الكافرون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إلاَّ بالعقول؟
- أنَّ العقل مثاله مثل العين، ترى الطريق السهل والوعر، وتميّز كلاًّ منهما عن الآخر، بشرط وجود النور، فإذا وُجِد النور، رأت وميَّزت، وإلاَّ كان وجود العين كعدمها، ونور العقل هو الدين، والتمسُّك به، مع صحة التفكير وسلامته.

ولقد حثَّ الشيخ المسلمين إلى الانصراف عن أولئك الملحدين، وعدم الاستجابة لهم، وأن يستمسكوا بدينهم، وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام فإنَّ فيها السعادة والصلاح في الدنيا والآخرة[1].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٠، ص: ٧، مقال بعنوان: العقل مقيد في تفكيره واعتقاده بدائرة الدين.

رده على الشبهة الثانية: أنه لابدَّ من التجدُّد ليتغير واقع الأمة من الانحطـــاط إلى الارتقاء.

ولقد ردَّ الشيخ على هذه الشبهة بأن التجدُّد في نظر الملحدين هو نبذ الدين، والتخلِّـــي عن كلِّ ما يدعو إليه الدين، من الأخلاق، والعادات، واللغة، والمظاهر الإســـلامية عمومًـــا، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ هذا ظن ليس في موضعه، فإنَّ التقدم والتأخر يكون في شيء بحســـب الاجتهاد وعدمه، في الأعمال التي تتعلَّق بذلك الشيء، ولا شكَّ أنَّ الدين وما معه من العادات واللغات وغيرها ليس ذلك من العمل المتعلِّق بالدنيا في شيء، حتى يكون به تقدَّم في أمور الدنيا أو تأخَّر، فإذا واصل المسلمون ليلهم بنهارهم في أعمال الدنيا، ووصل اجتهادهم في ذلـــك إلى مدى لم يصل إليه أحد، فهل هناك أيُّ مانع من أن يؤدُّون أركان دينهم الخمسة؟ وهل هنـــاك مانع من المحافظة على القِيَم من اجتناب السرقة، والقتل، والزنا، والغش، وما إلى ذلك؟ ولكن المجدِّدين لقصر عقولهم ولجهلهم ظنوا أنَّ كلَّ ما هم عليه فاسد، فنبذوه وراء ظهورهم، وكان أول ما بدأوا به دين رب العالمين، وظنوا أنَّ كلَّ ما عليه الغربيون صالح، وإن كـــان الكفـــر البواح[1]، ولقد ولج الملحدون من باب الدعوة إلى الإصلاح، وترك الجمود، ويرى الشـــيخ أنَّ الإصلاح الحقيقي ليس في نبذ الدين، وإنما في تعلُّم سنن الكون وأسرار الملكوت، وأن نستعين بقوى الطبيعة على تحسين حالنا، وتقوية كياننا، مع التمسُّك بفضائلنا، والاعتصـــام بميزاتنـــا وخصائصنا، وأنَّ الجمود الحقيقي ليس في التمسُّك بالدين، وإنما في التخلِّي عن وسائل الارتقاء، وإصلاح الأنظمة الوضعية، والأخذ بوسائل التقدم، وأنَّ الجمود الحقيقي ليس في ازدراء ما عليه أوروبا من الانحلال الأخلاقي، والتفكك الاجتماعي، والانطلاق خلف المادة، والتخلِّي عـــن الدين، وإنما في صرف أنظار ولاة الأمور في العالم الإسلامي إلى الإصلاح الحقيقي الذي يكفُل للمسلمين العيش الكريم، معتمدين بعد الله جلَّ جلاله على إمكاناتهم وقدراتهم، حتى تتحقَّق لهم القدوة للعالم أجمع[2].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٤، ص: ٤ – ٩، مقال بعنوان: التجدد وشيء من آثاره وواجب الأمة نحو أهله.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ١٢٧، ص: ١، مقال بعنوان: وقفة أمام كابل.

المطلب الثالث:
بيانه خطورة الإلحاد، وآثاره

ويحتوي على أربعة مسالك.

المسلك الأول: مساوئ فرض الإلحاد بالقوة.

تطرَّق الشيخ لخطورة الإلحاد وآثاره السيئة على دولة تركيا، بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، ومَن يساعده من رجال دولته، فإنَّ مصطفى كمال أتاتورك استغل السلطة والقوة في فرض سياسته الإلحادية بالإجبار والإكراه، فلقد حرص على تنفيذ مخططاته العدائية للدين الإسلامي تحت سطوة السلاح والنار، وذلك بقوة الجيش الذي هو قائده، حتى لا يكون للأتراك أيُّ اختيار آخر إلاَّ الاستسلام لأوامره الحاقدة على الإسلام، فلقد قام بأعمال إلحادية كان من آثارها هذه الأمور(١):

- قام بتطبيق سياسة ماكرة حاقدة على الإسلام، ولقد نجح وتحقَّق مراده في مسخ ظاهر وباطن الأتراك من الدين إلى اللادين.
- تغيير هوية الأتراك، و طمس معالم دينهم.
- تغيَّرت معالم تركيا الإسلامية، واختلفت مظاهر الدين في أرجاء تركيا، فبعد أن كانت تركيا برجالها ونسائها مضرب المثل في التمسك بالدين، والحرص على تطبيق شعائره، أصبح الزائر لتركيا في هذا العصر يظن أنه في بلد آخر غير تركيا، لما ظهر فيها من آثار السياسة الكمالية الإلحادية.

ولقد أرجع الشيخ سبب جرأة مصطفى كمال وأعوانه على الدين، لأمور:

- نشأته هو وأصحابه على الجهل بالإسلام وبأسراره العظيمة.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٢٧، ص: ١، مقال بعنوان: وقفة أمام كابل.

- تمكَّنت من قلوبهم الشُّبَه التي سمعوها من أعداء الإسلام، وهم على ما هم عليه من الجهل.
- الجفوة التي وضعوها لأنفسهم بينهم وبين العلماء المسلمين، ولو عاشروا علماء الإسلام، ووقفوا على بعض أسرار الإسلام، لماتوا في سبيل حراسته والذود عنه، ونصره وكبت عدوه، كما فعل أسلاف أمة الإسلام(١).

المسلك الثاني: تطاول الإلحاد على الأديان، خاصة الدين الإسلامي.

يذكر الشيخ أنَّ من المقرَّر والمتَّفق عليه عند عقلاء الأمة، مسلمها وكافرها، حظر الطعن في الأديان؛ لأنَّ الأديان جهة حسَّاسة جدًا، بل إليها المنتهى في الحساسية، ولقد عرف عقلاء الأمم ذلك، فأحدثوا التشريع الذي يهدِّد بالعقوبة على مَن يجرؤ على ذلك الطعن، ومن بين ذلك قانون دولة مصر الذي جرّم المساس والتطاول على الأديان، ولقد ظهر للناس طه حسين متجاهلاً ما تعارف عليه عقلاء الأمم مسلمهم وكافرهم، فلقد تجرَّأ بالطعن والانتقاص من الأديان في مؤلفاته وكتاباته، وذلك في نقاط:

- طعنه في التوراة والقرآن، وأنهما خرافة لا يقبلهما العقل.
- طعنه في عقيدة الإسلام، واليهودية، والنصرانية، وأنها شرائع كاذبة.
- أنَّ الأنبياء الذين جاؤوا بهذه الشرائع كاذبون، لم يرسلهم الله -جلَّ جلاله، وإنما هم أشخاص ابتدعوا الرسالات من أنفسهم.
- أنَّ الإله الذي أرسلهم لم يكن ملمًا بالتاريخ، وأنَّ طه حسين على يقين أنه تاريخ كاذب(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٢٧، ص: ١، مقال بعنوان: وقفة أمام كابل.

(٢) انظر: "المرجع السابق"، العدد ١٦، ص: ٩، مقال بعنوان: لفتة للمدافعين عن الملحدين والبغايا.

المسلك الثالث: محاولة الملحدين ردَّة المسلمين عن دينهم.

تحدَّث الشيخ عن الإلحاد، وأنه الخطوة الأولى والأهم لتيسير اعتناق المسلمين للنصرانية، واستدل باقتراح مبشِّر من المبشرين البروتستانت في مؤتمر تمَّ عقده قبل الحرب العالمية الأولى، وكان اقتراح هذا المبشر أن يتم العمل الجاد بكل وسائله لهدم العقيدة الإسلامية عند المسلمين أولاً، إذ إنه من العبث محاولة تنصير المسلمين، وهم لا يزالون على عقيدتهم الإسلامية، وأنه من الأهمية بمكان إخراجهم من دينهم أولاً، ليسهل بعد ذلك تنصيرهم، هذا هو اقتراح المبشِّر في المؤتمر، ويرى الشيخ أنَّ الدعاة إلى النصرانية لم يقرِّروا العمل رسميًا بهذا الاقتراح؛ لأنهم لو قرَّروه لاعترفوا لأنفسهم بالكفر بدين المسيح، وبكل دين جاءت به الأنبياء، ولكن الشيخ يرى أنَّ المنصِّرين سائرون في تنفيذ هذا الاقتراح بالتدريج، فعقدوا الأواصر بينهم وبين دعاة الإلحاد، واتصلوا بمَن يجنح إلى ذلك من المسلمين فنشَّطوهم، وساعدوهم، وفتحوا لهم الأندية يخطبون فيها ويدعون، وصار للمبشِّرين جمعيات يزعمون أنها ليست للدعوة الدينية، فأمكنهم أن يستميلوا إليها مَن لا يقترب من معاهد التبشير، ورأوا أنه لا جناح عليهم إذا ساعدوا فيها حركة الإلحاد ما دامت غير تبشيرية في الظاهر، ويؤكِّد الشيخ من خلال مراقبته لواقع الإلحاد، والدعوة إليه، أنه منذ انتهت جلسات هذا المؤتمر، فقد نشطت الدعوة إلى الإلحاد، وازداد عدد الملاحدة من المسلمين، وصار للفكر الإلحادي دولة، وسياسة، وتطبيق، وإجبار، متمثِّل في دولة تركيا بقيادة مصطفى كمال أتاتورك(١).

المسلك الرابع: سعي الإلحاد إلى فرض السيطرة،والهيمنة، والاحتلال، لدول إسلامية.

وثَّق الشيخ للتمدُّد الإلحادي بقيادة دولة تركيا، حيث انتهجت تركيا سياسية خارجية، إضافةً إلى سياستها الإلحادية في داخلها، فأرسلت رسلها لقلب الحكم الإسلامي

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٩١، ص: ١، مقال بعنوان: دعاة النصرانية في ديار الإسلام، مقال سابق.

في كابول[١]، وكان ممَّن عاونها وساندها أئمة الإلحاد في تونس وفي البصرة، ولكنَّ الأمة الأفغانية الباسلة المخلصة زحفت من كلِّ حدبٍ وصوبٍ قاصدة كابول، معترضة وغاضبة على محاولات التدخُّل لقلب الحكم في كابول، وهدم الدين في نفوس الأفغان، ثم بيَّن الشيخ أنَّ ما قام به الملحدون من محاولة قلب الحكم في بلد الأفغان بالذات، أنهم يجهلون أوليات العلوم التي تقوم عليها سياسة الأمم، بحيث إنَّ الأفغان يتمتعون بتاريخهم الإسلامي العريق والمتجذِّر، وبعقيدتهم الخالصة، وبتضحياتهم في سبيل حفظ دينهم وعقيدتهم، ولن يستطع الصعاليك الملاحدة أن يصمدوا أمام ثورة الأفغان لحماية دينهم، وهذا ما حصل بفضل الله[٢]جلَّ جلاله والسبب في خيبة الملاحدة من تحقيق مأربهم في كابول أنهم جنحوا إلى العجلة، فكان الانقضاض عليهم سريعًا من الأفغان، كما أنَّ تمهلهم وتؤدتهم في باقي بلاد الإسلام سينبِّه المسلمين ويوقظهم من غفلتهم ولو بعد حين؛ لأنَّ الهداية الإسلامية لا خوف عليها، وقد تكفَّل الله جلَّ جلاله بحفظها، وما كان الله عليه حفيظًا لا تقوى قوة البشر على إبادته[٣].

---

(١) كابول: هي عاصمة من عواصم الإسلام، جهة الأردن، توارثها الخلفاء المسلمون كابرا عن كابر، وكان أول من افتتحها القائد المسلم محمد بن القاسم رحمه الله، حتى وصل الحكم في زمن الشيخ لمحمود سبكتكين الغزنوي فاتح دهلي وكشمير ولاهور، انظر: المرجع السابق. وانظر: "مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع"، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، ٣: ١١٤١، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٢٧، ص: ١، مقال بعنوان: وقفة أمام كابل.

(٣) انظر: المرجع السابق.

المطلب الرابع:
فضحه لدعاة الإلحاد ومخططاتهم

ويضم أربعة مسالك.

المسلك الأول: فضحه لطه حسين، وطلب البرلمان المصري محاكمته. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: فضح طه حسين، وكشف إلحاده.

تصدَّى الشيخ للدكتور طه حسين، وبيَّن للقرَّاء في مجلة الفتح سيرته العلمية والعملية، والسر في تحوله، واعتناقه الأفكار المخالفة للتعاليم الشرعية الربانية، ورفضه للدين، ودعوته إلى الإلحاد، وكشف الشيخ للقرَّاء أسرار هذا الرجل، وخفاياه التي لايدركها القرَّاء؛ ليكونوا على بصيرة من أمره، ولقد وجدت ما كتبه الشيخ في التعريف بطه حسين وبإلحاده، من أشمل وأكمل ما كتب عنه، فلقد نقل الشيخ أقواله بنصها، وردَّ عليها، وناقشها نقاشًا علميًا منطقيًا عقليًا، وفيما يلي أبرز المسائل التي تناولها الشيخ في التعريف بإلحاد طه حسين[1]:

- من الأسباب الرئيسية التي دعت طه حسين إلى معاداة الأزهر، ومحاولة هدمه والاستغناء عنه: أنه تقدَّم للأزهر من أجل الحصول على شهادة العالمية، فقرَّرت اللجنة عدم إجازته، ومن ذلك اليوم أصبح عدوًا لدودًا للأزهر وكلِّ ما فيه.
- توجَّه طه حسين بعد رفضه من الأزهر إلى أوروبا، فدرس بها، وتزوَّج امرأة كاثوليكية منها، وعندها بدأ التحول في حياته، حيث أشاح بوجهه عن الإسلام وأهله، وأصبحت أوروبا وما فيها موضع الإعجاب والإكبار والانبهار في قناعاته وتوجهاته وأفكاره.
- أنَّ الجمود عند طه حسين هو التمسُّك بالدين، والحياة الراقية والعلم الصحيح هو نبذ الإسلام، وعدم الاعتراف به وبتعاليمه، وبمن جاء به وبمَن أوحاه، فالمتمسكون

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧، ص: ٦- ٢٣، مقال بعنوان: طه حسين والإسلام، وأهل الإسلام.

بالدين عند طه حسين مركبة رؤوسهم مدارة إلى الوراء، والنابذون له هم المتعلمون المستنيرون الطامحون إلى المثل الأعلى، والمثل الأعلى في نظره هو الإلحـــاد، وطـــرح الأديان جملة.

- كتب طه حسين كتابًا سمَّاه "الشعر الجاهلي"، ضمَّنه ما شاء من سخافاته، وتعرَّض في أثناء ذلك لدين الإسلام عدوه الألدِّ، فصرَّح فيه أنَّ كتاب الله جلَّ جلاله يروي الأساطير الكاذبة، ويحكي الخُدع على أنها حقائق، وليس ذلك في موضع واحد من الكتاب بل في مواضع، قال ذلك في الكتاب، وطبعه، ونشره(١).
- كتب مقالاً بعنوان (العلم والدين)، مقال هو شر آلاف المرات من كتابه (الشـــعر الجاهلي)، يقول طه حسين في مقاله هذا: "أنَّ الدين في ناحية، والعلم في ناحية، وأنْ ليس إلى التقائهما من سبيل، ومَن زعم غير هذا فهو إمَّا خادع أو مخدوع، العلم في تغيُّر مستمر وتطور متَّصل، العلم يرى الآن أنَّ الأرض كرة، وأنها تدور، فتحـــاول أنت أنْ توفق بين الدين وبين العلم في هذا، فتأوِّل نصوص القرآن، فهبَّ العلم رأى غدًا أنَّ الأرض ليست كرة، وإنما هي كمثرى، وأنها ليست دائرة، وإنما هي ساكنة، فأنت مضطر إلى أنْ تأوِّل القرآن تأويلاً جديدًا لتوفق بينه وبين العلم، وما أغناك عن هذا الفساد والإفساد، مالك لا تدع للعلم حركته وتغيُّره، وللدين ثباته واستقراره" ولقد ردَّ عليه الشيخ بأنه إذا كان العلم هو آراء الناس التي تتغيَّر من حين لآخـــر، فليس بغريب أنْ يظهر غدًا خطأ ما كان علماً وصحيحاً اليوم.
- العلم بعينه في نظر طه حسين، هو الذي لم يثبت به وجود الله جلَّ جلاله ولا نبوة الأنبياء، حيث يقول: "وأحب أنْ ألفت إلى أنَّ الدين حين يثبت وجود الله ونبـــوة الأنبياء ويأخذ الناس بالإيمان بهما؛ يثبت أمريْن، لم يستطع العلم إلى الآن أن يثبتهما، فالعلم لم يصل بعد إلى إثبات وجود الله، ولم يصل بعد إلى إثبات نبوة الأنبياء، إذن

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧، ص: ٦- ٢٣، مقال بعنوان: طه حسين والإسلام، وأهل الإسلام.

فبين العلم والدين خصومة في هذيْن الأمريْن، يثبتهما الدين، ولا يعترف بهما العلم"، ولقد ردَّ عليه الشيخ بأنَّ طه حسين يريد بهذا الكلام أن يكفُر الناس جميعا بالله جلَّ جلاله وبأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، لأنَّ العلم إذا لم يثبتهما فليس الإيمان بهما بالشيء الضروري، بل من العبث الإيمان بهما، وكيف يصح الإيمان بشيء لا يؤيِّده العلم؟ ومن هذا الكلام يتبيَّن للقارئ أنَّ طه حسين لا يدين بعقيدة وجود خالق الخلق جلَّ جلاله، ولا بشرائعه، فبالضرورة هو يجحد الأديان كلها، والرسل، والكتب، والملائكة، واليوم الآخر.

- يقول طه حسين: "الدين في نظر العلم الحديث ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية، لم يترل من السماء، و لم يهبط به الوحي، وإنما خرج من الأرض، وواضح ألاَّ سبيل إلى الاتفاق بين الدين وبين علم يذهب هذا المذهب في فهم الدين وتحليله"، ولقد ردَّ عليه الشيخ بأن المؤمن لا يمكن أنْ يُنكِر الدين، ولا يمكن أنْ ينكر الوحي السماوي، ويقول أنَّ الأديان عبارة عن أوضاع بشرية أرضية، ليس لها أيُّ اتصال بالوحي، فإنه بذلك يكون مُنكِرًا لكل الرسل(١).
- ردَّ الشيخ على طه حسين لَّما أنكر وجود الله جلَّ جلاله في مقاله (العلم والدين)، ويرى الشيخ أنه من لوازم إنكار وجود الله جلَّ جلاله إنكار وجود خلق الله، لأنه إذا انتفى الصانع فلا صنعة، وإذا أراد الإنسان أن تنفر منه الفطر، وتهرب من أمامه العقول، فعليه أنْ يدَّعي للناس وجود صنعة بلا صانع(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧، ص: ٦- ٢٣، مقال بعنوان: طه حسين والإسلام، وأهل الإسلام.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ١١، ص: ٤، مقال بعنوان: طه حسين ينكر وجود الله تعالى.

المسألة الثانية: ثناء الشيخ علىطلب البرلمان المصري من الحكومة المصرية محاكمة طـه حسين على إلحاده.

يؤكد الشيخ على أنَّ طه حسين تجاهل كل الأعراف، والآداب، والتشريعات، ومن البديهي أنَّ الطعن في كتب الله جلَّ جلاله المترلة على أنبيائـه، والطعـن في الشـرائع السماوية، والطعن في الذات الإلهية، يعتبر طعنًا في دين الله جلَّ جلاله، لذلك فقد تقـدم البرلمان المصري بطلب للحكومة المصرية بإنزال العقوبة بطه حسين، وإحالته إلى المحكمةِ؛ لينال جزاءه من جراء تطاوله على دين الله جلَّ جلاله، وبالفعل صدرت الموافقة على رفع الدعوى، وصدر الوعد من البرلمان بمعاملته بما يستحق، ويؤكد الشيخ علـى أنَّ القـانون المصري واضح لا لبس فيه بتجريم التطاول على الأديان، وإسناد تطبيـق العقوبـات إلى الدولة، وأيُّ شيء أعز على الإنسان من دينه؟ ويؤكد الشيخ على أنَّ المسـلمين علـى استعداد تام ببذل أموالهم وأرواحهم وكلَّ ما يملكون لحماية دينهم، وقمع من يتطاول على هذا الدين العظيم، و أنهم يعتبرون ذلك أقل ما يقدمون لدينهم، و يرى الشيخ أنَّ الطاعن في الدين جمع بين الإخلال بالنظام العام، وبين منافاة الآداب، وبين مخالفة الآداب المرعيـة في الديار المصرية، فكيف ينتظر الطاعن مع ذلك أن تحميه الدولة؟ وكيـف ينسـب إلى دستور البلاد أنَّ حرية الاعتقاد مطلقة؟ ولاشك أنَّ طه حسين استحق بإلحاده تطبيق حد الردَّة عليه في دين الله جلَّ جلاله وهو القتل[1].

المسلك الثاني: فضح الشيخ لعلي عبد الرزاق[2]، الداعي للإلحاد والعلمانية.

من الكتاب الداعين إلى الأفكار الإلحادية الكاتب علي عبدالرزاق، حيث إنَّ علـي عبدالرزاق تطاول على كلمة التوحيد "لا إله إلاَّ الله"، ويرى هذا الكاتب أن لهذه الكلمة أربعة عشر قرنًا والمسلمون ضاغطون على الحريات، ويضطهدون العقول، ويحجرون عليها

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١٦، ص: ٩، مقال بعنوان: لفتة للمدافعين عن الملحدين والبغايا.

(٢) سبقت ترجمته ص ٦٥.

أنْ تفكِّر في حقيقة الكلمة، وأنه آن الأوان للتفكير في حقيقة هذه الكلمة، فإنْ تكن باطلاً فسوف تذهب من الوجود وتتلاشى كما تتلاشى قضايا العلم الباطلة، وسوف تذوب إذا طلعت عليها أنوار العلم والعقل كما تولّي الظلمة إزاء وضح النهار، وأما إنْ كانت كلمة التوحيد حقًّا، فلسوف يشقُّ لها العلم والعقل طريقاً إلى هذا العالم، حتى تستولي عليه وتشيع بين جوانبه، ولقد ردَّ الشيخ على علي عبد الرزاق، وأنَّ المصيبة ليست من ناحية كفره، ولكن من جهة جهله، فإنه خلط بين العقل والعلم في إثبات صحة كلمة التوحيد، فهو يريد من علماء الطبيعة إثبات صحة كلمة التوحيد، وإذا لم تتيسَّر لهم طرائق بحثهم المادي إثبات صحتها، فإنَّ هذه الكلمة ستبقى عند علي عبدالرزاق في ملكوت التشكيك، وهو يريد أن يقول أنَّ محمداً جاء بكلمة لا تزال في موضع الشك، وتحتاج إلى زمان ليتبيَّن صدقها أو كذبها، وهذا أكبر دليل على جهله، حيث أنه لا يفرق بين المحيط الذي يجول به العقل، والمحيط الذي يجول به العلم الطبيعي، فيظن أن كلمة التوحيد غريبة عن الاثنين معاً، والحقيقة الغائبة عن علي عبدالرزاق، هي أنَّ العقل يبحث في العلم الإلهي وفي العلم الطبيعي على السواء، وأنه قد انتهي من إثبات الألوهية والتسليم بها لله رب العالمين من أقدم العصور، فهذه الكلمة لم يأتِ بها محمد وحده عليه الصلاة والسلام، بل هي رسالة كل الأنبياء السابقين لنبينا عليهم الصلاة والسلام[1].

ويرى الشيخ أنَّ علي عبد الرزاق ومن هم على شاكلته، يتَّسمون بالدين، ويزعمون أنهم أنصاره، ولكن الواقع يشهد عليهم بخلاف ذلك، لأنهم يدعون إلى التجديد والتنور والتمدين، وهذه الأمور التي يدعون إليها في الحقيقة أنها نبذ الإسلام وراء الظهور، والنظر إليه بعين البغضاء والحقد، والهجوم على تعاليمه وإرشاداته بكلِّ ما أوتوا من قوة، والعمل

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦٢، ص ٨، مقال بعنوان: لقد انكشف كل شيء.

بجد ونشاط على محوه من الوجود، ومحو كل من يدين به، ويسمُّون من يدين به المنحط المتأخر الجامد الجاف القديم[١].

ولقد أهاب الشيخ بأهل الإيمان الصحيح، من علماء المسلمين وأفاضلهم، إلى تنظيم العمل، واتخاذ الأهبة للردِّ على الداعين للإلحاد، ومنهم الدكتور طه حسين في بعض مقالاته التي نُشِرت في جريدة السياسة اليومية بعنوان: "خطرات" ومقال بعنوان: "العلم والدين" وغيرها من الكتب المؤلفة، والمقالات المنشورة للدكتور طه حسين، وللكاتب علي عبدالرزاق، وذكر الشيخ في هذا المقال احتسابه لجعل مجلة الفتح منبراً لأهل الحق، وللمناضلين عن الدين الإسلامي، للمشاركة بما يكون سبباً بإذن الله في حماية حمى الدين من العابثين، والردِّ عليهم، لإسكاتهم وكشف باطلهم، ولإيصال الرسالة الإسلامية الخالصة إلى جميع أقطار المعمورة، ودعا المسلمين إلى الاشتراك في مجلة الفتح، لتستطيع أنْ تواصل جهادها وسيرها في العمل على خدمة الإسلام والمسلمين[٢].

المسلك الثالث: فضحه لجريدة "السياسة"[٣] الداعية إلى الإلحاد.

من الجرائد التي كانت تؤيِّد الإلحاد وتنشر للدَّاعين إليه في عصر الشيخ: جريدة السياسة، حيث اشتهر عن هذه الجريدة تأييدها للإلحاد، واستقطابها للملحدين للكتابة فيها، ومن ذلك أنها نشرت مقالات طه حسين، وعلي عبدالرزاق، وغيرهما من الملحدين، ثم أصبحت تشجِّع صغار الملحدين للكتابة فيها، وتهتم بنشر مشاركاتهم لإضفاء صبغة الأنصار للإلحاد، ومن ذلك أنها نشرت مقالًا لشاب مصري، نشأ في تركيا بين حياتين، الحياة الأولى أيام حكم العثمانيين، حيث كان مؤيِّدًا لهم، والحياة الثانية أيام حكم مصطفى كمال أتاتورك، حيث أصبح مؤيِّدًا وداعماً له ولحكومته أيضاً، وكان مما دعا إليه هذا الكاتب من إلحاد: تحبيذ ما دعت إليه حكومة مصطفى كمال أتاتورك من إبطال حكم الله جلَّ جلاله

---

(١) انظر: "المرجع السابق"، العدد ٨، ص: ٩، مقال بعنوان: الدين أغلى من الأنفس والأموال والأولاد.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦، ص: ٤، مقال بعنوان: الجرائد أمس واليوم والإلحاد.

(٣) سبقت ترجمتها ص ٣١١.

في الميراث، وفي الزواج، واستحسانه إلغاء القانون المدني العثماني المأخوذ من الفقه الإسلامي، واستبداله بالقانون الغربي، ويرى الشيخ أنَّ استحسان إبطال حكم الله جلَّ جلاله من الجريدة إلحاد، يجب إنكاره من العلماء، وأنَّ الأمة المصرية في انتظار إفصاح العلماء عن رأيهم في الجريدة، وفي توجهاتها، قبل أنْ تعم الفتنة، فينخدع بها سليمو الفطرة من المسلمين(١).

المسلك الرابع: تحذيره من دعم روسيا للإلحاد.

بين الشيخ أنَّ الإلحاد ليس وليد اللحظة، وأنَّ للإلحاد دولة خارجية ملحدة تبث إلحادها في المجتمعات الإسلامية، وأن هذه الدولة هي دولة روسيا، ولقد نجحت روسيا من بثِّ إلحادها في بلاد مترامية الآفاق، في أوروبا وآسيا، ولقد بلغ تعداد من تقصدهم سياسة الإلحاد الروسية نحو مائة وثمانين مليونا، ولقد استمرت روسيا في سياستها الداعية إلى الإلحاد عشرين سنة، ولها في سياستها الإلحادية طرقاً سلكتها لبلوغ هدفها من إلحاد البشر، وهذه الطرق هي:

- فرض المبادئ والتعاليم الإلحادية على سكان تلك الدول بالقوة وبالإكراه.
- الاهتمام البالغ بالمواليد، واستهدافهم بشكل مباشر، لتنشئتهم على الإلحاد من نعومة أظفارهم.
- إنشاء المدارس الإلحادية والعناية بها.
- العناية بالدعاية للمبادئ الإلحادية بالخطابات الشعبية، وبالإذاعات اللاسلكية، وبالمطبوعات الشيوعية، وبالنشرات الدورية وغير الدورية.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ١١، ص: ١، مقال بعنوان:حول القانون المدني التركي مسلم يحبذ تغيير حكم الله.

- استقطاب الكوادر للعمل في مصانع روسيا، بغرض تسلح هذه الدولة الملحدة بأكبر عدد ممكن من الطائرات الحربية، وتجهيز جيوشها الجرارة بأتقن أنـــواع الســـلاح وأشدَّه فتكًا وأحدثه طرازاً[١].

(١) انظر: مجلة الفتح، العدد ٦٩٠، ص: ١، مقال بعنوان: إفلاس أعظم تجربة للإلحاد.

المطلب الخامس:
خطته في مقاومة الإلحاد في مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامي

ويتضمن ثلاثة مسالك.

المسلك الأول: بيان الواجب على الحكومة المصرية.

يبين الشيخ واقع الإلحاد في مصر، وأنه حرب ضروس على الإسلام والمسلمين، وأنَّ هذه الحرب لن تضع أوزارها الَّا إذا لم يبق في الوجود شيء من الإسلام، ولا يبق واحد من أهله، وأنها ليست بخافية، بل هي معلنة واضحة مكشوفة للعيان، ولا يختلف عليها اثنان، وتجري على مرأى ومسمع من الحكومة والعلماء والأمة وبرلمانها، وأنَّ الداعم والمؤيد لها ومضرم نارها جرائد ومجلات، يتهافت على شرائها مجتمع مصر(١).

ولقد حمّل الشيخ المسؤولية على الحكومة المصرية، فتساءل: أين حكومة البلاد؟ وكيف لا تدافع عن دينها وهو الدين الرسمي لها؟ ثم عقد الشيخ مقارنة بين حماية الدولة للعلم الرسمي، وبين حمايتها للدين، حيث أنَّ الدولة تستميت في حفظ كرامة هذا العلم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أنْ تقبل بإهانته، وذلك لأنها اتخذته شعاراً ورمزاً لها، بينما الدولة نفسها هي التي تتجاهل ما يحدث من مساس للدين ونبذه، ودعوة للإلحاد، فهي ساكتة برجال حكومتها، ورجال برلمانها، وأصحاب القرار فيها، والسبب واضح جداً، وهو أنَّ العلم الرسمي للدولة أجل وأرفع قدراً من الدين، الذي ارتضاه الله للبشرية دينًا، وأنَّ الحكومة لا يهمها ذهب الدين أم بقي، وإذا عجزت الحكومة عن إخراس ألسنة المتطاولين على دين الله—جلَّ جلاله فإنَّ للدين رجالاً هم الأمة بأسرها، باستثناء أولئك الملحدين، وأنَّ أولئك الرجال في ترقب لما تتَّخذه الحكومة من قرارات، تضمن حماية الدين وصيانته، والقضاء على أولئك المفسدين، وإلاَّ فإنَّ الفتنة قائمة بين الشعب والحكومة، لذلك فإنَّ الأسلم للحكومة أنْ تحافظ على تماسك الشعب، وتلاحمه مع الحكومة، وأنْ

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٨، ص: ٩، مقال بعنوان: الدين أغلى من الأنفس والأموال والأولاد.

تقضي على جذور الشقاق من أصوله، ويؤكد الشيخ على أنَّ شعب مصر يرى ويسمع في كل يوم، تشريعات البرلمان لكل صغير وكبير، وهذا يدل على أنَّ البرلمان يقوم بواجبه تجاه الشعب، فهلَّا علم البرلمان أنَّ من أوجب واجباته هو حماية الدين، وقطع ألسنة المتطاولين؟ فإذا تمادى البرلمان في سكوته، فإنَّ ذلك سيكون بمثابة تصريح للشعب، وللغيورين على دين الله جلَّ جلاله أنَّ هذا السكوت هو بسبب اتفاق بين البرلمان وبين الحكومة، على إهمال الدين وعلى قتله ومحوه[١].ثم يقول الشيخ: "نرجو بل نتأكد أنَّ ذلك التشريع كائن لا محالة، والدين منصور ولابد، والملحدين مقضي عليهم بترك هذا العدوان القضاء الأخير، ذلك ما تنتظره الأمة"[٢]

المسلك الثاني: بيان الواجب على علماء المسلمين، وعامتهم، في كل أنحاء العالم الإسلامي.

توجه الشيخ إلى حضرات العلماء في العالم الإسلامي، الذين هم أنصار الدين، وهداة الخلق، وملاذ الأمة إذا خِيف على الدين أيَّ ضيم، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ العلماء لو قاموا بواجبهم لانتصر الدين، ولما اجترأ عليه أحد من أولئك الملحدين، ثم توجه الشيخ بشحذ هِمَم الأمة، التي هي مصدر السلطات كلها، كما يقرر ذلك الدستور في مصر، وأنه يجب عليهم أنْ يطالبوا الحكومة بالقيام بواجبها في حماية الدين الإسلامي، ومحاسبة المتطاولين والملحدين الفاسدين[٣].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٨، ص: ٩، مقال بعنوان: الدين أغلى من الأنفس والأموال والأولاد.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق.

المسلك الثالث: بيان الواجب على الأزهر، وعلى العلماء في مصر.

اقترح الشيخ على الأزهر، وعلى العلماء في مصر، اقتراحات لمقاومة الإلحاد، وهي:

- إنشاء صلة تعارف مباشر بين علماء الأزهر، والداعين إلى الإلحاد في جميع أنحاء العالم.
- التعارف فيما بينهم وبين الدعاة إلى الإلحاد في أنحاء العالم.
- الحصول على المعلومات الصحيحة عن الإلحاد، وأقطاره، ووسائله، وأهدافه، والداعين إليه، وما تحقق للإلحاد على أرض الواقع، مع الاهتمام البالغ بالطريق العلمي المنضبط.
- الاهتمام بنشر ما يتوصل إليه فريق التعارف من حقائق عن طريق المحاضرات، والصحافة، والتأليف، وذلك لكشف الأمور على حقيقتها.
- مواجهة الفكر بفكر مثله، وإسناده إلى الراسخين في العلم، لقدرتهم على الإقناع.
- أهمية التدوين للأجيال القادمة، للتعرف على ما حصل في زمن أسلافهم، ولإكمال مسيرة النضال والجهاد للحفاظ على دينهم من عبث العابثين[١]،[٢].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٤٤، ص: ٢، مقال بعنوان: تعارف علماء الفرق الإسلامية.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٤٩١، ص: ٣، مقال بعنوان: رسالة الأزهر في القرن الرابع عشر.

المبحث الثانى:

جهـــوده فى مواجهـــة العلمانية

ويشتمل على سبعة مطالب.

- **المطلب الأول: بيانه أن العلمانية سبب من أسباب انحطاط المسلمين وتأخر نهضتهم.**
- **المطلب الثاني: بيانه نشأة العلمانية.**
- **المطلب الثالث: تحذيره من مخاطر العلمانية، وضرورة التصدى لها.**
- **المطلب الرابع: بيانه دور العلمانية في دولة تركيا، وما يتبعها من دول. ويضم مسلكين.**
- **المطلب الخامس: وضع الشيخ وسائل لمقاومة العلمانية.**
- **المطلب السادس: رده على شبهتين للعلمانية.**
- **المطلب السابع: جهود الشيخ في مقاومة العلمانية عن طريق حركة النشر والتأليف.**

المطلب الأول:
بيانه أن العلمانية سبب من أسباب انحطاط المسلمين وتأخر نهضتهم

يؤكّد الشيخ أنَّ من جملة المسببات لتأخُّر المسلمين، عدم الإدراك أنَّ الإسلام دين حكم، كما أنه دين عقيدة وعبادة، ويرى الشيخ أنه يجب على الحكومات الإسلامية القيام بواجبها في تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، ومن لوازم ذلك أنْ توفر الحكومات الإسلامية محاكم شرعية، وأنْ تكون هداية الإسلام وشعائره وأوضاعه محمية من الحكومات الإسلامية، وإذا كان القرآن محروما من حماية السلطان لأحكامه بالتفريق بين السلطتين الدينية والدنيوية، فإن ذلك يعتبر تحويلاً للإسلام عن طريقه(١).

وبين الشيخ أن من الفروق الجوهرية بين الإسلام والنصرانية المحرفة، أنَّ النصرانية المحرفة دين عقيدة وعبادة فقط، وأنها تفرِّق بين السلطتين الدينية والدنيوية، وأما الإسلام فهو دين عقيدة وعبادة وحكم، ويؤكّد الشيخ أنَّ الباباوات أنفسهم اعترفوا بأنَّ الإسلام أفضل من النصرانية، فحاولوا العمل بالطريقة الإسلامية في مسألة الجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية، ثم يتساءل الشيخ: لماذا يريدون أن يكونوا مسلمين من هذه الجهة، ونريد أن نكون نصارى؟(٢)

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٦٠، ص: ١، مقال بعنوان: هذيان.

(٢) انظر: "المرجع السابق"، العدد ٢٦٠، ص: ١، مقال بعنوان: هذيان.

المطلب الثاني:
بيانه نشأة العلمانية

كانت نشأة العلمانية بسبب ما تعانيه الأمة الإسلامية من انحطاط، وتخلف عن السيادة والقيادة، لدرجة أنَّ الأمة الإسلامية صارت تتخبَّط في الأخذ بأسباب النجاة، فهرولت إلى أوروبا للأخذ من معارفها حتى يتسنَّى لها النهوض، وألقت بأبنائها في مدارس أوروبا لتحقيق ذلك، ولكنها لم تنهض، فقيل لها إنَّ الدين هو سبب التخلف والضعف، فصدق هذه الفرية من لا يعرف حقيقة الدين، ولا يميِّز بين جوهره وما طرأ عليه، فهرولت فئات من المسلمين إلى هذا الرأي السقيم، فبدأت بالمحاولات تلو المحاولات للوصول إلى نبذ الدين، وفصله عن حياة المسلمين وشؤونهم، وذلك ما يسمى ب(العلمانية)[1].

ولقد حمل الشيخ المسؤولية في توجه الأمة الإسلامية إلى هذه الوجهة، لفريقين:

الفريق الأول: الحكومات الإسلامية التي شهدت بداية انتقال أوروبا من العصور المظلمة إلى عصر النهضة والتطور، فمرَّ بها هذا الأمر وكأنه لا يعنيها، وكان الأولى بهم أنْ يجاروا القوم فيما يأخذون به من وسائل القوة والنهضة، وهذا بلا شك إهمال لماهو واجب عليهم نحو بلدانهم وشعوبهم، بل ونحونا نحن الذين جئنا من بعدهم لنحمل عبء الذل، ونعاني مرارة الضعف، فكان ما كان من افتراق كلمتنا في تعيين الطريق للخروج من هذا الحال، وكانت الضحية الأولى هي التخلِّي عن الدين، واتِّهامه بالنقص، ومحاولة إقصائه عن الحياة.

الفريق الثاني: عقلاء الأمة المعاصرين وقادة الرأي فيها، إذ يجب عليهم أنْ يكونوا بعيدي النظر، وأنْ يشرعوا حالًا في مسح اللوح الماضي، والبدء من جديد في إصلاح الحال، وذلك بالتمسُّك بالدين أولا، ثم الأخذ بأسباب القوة

---

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ١٠ م ٢، شوال ١٣٤٤هـ، مقال بعنوان: الإصلاح الإسلامي وإعداد علمائنا له،ص: ٥٩٣.

الحقيقية، والاستفادة من تجارب أوروبا في نهضتها، مع الابتعاد عن السفاسف والقشور، وحظوظ النفس[١]،ويرحِّب الشيخ بالمصائب التي أصابت الأمة الإسلامية، ومنها مصيبة العلمانية، ويرى الشيخ أنَّ وقوع المصائب هو خير للمسلمين، حيث أنها تأديب من الله جلَّ جلاله لعباده، كما أنها نتائج متحتمة لذنوب متقدمة، وهي أيضاً تنبيه من السبات، وسبب لتوحيد الكلمة، وتطهير النفوس من الصدأ المتراكم عليها، فعسى أنْ تستفيد أمة الإسلام من هذا التأديب، وتعود إلى جادة الصواب، فتكون أمة متمسكة بدينها، جديرة بالسعادة والقوة والعزة[٢]، ويفتح الشيخ الأمل للعالم الإسلامي وللمسلمين قاطبة، ويحذرهم من أنْ يستولي اليأس على قلوبهم وعقولهم جراء ما أصاب المسلمين من نكبة ورزية العلمانية، ويذكرهم بأنَّ العلمانية باطل في مواجهة الحق، والحق اسم من أسماء الله جلَّ جلاله، وأيُّ قوة في الكون تتجَّرأ على مقاومة القوي سبحانه؟، ولا يزال الحق قويا ما دام صاحبه يؤمن بأنه الحق، ومتى ما اقترن إلى الحق إيمان ثابت، وعزم أكيد، وسعي حكيم، كان الحق المتواضع أمنع على الباطل الطامع، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ الحق هو عين القوة، ما دام مستمدًّا قوته من الحق جلَّ جلاله، وإنَّ القلب الممتلئ بقوة الحق هو الذي برهن على مدار التاريخ على فوزه وانتصاره، وتلك سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً[٣].

---

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ١٠ م ٢، شوال ١٣٤٤هـ، مقال بعنوان: الإصلاح الإسلامي وإعداد علمائنا له،ص: ٥٩٣.

(٢) انظر "المرجع السابق"، ج ٣ – ٤ م ٢، ربيع الأول وربيع الثاني ١٣٤٤هـ،ص: ١٨٠.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص: ٢٠٦.

المطلب الثالث:
تحذيره من مخاطر العلمانية، وضرورة التصدى لها

يؤكّد الشيخ من خلال اطّلاعه على التاريخ، أنه أتى على المسلمين حين من الدهر كانت الدنيا كلها أعداء لهم، فهوجمت حضارتهم، وعمرانهم، ومعاهد المعرفة، من أعداء شديدي الضراوة والبأس، كما حصل من الحملات الصليبية[١]، ومع ذلك فالدين قائم في نفوس أصحابه، والشرع يُحكّم به في كثير من بلاد المسلمين، حتى أتت الدعوة إلى العلمانية، فكانت أشد خطرا، وأعظم فتكًا من الحروب الطاحنة، وذلك لأنَّ أعداء الأمة الإسلامية من أبنائها المأجورين، الذين يفتكون في داخل حصون الأمة المنيعة، وكان الأولى بهم أنْ يكونوا العدة في اقتباس وسائل القوة المادية عند الإفرنج، بدلًا من أنْ يكونوا أداة للإفرنج في محاولة هدم ما في نفسية الأمة الإسلامية من بقايا القوة المعنوية، و يؤكّد الشيخ على أنَّ التيار العلماني شديد، لكنه أحقر بإذن الله من أنْ يلحق الأذى بالإسلام والمسلمين، وأنْ يحقّق مآرب الأعداء، وذلك إذا ما تدارك العقلاء الأمر، وكوَّنوا من القوى المتفرقة قوة منظمة، توجّه خطى الأمة نحو الطريق الصحيح، وتحرص على إيجاد طبقة جديدة من علماء الإسلام، تحسن مخاطبة أهل هذا الزمان باللسان الذي يفهمونه[٢].

---

(١) الحملات الصليبية: هي الحملات التي وجهها النصارى في أوروبا إلى الشرق الأوسط للاستيلاء على بيت المقدس، وقعت هذه الحملات بين عامي: ٤٨٩هـ - ٦٩٢هـ/١٠٩٥م- ١٢٩٢م، وكان البابا هو الذي يثير الحماس، ويدعو لقتال المسلمين. انظر:"موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر"، أحمد معمور العسيري، ص: ٢١٤، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ : ١٩٩٦م.

(٢) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ١٠ م ٢، شوال ١٣٤٤هـ، مقال بعنوان: "الإصلاح الإسلامي وإعداد علمائنا له"، ص: ٥٩٣.

المطلب الرابع:
بيانه دور العلمانية في دولة تركيا، وما يتبعها من دول ويضم مسلكين.

المسلك الأول: العلمانية في دولة تركيا.

عني الشيخ ببيان برنامج دولة تركيا العلماني، حيث قامت بتطبيقه تدريجيا، ولقد نشر الشيخ الخطوات التي قامت بها هذه الدولة، وقام بالردِّ عليهم، وذلك في نقاط:

- استغلالهم التعليم لتحقيق مآرب العلمانية.

أورد الشيخ جزءاً من مقال لوزير تركي، في حكومة مصطفى كمال أتاتورك، يقول فيه: "لما وضعت الحرب العالمية أوزارها، نشبت حرب أخرى بين القومية التركية، وثقافة العرب وحضارتهم، فقوض الترك ما في ديارهم من معالم ثقافة العرب، وبذلك ساروا شوطا ابتدأوه لهدم المدنية الإسلامية التي استعبدت وطنهم، وحالت بينهم وبين ترقيته، وما على المعلمين والمعلمات في الجمهورية التركية الَّا أنْ يواصلوا السير في هذا الطريق الجديد، لتعليم النشء الجديد، بانين سياسة المعارف على هذا الأساس"، ويؤكِّد الشيخ أنَّ تصريح وزير المعارف ليس صوتا له وحده فقط، ولكنه صوت الدولة التركية الرسمي، ويأسف الشيخ للحد الذي وصلت إليه دولة تركيا من محاربة الدين الإسلامي باسم العلمانية، ومحاولة القضاء على ما تبقى من بقاياه في نفوس الشعب التركي وعقولهم باسم العلمانية، وأنَّ هذه المحاولة الجديدة من محاولة طمس هوية النشء التركي الذي تربى أجدادهم على المعاني الإسلامية الخالدة باسم العلمانية[1].

---

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٢ : م١، ١٥ صفر ١٣٤٣هـ، مقال بعنوان: الجمهورية التركية وحضارة الإسلام، ص: ٩٨.

- تزويرهم الحقائق، ومحاولة إثبات أنَّ الأتراك لم يكونوا على معرفة باللغة العربية، وأنَّ حكم العرب صادر من الأتراك تراثهم وقوميتهم التركية.

من خلال تتبع الشيخ لما كُتب في المجلات والصحف التركية، توصَّل إلى توجه هذه المجلات والصحف إلى محاولة إقناع الشعب التركي، بأنهم تحرَّروا من استعباد العرب لهم، ومن مصادرتهم هويتهم، وأنه يجب على الشعب التركي أنْ يعود إلى أصالته، وتراثه التركي، وأنْ يترفَّع عن كل ما يوصله إلى اللغة العربية، التي أفقدته هويته التركية، ويؤكِّد الشيخ عدم إنصافهم للعرب، إذ أنّ العرب لم يصادروهم حقهم وتراثهم، بل إنهم خدموا اللغة التركية بالتأليف فيها وفي فنونها، والمكتبات التركية شاهدة على ذلك، ولكنهم إضافة إلى عدم إنصافهم إلاَّ أنهم اتجهوا إلى هضم حقوق المؤلفين، بمصادرة الكتب التي ألَّفها العرب باللغة التركية، وقاموا بإخفائها من المكتبات(١).

المسلك الثاني: تحذيره من العلمانية في ولايات الدولة العثمانية.

تعمد مصطفى كمال أتاتورك تطبيق العلمانية في الولايات التابعة للدولة العثمانية، ولقد اهتم الشيخ بمكة المكرمة على وجه الخصوص، لفضلها على كل الأقطار الإسلامية، ولمكانتها الدينية في نفوس المسلمين، ولأنها مهد رسالة الإسلام، فلقد ذكر الشيخ أن الحجاز كانت ولاية من ولايات الدولة العثمانية، وكان للترك فيها حكم مباشر، ولقد بقيت مكة المكرمة في أخريات الأقطار العربية، لأنَّ الأسباب التي يتوقف عليها النهوض والتقدم، لم يتهيأ شيء منها لمكة المكرمة خاصة، ولبلاد العرب عامة، وإنَّ أعظم أسباب النهوض تحكيم شرع الله جلَّ جلاله، وتبعية السياسة للدين، وتنظيمه لها، وهذا ما كانت تفتقر إليه الدولة العثمانية أواخر حكمها، وكان يجب على الدولة التي تحكم مكة المكرمة، أنْ تقيم فيها المدارس، والمعاهد، والمباني، والمطابع، وكل ما يتَّصل بالعلم وخدمته، وأنْ

---

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٢ : م١، ١٥ صفر ١٣٤٣هـ، مقال بعنوان: الجمهورية التركية وحضارة الإسلام، ص: ٩٨.

تجعل من الحكم أداة لخدمة العلم، وتعريف الناس بالدين الصحيح، وبأهمية الدين في شتَّى نواحي الحياة، ولكن منذ أنْ حكمت الدولة العثمانية مكة المكرمة، حتى خرجت منها، لم تنشئ مدرسة واحدة، لذلك فقد فشى الجهل، الذي كان من أسباب التخلف وعدم النهوض، وهذه نتيجة حتمية لفصل الدين عن السياسة، واستئثار السياسة بالقضايا السياسية، وإهمال القضية الأساس، وهي تحكيم شرع الله جلَّ جلاله[1].

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٨ : م ٣، شعبان ١٣٤٥هـ، مقال بعنوان: جزيرة العرب،ص: ٥١٦.

المطلب الخامس:
وضع الشيخ وسائل لمقاومة العلمانية

اقترح الشيخ وسائل لمقاومة العلمانية، وسأذكرها في نقاط:

- فهم روح الإسلام فهما صحيحا، قائماً على الكتاب والسنَّة، حتى يتسنَّى إحاطة الحياة بأسرها بتعاليم الدين الحنيف.
- معرفة الكيفية التي يُخاطب بها أبناء العصر، خطابا يجعلهم جنودا لتحكيم شرع الله جلَّ جلاله، و يجعلهم أبطالًا يذوِّدون عن حمى الدين بكل عزيمة وإصرار.
- عدول العلماء عن أساليبهم الحاضرة، وذلك بأنْ يحرصوا على أمرين مهمين: يصهروا في كل ما يقدمونه للأمة أمران، الأمر الأول[1]:

أولا: تقديم مؤلفات جديدة متميزة، وذلك بتأليف كتب جديدة تقاوم العلمانية، خالية من الحشو، بريئة من التردد، سهلة المأخذ، حسنة التأليف والتبويب والتقسيم، تُوصَّل الطالب إلى الفهم السريع، وتضمن تثبيت القواعد في ذهنه بالأمثلة الواضحة، وأنْ يجردوا كتب الدراسة من ذكر النحل التي لا وجود لها اليوم، وأنْ يركزوا على الأخطار التي تتهدَّد الإسلام والمسلمين، ومن أبرزها العلمانية، وأنْ تفسَّر آيات كتاب الله المتعلقة بنظام الكون، وكل ما له صلة بقواعد العمران، وسنن الطبيعة، حتى لا يزول اللبس عن أنَّ الدين لا علاقة له بالحياة، مع أهمية إدخال تواريخ العلوم في برنامج دراسة المعاهد الإسلامية، كتاريخ الفقه الإسلامي، وتاريخ الفرق الإسلامية.

---

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ١٠ م ٢، شوال ١٣٤٤هـ، مقال بعنوان: الإصلاح الإسلامي وإعداد علمائنا له،ص: ٥٩٣.

ثانيا: بيان جلال الماضي، بتعويد الطلبة على مراجعة كتب الصدر الأول، في جميع العلوم الإسلامية، والآداب العربية، وذلك لأنَّ فيها ينبوع الإسلام الصافي، وأدب العرب الجزل، وثمرات عقول السلف الناضجة، وحتى يدرك العلمانيون دور الدين في الرقي والازدهار.

- إعداد جيل متخلق بخلق الوفاء لحق التاريخ، متصل بمعارف هذا العصر، مجهزاً بالمعدات اللازمة لتكوين الأمة تكوينًا جديداً، متحلياً بجميع المحامد والفضائل الإسلامية، حتى يكون سبباً في أنْ تتقلَّد أمته أحدث الأسلحة العلمية والعقلية، مما يمكنها من الارتقاء في شتَّى ضروب المعرفة، من طب، وصحافة، وتأليف، وتدريس، وتثقيف، ونشر، ودعوة.
- التأني وعدم العجلة في الوصول إلى الهدف، وأنْ يتيقَّن القائمون على مقاومة العلمانية، أنَّ التغيير لا يمكن تحقيقه إلاَّ بالتدريج[1].

---

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ١٠ م ٢، شوال ١٣٤٤هـ، مقال بعنوان: الإصلاح الإسلامي وإعداد علمائنا له،ص: ٥٩٣.

المطلب السادس:
رد الشيخ على شبهتين للعلمانية

رد الشيخ على شبهتين يروّج لهما العلمانيون للتلبيس على الناس، وهما:

الشبهة الأولى: زعم أحد الشيوخ أن الجمع بين السلطة الدينية والدنيوية في الإسلام كان وبالا على الحكم الإسلامي وعلى المسلمين، وذلك بانقسام المسلمين إلى ممالك، وشيع، ومذاهب، وأحزاب، فكلُّ مملكة احتضنت مذهباً في العقائد والفروع، لتبقى وحدها منفصلة عن الممالك الأخرى، ويدعي بأنَّ هذا الجمع أخلَّ بالنظام العام، وزالت الوحدة المقصودة من روح التشريع الإسلامي، فتعددت الخلافة، واختلَّت أحكامها، بعكس الأمم التي تنبهت إلى حكمة الفصل بين السلطتين، فصار ذلك الفصل مصدراً لفائدة الأمة، وحمايتها من التلاشي.

ولقد ردَّ الشيخ على هذا الادعاء بمقال، أجمله في نقاط[1]:

- حاول الشيخ بكلِّ إنصاف أنْ يستخرج من كلام هذا الكاتب حقيقة علمية، وأن يجد له قيمة فكرية، فلم يستطع.
- دعا الشيخ إلى التأمل في وضع الأمم الإسلامية، وهل كان مبدأ الجمع بين السلطتين في الإسلام منتجاً للإخلال بنظام المسلمين، وزوال الوحدة المقصودة من روح التشريع الإسلامي؟ فلم يجد الشيخ أي ارتباط بين هذا وذاك، وأنه لم تقع حادثة تخل بالوحدة إلَّا ولها سبب جوهري حقيقي لا علاقة له بالجمع بين السلطتين.
- دعا أيضا إلى التأمل في وضع المسيحية، وهل كانت فكرة التفريق بين السلطتين سببا لوحدتها؟ فتوصل الشيخ إلى أنَّ الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٦٠، ص: ١، مقال بعنوان: هذيان.

يستحيل أنْ يكون بينها مثل ما بين المذاهب الإسلامية من رابطة، لأنَّ كل فرقة من الفرق المسيحية تعتبر الأخرى تابعة لدين غير دينها.

- بين أنَّ الفصل بين السلطتين معناه أنْ لا يكون لأحكام الإسلام علاقة بحكومة الإسلام، بل يخترع المسلمون لأنفسهم قسيسين مسلمين لهم مراتب وأنظمة، وتُعطى لشخصياتهم وظيفة المحاكم الإسلامية[1].

الشبهة الثانية: ادعاء أنَّ للفصل بين السلطتين فائدة، تتمثَّل في أنه إذا زال حكم الإسلام عن قطر من الأقطار، فإنَّ الحكومة الأجنبية لا ترث السيطرة على أمور المسلمين الدينية، لأنَّ المسلمين سيكونون حينئذٍ متولين أمورهم الدينية بواسطة رئاسة منفصلة عن الحكومة.

ولقد ردَّ الشيخ على هذه الشبهة بأن المسلمين في تونس والجزائر يعانون من الاستعمار الفرنسي، وأنَّ الاستعمار الفرنسي لن يسمح لهم بتأسيس تشكيلات دينية تتولى أمورهم القضائية والشرعية إلاَّ إذا كانت الأحكام متوافقة مع مبادئ الاستعمار من الظلم والاضطهاد ومحاربة الدين، وهذا أمر لا يتوافق مع الشريعة الإسلامية وأحكامها السمحة[2].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٦٠، ص: ١، مقال بعنوان: هذيان.

(٢) انظر: المرجع السابق.

المطلب السابع:
جهود الشيخ في مقاومة العلمانية عن طريق حركة النشر والتأليف

انتقد الشيخ كتابا تحت مسمى: (الإسلام وأصول الحكم)، لمؤلفه: علي عبدالرزاق[١]، ولقد انتقد الشيخ الفكرة الرئيسية لهذا الكتاب في لمحة سريعة، وبين أنَّ هذه اللمحة لا تفي بالغرض لبيان بطلان هذا الكتاب، ولكنه قصد أنْ يبيِّن الفكرة الرئيسية، ليتفرغ للردِّ على باقي محتويات الكتاب ذوو الاختصاص، من العلماء المحققين في هذا المجال.

موضوع الكتاب: يتضمن الكتاب بحثاً في الخلافة الإسلامية، والحكومة في الإسلام.

القضية الرئيسية التي ردَّ عليها الشيخ: يدعي صاحب الكتاب أنَّ زعامة النبي عليه الصلاة والسلام زعامة دينية، جاءت عن طريق الرسالة، وقد انتهت الرسالة بموته –عليه الصلاة والسلام فانتهت الزعامة أيضا، وما كان لأحد أنْ يخلفه في زعامته، كما أنه لم يكن لأحد أنْ يخلفه في رسالته[٢].

ولقد ردَّ الشيخ على هذا الادعاء، بأنَّ سلف الأمة قد فهموا الخلافة على غير الذي فهمه المؤلف، ولا أحد يشك أنَّ الوحي انقطع، وأنَّ الدين تم بانتقال الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى، ولكن هناك أشياء لم تنقطع وهي حماية الدعوة، وتنفيذ أحكام الشريعة، وتمثيل الوحدة الإسلامية، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يندب أصحابه ليخلفوه في هذا الأمر زمن حياته، ولم يكن في عصر من عصور الحكم الإسلامي أنَّ الخليفة كان مشرعاً، ولم يكن بزائد في دين الله شيئاً، كما أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم فهموا الهداية من النبي عليه الصلاة والسلام مباشرة، وفهمها من بعدهم ألوف العلماء

---

(١) سبقت ترجمته ص ٦٥.

(٢) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ١٠ : م ١، ١٥ شوال، سنة: ١٣٤٣هـ، ص: ٦٥٧.

والحكماء في أربعة عشر قرناً، ثمَّ يأتي علي عبد الرزاق لينقض كل ذلك، متجاهلاً الأحاديث الصحيحة عن الرسول عليه الصلاة والسلام في القضاء الشرعي[١].

ثمَّ طبع الشيخ ونشر في المطبعة السلفية، كتاباً بقلم العلامة المحقق السيد محمد الخضر حسين[٢]، تناول فيه كتاب:(الإسلام وأصول الحكم)، حيث حلل فيه الكتاب تحليلاً، وكشف الغطاء عن مراميه، وأبان وجوه مخالفته للحق، كما أنه أبرز في كتابه هذا الصورة الحقة التي عليها الشرع الإسلامي، في مسألة ارتباط الشرع بالحكم[٣].

---

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ١٠ : م ١، ١٥ شوال، سنة: ١٣٤٣هـ، ص: ٦٥٧.

(٢) محمد الخضر حسين: هو محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسيني، ولد في تونس، سنة: ١٢٩٣هـ: ١٨٧٦م، وهو عالم إسلامي، أديب، باحث، يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، تولى مشيخة الأزهر بين سنتي: ١٩٥٢م: ١٩٥٤م، توفي سنة: ١٣٧٧هـ: ١٩٥٨م. انظر: "الأعلام"، الزركلي، ٦: ١١٣. وانظر: "معجم المؤلفين"، عمر رضا كحالة، ٩: ٢٧٩.

(٣) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٣ – ٤ م ٢، ربيع الأول وربيع الثاني، سنة: ١٣٤٤هـ، ص: ٢٣٨.

المبحث الثالث:

جهـوده في مواجهــة القوميــة

وفيه ثمانية مطالب:

- المطلب الأول: حقيقة القومية العربية التي يدعو الشيخ إلى تحقيقها، وحقيقتها في دعوة الغرب. ويضم مسلكين.
- المطلب الثاني: أهمية الأخوة الإسلامية التي تضم المسلمين عربا وعجما، والاهتمام بسكان البلاد العربية. ويحتوى على مسلكين.
- المطلب الثالث: أسباب قيام كيان القومية العربية، وموانع ذلك. ويشتمل على مسلكين.
- المطلب الرابع: بيانه أسباب جعل دولة مصر أولى دولة عربية لحمل لواء القومية الإسلامية العربية، ومبررات ذلك، وقد احتوى على ثلاثة مسالك.
- المطلب الخامس: دعمه للتحالف الإسلامي العربي بين ملوك العرب. ويشتمل على أربعة مسالك.
- المطلب السادس: بيانه خصائص القومية الإسلامية العربية.
- المطلب السابع: تعاون الشيخ مع الشريف الحسين بن على لتحقيق القومية الإسلامية العربية، ويضم مسلكين.
- المطلب الثامن: تصدى الشيخ لأعداء الإسلام وأعداء العروبة، ويحتوى على مسلكين.

المطلب الأول:
حقيقة القومية العربية التي يدعو الشيخ إلى تحقيقها، وحقيقتها في دعوة الغرب، ويضم مسلكين.

المسلك الأول: حقيقة القومية العربية التي يدعو الشيخ إلى تحقيقها.

أهمية الدعوة إلى القومية العربية في نظر الشيخ، هي أنَّها لا يمكن أبداً أنْ تمثل غير الإسلام، كما أنها الرسالة العربية الإسلامية التي تمتاز بالروحانية الغير مكتوبة، ويجب أنْ تبقى غير مكتوبة، لأنها لا يحتويها مداد، ولا يرسمها قلم، ولا تثبت على القرطاس، وهذا السر هو الذي يسمى بالأمية، التي هي ميزة الأمة الحكيمة العليمة الرحيمة، التي نشرت الدين الصحيح، بالرحمة والهدى وبالسيرة الحسنة وبالأخلاق، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ رسالة العرب إلى البشر أمانة لا تزال معلقة بأعناقهم، ولن تبرأ ذممهم منها يوم يقفون بين يدي رب العزة، تحت لواء إمامهم النبي محمد عليه الصلاة والسلام(١).

ويؤكِّد الشيخ على أنَّ القومية العربية مرت بحالتين:

الحالة الأولى: حالة القوة والعزة والمنعة والقيادة والريادة وأصبحت تاج الإنسانية، وذلك في عصر صدر الإسلام وما تبعه من عصور القوة.

الحالة الثانية: حالة السبات والانحطاط والاتكالية والعالة على الأمم الكافرة، وذلك في عصر الشيخ، وما قبله من سنوات الضعف والانحطاط، وهاتان الحالتان لا ثالث لهما في تاريخ العرب، حيث أنَّ العرب لم يعايشوا في تاريخهم حالة بين الحالتين، لذلك فإنه يجب على العرب الجدية في العمل، وتذكر أنَّ لهم تاريخاً مجيداً، لابد وأنَّ يعيدوه لأنفسهم ولأمتهم ودينهم(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٠٩، ص: ١، مقال بعنوان: رسالة الأمة العربية إلى البشر.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٣٧٤، ص: ١، مقال بعنوان: قوة العرب المعطلة.

ومن خلال تأملي لموقف الشيخ من القومية العربية، تبيَّن لي أنَّ الشيخ كان شديد الحرص على فكرة القومية الإسلامية العربية، باعتبار أنَّ اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وأنها هي اللغة التي اختارها الله جلَّ جلاله لكتابه الكريم، وأنَّ العرب هم مادة الإسلام، وهم الذين اختارهم الله جلَّ جلاله لتحمل رسالة الإسلام، واختار لهذه الرسالة نبينا محمداًعليه الصلاة والسلام من أفضل بيوت العرب وأعلاها شأناً، لذلك فإن الشيخ كان حريصاً أشد الحرص على توجيه فكرة القومية العربية إلى هذا الاتجاه، كما كان الشيخ حريصاً على إقناع العرب شعوباً وحكومات بفضلهم على الأعاجم، وعلى حثهم على الاندماج والتحالف والتلاحم بين الشعوب العربية والحكومات، وبين الحكومات العربية المسلمة فيما بينها، فلم يتبيَّن لي أنَّ الشيخ كان يفصل بين القومية العربية والإسلام، وكان الشيخ على يقين بأنَّ القومية العربية والإسلام لا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال، وإذا تظاهر الدعاة إلى القومية بأنه يمكن الفصل بين القومية العربية والإسلام فإنها تتحوَّل إلى دعوة إلحادية، حيث أنَّ الشيخ على يقين بالتلازم بينهما، ولا يمكن الفصل أبداً، فالتنكر للعربية تنكر للإسلام، والتنكر للإسلام تنكر للعربية أيضاً، ولقد حرص الشيخ على تحقيق هذه الفكرة والدعوة إليها، وذلك حتى ترتقي الأمة العربية المسلمة، التي بارتقائها سيرتقي الإسلام والمسلمون حتما بإرادة الله جلَّ جلاله.

ومن الأدلة على أنَّ دعوة الشيخ إلى القومية العربية دعوة خالصة ليس فيها تعصب ولا إجحاف، تعريفه للعربي[1]: بأنه كل مسلم تكلم بهذه اللغة، وشارك في حفظ أمانتها، وتطوع لحمل رسالتها، ولو كان من سلالة وآباء غير عربيين، ويستدل الشيخ بأسماء لامعة لأشخاص من سلالات غير عربية، تحقق على أيديهم بفضل الله من الخير والفتوحات ما لم يقم به آلاف الرجال من العرب المنحدرين من سلالات عربية أصيلة،

---

[1]) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٠٩،ص: ١، مقال بعنوان: رسالة الأمة العربية إلى البشر.

ومنهم صلاح الدين الأيوبي[١]، حيث كتب الله جلَّ جلاله على أيديهم فتح المسجد الأقصى، وغيرهم من الملوك والفاتحين والعلماء والحكماء الذين جندوا أنفسهم لخدمة العروبة والإسلام، فحقَّق الله جلَّ جلاله على أيديهم الخير الكثير للإسلام والمسلمين عرباً وعجماً[٢].

المسلك الثاني: حقيقة القومية التي يدعو التغريب إلى تحقيقها في بلادنا.

يرى الشيخ أنَّ الدعوة إلى القومية هي دعوة إلى العلمانية، وأنها دعوة غربية غريبة على الإسلام والعروبة، فقد أمرضت المجتمع الإسلامي الواحد، والمنطوي تحت راية التوحيد، بمرض التفريق الذي أصاب ثلاثمائة مليون مسلم، فما لبث هذا المرض أنَّ مزق شمل الأمة الإسلامية، فصار منها مئات الأمم، ولقد كان الغرب واقفاً أمام العالم الإسلامي، يهم بالتهامه، ولكن يمنعه من ذلك أنَّ اللقمة كبيرة، يغص بها ويختنق، فلما تفرقت اللقمة الكبرى بسكين القومية، سهل على الغرب التهام الأمة الإسلامية واحدة تلو الأخرى[٣].

---

(١) سبقت ترجمته ص ١١٤.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٠٩،ص: ١، مقال بعنوان: رسالة الأمة العربية إلى البشر.

(٣) انظر: المرجع السابق.

المطلب الثاني:
أهمية الأخوة الإسلامية التي تضم المسلمين عربا وعجما، والاهتمام بسكان البلاد العربية

ويحتوي على مسلكين.

المسلك الأول: أهمية الأخوة الإسلامية التي تضم المسلمين عربا وعجما.

أكَّد الشيخ على أهمية الأخوة الإسلامية، وأنَّ أخبث ما يُدسّ من دسائس الفتنة في بناء القومية العربية، أنْ يقول العراقي للشامي أنت دخيل في العراق، أو أنْ يقول الشامي للحجازي أنت دخيل في الشام، وهكذا في كل أقطار العروبة والإسلام، ويجب على كلمة السوء هذه أن تنتهي وتُمحَى من قاموس المسلم العربي؛ لأنها كلمة جاهلية عصبية، ويجب على الشباب المسلم العربي المتعلم والمثقف بثقافة الإسلام، أنْ يعمل على إزالة هذه البقية من بقايا حياة الجهل، حتى تستطيع القومية المسلمة العربية أنْ تسير في طريق التمدن، وأنْ تصير أمة مسلمة عربية، بدلاً من أن تفرقها العصبية الجاهلية إلى شاميين وعراقيين ونجديين وحجازيين ويمانيين[1].

ولتحقيق الأخوة الإسلامية يجب أن يدرك العرب ثقل وعظم الأمانة الملقاة على عواتقهم، والتي يشتركون جميعاً في حملها، وهذه الأمانة لها عناصر، أجملها في نقاط:

- أمانة تعريف أمم الأرض بمعرفة هداية الإسلام.
- أمانة معالجة جريمة خذلان العرب وضعفهم.
- أمانة تنشئة فتيانهم على حب الفضائل وتجنب شهوات.
- أمانة تصحيح أفهام الناشئة التي ظنت أن الإسلام دين لا فائدة له في سعادة الدنيا.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٩٩، ص: ١، مقال بعنوان: أبو طقيقة أعقل منهم وأبعد نظرا.

- أمانة تربية الناشئة على العلم بأنها من سلالة أمة اختصها الله جل جلاله بالرسالة إلى الإنسانية.
- أمانة غرس الثقة في نفوس الناشئة، ومعالجة جهلها بأنَّ أمة العرب لو أهلَّت نفسها بالتمسك بشرع الله جلَّ جلاله لتحقق على يدها أداء الأمانات، ولتغيرت بـذلك الأرض غير الأرض[1].

المسلك الثاني: الاهتمام بسكان البلاد العربية.

اهتمَ الشيخ بسكان البلاد العربية، بحيث كتب فيهم موضوعاً بعنوان: سكان البلاد العربية الأقدمون، واللغة التي كانوا يتكلمون بها وتطوراتها. وفي هذا الموضوع يؤكِّد الشيخ على الوصول في عصره إلى استنباط النظريات المعقولة، والآراء المبنية على قواعد علميـة، في السكان الأقدمين للبلاد التي تنطق الآن باللغة العربية، لاسيماً في آسيا الغربية، ثم حدَّد الشيخ الذين تكلم عنهم في هذا الموضوع بأنهم "الأرومة السامية" أو "العمالقة"، فهـذان الاسمان لشيء واحد، وبين الشيخ أنَّ الساميين أو العمالقة انقسموا إلى سلالات، هي:

- العيلاميون.
- الأثوريون.
- الآراميون.
- بنو عابر.

ولقد انتشرت هذه السلالات في الآفاق، وتزايدت أعدادها، وانحدرت منها قبائـل متعددة، ولكن تبقى لها جامعة واحدة، هي أنهم أصحاب دم واحد، ونسب واحد، ومع أنهم متفقون في الدم والنسب، إلاَّ أنهم طرأ عليهم عامل ميّز بينهم، وهذ العامل هو:

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٧٤،ص: ١، مقال بعنوان: قوة العرب المعطلة، القاهرة، الخميس ١٩ شعبان، سنة: ١٣٥٢هـ.

حاجات الزمان والمكان: فهذا العامل له تأثير مباشر على اللهجات، وعلى لون البشرة، فكلما انفردت طائفة عن أختها زادت كلمات جديدة، فافترقت بذلك عن اللغة الأولى ببعض المفردات، وبشيء من صفات التلفظ بها، إضافة إلى اختلاف ألوان البشرة.

وللشيخ هدف من كتابة هذا الموضوع، وهذا الهدف هو: تذكير القراء بأنَّ السلالات العربية المنتشرة في آسيا الغربية بما فيها شبه الجزيرة العربية، هم جميعاً أبناء أسرة واحدة، منحدرة من أرومة واحدة، ومتوطنة أو متنقلة في أقطار متصلة، تتألف منها ساحة واحدة، لا يفصلها على الخريطة فاصل غريب عنها، ويؤكد الشيخ أنَّ أبناء هذه السلالات يشكلون أمة واحدة، وأبناؤها إنْ لم يكونوا إخوة من أب واحد، فهم أبناء عمومة[١].

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج١: م١، القاهرة، ١٥ المحرم ١٣٤٣هـ، سكان البلاد العربية الأقدمون واللغة التي يتكلمون بها وتطوراتها.

المطلب الثالث:
أسباب قيام كيان القومية العربية، وموانع ذلك

ويشتمل على مسلكين.

المسلك الأول: أسباب قيام كيان القومية العربية.

نوَّه الشيخ على أنَّ مهمة تحقيق القومية العربية مهمة كبيرة، يشترك فيها كل من نطق بالضاد في مشارق الأرض ومغاربها، ويجب على الشعوب العربية كلها أنْ تشترك في هذه المهمة، وأنْ تحرص على حمايتها، وأن تعلم أنَّ مصالحها ومصيرها مشترك، إذ أنَّ جهاد الشعوب العربية في سبيل إعزاز القومية العربية، يعد جزءا من جهاد العالم الإسلامي في سبيل سعادته، وأنَّ جهاد العالم الإسلامي في سبيل ارتقائه وصلاحه وانتشار نور الهدى في ربوعه، يعد جزءاً من سعادة الإنسانية كلها.

ويجب على الناطقين بالضاد من حدود فارس، إلى أقصى المغرب، أنْ يؤمنوا بأن القومية العربية متكونة منهم ومن سكان جزيرة العرب، وأنْ يعلموا أن لغة القرآن التي أجراها الله جلَّ جلاله على ألسنتهم، جعلتهم خلفاء على الأمانة التي كان يحملها الصحابة والتابعون(١).

ويرى الشيخ أنَّ الاستقلال والاتحاد للعرب بقوميتهم، لن يتم بخطوة واحدة، وإنما بخطوات متعددة، ويجب عليهم أنْ يهتموا بأمور لتحقيق حلمهم المنشود من الاستقلال، والتحرر من تحكم الغرب فيهم، وهي:

- يؤكِّد الشيخ على أنَّ التاريخ هو الوسيلة الأقوى لنماء القومية الإسلامية العربية، وازدهارها، وثباتها في جميع الأمم.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٠٩، ص: ١، مقال بعنوان: رسالة الأمة العربية إلى البشر.

- الاستفادة من تجارب الأمم التي اعتمدت في نهضتها القومية على تاريخها، وهذه الأمم هي:
- أمة الألمان: حيث اتخذت من كل صغيرة وكبيرة في ماضيها حافزًا لتنمية القوة والعزة في حاضرها.
- الأمة الفرنسية: أفرغت تاريخها بانتصاراته وهزائمه في أساليب، أكسبتها قوة وحماسة وحياة.
- أمة الإنجليز: تغذي الروح القومي في ناشئتها بكل ما في تاريخها وسير رجالها.

ويرى الشيخ أنَّ هذه الأمم تتمَّتع بالقوة، والازدهار، والرقي، لإدراكها واجبها القومي الحاضر، وحرصها على تاريخها القومي، والربط بين الماضي والحاضر، وتربية الناشئة على تاريخها، ومطمحها المستقبلي(١).

- رسم الخطط المدروسة دراسة جيدة، وكل خطوة يتقدمون بها إلى الأمام يجب أنْ يحتفظوا بها، وأن يعملوا على تثبيتها.
- ألاَّ يتناسوا هدفهم الأسمى في خضم مواجهة الأحداث، بعد كل خطوة يتقدمون بها إلى الأمام، وأن يأخذوا من هدفهم الذي يسعون إليه نفساً جديداً للتقدم خطوة أخرى.
- وضع اللين في موضعه، وطلب القوة والعون من عند الله جلَّ جلاله عندما يشعرون بحاجتهم إلى القوة والعون، مع الاعتصام ب الله جلَّ جلاله، وطلب التسديد منه جلَّ جلاله في لينهم وقوتهم.
- الاعتقاد الجازم أنَّ العرب إذا لم يؤمنوا بحقوقهم والدفاع عنها، فإنَّ الغرب لن يعترفوا لهم بها أبداً.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٦١،ص: ١، مقال بعنوان: إفراط وتفريط، القاهرة، الخميس ٢٨ جمادى الأولى، سنة: ١٣٥٦هـ.

- يجب على العرب أنْ يبحثوا عن دوائهم فيهم، قبل أنْ يبحثوا عنه في يد غيرهم، وأن يستأصلوا داءهم وأسبابه استئصالاً بلا عودة، وألاَّ يكتفوا بالعقاقير المهدئة من الغرب التي تضمن للغرب عدم التعافي من المرض، وأنَّ العرب لا ينفكون عالة على أعدائهم.
- العمل على تجهيز النساء والرجال والأطفال بمعدات الاستقلال بالقومية الإسلامية العربية، من علم وأخلاق ودين وصناعة وبراعة[١].
- إعادة النظر في كتب التاريخ الإسلامي والعربي التي نعلمها لأبنائنا.
- المبادرة إلى تجريد التاريخ الإسلامي والعربي مما دُسّ فيه.
- تعريف أبنائنا بأقدار أسلافهم الذين أوجدوا العالم الإسلامي، وكوّنوا الكيان العربي[٢].
- أن تعرف القومية الإسلامية العربية نفسها، وقدراتها، ورجالها الناهضين بها.
- أن تعرف القومية الإسلامية العربية وظيفتها: وهي نصرة الإسلام والمسلمين، وإيصال هدايته ونوره إلى مشارق الأرض ومغاربها؛ ليدرك الناس قاطبة أنَّ الدين عند الله الإسلام فلا يسعهم إلاَّ الاعتناق لهذا الدين العظيم[٣].
- الاشتراك والتعاون على شكل هيئات ومؤسسات وشركات؛ لتسهيل الوصول إلى المقاصد العظيمة، وتوزيع المهام بين الأشخاص لضمان جودة النتائج بإذن الله جلّ جلاله، ولقد تفوَّق الغرب على الشرق في هذه المزية، ويجب على العرب أن يستفيدوا من تجارب أعدائهم، إذا أرادوا العزة والاستقلال[٤].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٧٨، ص: ١، مقال بعنوان: سوريا في طريقها نحو المطمح.

(٢) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء السابع، المجلد التاسع والعشرون، مقال بعنوان: نقطة تحول في تاريخنا، القاهرة، سنة: ١٣٧٧هـ.

(٣) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٠٩، ص: ١، مقال بعنوان: رسالة الأمة العربية إلى البشر.

(٤) انظر: المرجع السابق.

- إدراك الناطقين بالضاد قدر أنفسهم، المتمثل في معرفة رسالتهم العلوية السماوية الربانية.
- الاغتراف من الإيمان المحمدي من ينبوعه الأول، والاشتراك بين سواعد العرب أجمع في حمل مشعله.
- القناعة التامة بأنه بغير الإسلام لن يلم العرب شعثهم، ولن يستعيدوا قوتهم، ولن تنمو فيهم أخلاق الرجولة، ولن يتأهلوا لمشاركة الأمم في حمل أعباء الحضارة، ولن يحتلوا المحل الشريف من صف القيادة والريادة.
- القدوة الحسنة من العرب المسلمين؛ لتقديم العروبة والإسلام للعالم بأسره بصورته البهية، ولتكن لهم عصور الإسلام الأولى خير منبع يستقون منه أخلاقهم ومعاملاتهم، و يجب عليهم نبذ الخلافات الشخصية فيما بينهم، والترفع عن الأخلاق الرذيلة، من الخور، والشح، والنفاق، والحسد، والشحناء، والكذب[1].
- يجب ألاَّ تتجاوز القومية الإسلامية العربية حدودها، لئلا يدخل فيها الغرب، ويكونوا سبباً في إبطالها، والالتفاف عليها.
- أن تركز جهودها الثقافية الإسلامية، والاقتصاد، والتعاون على الخير في كل ما فيه الخير.
- يجب على القومية الإسلامية العربية، وعلى العاملين لنهضتها، تجنب السياسة، إلاَّ إذا كان لجهودهم دعم حكومي ودبلوماسي[2].

المسلك الثاني: موانع قيام كيان القومية العربية.

يرى الشيخ أنَّ للاستقلال بالقومية الإسلامية العربية موانع، تحول دون قيام كيان القومية العربية، وهي:

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٧٤، ص: ١، مقال بعنوان: قوة العرب المعطلة.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٤٨٦، ص: ٣، مقال بعنوان: فضل فرنسا على القومية العربية.

- الانحلال الديني، والفساد الأخلاقي.
- ندرة ما تمتلكه الأمة الإسلامية العربية من سلاح العلم والصناعة[١].
- الأنانية والأثرة وحب الذات، وتقديم مصالح الفرد على مصلحة الجماعة.
- الحسد لمن يكتب الله جلَّ جلاله على يديه خيرا، وعدم العمل على شد أزره والتعاون معه، وعدم تشجيعه على الإبداع، وعدم الاستفادة من تجاربه[٢].
- العمل الممنهج والمدروس من الغرب على تفكيك الوحدة الإسلامية العربية على مستوى الدول المتجاورة، وعلى مستوى الدولة الواحدة، وتقسيمها إلى دويلات، كما حصل من الانتداب الفرنسي على الشام، حيث قسم سوريا إلى دويلات.
- إيهام الغرب للشرق العربي بأنه ليس أمة واحدة ترتبط برابطة اللغة والثقافة والمطمح المشترك، بل هو مجموعة أمم هي أشرف من أمة العرب، وأرقى سلفا وسابقة، فالمصري ليس عربياً ولكنه سليل الفراعنة، والعراقي ليس عربياً ولكنه سليل الأشوريين والكلدانيين، والسوري ليس عربياً ولكنه سليل الآراميين، ولم يعلموا أن القومية في الحضارات لا تتبع الأنساب، ولكنها تتبع اللغة والثقافة ووحدة المطمح[٣].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٩٩، ص: ١، مقال بعنوان: أبو طقيقة أعقل منهم وأبعد نظرا.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٢٧٨، ص: ١، مقال بعنوان: سوريا في طريقها نحو المطمح.

(٣) انظر: المرجع السابق، العدد ٣٠٩، ص: ١، مقال بعنوان: رسالة الأمة العربية إلى البشر.

المطلب الرابع:
بيانه أسباب جعل دولة مصر أولى دولة عربية لحمل لواء القومية الإسلامية العربية، ومبررات ذلك

وقد احتوى على ثلاثة مسالك.

المسلك الأول: أسباب جعل مصر أولى دولة عربية لحمل لواء القومية الإسلامية العربية.

يرى الشيخ أنَّ مصر هي الدولة المؤهلة لحمل لواء القومية العربية والوحدة الإسلامية، ولقد حدد أسباب ذلك، وهي:

- لتوسط مصر بين عرب غرب آسيا وبين عرب شمال أفريقية.
- لأنَّ مصر أكثر الأقطار العربية سكانا.
- لأنها دار النشر والإذاعة على مستوى جميع الأوطان العربية[١].
- يؤكِّد الشيخ على أن من مقاصد الأمة المصرية بعد الثورة على الإنجليز بَعْثُ القومية الإسلامية العربية في المجتمع الإنساني، وذلك لتستأنف القومية الإسلامية العربية رسالتها العظمى في التاريخ[٢].

المسلك الثاني: مبررات الشيخ في جعله مصر أولى دولة عربية لحمل لواء القومية الإسلامية العربية.

برر الشيخ بمبررات عقلية واقعية بديهية، استدل بها لجعله مصر أولى دولة عربية لحمل لواء القومية الإسلامية العربية، والمبررات هي:

- إذا كان الرجل شريكاً في عمل مالي، فمن حق هذه الشركة ومن مصلحة الرجل ومن الواجبات الفضيلة أنْ يكون هذا الرجل أميناً للشركة، حريصاً على حياتها

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٨٦،ص: ٣، مقال بعنوان: فضل فرنسا على القومية العربية.

(٢) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٢ : م ١. القاهرة، ١٥ صفر ١٣٤٣هـ، مقال بعنوان: القومية عند العرب.

ونمائها، عرف الشركاء ذلك أم لم يعرفوا، وأن يترفع عن روح الأنانية والانفراد بشيء من النفع، وهذا الأمر من أولى الدول الإسلامية العربية به هو دولة مصر.

- إذا كان الرجل ساكناً في حي من الأحياء، فمن حق الحي عليه أن يجيب دعوة التعاون على الخير إذا وجهت إلى هذا الرجل، ومن حق الحي أيضا أن يوجه هذا الرجل الدعوة إلى الخير إذا شعر بحاجة الحي إليها، وأنَّ التعاون على الخير من أوضح مظاهر الحياة، إذ أنَّ الحي الذي لا يتعاون على الخير يعتبر حياً في عداد الأموات، ومصر هي الأولى بالتعاون والمبادرة به من بين الدول الإسلامية والعربية.
- إذا كان الرجل في سفينة تمخر في البحر، وهي ملك لغيره، وهو عابر سبيل، وأراد أحد ركابها أنْ يخرقها، فإذا لم يأخذ هذا الرجل على يد من يريد خرقها بحجة أنها ليست ملك له، فإن الخارق للسفينة سيغرق، وسيغرق معه الرجل، ومصر هي الأجدر بحماية سفينة القومية الإسلامية العربية من غيرها من الدول العربية[1].

المسلك الثالث: مبررات الشيخ لحديثه عن القومية الإسلامية العربية، والتنظير لها.

اهتم الشيخ بالقومية الإسلامية العربية، والتنظير لها، والاهتمام بواقعها ومستقبلها، ونضاله من أجل قيامها واستقلالها، وبرر لذلك بمبررات، أجملها في نقطتين:

- اعتقاد الشيخ أنه مسلم شريك لكل محمدي في جامعة الإسلام، وأنَّ هذه الجامعة عنده هي أشرف الجامعات؛ لأنها تجمعه بإخوانه المسلمين في التفكير والروح والاقتناع، فإذا لم يقم الشيخ بواجبه كان ذلك خيانة لرابطة الإسلام والعروبة، وتقصيرا في الواجب الاجتماعي، ودليلاً على أنَّ الشيخ عضو عاطل يتغذى من الجسم الذي هو فيه، ولا يفيده شيئا.

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٣٤، ص: ٢، مقال بعنوان: العرب.

- يرى الشيخ نفسه أنه مسلم وعربي، يشارك كلّ مسلم عربي على وجه الأرض في دينه، وفي بيانه، وفي قوميته، وفي عزته، وفي مفاخره، وفي مصالحه، مهما اختلفت الألوان التي قضت السياسة بأن تتلّون بها هذه الأقطار الإسلامية العربية على الخريطة[١].

المطلب الخامس:
دعمه للتحالف الإسلامي العربي بين ملوك العرب
ويشتمل على أربعة مسالك.

المسلك الأول: العوامل المساعدة على إتمام الحلف الإسلامي العربي.

أكّد الشيخ بأنّ العرب حكاماً ومحكومين لن يصحوا من رقدتهم إلّا إذا أصابتهم مصيبة صهرت أرواحهم، حينها سيتحدون كقطعة الفولاذ، ويصلتوا كالسيف المرهف، ويكونوا حينها أهلاً لتحويل الإنسانية الضالة إلى طريق السعادة، كما أكّد على حصول هذه المصيبة، وأنّ في يد الناطقين بالضاد تعجيلها بتخاذلهم، أو تأخيرها باتحادهم وجهادهم[٢]، وبالفعل فقد نشبت الحرب العالمية الأولى، وتسلط بعدها الغرب على ديار المسلمين والعرب، استعماراً، وغزواً فكريًا، واقتصاديًا، ونهبًا للخيرات، واستهدافًا للدين وللعروبة، ومحاولة لطمس كلّ ما يتصّل بالإسلام والعروبة.

ومن الأفكار التي طرحها الشيخ لتحقيق القومية الإسلامية العربية: التحالف بين ملوك العرب تحت مسمى (الحلف العربي)، ولكن هذا الحلف لن يتحقّق إلّا بتوفر العوامل المساعدة على إتمامه، وهي:

- القناعة التامة من ملوك العرب بأنّ التحالف فيما بينهم حاجة من حاجات القومية الإسلامية العربية، وأنّ الأمة الإسلامية العربية يكفيها ما أصابها من فرقة وتشرذم.
- الإرادة الطامحة والعازمة من ملوك العرب لتحقيق هذا الحلف.
- أنْ يقوم هذا الحلف على الدين الإسلامي، وألّا يتطرق إليه الوهن، ولا يشوبه شائبة من الباطل.

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٠٩، ص: ١، مقال بعنوان: رسالة الأمة العربية إلى البشر.

- الاستعانة برجال صالحين مخلصين ذوي بصيرة وتجارب؛ لرسم الخطط التي يستفاد منها في تطبيق الحلف.
- الاتصاف بالرؤية والبصيرة، والإنصاف في كل مراحل الإعداد والتنفيذ لمشروع الحلف العربي[1].

المسلك الثاني: المرتكزات الأساسية لمشروع الحلف الإسلامي العربي.

يرى الشيخ أنَّ الحلف العربي، ومشروع بناء القومية الإسلامية العربية يحتاج إلى مرتكزات أساسية يرتكز عليها، ولقد بسطها الشيخ، وقربها إلى الأذهان، بجعل الحلف الإسلامي العربي على شكل بناء حسي متماسك، وهذا البناء لا يكون بناء صالحًا إلَّا إذا احتوى على: أساس، وأعمدة، وقبة.

- فأما الأساس فيقوم على خمسة أمور:

١- إزالة الحواجز الجمركية بين الأقطار الإسلامية والعربية.

٢- إلغاء جوازات السفر.

٣- جعل التبادل التجاري والصناعي والاقتصادي حرًا.

٤- توحيد برامج التعليم بخلق ثقافة إسلامية عربية قومية واحدة.

٥- مؤازرة المساعي القومية الإسلامية العربية، وتسهيل المشاريع الاقتصادية على اختلافها.

- وأما الأعمدة فهي:
  - الإخلاص.
  - حسن النية.
  - إرادة التعاون لخير المجموع بلا أنانية ولا ضيق تفكير.

---

(١) انظر: "المرجع السابق"، العدد ٢٤٤،ص: ١، مقال بعنوان: الحلف العربي.

- وأما القبة فهي: إعداد البرنامج السياسي الذي يكفل المسير الصحيح للقومية الإسلامية العربية، ويجب على الحكومات العربية العمل به[١].

المسلك الثالث: اقتراحه بتأسيس مصرف مالي إسلامي عربي.

اقترح الشيخ على ملك الحجاز الملك الحسين بن علي[٢]، تأسيس مصرف مالي وطني تساهم فيه الحكومات العربية بما تملكه من ذهب، وتتيح مجال المساهمة في هذا المصرف للتجار وأصحاب الثراء من المواطنين، ويسند هذا المصرف إلى الحكومة والشعب معًا، وأنْ تكون للدول العربية عملة وطنية من الورق، تتعامل بها الأمة العربية في أسواقها، وتعتمدها الحكومة في جميع تصرفاتها المالية، وتكون محترمة في الأسواق الخارجية بمقدار ما يكون في خزائن المصرف من النقود الذهبية، وأنْ يسنَّ لها قانون يضمن سلامة القواعد التي يقوم عليها أساس هذا المشروع، وأنْ يختار لمجلس إدارة المصرف أعضاء أكفاء من الحكومة، وآخرون من أصحاب الأسهم، يتجددون دائمًا بالانتخاب حسب نظام خاص بالمصرف، ولكن الملك الحسين لم تكن لديه روح الإقدام لتحقيق هذا المشروع النافع، ولم يقتنع به، ويؤكِّد الشيخ على أهمية هذا المشروع أهمية لا تقل عن اقتناء السلاح للجيش؛ لأنه سيحقق قوة اقتصادية ومالية وصناعية، وينبه الشيخ على مميزات الاقتصاد الإسلامي، وضرورة تطبيقه، وصحح الفكرة الخاطئة التي تربط بين المصارف والربا، وأن في الأحكام

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٦٥، ص: ١، مقال بعنوان: هذه يدي فأعطني يدك.

(٢) الملك الحسين: هو الحسين بن علي الهاشمي، ولد في استانبول، سنة: ١٨٥٣م، تولى منصب شرافة مكة في ظل الدولة العثمانية، ثم غير لقبه إلى ملك، سنة: ١٩١٦م، وبعد سقوط الدولة العثمانية أضاف إلى نفسه لقب خليفة، سنة: ١٩٢٤م، استمرت دولة الشريف الحسين في الحجاز من ٩ شعبان ١٣٣٤هـ: ١٠ حزيران ١٩١٦م، إلى ٤ ربيع الأول سنة: ١٣٤٣هـ: ٣ تشرين الأول، سنة: ١٩٢٤م، توفي في الأردن، ودفن في القدس، سنة: ١٩٣١م. انظر: "الشريف الحسين بن علي والخلافة"، نضال داود المومني، ص: ١- ١٥، منشورات لجنة تاريخ الأردن، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة، دائرة المكتبة الوطنية، ١٩٩٦م.

المالية الشرعية مجال واسع لتحقيق القوة المالية بالتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية، ويبين الشيخ بأنه لا يزال لديه أمل في تحقيق هذه الفكرة[١].

المسلك الرابع: معوق أساسي يحول دون إتمام الحلف العربي.

يرى الشيخ أنَّ المعوق الأساسي لإتمام الحلف العربي أنه لا يمكن إلغاء الحدود بين الدول، وأن إلغاء الحدود سيكلف الكثير، ولكن همة العرب، وإرادتهم، وحسن تخطيطهم، سيجعلهم يتخطون هذه الحدود بأمر واحد، وهو التعاون فيما بينهم على تحقيق قوة واحدة إسلامية عربية، تحمي بيضتهم، وتجعلهم في وضع الاستعداد لمواجهة الطوارئ، ويرى الشيخ أنَّ ممالك الحجاز، ونجد، واليمن، والعراق، والشام، هي ممالك حديثة عهد، و لم تجد الوقت الكافي الذي تستعد به لمواجهة ما لعله يحدث غدًا، مع أنَّ هذه الممالك تتمتَّع بصفات القوة الكامنة، التي تحتاج إلى من يظهرها ويستخرجها من نفوس أصحابها[٢].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٤٢، ص: ٢، مقال بعنوان: الذهب في الحجاز وجزيرة العرب.

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٦٥، ص: ١، مقال بعنوان: هذه يدي فأعطني يدك.

المطلب السادس:
بيانه خصائص القومية الإسلامية العربية

للقومية الإسلامية العربية خصائص لا توجد في غيرها من القوميات، وهذا ما يميزها وتتألق به على غيرها من القوميات، وهذه الخصائص على النحو التالي:

- **خدمة القومية العربية للتاريخ[1].**

من أهم ما يميز القومية الإسلامية العربية عن غيرها هو تاريخها العريق، وخدمتها للتاريخ، وخدمة التاريخ لها، وللقومية الإسلامية العربية رسالة تاريخية عظمى، ما زالت معطّلة منذ أكثر من ألف عام، وإنْ رسالة القومية العربية أقدم من تاريخها المكتوب، فالمؤلفات التي أُلِّفت في القومية الإسلامية العربية، كان تأليفها بعد أنْ تعطّلت رسالة القومية الإسلامية العربية، وبعد أنْ كفّت يد العروبة عن مواصلة القيام برسالتها، ولقد قامت القومية الإسلامية العربية برسالتها منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، فأوجدت العروبة هذا العالم الإسلامي الذي نعتز به، والذي يملأ أنحاء الأرض، ونُشرت لغة الضاد والفضائل الإسلامية، والآداب العربية تحت كل نجم، ويعترف لها أعداؤها بأنها قامت في التاريخ بمعجزة عجزت عن مثلها كلّ الدول التي عرفتها الإنسانية، ولقد انقسم من كتبوا التاريخ الإسلامي العربي بعد أنْ كفّت يد الإسلام والعروبة عن مواصلة القيام برسالتها إلى قسمين:

القسم الأول: كان مخلصًا، فبثّ في تأليفه نصوصًا عن سرّ تلك المعجزة وعظمة أبطالها بتدوين كتب رجال الحديث، وهذه المصنفات كفيلة بتصحيح الفهم نحو القومية الإسلامية العربية.

القسم الثاني: كان حاقدًا كاذبًا، فصوّر لنا أبطال تلك المعجزة بغير صورهم الحقيقية، ودسّ في سيرهم ما لم يكن منها، فنشأنا مقصّرين في معرفة أقدار أولئك

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء السابع، المجلد التاسع والعشرون، مقال بعنوان: نقطة تحول في تاريخنا.

الأبطال، ولم نعرف لهم فضل إدخالهم أسلافنا في الإسلام، وفضل تكوينهم كيان العروبة في أوطانها الحاضرة[١].

- **اللغة العربية، وأدبها الرفيع.**

يؤكِّد الشيخ على أنَّ لكل لغة تأثيرًا على الناطقين بها، وإنَّ ممَّا يميز اللغة العربية أنَّ لها تأثيرًا واضحًا وجليًا في أصحابها، ممَّا كان له بالغ الأثر على نفسياتهم وسلوكهم، فلقد صنعت اللغة العربية وأوجدت في أصحابها سجايا وخصائص لا توجد إطلاقًا عند أيِّ قومٍ غيرهم، ويؤكِّد الشيخ على أنَّ لغة الأمة دليل نفسيتها، وذلك أنَّ مجموعة القوانين في أمة من الأمم هي مرآة أخلاقها وترجمان سجاياها، وأنَّ القوانين لا تُوضَع إلاَّ لحاجة أخلاقية عامة دعت إلى وضع تلك المادة، ومن هذه النظرة للشيخ يظهر بجلاء أنَّ الشرق وهو يعيش فترة الضعف فإنه لم يقنِّن قوانينه استمدادًا من نفسيته، ولا من الأحكام التي أنس بها عصورا طوالاً، وإنما قنَّن قوانينه تقليدًا للغة الدولة الأقوى منه، هذا إذا كانت الدولة العربية مطلقة اليد في سنِّ قوانينها، أمَّا التي تتصرَّف فيها يد الاستعمار، فإنَّ قوانينها غربية بحتة[٢].

ويهيب الشيخ بعلماء المسلمين وعلماء اللغة العربية أن يهتموا اهتمامًا بالغًا باللغة العربية في عصرهم الحاضر، وشبَّه لهم الشعوب العربية بالمعجم العربي، ووجه الشبه أنَّ في معجمنا المادة الغزيرة الفيَّاضة التي تحسدنا عليها أمم كثيرة، ولكن هذه المادة تحتاج من العلماء إلى تنظيم علمي، تتسلسل فيه مشتقات الكلمة الواحدة تسلسلاً تاريخيًا – بقدر الإمكان –، ويراعَى في هذا التسلسل تقديم الأصول على ما تفرَّع منها، ثم إنَّ هذه الأصول والفروع تحتاج إلى تحديد دقيق يُستعَان فيه بما تفرَّق في غير المعاجم من أقوال علماء اللغة، وتحتاج بعد ذلك إلى التخصيص الذي تقتضيه حاجة العصر، يتولَّى ذلك

---

(١) انظر: "مجلة الأزهر"، الجزء السابع، المجلد التاسع والعشرون، مقال بعنوان: نقطة تحول في تاريخنا.

(٢) انظر: "المرجع السابق"، ج ٢: م ١، القاهرة، ١٥ صفر ١٣٤٣هـ، مقال بعنوان: القومية عند العرب.

مجمع علمي مسموع الكلمة، لا يتردَّد الكاتبون في النزول على حكمه، وتحتاج أيضًا أن يكون مؤلفو المعاجم ذوي كفاءة تامة في اختيار مادة كلِّ معجم بالترجيح الذي يقتضيه حجم المعجم، الأهمُّ فالأهمُّ، ويرى الشيخ أنَّ من عيوب معاجمنا أن نجد في أحدها الكلمة التي قد لا يحتاج إليها المُطالِع مرة في السنة، وتهمل الكلمة التي تمسُّ حاجة الناس إلى مراجعتها في كلِّ وقت، ويؤكِّد الشيخ على التلازم بين اللغة العربية، والقومية الإسلامية العربية، وأوجه الشبه بينهما، وذلك في نقاط:

- أنَّ اللغة العربية لغة مستقلة عن اللغات، والقومية الإسلامية العربية، مستقلة أيضًا عن القوميات.
- أنَّ اللغة العربية أغنى من كلِّ اللغات الأخرى، ولكنها مع غنائها فقد خذلها علماؤها اليوم، وكذلك القومية الإسلامية العربية أغنى من كلِّ القوميات، ولكنها مع غنائها فقد خذلها أربابها اليوم.
- اللغة العربية كالقومية الإسلامية العربية، أصيلة وغنية وقوية بطبعها، ومصابة بالتشتُّت والإهمال والفوضى والتخاذل في حالتها الراهنة، فهل لهما من رجالهما الأبناء البررة الذين يسلكون للإصلاح طريقه، ويدخلون إليه من بابه؟[1]

- **أهمية الحفاظ على الأدب العربي ونشره:**

أعلى الشيخ من مكانة الأدب العربي؛ لتحقيق القومية الإسلامية العربية، وجعله الشيخ بمثابة الوقود الذي تتزوَّد به، وجعل أدباء الأمة الإسلامية بمثابة الجنود المجاهدين والمرابطين في الثغور، وأنَّ الأدب العربي هو الأسطول المتكامل الذي سيدافع عن القومية الإسلامية العربية، إذا ألَّمت بها المحن، ولقد حذَّر الشيخ من الانخداع بالأدب المزيف، الذي هو من معاول الهدم في أساسات القومية الإسلامية العربية، وشدَّد على الأخذ بالأدب العربي من مصادره الموثوقة. وللأدب العربي الصحيح ميزة يتميز بها، وهي الجدية،

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٢ : م ١، القاهرة، ١٥ صفر ١٣٤٣هـ، مقال بعنوان: القومية عند العرب.

وتوجيه قوى الأمة نحو القوة، والوحدة، والصلاح، والكسب، والنهوض، والمعرفة، والدأب، والبراعة، والتجويد، والتنظيم، فإذا لم تكن هذه الأمور متوفرة في الأدب العربي، فإنه أدب خائن، ورجاله مجرمون[١].

وظيفة الأدب العربي:

يؤكّد الشيخ على أنَّ وظيفة الأدب العربي تتمثَّل في:

- تهيئة عقول الأمة للعمل بجد وعزم في سبيل تثبيت دعائم القومية الإسلامية العربية.
- العمل على تثبيت الإيمان الراسخ في القلوب.
- رفع الهمة والترفُّع عن السفاسف إلى المعالي، وعن الهوى إلى الجد، وعن مهاوي الرذيلة والانحلال الخلقي، إلى التحلّي بالشهامة والفضائل والأنفة[٢].

- **القومية عند العرب جسم حي:**

يرى الشيخ أنَّ من خصائص القومية العربية أنها نامية نماء الكائنات العضوية، فالعرب تمثَّلوا في قوميتهم معنى الجسم الحي النامي منذ أقدم العصور، بل منذ نطقوا بلغتهم ذات الأسرار العجيبة التي تشرَّفنا بوراثتها عنهم، فالقومية عند العرب تنقسم إلى شعوب، والشعوب إلى قبائل، والقبائل إلى عمائر، وبعد العمائر البطون، وتحت البطون الأفخاذ، تليها الفصائل، وهذه الروابط القوية متنامية، وباقية، لا تنفك ما دام للغة العربية وجود[٣].

- **وحدة العروبة:**

من خصائص القومية الإسلامية العربية وحدة الناطقين بالضاد، وهذه الوحدة تعني أنَّ العرب كلهم شيء واحد، وهذه قضية معروفة عند العرب من القدم، فهم متَّفقون في

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٦٦،ص: ١، مقال بعنوان: مطمح الأدب العربي.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٢: م ١. القاهرة، ١٥ صفر ١٣٤٣هـ، مقال بعنوان: القومية عند العرب.

الطبيعة، واللغة، والشمائل، والمراعي، والراية، والصناعة، فإذا بعث الله جلَّ جلاله نبيًا من العرب، فقد بعثه إلى جميع العرب، وكلهم قومه[١].

- **الحرية وعدم الخضوع إلاَّ لله –جلَّ جلاله:**

من خصائص اللغة العربية، الحرية وعدم الخضوع لغير الله جلَّ جلاله أبدًا، ويؤكِّد الشيخ أنه لم يرِث أحد على سطح الغبراء نصيبًا أوفر من نصيب العربي في الحرية، ولا قسطًا أعظم من قسطه، حتى إنَّ عدم إقراره بالعبودية لأحد غير الله جلَّ جلاله في كلمة (لا إله إلاَّ الله)، التي هي دليل تمسكه الشديد بحريته، وعضِّه عليها بالنواجذ، ولم يثبت على مرِّ التاريخ أنَّ العرب خضعوا في الحكم لغير الله جلَّ جلاله، بل كانوا يصبرون تحت وطأة الاضطهاد والإكراه فترة من الزمن، ثم لا يلبثوا إلاَّ أن يتحرَّروا، مهما كان الثمن، وهذه قاعدة ثابتة، غير أنَّ العرب قد استفادوا في وحدتهم من الملوك الأعاجم المسلمين المنصفين العادلين، كما حصل من القائد الصالح صلاح الدين الأيوبي[٢] رحمه الله ، فالفرد العربي لا يخضع للأعجمي، إلاَّ إذا كان مسلمًا عادلاً منصفًا[٣].

---

(١) انظر: "مجلة الزهراء"، ج ٢: م ١، القاهرة، ١٥ صفر، سنة: ١٣٤٣ هـ، مقال بعنوان: القومية عند العرب.

(٢) سبقت ترجمته ص ١١٣.

(٣) انظر : "مجلة الزهراء"، ج ٢ : م ١، القاهرة، ١٥ صفر، سنة: ١٣٤٣هـ، مقال بعنوان : القومية عند العرب.

المطلب السابع:
تعاون الشيخ مع الشريف الحسين بن علي لتحقيق القومية الإسلامية العربية ويضم مسلكين.

المسلك الأول: التعاون مع الشريف الحسين بن علي لتحقيق القومية الإسلامية العربية.

كان للشيخ دور بارز في أحداث الثورة العربية الكبرى[١]، حيث أجاب طلب الشريف الحسين بن علي[٢]بالقدوم إلى مكة المكرمة لتحقيق غرض النهضة العربية الكبرى، ولقد كتب الشيخ خلاصة تجربته مع الشريف الحسين، وما آلت إليه أوضاع النهضة العربية الكبرى، وذلك من خلال معايشة الشيخ له ثلاث سنوات، قبل أن يتعمَّد الشيخ الابتعاد عن مجالسة الشريف الحسين عامَيْن بعد الثلاث سنوات، فلقد كتب الشيخ تقريرًا متكاملاً، يلخِّص فيه أحداث القومية العربية خلال ثلاث سنوات، عايشها بنفسه مع الشريف الحسين بن علي، وسأُجمِل الأفكار الرئيسة لهذا التقرير[٣]:

- **السبب الداعي لكتابة هذا التقرير:** ذكر الشيخ أنَّ السبب الذي دعاه إلى كتابة هذا التقرير، هو العبرة من التاريخ الذي مضى للأمة العربية، إضافةً إلى أهمية تقييد التاريخ بعد انقضاء زمن حوادثه، ليكون مجرَّدًا من تأثير العواطف عليه.
- **الحسين بن علي قبل قيامه على الأتراك:** تولَّى الشريف الحسين بن علي إمارة مكة، على أثر إعلان الدستور العثماني[٤]، وجاء من الأستانة في تركيا إلى مكة المكرمة وهو لا يقول بالقوانين الدستورية، وقد رسم لنفسه وهو في إمارة الحجاز

---

(١) سبق التعريف بها ص ٣٧.

(٢) سبقت ترجمته ص ٤١٩.

(٣) انظر: "مجلة الزهراء". ج ٣ : م ١ . ١٥ ربيع الأول ١٣٤٣ه . الحسين بن علي كما رأيته في ثلاث سنوات كيف اعتلى ، ولماذا فشل؟ من مشاهداتي بين شوال ١٣٣٤ ــ وشعبان ١٣٣٧هـ.

(٤) سبق التعريف به ص ٣٣.

خطة أساسية، وهي أن يستعين بقوة الدولة العثمانية على خضد شوكة جيرانه، أمراء الأقطار العربية الأخرى، لا سيَّما الملك عبد العزيز آل سعود[١]؛ وذلك حتى يُقنِع الأتراك بإخلاصه لهم، وحتى يوسِّع نطاق إمارته بعصا الترك، وكأنَّ الأتراك شعروا بما يُبطِنه الشريف الحسين بن علي، فصاروا يتحيَّنون الفرص، ويضعون الخطط لإزالة إمارة الأشراف نهائيًا، ولقد شعر الشريف الحسين بما يخطِّط له الأتراك، وكان للاثنيْن جواسيس تقف على ما يرسمه كلاًّ منهما للآخر، وما برح الاثنان يسيء كلٌّ منهما ظنه بالآخر، حتى أُعلِنت الحرب بمباغتة من الشريف الحسين، وذلك لمّا تيقَّن من اقتراب ساعة الصفر من قِبَل الأتراك، فاختار أن يبدأ بالحرب؛ أملاً منه في الانتصار، فأعلن الانتفاضة على الأتراك باسم العرب في الظاهر، وفي الحقيقة حرصًا على كرسيِّه، فحاول استمالة مَن حاول الإطاحة بهم من أمراء الأقطار العربية[٢].

- **الحسين بن علي والقومية العربية**: يؤكِّد الشيخ على أنَّ القومية العربية لها مطمح، يسعى المتنوِّرون من أبنائها بخطوات حكيمة للوصول إليه، في وقته المرهون، ولا يبالون أن يكون ذلك بعد عشرات السنين، أو أكثر من ذلك، وأنَّ مَن يقف على تفاصيل عمل العاملين على النهضة العربية، سيحمد عملهم، سواء أكان موافقًا لهم أم مخالفًا، ومن المسلّم به أنَّ لكلِّ أمة حقها في الحياة، والناطقون بالضاد من أجدر الأمم بأن يجدِّدوا شباب حياتهم الاجتماعية؛ لأنَّ في ذلك إحياءً للحضارة الإسلامية، ونهوضًا للشرق الإسلامي كله، وكان العرب وهم تحت الحكم العثماني يحسبون أنَّ في الإمكان تحقيق مطلبهم من التقدم والنهوض، ولكن الدولة العثمانية كانت تسيء الظن في كلِّ حركة حيوية يُبدِيها العرب أو غيرهم، فيصِمون الحركة

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٤١.

(٢) انظر: "مجلة الزهراء". ج ٣ : م ١ . ١٥ ربيع الأول ١٣٤٣ه . الحسين بن علي كما رأيته في ثلاث سنوات كيف اعتلى ، ولماذا فشل؟ من مشاهداتي بين شوال ١٣٣٤ ــ وشعبان ١٣٣٧هـ.

بالخيانة، ويقمعونها بالقوة والإرهاب، ولكن الحركة الحجازية التي قامت باسم استقلال العرب، بقيادة الشريف الحسين، لم يكن من بدٍّ أمام بعض الشبَّان والضباط العرب في الحكومة التركية إلاَّ الالتحاق بها، ولقد توفَّر للشريف الحسين كلُّ الإمكانات التي تُبنَى بها الممالك، من رجال وأموال وأحوال، ولكنه أساء استعمال ذلك كله، وأضاع الفرصة السانحة له؛ وذلك لأنَّ الغاية التي قام الملك الحسين بالحركة من أجلها هي غاية شخصية، تكمُن في الاحتفاظ بالكرسي، الذي عزمت الحكومة التركية على إسقاطه.

- **التعارض بين الغاية الشخصية للشريف الحسين، وبين الغاية القومية الإسلامية العربية**:لقد كان من مظاهر التعارض بين الغاية الشخصية التي قام الملك الحسين لأجلها، وبين الغاية القومية التي لبَّى رجال الأمة العربية دعوة الملك الحسين لتحقيقها، أنَّ هؤلاء الرجال كانوا يرَوْن وجوب المبادرة إلى استعمال كلِّ قوى الأمة العربية لتكوين الدولة الجديدة؛ إنجازًا لأمنيتهم الجنسية أولاً، واحتفاظًا بهيبتهم في نظر حلفائهم ثانيًا، وامتناعًا بهذه القوة ممَّا قد يطرأ من الطوارئ أخيرًا، فحاولوا أن يُقنِعوا الملك الحسين بكلِّ طرق الإقناع، أن يسمح لهم بالسعي لتأسيس روابط بين جميع الأقطار العربية، أساسها بقاء أمراء الأقطار العربية على استقلال تام في شؤونهم الداخلية، واشتراكهم جميعًا في الشؤون العامة برئاسة الحجاز، ولكن الملك الحسين كان يمنع كلَّ محاولة من المُضيِّ قُدمًا في هذا العمل، طمعًا منه في الإطاحة بأمراء الأقطار العربية، ومن بينهم الملك عبد العزيز آل سعود[1].

- **الملك الحسين والشريعة والقانون والمعاهدات**: يذكر الشيخ أنَّ الملك الحسين كان متدينًا حقًا، وإذا رأى أمرًا فيه مساس بالشرع، يغضب لذلك، ولكن ممَّا يُؤسَف له اعتقاده في نفسه أنه أسرع الناس إدراكًا لحكمة الشرع ومعرفة أسراره، وقد جرَّه

(١) انظر: "مجلة الزهراء". ج ٣ : م ١ . ١٥ ربيع الأول ١٣٤٣ه . الحسين بن علي كما رأيته في ثلاث سنوات كيف اعتلى ، ولماذا فشل؟ من مشاهداتي بين شوال ١٣٣٤ ـ وشعبان ١٣٣٧هـ.

ذلك إلى إنكار قول المفسِّرين في تفسير آية من الآيات، ويقوم بتفسيرها بما يخالف قوانين العربية، بل بما يخالف المعاني اللغوية، ثم هو يزعم أنَّ بلاده لا تعمل بالقانون، بل تعمل بالشرع، وهي للأسف لم تحصل على هذا ولا على ذاك، ومثل فهم الشريف الحسين للشرع فهمه للمعاهدات بينه وبين الآخرين[١].

المسلك الثاني: تأسيس وإنشاء جريدة القبلة في مكة المكرمة.

طلب الشريف الحسين بن علي من الشيخ القدوم من مصر؛ للإقامة في مكة المكرمة، وذلك ليستشيره في بعض أمور الثورة العربية الكبرى، وليُصدِر جريدة القبلة؛ لتكون جريدة رسمية لحكومة الحجاز، وبالفعل فقد سافر الشيخ من مصر إلى مكة المكرمة، وأنشأ هذه الجريدة، وقام برئاستها، والكتابة في افتتاحيتها أربعة أعوام[٢].

ولقد حصلتُ على جريدة القبلة في مكتبة الحرم بمكة المكرمة، ولم أطَّلع عليها إلاَّ بعد طلب من مدير المكتبة، ولقد استعرضتُ ما كتبه الشيخ في الأربعة أعوام الأولى إلى بداية العام الخامس، حيث وجدت المحتوى مطبوعًا، كلَّ عام في مجلَّد مستقل، وبداية العام الخامس مدمجة في نهاية مجلد العام الرابع، ثم استعرضتُ ما تبقَّى من العام الخامس من هذه الجريدة في قسم المايكروفلمي، فلم أجد فيه أيَّ مقال للشيخ، حيث كان آخر عدد كتب الشيخ افتتاحيته في بداية العام الخامس، في العدد ٤١٩، يوم الاثنين ١٤ المحرم، سنة: ١٣٣٩هـ: ٢٧ سبتمبر سنة: ١٩٢٠م، ولقد صدر أول عدد من هذه الجريدة في يوم الاثنين، ١٥شوال، سنة: ١٣٣٤هـ: ١٩١٦م، ولقد سمَّاها الشيخ: القبلة، جريدة دينية سياسية اجتماعية، تصدر مرتيْن في الأسبوع؛ لخدمة الإسلام والعرب[٣]. ولقد اهتمَّ الشيخ من خلال هذه الجريدة بالأمور التالية:

- أخبار الثورة العربية الكبرى في الحجاز، والتي انطلقت في ليلة السبت، الموافق ٩ شعبان، سنة: ١٣٣٤هـ: ١٠ حزيران، ١٩١٦م.

---

(١) انظر: "مجلة الزهراء". ج ٣ : م ١ . ١٥ ربيع الأول ١٣٤٣ه . الحسين بن علي كما رأيته في ثلاث سنوات كيف اعتلى ، ولماذا فشل؟ من مشاهداتي بين شوال ١٣٣٤ ـ وشعبان ١٣٣٧ه.

(٢) انظر: "تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري"، محمد مطيع الحافظ،٢: ٨٥٧.

(٣) انظر: "جريدة القبلة"، إعداد وتقديم محمد يونس العبادي، عمّان، سنة: ١٩٩٧م.

- وصف الأحداث، ونشر المقالات، والقصائد، التي تعالج القضايا العربية والإسلامية والعالمية، ونقل بعضها من صحف أخرى.
- نشر الأخبار والبلاغات والإعلانات المتعلّقة بسير الحياة العربية في دولة الشـــريف الحسين بن علي.
- نقل أخبار العمليات العسكرية لجيوش النهضة العربية الشرقية في العراق، والشمالية في الأردن[١].

(١) انظر: "جريدة القبلة"، إعداد وتقديم محمد يونس العبادي.

المطلب الثامن:
تصدِّي الشيخ لأعداء الإسلام وأعداء العروبة

ويحتوي على مسلكين.

المسلك الأول: تصدِّي الشيخ لأعداء الإسلام والعروبة في داخل البلاد الإسلامية العربية، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: التصدِّي للصحافة المعادية للإسلام والعروبة.

تصدَّى الشيخ لعدو يهدِّد القومية الإسلامية العربية، وهو: الصحافة، وحملة الأقلام، التي تفُتّ في عضد الوحدة الإسلامية والعربية، ويرى الشيخ ضرورة الرقابة من أهل اليقظة على الأدب العربي في الصحافة، فكلُّ حامل قلم، جعله وقفًا على هدم الأخلاق، أو جعله وسيلة لتشكيك الأمة العربية في ثوابتها، وتشويه جمال ماضيها، أو شغل القرَّاء بما يصرفهم عن تكوين مصيرهم المجيد، فإنه يجب على أهل اليقظة أن يُشعِروه بسخطهم عليه، فيُعرِضوا عن قراءة ما يكتبه، ويُنبِّهوا الأمة إلى مواطن الخطر من بيانه، وثمرات تفكيره[1].

المسألة الثانية: التصدِّي لمحاولة زعزعة قناعة العرب في أنسابهم.

تصدَّى الشيخ لعدو يفتِّت تماسك المسلمين والعرب، وهو التشكيك في أنساب العرب، وأنهم أخلاط من سلالات مختلفة، ويؤكِّد الشيخ على سلامة أنساب العرب من الاختلاط، وأنها أنساب طاهرة نقية، هذَّبها الإسلام بتعاليمه السمحة، ويؤكِّد على أنَّ وراء زعزعة قناعة العرب بأنسابهم، هدفيْن:

- الهدف الأول: التفريق بين الشعوب العربية، ومباعدة تواصلها فيما بينها؛ كمصر، والشام، والعراق، وشمال أفريقيا؛ وذلك حتى لا يكون من اجتماعها قوة في مختلف النواحي.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٦٦، ص: ١، مقال بعنوان: مطمح الأدب العربي.

- الهدف الثاني: إيقاظ العصبية فيما بين هذه الشعوب؛ لإذكاء ثقافة العدوان وحب الذات، وإتاحة المجال للتناحر والشقاق، حتى تبتعد هذه الشعوب بقدر الإمكان عن الإسلام، الذي يعدُّ ماضيه وماضي العرب شيئًا واحدًا، وتُدوَّن مفاخره ومفاخر العرب في ديوان واحد[1].

المسألة الثالثة: التصدِّي لمحاولة قتل الإرادة في نفوس العرب.

تصدَّى الشيخ لعدو يهدِّد المسلمين والعرب، ويمنعهم حتى من التفكير في مصالحهم، وهو محاولة قتل إرادة المسلمين والعرب، ومنعهم من اتِّخاذ قرارهم بأنفسهم، وأنه لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يتغير الحال الذي يعيشونه، من التفكك والتشرذم والتبعية وضياع الهوية، ولكنَّ الشيخ يؤكِّد على أنَّ المسلمين والعرب يمتازون بامتلاك إرادة قوية ثابتة راسخة، وإذا ما صمَّموا على أمرٍ، فإنهم يضحُّون في سبيل الحصول عليه، ولقد سلك أعداؤهم في سبيل ثني عزيمتهم، وردِّهم عن الاستقلال بدينهم وقوميتهم العربية طُرقًا متعدِّدة، هي:

- استخدام لغة القهر والتدمير والبطش والإكراه.
- الأساليب السياسية الماكرة، وتقييد حريات الشعوب العربية بالمعاهدات والاتفاقيات التي يظن الغرب أنهم قيَّدوا بها حريات الشعوب العربية، واستولوا على إرادتهم، وتمكَّنوا من استتباع العرب لهم.
- الدعايات التي تحسّن القبيح، وتقبّح الحسن، وهي بمثابة غسل الأدمغة والعقول؛ لإقناعها بأنَّ ثمن التغيير من التبعية للغرب إلى الاستقلال والريادة سيكون ثمنًا باهظًا. ولكن المسلمين والعرب بفضل الله جلَّ جلاله أصبحوا على درجة من الوعي والإدراك، بحيث إنَّ قواميس قوميتهم العربية تُسمِّي الأسماء على حقيقتها، بخلاف قواميس الغرب السياسية المخادعة.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٠٩، ص: ١، مقال بعنوان: رسالة الأمة العربية إلى البشر.

ثم ضرب الشيخ مثلاً لإرادة العرب التي بفضل الله—جلَّ جلاله لا تقهر، ففي دمشق قاطع العرب أنوار الكهرباء، وقاطعوا مركبات القطار السريع سبعة أشهر كاملة، واحتملوا الظلام، والسير على الأقدام، متحلِّين بالصبر وروح الإقدام، حتى اضطرت الشركة إلى الإذعان والاستسلام لشروط العرب، وتحقيق مطالبهم، وهذا مثل بسيط لإرادة العرب في دمشق، يجب أن يأخذ باقي العرب منه العبرة والعظة، وأن يكثِّفوا الجهود للحصول على مرادهم(١).

المسلك الثاني: تصدِّي الشيخ لأعداء الإسلام والعروبة في خارج البلاد الإسلامية العربية. وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التصدِّي لخطر الشيوعية(٢).

تصدَّى الشيخ لخطر الشيوعية، وأكَّد الشيخ على أنَّ الشيوعية هي الخطر المحدِق بالقومية الإسلامية العربية، ولقد حذَّر الشيخ المسلمين من التفرق والتشرذم إلى قوميات متعدِّدة، وأوصاهم بالتنبُّه للخطر الحقيقي الذي يطمع إلى اكتساحهم، وهو خطر الشيوعية، ولا سبيل إلى ردِّ هذا الخطر إلاَّ بنبذ العصبيات والقوميات المتعدِّدة، والانضواء تحت راية واحدة، وهي راية القومية الإسلامية العربية(٣).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٧٨، ص: ١، مقال بعنوان: سوريا في طريقها نحو المطمح.

(٢) الشيوعية: هي مذهب اقتصادي اجتماعي، وضع له أساس اعتقاديٌّ فكري، قائم على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون، وأن المادة هي كل الوجود، وأن أحداثها وتغيُّراتها مع أحداث التاريخ الإنساني، أسسها: كارل ماركس، وهو يهودي ألماني، عاش ما بين سنتي: ١٨١٨م- ١٨٨٣م، ونشأت أول دولة شيوعية في روسيا، في تشرين الأول أكتوبر، سنة: ١٩١٧م. انظر: "كواشف زيوف"، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ص: ٦٠٠، دار القلم- دمشق، ط ٢، ١٤١٢هـ: ١٩٩١م.

(٣) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٧٤، ص: ١، مقال بعنوان: قوة العرب المعطلة.

المسألة الثانية: التصدِّي لخطر الاستعمار.

تصدَّى الشيخ لعدو يهدِّد وحدة المسلمين والعرب، وهو الاستعمار لبلاد المسلمين عمومًا، والاستعمار الإنجليزي في مصر خصوصًا، حيث عمل الاستعمار الإنجليزي في مصر على تفريق قلوب أبناء الملة الواحدة باسم القومية، وقد أنجز المستعمر بعض ما أراد بمعاونة أذناب له في الشرق الإسلامي، فتمزَّق شمل العالم الإسلامي، حتى صار المسلم الهندي والفارسي لا يشعر بشعور أبناء الأقطار العربية، وصار المصريون يرَوْن جيرانهم شرقًا وغربًا كأنهم غرباء عنهم[١].

المسألة الثالثة: التصدِّي للصهيونية[٢].

يؤكِّد الشيخ على أنَّ القومية الإسلامية العربية تواجه جسمًا غريبًا ينمو في جسدها، وهذا الجسم الغريب هو الصهيونية، التي تشكِّل خطرًا على القومية الإسلامية العربية، وهذا الخطر يتمثَّل في أمريْن، هما:

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٥٨٩، ص: ١، مقال بعنوان: أمة واحدة.

(٢) الصهيونية: هي حركة سياسية عنصرية، وهي فلسفة قومية لليهود، تنادي بالعودة إلى جبل صهيون، أرض الميعاد كما يسمونها، وقد أخذ اليهود تعاليمها من التوراة الذي حرفوه، كما أخذوا تعاليمها من التلمود، - وهو شرح التوراة، ويعبر التلمود عن سيرتهم التي كتبها حاخاماتهم خلال مسيرة التغرب والشتات، وأخيرًا أخذت الصهيونية بروتوكولات حكمائها كخطة يسيرون عليها في تحقيق أهدافهم في أرجاء العالم، وتعود نشأة الدعوة إلى الصهيونية للقرن السادس قبل الميلاد، لكن إنشاء منظمة تهتم بهذه الفكرة وتبرزها إلى حيز الوجود بشكلها الفلسفي السياسي والعملي الواضح الأهداف، بدأ يتبلور إثر المؤتمر الصهيوني الأول، فقبل المؤتمر الصهيوني الأول لم تكن تتعدَّى فكرة الصهيونية العاطفة والحنين، لكنها بعد هذا المؤتمر الصهيوني الأول تحولت إلى الشكل السياسي والعملي، وقد عُقد هذا المؤتمر الصهيوني الأول في شهر أغسطس، سنة: ١٨٩٧م، في مدينة بازل السويسرية، حيث اجتمع مائتان وأربعة من قادة اليهود المقيمين في جميع أنحاء العالم، تحت رئاسة مجموعة من المفكرين، وانتخبوا رئيسًا يتصدر المنظمة الصهيونية اليهودية، وهو الصحفي تيودور هرتزل، إثر مداولات واجتماعات مكثفة، وقاموا بصياغة بروتوكولات حكماء صهيون السرية، التي شاء الله -جل جلاله- ألا تبقى طيَّ الكتمان، ففضحها على أيدي الخونة من أهلها، ثم دخلت الصهيونية في دور العمل السياسي النافذ بعد وعد بلفور، وانتداب بريطانيا العظمى لإدارة فلسطين. انظر: "اتجاهات فكرية معاصرة"، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص: ٣٢٥، مرحلة الماجستير، جامعة المدينة العالمية، بدون تاريخ للنشر.

الأمر الأول: محاولة إزالة السيادة المحمدية عن فلسطين، وإقامة دولة لليهود على أنقاضها.

الأمر الثاني: استيلاء اليهود على المسجد الأقصى، وقبة الصخرة المشرفة، ومربط البراق المحمدي، وتشييد هيكل يهودي على أنقاض جميع هذه الأماكن المقدسة الإسلامية، ويؤكِّد الشيخ أنَّ الصهيونيين بنوا الأمل في دولتهم المزعومة على وهم، وهذا الوهم يتمثَّل في أنَّ الصهيونيين يفترضون أنَّ المسلمين والعرب كمية مهملة، وما دام الإنكليز راضين عن تشييد هذا البناء الصهيوني الموهوم، فإنَّ العرب والمسلمين يجوز أن يُفترَض أنهم غير موجودين[1].

(١) انظر "مجلة الفتح"، العدد ٦٠٤، ص: ١، مقال بعنوان: يهود الشرق بين القومية العربية وأوهام الصهيونيين.

المبحث الرابع:

جهوده في مواجهة القاديانية

ويضم مطلبين.

- **المطلب الأول: تعريفه بحقيقة القاديانية، وأهدافها، ويشتمل على مسلكين.**
- **المطلب الثاني: جهود الشيخ في مواجهة القاديانية ومخططاتها، ويحتوى على ثلاثة مسالك.**

المطلب الأول:
تعريف الشيخ بحقيقة القاديانية، وأهدافها

ويشتمل على مسلكين.

المسلك الأول: حقيقة القاديانية كما رآها الشيخ.

ذكر الشيخ فتاوى علماء المذاهب الأربعة في خروج القاديانيين من الإسلام[١]، وفصّل في ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة والقياس والإجماع؛ وذلك لأنَّ ميرزا غلام أحمد يعتقد الأمور الآتية:

- أنه نبي أرسله الله جلَّ جلاله، وأوحى إليه.
- أنه نسخ الله جلَّ جلاله به شريعة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.
- أنَّ الجهاد في سبيل الله جلَّ جلاله هو في الدعوة إلى القاديانية.
- يعتقد إنكار عودة المسيح ابن مريم عليه السلام.
- يزعم أنَّ الدين الإسلامي يحتاج إلى إكمال، وأنَّ الله جلَّ جلاله أرسله لإكماله.
- يعتقد أنَّ الوحي لم ينقطع، وأنه هو الذي يتواصل عليه نزول الوحي[٢].

ولقد بيَّن الشيخ أنَّ ميرزا غلام أحمد تباهل مع الأستاذ ثناء الله، المؤمن بالكتاب والسنة، والكافر بعقيدة ميرزا غلام أحمد، تباهلاً في عام ١٣٢٥هـ بهلاك الكاذب منهما، فأهلك الله جلَّ جلاله ميرزا غلام أحمد، وظل الأستاذ ثناء الله ينعم بعفو الله وعافيته، ولقد استغل الشيخ هذه الحادثة، ووجَّه نصيحة إلى أتباع ميرزا غلام أحمد بالاعتبار من هذه الحادثة، والاكتفاء بما دلَّت عليه من كذب ميرزا غلام أحمد، وأنَّ هلاكه دليل حسي على كذبه[٣].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٢٦٧، ص: ٨، مقال بعنوان: خداع القاديانيين.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق.

كما ذكر الشيخ فضيحتيْن فضح الله بهما كذب ميرزا غلام أحمد القادياني، وهما:

الفضيحة الأولى: أنَّ ميرزا غلام أحمد دعا على نفسه بالهلاك إن كان كاذبًا، وأن يموت بعد مباهلته لثناء الله، فمات بعد عام واحد من المباهلة، ولا يزال ثناء الله على قيد الحياة.

الفضيحة الثانية: أنَّ ميرزا غلام أحمد القادياني هام بحب فتاة من أقاربه، وطمع في الزواج بها، ولكن أباها وذويها رفضوا قبوله صهرًا لهم؛ وذلك لاعتقادهم ردَّته عن الإسلام، فزعم لهم أنَّ نكاحه بها ثبت في السماء، فلابدَّ من ثبوته على الأرض، ثم جازف وزعم أنهم إذا أنكحوها غيره، فإنَّ ناكحها سيموت بعد عاميْن ونصف من نكاحه بها، وسيموت أبوها بعد ثلاثة أعوام من يوم نكاحها، وستنزل المصائب تترَى على البنت، ثم تعود زوجة له بعد ذلك؛ لأنَّ أمر الله كائن لا رادَّ لقضائه، ولقد أراد الله فضحه بمرور الأيام والأعوام، والبنت وزوجها ووالدها لم يصابوا بمكروه ممَّا ادَّعاه هذا الدجَّال، بل إنه هو الذي مات، ولا زالت فضائحه تتوالى بعد موته[1].

المسلك الثاني: أهداف القاديانية، وخطورتها على أمة الإسلام.

يؤكِّد الشيخ أنَّ السبب في انتشار دعوة ميرزا غلام أحمد هو مساعدة الاستعمار لهذه الدعوة الباطلة، وتيسير السُّبل لانتشارها ماديًا، ومعنويًا، وسياسيًا[2].

ولقد قسّم الشيخ أتباع ميرزا غلام أحمد إلى فريقيْن، ولكلٍّ فريق تعامُل يناسبه:

الفريق الأول: فريق تصدَّى لدعوة غير المسلمين إلى القاديانية باسم الإسلام، وهذا الفريق يجب ملاحظة دعوتهم، ولا نقوم بمواجهتهم إلاَّ إذا قاموا بتحريف كلمات

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٧٨٩، ص: ٣، مقال بعنوان: من فضائح القاديانيين.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٣١٣، ص: ١٠، مقال بعنوان: مسجد ووكنج في لندن.

الله –جلَّ جلاله، أو قاموا بتحريف أحاديث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، حينها يجب مواجهتهم وتعريف غير المسلمين الذين افتتنوا بهم، تعريفهم بباطلهم وضلالهم.

الفريق الثاني: فريق تصدَّى للتأثير على المسلمين أنفسهم، وتلبيس دينهم عليهم، وهذا الفريق يجب على كلِّ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعلم أنَّ القاديانية دين مبتدع يخالف دين الإسلام، وأن يقوم كلُّ مسلم بما يستطيعه لمواجهة هذا الدين المزعوم(١).

ولقد أظهر الشيخ خطورة القاديانية على الإسلام، وذلك باستهدافها بلاد المسلمين، وإرسال دعاتها لنشر عقيدتها الضالة، ودلَّل على ذلك بأنَّ حكومة الحجاز ألقت القبض على رجل يعمل تاجرًا في جدة، ودرس بها الفقه الحنفي والحديث، ثم سافر إلى الهند، ومكث بها سنوات، ثم عاد إلى جدة مقتنعًا بدعوة ميرزا غلام أحمد، وقد بدأ محاولاته لإفساد عقائد الناس في الحجاز، ويحمد اللهَ الشيخُ أنَّ دعوته لم تلقَ قبولاً من الناس، والسبب بعد فضل الله –جلَّ جلاله هو انتشار مجلة الفتح في الحجاز، وتبيينها مسبقًا هذه الدعوة الباطلة(٢).

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٢٠، ص: ١، مقال بعنوان: القاديانية دين يخالف دين المسلمين، القاهرة، الخميس ٢٥ رجب، سنة: ١٣٥١هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٣٢٩، ص ٤، مقال بعنوان: القاديانية في الحجاز.

المطلب الثاني:
جهود الشيخ في مقاومة القاديانية ومخططاتها

ويحتوي على ثلاثة مسالك.

المسلك الأول: ردُّه على مغالطات القاديانيين، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: استنكارهم على الشيخ عدم نشر أفكارهم في مجلة الفتح.

ذكر الشيخ أنه اطَّلع على رسالة وصلت من دعاة القاديانية في فلسطين، مفادها شكواهم من مجلة الفتح عدم نشر أفكارهم(١)،ولقد طلب الشيخ من أتباع ميرزا غلام أحمد الإجابة على المسائل التي كانت سببًا في خروجهم من الإسلام، ووعدهم الشيخ بنشر إجاباتهم بكلِّ وضوح وشفافية، وهذه التساؤلات:

- هل يؤمنون حقًّا بنبوة ميرزا غلام أحمد؟
- هل يؤمنون حقًّا بأنَّ ميرزا غلام أحمد أكثر فضلاً وخيرية من عيسى ابن مريم عليه السلام؟
- هل هم مصدقون ومؤمنون بقول ميرزا غلام أحمد : "قال الله لي : لولاك لما خلقت الأفلاك"؟
- هل هم مصدقون ومؤمنون بقول ميرزا غلام أحمد: " إنَّ الله قال لي: إنَّ أمرك إذا أردت شيئًا أن تقول له كن فيكون"؟

ولقد طلب الشيخ من القاديانيين قبل أن يطمعوا في نشر باطلهم في مجلة الفتح، أن يجيبوا على صحة نسبة هذه الأقوال إلى ميرزا غلام أحمد(٢).

---

(١) انظر "مجلة الفتح"، العدد ٢٦٧، ص: ٨، مقال بعنوان: خداع القاديانيين.

(٢) انظر: المرجع السابق.

المسألة الثانية: بيانه زيف انتسابهم للإسلام.

زعم القاديانيون بأنهم مسلمون، ولقد أظهر الشيخ زيف انتسابهم إلى الإسلام، وأكّد أنَّ الإسلام الذي يدّعونه مخالف جملةً وتفصيلاً للإسلام الذي كان عليه الرسول –عليه الصلاة والسلام، وأصحابه –رضي الله عنهم، ولذلك فقد طلب الشيخ من القاديانيين تحديد معنى الإسلام الذي ينتسبون إليه، وأن يعيّنوا المقياس الذي ينبغي له ولهم الرجوع إليه، إذا حصل الاختلاف في أمر أنه من الإسلام أو من غير الإسلام، ويؤكّد الشيخ من خلال النصوص الصريحة والصحيحة في دين الإسلام، الذي يؤمن به الشيخ، ويؤمن به كلُّ مسلم على وجه الأرض، أنَّ من ادَّعى النبوة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر خارج عن دائرة الإسلام، ومن هذه النصوص قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "سيكون في أمتي ثلاثون كذَّابًا كلُّهم يدَّعي أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي"(١)، فيطلب الشيخ من أتباع ميرزا غلام أحمد بيان موقفهم من هذا النصِّ الثابت من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، ويؤكّد الشيخ على أحد أمريْن: إمَّا أنَّ أتباع ميرزا غلام أحمد كاذبون وأصحاب هوى وضلال على علم، أو أنهم جهلة وسفهاء أحلام بقبولهم لهذه الدعوة الباطلة(٢).

المسألة الثالثة: كشفه عدم إظهار حقيقتهم للجنة الأزهرية المعدة للتحقيق في أمرهم.

بيَّن الشيخ أنَّ الأزهر شكَّل لجنة كلَّفها بالتحقيق في عقائد القاديانيين، وكان من نتائج التحقيق أنَّ أحد أعضاء هذه اللجنة صرّح بأنَّ طائفة القادياني لا تعتقد نبوة ميرزا غلام أحمد، ولذلك فإنه يجب عدم الاستعجال في الحكم بكفرهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥)، من حديث ثوبان –رضي الله عنه–، والحديث صححه الترمذي، والشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٤١٨).

(٢) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٢٢، ص: ١، مقال بعنوان: إسلامنا وإسلام القاديانيين، القاهرة، الخميس ١٠ شعبان، سنة: ١٣٥١هـ.

ولقد ردَّ الشيخ عليه بأنَّ هذا من نفاقهم المضاف إلى كفرهم، والدليل الذي استدلَّ به الشيخ على كفرهم هو أنَّ ميرزا غلام أحمد بنفسه ادَّعى النبوة بكلِّ معانيها، والنصوص من كلامه في ادِّعائه للنبوة لا حصر لها، وقد مات وهو على هذه العقيدة المملوء بها آخر مؤلفاته(١).

ولقد حكم الشيخ على ميرزا غلام أحمد بالنفاق إضافةً إلى كفره؛ وذلك لأنَّ ميرزا غلام أحمد ادَّعى أنه مسلم؛ ليُوهِم المسلمين أنه على دينهم، وفي حقيقته أنه مكذّب لما صحَّ عن الرسول عليه الصلاة والسلام(٢).

المسلك الثاني: دعوته الأزهر ليقوم بدوره في مقاومة القاديانية.

يؤكِّد الشيخ أنَّ الأزهر في مصر هو الأكثر تحملاً لمسؤولية مواجهة القاديانية، ولقد وضع الشيخ خطة يسير عليها الأزهر لمواجهة هذه الفرقة المنحلّة:

- تقرير أركان عقيدة الإسلام على طريقة القرآن الكريم، واستبعاد الفرق الماضية التي انقطعت دعوتهم من المقررات الدراسية لطلاب الأزهر في القسم الثانوي، والالتفات لمقارعة أهل الضلالات الذين ظهرت دعوتهم في عصر الشيخ، والتي تصدَّى دعاتها لإفساد عقائد المسلمين كالقاديانية.
- تخصيص جماعة من المتخرِّجين تتفرَّغ لمقاومة عدوان القاديانية على الإسلام والمسلمين، وأن يقرَّر على المتخصِّصين دراسة اللغتيْن الأوردية والإنجليزية.
- إيجاد مواد دراسية يلزم بها المتخصِّصون في الملل والنحل من طلاب الأزهر، تتخصَّص في تاريخ النحل الإسلامية الزائلة، مع الحرص التام على استمداد مادتها العلمية من النقول الصحيحة من أهل النحل نفسها، ومن ثم مقارنة ما انفردت به

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٦٦٥، ص: ١، مقال بعنوان: النبوة والوحي في عقائد أحمدية لاهور، القاهرة، ١٧ جمادى الآخرة، سنة: ١٣٥٨هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، العدد ٣٢٢، ص: ١، مقال بعنوان: إسلامنا وإسلام القاديانيين.

بما أجمع عليه أهل السنة، وبيان حجة أهل السنة ووجهة نظرهم بما يتوافق مع الكتاب والسنة، حتى يكون الطلاب على بصيرة من الشبهة ومواضع ضعفها.

- لابدَّ أن يكون للأزهريين إلمام يسير بتاريخ الديانات البشرية بوجه عام، ولا سيَّما الديانات التي لها أتباع كثيرون، في اليابان، والصين، والهند، وإندونيسيا.
- تأليف كتب عصرية حديثة لصغار الطلاب في العبادات مقرونة بأدلتها، ومحلاَّة بحكمة تشريعها، واستقاء معلوماتها من كتب الأقدمين الفقهية، بنفس عباراتهم المستخدمة لربط الخلف بالسلف، والغرض من ذلك تعليق الناشئة بالسنة الصحيحة، وتحصينهم من القاديانية، حتى تتكوَّن لديهم القدرة على نبذ أية دعوة تتعارض مع الإسلام وتعاليمه.
- يجب على الأزهر أن يُفرِغ ما وصل إليه علماء الإسلام وجهابذته في أحكام المعاملات على مدى أربعة عشر قرنًا، فيقوم الأزهر بتفريغها بأساليب التأليف العصري مقارنة وتنظيمًا، ويجمعون الأحكام التي اتَّفق عليها أهل المذاهب فيرتبونها في نظام بديع، ويُورِدون بعد ذلك الأحكام التي تليها في القوة والوضوح، فيعلِّقون عليها ببيان المذاهب القريبة منها، والمخالفة لها[1].
- يجب على الأزهر العمل على تكوين الخلق الصالح في نفوس طلابه، والعمل على دعوة الناس إلى ذلك؛ حتى يكون طلاب الأزهر القدوة بسيرتهم، وتحلّيهم بمقاومة الهوى، والسير مع الحق، والشجاعة في الجهر به، وإيثاره على الخلق جميعًا.
- يجب على الأزهر العمل على توثيق الأخوة بين المسلمين، بمقاومة النزعات المحلية من جهة، وتخفيف العصبيات الطائفية من جهة أخرى، وتشجيع المسلمين على التعارف والتآلف.

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٩١، ص: ٣، مقال بعنوان: رسالة الأزهر في القرن الرابع عشر.

- يجب على الأزهر تعريف العالم بتاريخ الإسلام، وعلى علماء الأزهر أن يُدرِكوا أنَّ المكتوب والمدوَّن من تاريخ الإسلام إنما هو رؤوس أقلام، أُشِير فيه إلى الوقائع حتى لا تُنسَى، ولكنه لم يُكتب بالأقلام البارعة التي تكتب بها الأمم تواريخها، فتجلو بذلك جمال أمجادها، وتضيء به سنا مفاخرها، وهذه هي مهمة الأزهر في عصر الشيخ، الذي يحتِّم على المسلمين مواجهة الفرق المنحلة بما فيها القاديانية[1].

المسلك الثالث: وضع خطة للعالم الإسلامي لمواجهة القاديانية.

يؤكِّد الشيخ بأنه يجب على المسلمين مواجهة القاديانية بكل إمكاناتهم، ولتحقيق ذلك لا بدَّ من تصحيح وضع عامة المسلمين وخاصتهم.

عامة المسلمين: المقصود بهم كلُّ مسلم على وجه الأرض، وتصحيح وضعهم يكون بأمور:

- القناعة التامة بأنَّ الإسلام دين جماعة، وأنَّ المسلم إذا تعامل مع دينه بأنه دين أفراد فإنه سيخسر الدنيا والآخرة.
- الإسلام دين القوة، والمسلم يأمره إسلامه بإعداد ما يستطيعه من أسباب القوة، وأول مظاهر هذه القوة هو الانتصار على الشهوات.
- المسلم مُطالَب بإعادة أسباب العزة لدينه، وبحماية دعوة الإسلام، وبنشرها في الآفاق، ومُطالَب بالنزول إلى ميدان الكفاح، لحماية دينه من الهجمات العنيفة، ومُطالَب ببيان شريعة الإسلام للأمم، بالأساليب المحبَّبة إلى نفوس أبنائها، مثل ما هو مكلَّف بالصلاة والصيام والقيام بفروض العبادة.
- على المسلم أن يتذكَّر أنه يعيش في مجتمع إسلامي، يقوى هذا المجتمع ويضعف تبعًا لما يقوم به الأفراد المسلمون لمجتمعهم الإسلامي من أسباب العناية، فإذا تهاون

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٩١، ص: ٣، مقال بعنوان: رسالة الأزهر في القرن الرابع عشر.

المسلمون في حياطة كيانهم الملي، انهار بناء الإسلام، أو اعتراه الخلل، وكان ذلك من أسباب انصراف النفوس عن الإسلام.

- لا تقل أهمية العمل لنصرة الإسلام بروح الجماعة التي ألَّف الله –جلَّ جلاله بينها عن أهمية السعي للرزق، وتأمين لقمة العيش، بل إنَّ مهمة العمل للإسلام أكثر أهمية من السعي للرزق.

خاصة المسلمين: والمقصود بهم كلُّ مَن خصَّه الله –جلَّ جلاله بأمر دون غيره من المسلمين، وهؤلاء هم:

- أغنياء المسلمين: دعاهم الشيخ إلى البذل والعطاء والإنفاق، من مال الله الذي آتاهم، وأن يكونوا أكثر حرصًا من أغنياء النصارى على البذل لدينهم، ولابدَّ أن يُخرِجوا من صناديقهم ما لله–جلَّ جلاله فيها من حق، وما لحياة المسلمين الاجتماعية فيها من نصيب[1].
- شباب المسلمين: يرى الشيخ أنَّ مرحلة الشباب ميزة بحدِّ ذاتها، لذلك فإنه يجب على شباب المسلمين إنشاء أندية تستكمل أسباب النماء والبقاء، وأن يعتبروا من تجارب شباب النصارى في الحرص على الانضمام لهذه الجمعيات.
- علماء المسلمين: أهاب الشيخ بعلماء المسلمين، وذكَّرهم بواجبهم، وبأمانتهم، وبالمسؤولية الملقاة على عواتقهم، والتي سيسألهم الله–جلَّ جلاله عنها، ولابدَّ من مبادرة علماء المسلمين في الحال، وذلك بتخصيص رجال من رجالاتهم لدراسة القاديانية، ومعرفة أماكن قوتها، وأماكن ضعفها، وأن يتفرَّغوا للقضاء عليها، وإذا لم يفعلوا ذلك؛ فإنَّ القاديانية ستُجيِّش الجيوش من جهلة المسلمين، للقضاء على الإسلام باسم الدعوة إلى الإسلام[2].

---

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٣٨١،ص: ١، مقال بعنوان: حياة الفرد وحياة الجماعة الإسلامية.

(٢) انظر: "المرجع السابق"، العدد ٣٨١،ص: ١، مقال بعنوان: حياة الفرد وحياة الجماعة الإسلامية.

كما اقترح الشيخ لمواجهة القاديانية إنشاء مركز للقيادة الفكرية والعسكرية في العالم الإسلامي، وهذه مهمة أساسية لابدَّ أن يسعى إلى تحقيقها المسلمون في أرجاء المعمـــورة، ولابدَّ أن يدرك المسلمون أنَّ الحاجة ماسة لإنشاء هذا المركـــز الإســـلامي، وأنَّ واقـــع المسلمين يُحتّم عليهم ذلك، ولقد بيَّن الشيخ أعداء الإسلام والمسلمين في عصره، والذين تربطهم بالقاديانية روح العداء للإسلام وأهله، وسأُجمِلهم في نقاط:

- الغارة المنظَّمة والموجَّهة على الإسلام والمسلمين، من مصانع الغرب وبيوته المالية.
- الاستهداف المنظَّم للإسلام والمسلمين من جمعيات الغرب ومراكزه الدينية والفكرية.
- الدسائس الدينية والأدبية والسياسية من أذناب الغرب في الشرق.
- الدُّعاة الرسميون والمتطوِّعون للاستعمار الغربي في داخل ديار المسلمين وخارجها.
- الجيوش الغربية وقياداتها الساهرة في التأهُّب والاستعداد.
- ظهور الفرق المنحرفة، ومنها القاديانية، ولقد جمعت هذه الفرقـــة بـــين الصـــفات القبيحة لأعداء الدين الإسلامي، حيث جمعت بين الكفر، والنفاق، والكذب.

لذلك ظهرت الحاجة الماسة لهذا المركز الإسلامي، ولقد حدَّد الشيخ مهـــام هـــذا المركز في هذه الأمور:

- يكون مركزًا للقيادة الفكرية والأنظمة.
- يتولَّى هذا المركز إحياء دعوة الإسلام، عن طرق الثقافة والنشر.
- يتولَّى حفظ صدقات المسلمين وتبرعاتهم، في سبيل رابطتهم المحمدية، ليستعملها في محل الحاجة، وعند وجود الضرورة.
- يتولَّى إيقاظ المسلمين إلى مواطن قوتهم ليرعوها ويحرسوها، وإلى مواطن ضـــعفهم ليعالجوها بالحكمة والسداد.
- تحصيل كلّ ما يحتاج إليه المؤمنون من علم وصناعة وغيرها.
- يكون ينبوع القوة لهم، ويدرأون به ما يترل بهم من نوازل ونكبات.

- يكون المركز المعتمد للمسلمين الذي يتخاطب باسمهم مع الفرق المحدثة ومراكزهم في أنحاء العالم، ويكون المُحاور المعتمد باسمهم، ومن ذلك فرقة القاديانية ومراكزها[1].

(١) انظر: "مجلة الفتح"، العدد ٤٧١، ص: ١. مقال بعنوان: الحاجة إلى مركز للقيادة.

المبحث الخامس:

منهج الشيخ في مواجهة المذاهب الفكرية المنحرفة

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: منهجه في مواجهة الإلحاد.**
- **المطلب الثاني: منهجه في مواجهة العلمانية.**
- **المطلب الثالث: منهجه في مواجهة القومية.**
- **المطلب الرابع: منهجه في مواجهة القاديانية.**

المطلب الأول:
منهجه في مواجهة الإلحاد

- بيّن الشيخ أهمية الدين الذي هو ضد الإلحاد، وبيّن مكانته، ودوره الفعَّال والمثمر في استقرار الأمم والأفراد.
- استشهد بالأدلة من الكتاب والسنة على أهمية الدين، ووجوب حمايته من العابثين.
- أظهر المواقف المشرّفة لملك مصر في مواجهة الإلحاد.
- عرّف بالإلحاد، وردّ على شُبَهه.
- حثّ المسلمين على التمسُّك بالدين، والانصراف عن الملحدين.
- بيّن خطورة الإلحاد، وآثاره السيئة على مستوى الحكومات والأفراد.
- عرَّى مَن يخدمون الإلحاد، سواء أكانوا أفرادًا أو دولاً، وكشف مخططاتهم، وتحالفهم.
- بيّن العلاقة بين الإلحاد والنصرانية.
- راقب التحركات الإلحادية، وأدرك أطماعها البغيضة.
- حرّر مفهوم الجمود الذي اتخذه الإلحاديون مسوِّغًا لنشر إلحادهم.
- شهّر بالكتب والمقالات الإلحادية، وردّ عليها، وحذَّر منها.
- تابع باهتمام ما تقوم به الحكومة المصرية من ردع للإلحاد، ونشر الخطوات التي توصّلت إليها، وأشعر الحكومة بمسؤولياتها في حماية قراراتها، وحثَّها على سرعة التنفيذ.
- كشف الجرائد الداعمة للإلحاد، والمؤيِّدة له، وقام بمقارعتها والردِّ على ما تقوم بنشره من إلحاد.
- أظهر للناس الدولة العظمى الداعمة للإلحاد في بلاد المسلمين، وبيّن سياساتها وطرقها الإلحادية.

- قاوم الإلحاد في شتَّى بلاد المسلمين، ونشر أخباره، وحثَّ المسلمين على المقاومة بالوسائل المتاحة.
- حمّل الحكومات الإسلامية مسؤولية حماية الدين.
- ذكّر علماء المسلمين بواجبهم تجاه الإلحاد.
- حثّ عامة المسلمين على التوجُّه إلى القنوات الموصِّلة إلى أولياء أمرهم؛ لبيان موقف الشعب من الإلحاد، ورفضه، وعدم قبوله.
- ذكّر الأزهر بواجبه في مقاومة الإلحاد.

المطلب الثاني:
منهجه في مواجهة العلمانية

- بيّن أنَّ العلمانية من الأسباب الفاعلة في انحطاط المسلمين، وتأخُّر نهضتهم.
- وضّح للقرَّاء أنَّ تطبيق العلمانية يعني التنصر، والتخلّي عن الإسلام.
- ذكر نشأة العلمانية، وتاريخها، وخطرها.
- بيّن خطر العلمانية على الحضارة، وعلى الفرد، وعلى الأمة.
- كشف أستار الدول التي تطبّق العلمانية، وتسعى إلى نشر ثقافتها في العالم الإسلامي.
- تتبّع الصحف والمجلات في داخل مصر وخارجها، التي تدعم العلمانية وتنشر أفكارها.
- بثّ روح الأمل في نفوس المسلمين، ودعاهم إلى التفاؤل وعدم القنوط.
- حثّ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على الجدية في مواجهة العلمانية، وعدم الاستسلام.
- فضح مخططات العلمانيين، وتلقيهم الدعم والمساندة من دول متعدِّدة.
- كشف الدولة التي تدعم العلمانية في بلاد المسلمين، وواجهها، ونشر باطلها، وحذّر من الانسياق خلفها.
- اهتم اهتمامًا بالغًا بالتعليم كأداة عظيمة لتربية أبناء المسلمين تربية صالحة.
- اعتنى بالجانب الوقائي، ودعا إلى تعزيزه، والمشاركة في صنع قراراته.
- الشمولية في خطاباته ومقالاته، والتي خصّت الفرد، والأسرة، والمجتمع، والعلماء، والحكام، والدول الخارجية.
- دافع عن الشعب التركي المسلم، وأبرز قضيته في استهداف الحكومة له بالسياسات التغريبية، وبيّن أنَّ من حق الشعب التركي أن يُمكّن من التمسك بدينه.

- تابع ما يصدر في الصحف التركية من خطوات تغريبيـــة، وردّ عليهـــا، وكشـــف عوارها، ولقد ساعده في ذلك معرفته باللغة التركية.
- اعتبر العلمانية مصيبة من المصائب التي أصابت الأمة الإسلامية، وأكّـــد علـــى أنَّ المصائب لا تنزل بالأمة الإسلامية إلاَّ بسبب ذنوبها.
- تفاءل بالواقع الأليم للأمة الإسلامية، وكثرة مصائبه، وأكّد على أنَّ مـــن محاســـن المصائب تطهير النفوس وإعادتها إلى الله جلَّ جلاله.
- وضَّح وسائل مقاومة العلمانية.
- ردّ على شبه العلمانيين، وبيّن مراوغتهم، ومغالطتهم.
- اهتم بالنشر، والتأليف، وكتابة المقالات في مقاومته للعلمانية.
- ردّ على الكتب التي تدعو إلى العلمانية، كما ردّ على الكُتّـــاب وبـــيّن باطلـــهم وضلالهم.

المطلب الثالث:
منهجه في مواجهة القومية

- حرّر مفهوم القومية العربية، وربطه بالإسلام، وشدّد على التلازم بينهما وعدم احتمالية الانفصال أبدًا.
- وضّح حقيقة مفهوم القومية التي يدعو الغرب إلى تحقيقها في بلاد المسلمين.
- أكّد على أهمية الأخوة الإسلامية كأساس للقومية العربية.
- كتب بحوثًا عن العرب والعروبة، ونشرها في مجلة الزهراء.
- وضّح أنَّ اختيار العرب لحمل رسالة الإسلام هو اختيار إلهي يجب على العرب الاهتمام به.
- وضّح أسباب قيام كيان للقومية العربية، ووضّح موانع ذلك.
- أبرز مكانة مصر، وأشعرها بمكانتها وأولويتها على غيرها، لحمل لواء القومية العربية، وبيّن المبررات لذلك.
- برّر لحديثه عن القومية العربية بمبررات غاية في الروعة.
- اقترح فكرة التحالف العربي بين ملوك العرب، وبيّن العوامل المساعدة على إتمامه، وبيّن المعوقات.
- اقترح تأسيس مصرف مالي مشترك من كل الحكومات العربية، لتحقيق القوة الاقتصادية.
- بيّن خصائص القومية العربية، وأكّد على أصالتها.
- اهتم باللغة العربية، وبالأدب العربي، ودعا إلى خدمتهما والاهتمام بهما، وبيّن محاسن ذلك.
- اهتم بواقع القوميات العربية المتفرقة، وحاول التوفيق بينها وجعلها تحت راية واحدة.
- شجّع كل فكرة من شأنها تقديم دعم للقومية العربية.
- دعا ملوك العرب إلى الالتفاف حول أنفسهم، وتحقيق الاستقلال.

- حثّ العرب على الأخذ بأسباب القوة للاستغناء عن غيرهم.
- لفت انتباه العرب إلى الأطماع الخارجية باسم القومية العربية، ودعاهم إلى التنبه لما يكاد بهم.
- حفّز همم العرب إلى الاهتمام بقضاياهم بأنفسهم، والتعامل مع الغرب على أساس النّدية والاحترام المتبادل، وعدم التبعية.
- كتب بحثًا تاريخيًا عن الشريف الحسين بن علي، ودوره في القومية العربية.
- شارك بنفسه في محاولة النهضة بالقومية العربية، وتعامل مع كلِّ مَن أراد ذلك.
- أقام في مكة قرابة أربعة سنوات؛ لتحقيق هدف قيام القومية العربية.
- أنشأ جريدة القبلة في مكة، وقام برئاسة تحريرها، والكتابة فيها قرابة ثلاث سنوات؛ وذلك لخدمة قضية القومية العربية ونهضتها.
- راقب الزيارات الرسمية العربية، ووظَّفها في خدمة القومية العربية.
- تجرّد في وصف أحداث القومية العربية، وبيّن جوانب القوة وجوانب الضعف.
- بيّن سلبيات بعض القوميات المعاصرة.
- حثّ العرب على انتهاز فرصة خروج المستعمر، والاعتماد على أنفسهم بعد الله- جلَّ جلاله في خدمة قضاياهم.
- شخّص داء القومية العربية، ووصف دواءها.
- تصدّى لأعداء الإسلام وأعداء العروبة، وبيّن خطرهم، وحقيقتهم، وطرق مواجهتهم.
- وجّه النصائح والتوجيهات الإسلامية العربية لكلِّ طبقات المجتمع، دول، وحكام، ومسؤولين، وعلماء، وشعوب.
- حثّ على الإسراع في اتِّخاذ القرار من كلِّ مَن يملك أن يعمل شيئًا، ولو كان يسيرًا، فإنَّ القليل مع الإخلاص والاستمرار، خير من الكثير المنقطع.

المطلب الرابع:
منهجه في مواجهة القاديانية

- الوضوح والجرأة في الحكم بالكفر على القاديانية وأتباعها.
- بيّن دجل وباطل القادياني، ونشر أخبار مباهلته، وعاقبة كذبه بهلاكه.
- ذكر علامات كذب القادياني، والفضائح الدالة على كذبه.
- كشف أهداف القاديانية، ووضّح خطورتها على الأمة الإسلامية.
- استنكر مغالطاتهم، وردّ عليها.
- بيّن مراوغتهم وكذبهم وعدم إظهار حقيقتهم التي يوقنون بها.
- دعا الأزهر إلى القيام بواجبه في التصدّي للقاديانية.
- وضع خطة متكاملة للعالم الإسلامي بأكمله تكون كفيلة -بإذن الله بإنهاء باطل القاديانية، ودعا إلى تنفيذها.
- استنفر المسلمين عموما، واستنهض هِمَمهم، ودعاهم إلى تسوية صفوفهم، والتعاون فيما بينهم لردِّ عدوان القاديانيين.
- اقترح إنشاء مركز للقيادة الفكرية والعسكرية في العالم الإسلامي، لردِّ الفكر بالفكر، والعدوان بالسلاح بمثله.
- دعا إلى تعلم اللغات الفارسية والأردية، لاعتماد القاديانيين عليها.
- اقترح فتح قنوات للحوار مع القاديانيين، لردهم للصواب.
- كشف أطماع القاديانيين في بلاد المسلمين، وأكّد على أنهم مأجورون لتنفيذ أوامر غربية بخطط مدروسة.
- أكّد على تعاون القاديانية مع الاستعمار، وكشف ما يدور بينهم من تنسيق وتخطيط.
- حذّر المسلمين من الاغترار بهم والانسياق خلفهم.
- تابع تطوراتهم عالميًا وعربيًا، وقام بنشر ما يتوصّلون إليه، وأهاب بالمسلمين الالتفات ولو قليلاً لحماية دينهم ومقدّساتهم.

الخاتمة

وفيها:

أهم النتائج والتوصيات.

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصَّلاة والسَّلام على خير البريَّات، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فبعد أن منّ الله –جلَّ جلاله عليّ بإتمام هذا البحث، والذي تعايشت فيه مع سيرة، وجهود، ومنهج الشيخ محبِّ الدين الخطيب –رحمه الله في خدمة الثقافة الإسلامية، فقد توصَّلت إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: أبرز النتائج:

- أهمية الثقافة الإسلامية في الدفاع عن الإسلام؛ إذ هي خطُّ الدفاع الأول، وهذا ما كان يدركه الشيخ، حيث كان يدعو إلى تحقيق الثقافة الإسلامية، وتأصيلها في نفوس المسلمين، وتربية الأجيال عليها.
- نشأة الشيخ التي تتَّسم بالمعاناة، من يُتم، وفقر، لم تمنعه من صقل مواهبه، بل كانت من أسباب نبوغه، وتألُّقه، وهذا يدل على أهمية الاعتناء بالأيتام وعدم إهمالهم.
- اهتمام الشيخ طاهر الجزائري بالشيخ محبِّ الدين كان من أبرز الأسباب التي أخذت بيد الشيخ إلى الفهم الصحيح للإسلام، وساعدته على التمسُّك بالكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، وإنَّ موقف الشيخ طاهر الجزائري يدل على أهمية دور العلماء في بذر بذور الخير في الناشئة، فإنَّ هذه البذور إذا بُذِرت بإخلاص، فإنَّ الله وحده سيتولَّى مباركتها وتنميتها.
- حكمة الشيخ وحنكته، ووضعه الأمور في مواضعها، وكان منهجه منهج الإسلام في الوسطية والاعتدال، ومنهج الرسول –عليه الصلاة والسلام في قياس المصالح والمفاسد، وعدم الإقدام أو الإحجام إلاَّ بعد تروِّي وتثبُّت، وإذا أحسَّ بالخطر؛ فإنه لا يواجه، بل يتعامل معه بما ينبغي، وهذا ما دعاه إلى مغادرة بعض البلدان، والبحث عن بيئة مناسبة يتسنَّى فيها خدمة الإسلام والمسلمين، وخدمة الثقافة الإسلامية بشكل أوسع.

- ضرورة مقارعة أعداء الثقافة الإسلامية، والمحاولون تغيير ثقافة المسلمين الأصيلة إلى ثقافة دخيلة على الإسلام والمسلمين، وعدم الاستسلام، وأهمية العمل ولو بالترر اليسير، مع التركيز على ضرورة التكاثف وتوزيع المهام، مع الاعتصام بالله —جلَّ جلاله أولاً وآخرًا، والسير على النهج المبني على الكتاب والسنة، مع التحلّي بالأخلاق الحميدة، وعدم استعجال النتائج.
- ترابُط أعداء الإسلام والثقافة الإسلامية في داخل البلاد الإسلامية وخارجها، والحرص على هدم بيوت المسلمين بأيديهم، واستهداف ثوابت المسلمين ومبادئهم بمسمَّيات مزيَّفة، تحسّن القبيح، وتقبّح الحسن، واستهداف أكثر العناصر حيوية في المجتمع المسلم، وهي: التعليم، والشباب، والمرأة، والإعلام، وحرصهم على التأثير عليها، والإمساك بأزمة التأثير فيها، وهذه الهجمة الشرسة الماكرة تستنهض هِمَم المسلمين، وتدعوهم إلى التمسُّك الصحيح بالإسلام، ونبذ حظوظ النفس، والاهتمام بتظافر الجهود، وابتغاء ما عند الله والدار الآخرة.
- تصحيح مسار القومية العربية الفاسدة، وربطها بالإسلام، ولا يمكن أن تسمَّى القومية عربية إلاَّ إذا كانت نابعة من الإسلام، ومستظلة في ظله، ومتتبعة لمنهجه وتعاليمه، والحذر من أعداء الإسلام وأساليبهم الماكرة التي يسعون فيها إلى الفصل بين العروبة والإسلام.
- ضرورة تفرُّغ علماء المسلمين لكتابة التاريخ الإسلامي بصورة صحيحة، والاعتماد على الروايات الثابتة المتواترة، وتنقية التاريخ الإسلامي من الروايات المغلوطة، والتي دسّها بعض أعداء الإسلام، أو تمَّ تقييدها بحسن نية، مع إعادة النظر في مقررات أبناء المسلمين، وتعليمهم التاريخ الإسلامي الصحيح، فإنَّ ذلك يربطهم بأسلافهم، ويعرّفهم بأمجادهم، ويصنع في نفوسهم القدوة الصالحة.
- أهمية تتبّع الفرق والملل والنحل الحديثة، وسبر أغوارها، والتواصل مع أربابها، وإعداد متخصِّصين من نوابغ المسلمين لدراسة لغاتهم، ومقارعتهم، وردّ باطلهم، وكشف أمرهم أمام الملأ، حتى لا ينخدع بهم ضعاف الإيمان، وضعاف النفوس من المسلمين.

- اهتمَّ الشيخ بالصحافة، والطباعة، والنشر؛ لأنها الوسيلة الأنسب في عصر الشيخ لإبلاغ دعوة الحق والخير، ويجب على المسلمين المثقفين حسن التعاطي مع وسائل العصر، والإقدام وعدم الإحجام، وسرعة التكيف مع كلِّ ما هو جديد في وسائل التواصل، وتكييفه لخدمة الثقافة الإسلامية.
- حفظ تراث السلف الصالح، والتنقيب عن مخطوطاته، والاهتمام به، ودراسته، وتدريسه، يعتبر وقودًا للثقافة الإسلامية، ومعينًا لا ينضب، وفوائد ذلك جمَّة على الفرد والجماعة.
- أهمية تكوين الجماعات الإسلامية، والاهتمام بها، وبدعمها؛ لأنها من باب التعاون على البر والتقوى، ولأنها تنظِّم العمل للثقافة الإسلامية، وتساعد على صيانتها، كما أنها الحصن المنيع، والثكنة العسكرية التي ينطلق منها حماة العقيدة والدين، والمدافعين عن حمى الثقافة الإسلامية.
- جشع الأعاجم، وطمعهم في خيرات بلدان المسلمين، ونفاقهم بالتظاهر أنهم حريصون على مصالح المسلمين، ويسعون لتنظيمهم وحل خلافاتهم، مع فرض حسن نواياهم —التي يدَّعون بالقوة والسلاح، وشتَّان بين الوعود المزيفة والحقيقة المؤلمة.
- يجب على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها التعاون في ما يُصلح شؤونهم، والاعتماد على أنفسهم —بعد الله، وعدم مدّ اليد إلى الكفار لطلب المساعدة والعون، وأنَّ ذلك من الكوارث التي إذا حلّت، فلن تنجلي عن المسلمين إلاَّ بالثمن الباهظ.
- يجب على الحكومات أن تحمي العقيدة والدين، وأن تصون الثقافة الإسلامية، وإذا تباطأ الحكام أو تكاسلوا عن واجبهم، فيجب على الغيورين من المسلمين أن يُنشئوا لأنفسهم جمعيات خيرية يجدون فيها ما يحتاجونه من مدارس، وإعلام، ودواء وغيره، مع ضرورة عدم التعرُّض للسياسة في هذه الحالة.

- تعاون أمم الكفر فيما بينهم، وتسابقهم على امتصاص خيرات بلاد المسلمين، واختلاق الأزمات والمشكلات لإلجاء المسلمين إليهم، والأحرى بالمسلمين التنبه لهذا المكر والكيد، وحل مشكلاتهم بأنفسهم.
- ضرورة وضع خطة مستقبلية على المدى البعيد، لتحقيق عز الإسلام والمسلمين، ولصيانة الثقافة الإسلامية، والتدرج في تطبيقها، مع مراعاة فقه الواقع، وقياس المصالح والمفاسد.
- اهتمَّ الغرب بعقد الاتفاقيات مع المسلمين، وهي في الحقيقة سيطرة، واستعباد، وسرقة أموال، وامتصاص خيرات، ويجب على المسلمين النهوض بأنفسهم، وطرد روح الكسل، والتحرر من الخذلان، وذلك بالاعتصام بالكتاب والسنة، والاستفادة من التاريخ الإسلامي.
- يجب على المسلمين مواجهة حملات المستشرقين بحملات يقوم بها عباقرتهم لبلاد الغرب، للتعرف على مواطن القوة في نهضتهم، والاستفادة من تجاربهم، وتطبيق ما يتوافق منها مع تعاليم الدين الإسلامي، ولا يتعارض مع أصالة الثقافة الإسلامية.
- الشباب الإسلامي هو قوة الأمة الإسلامية، وسر نهضتها، لذلك يجب الاهتمام بهذه الفئة الغالية، وتلمّس احتياجاتها، وتعاهد أخلاقها، وصناعة عوامل التأثير فيها، وتوظيف طاقاتها في خدمة الثقافة الإسلامية.

ثانيا: أبرز التوصيات.

- التواصل مع القائمين على المكتبة السلفية ومطبعتها في القاهرة؛ للتعرُّف على ما لم يُنشر من تراث الشيخ –رحمه الله، والاستفادة منه، ودراسته، ونشره.
- العمل بوصايا الشيخ –رحمه الله وخططه المحكمة التي اقترحها لخدمة الثقافة الإسلامية.
- إدراج تراث الشيخ في وسائل الاتصال الحديثة.
- التعاون والتعاضد والتكاتف بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، والتحلي بالإرادة الجامحة، والعزيمة الصادقة لخدمة الثقافة الإسلامية، وحمايتها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العلمية

وهي كالآتي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس البلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية:

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ	١١-١٢-١٣	البقرة	٣٨٠
أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ	١٤٠	البقرة	١٣٧
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ	٢١٧	البقرة	٢٦٣
إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ	١٧٥	آل عمران	٢٦٣
إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ۖ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا	١١٧	النساء	٥٠
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ	٨	المائدة	١٤٩+٣٤٢

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
وَلَو أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ	٩٦	الأعراف	٣٧٦
فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ	٥٧	الأنفال	١١
وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	٦٢-٦٣	الأنفال	٦٦
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ	٣٠	التوبة	٥٢
أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ	٥٥-٥٦	المؤمنون	٦٧
وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ	٥٣	النور	١١
وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ	٨٨	النمل	٤٩
وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ٤٨ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ	٤٨-٤٩	العنكبوت	٧٠
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ	٤٧	الروم	٢٦٣
لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ	٤٢	فصلت	٥٢
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ	١٣	الحجرات	٦٧

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ			
يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ	١٠	الحديد	١٠٦
فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا	٢-٣	الطلاق	٣٧٥

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	رقم الصفحة
أمَّا إذا قلتما ذلك فاذهبا، فاقتسما، ثم توخَّيا	١٠٦
الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان	٦١
خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم	١٠٧
صرع ركانة ثلاث مرات، وكان رجلاً تقصده الأقوياء	٦٩

فهرس الأعلام

اسم العلم	رقم الصفحة
ابن العربي	٨٢
ابن تيمية	٨٤
ابن عروة	٩٧
ابن قتيبة	٧٨
ابن قدامة	٩٣
ابن قيم الجوزية	٩١
ابن مقبل	٧٩
أبو العتاهية	٩٦
أبو لؤلؤة المجوسي	٣٣١
أحمد النّويلاتي	٢٥
أحمد بن حنبل	٩٣
أحمد تيمور باشا	٣٧٧
أحمد فؤاد الأول	٣٧٦
أسعد داغر	٢٣٨
آسية الجلاد	٢٣
الإمام البخاري	٤١
باربيهدمنار	٢٨١
باهية الخطيب	٢٤

اسم العلم	رقم الصفحة
جرجي زيدان	١٤٥
جمال الدين أقوش الأفرم	٨٦
جمال الدين القاسمي	٢٦
جوليوس	٢٨١
جوهر بن عبد الله	١١١
الحاكم بأمر الله	١١٢
حسان بن ثابت	٩٦
دانلوب	١٦٤
دوتي	٢٧٩
دوزي	٢٨٠
دي خويه	٢٨١
الذهبي	٨٤
رفيق العظم	٣١
ركانة	٦٩
سيرين القبطية	١٣٦
شارل مارتل	٢٤٣
صلاح الدين الأيوبي	١١٢
طاهر الجزائري	٢٥
الطرماح	٧٩

اسم العلم	رقم الصفحة
طه حسين	١٧٩
عارف الشّهابي	٢٨
عبد الحميد بن باديس	٨٣
عبد الرحمن الناصر	١١٥
عبد القادر الجيلاني	٢٢
علي عبد الرزاق	٦٤
عمر المختار	١٣٩
عمرو بن لحي	١١٣
فاطمة بيكم	٢١٩
فريد وجدي	٢٩٥
كاترمير	٢٨٠
كرتشكو فسكي	٢٨٢
كسرى يزدجرد	١٣١
كعب بن لؤي	١١٣
مارية القبطية	١٣٦
محمد الخضر حسين	٤١٢
محمد بن عبد الوهاب	٩٠
محمد بن مسلمة الأوسي	١٠٤
محمد رشيد رضا	٣١

اسم العلم	رقم الصفحة
محمد كرد علي	٢٩
محمود أبو العيون	٢٣١
محمود أبو رية	٧٢
محمود القيسي باشا	١٦١
محمود شكري الألوسي	٣٣٧
المرزباني	٩٥
مساعد اليافي	٢٣٦
مسيو شاتليه	٢٣٦
مصطفى صبري أفندي	٢٤١
مصطفى كمال أتاتورك	٤٠
المقدسي	٩٣
الملك عبد العزيز	١٤٠
النجيرمي	٨١
نللينو	٢٨١
هوتسما	٢٨٠

فهرس البلدان:

البلد	رقم الصفحة
بخارى	٥٩
بلاد المغرب الأقصى	٥٦
حي القيمرية	٢٣
خراسان	١٣٤
عذراء	٢٢
كابول	٣٨٧
واسط	٨٦

فهرس المصادر و المراجع:

- **القرآن الكريم**

١. ابن العربي المالكي ومنهجه في كتابه أحكام القرآن، أ. د. أحمد عباس البدوي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الحادي عشر، ١٤٢٦هـ: ٢٠٠٥م.

٢. اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط ١، بدون تاريخ للنشر.

٣. اتجاهات فكرية معاصرة، مناهج جامعة المدينة العالمية، مرحلة الماجستير، جامعة المدينة العالمية، بدون تاريخ للنشر.

٤. أسباب هزيمة الجيش العثماني والأرنؤوط، أليوز باشي أحمد حمدي، ترجمها محب الدين الخطيب، القاهرة، ١٣٣١هـ.

٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ،تحقيق علي محمد معوض عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية،ط ١٤١٥،١هـ : ١٩٩٤م،

٦. الإسلام والحضارة الغربية، د/محمد حسين، دار الفرقان، بدون تاريخ للنشر.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، المؤلف: ابن حجرالعسقلاني، كلكتا (الهند)، تاريخ النشر:١٨٥٣م.

٨. أعلام التراث في العصر الحذيث، محمود الأرناؤوط، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ودار ابن العماد للنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ: ٢٠٠١م.

٩. أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، جمع وترتيب د/ سيد بن حسين العفاني، ١/٤٠٠، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، السعودية جدة، بدون تاريخ للنشر.

١٠. الأعلام، الزركلي. تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دارالعلم للملايين، الطبعة: الخامسةعشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

١١. الإعلام، محمد منير سعد الدين، ص: ١١٦، بدون تاريخ للنشر.

١٢. أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق د/ علي أبو زيد، ود/ نبيل أبو عشمة، ود/ محمد موعد، ود/ محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ودار الفكر، دمشق سوريا.

١٣. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع الأندلسي، تحقيق د/ محمد كمال، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

١٤. أوراق الثورة العربية، (٣) ميسلون نهاية عهد، صبحي العمري، رياض الريس للكتب والنشر، لندن قبرص، ط ١، ديسمبر ١٩٩١.

١٥. أيمان العرب في الجاهلية، لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد النجيرمي، نسخ وتعليق وتحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، بدون تاريخ للنشر.

١٦. بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد العقيلي، وكمال الدين ابن العديم، تحقيق د/ سهيل زكار، دار الفكر، بدون تاريخ للنشر.

١٧. البهائية، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط ٣.

١٨. تاريخ ابن الوردي، عمر ابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ: ١٩٩٦م.

١٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣ م.

٢٠. التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، د/ عبد العزيز سليمان نوار، ود/ محمود محمد جمال الدين، دار الفكر العربي، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٢١. التاريخ السري لاحتلال انجلترا لمصر، ألفه: مستر الفريد سكاونبلبنت، راجعه ووافق على ما فيه الشيخ محمد عبده، ص: ٣، مكتبة الآداب، بدون تاريخ للنشر.

٢٢. تاريخ الصّحافة العربيّة، نشأتها، وتطوّرها، – دارصادر – بيروت – طبعة مصورة عن المطبعة الأدبيةسنة ١٩١٣م.

٢٣. تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د/ إسماعيل أحمد ياغي، ومحمود شاكر، دار المريخ للنشر. بدون تاريخ للنشر.

٢٤. تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، تأليف: أرسنيوس فاسبري، ترجمه وعلق عليه د/ أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له د/ يحيى الخشاب، الناشر مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة. بدون تاريخ النشر.

٢٥. تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، شكيب أرسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ للنشر.

٢٦. التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د/ مصطفى خالدي، و د/ عمرو فروخ.

٢٧. التوسل والوسيلة، ابن تيمية، طبعه، ونقحه، وصححه، ورقم آياته، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط ١، ١٣٧٤هـ.

٢٨. الثقافة الإسلامية، د/ علي عمر با دحدح، ود/ محمد أحمد با جابر، دار حافظ، جدة، ط ١، ١٤٢٥هـ.

٢٩. الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، لأمين سعيد، مكتبة مدبولي، بدون تاريخ للنشر.

٣٠. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، قام بشرحه وتصحيح تجاربه وتحقيقه محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه محمد فؤاد عبد الباقي، نشره وراجعه وقام بإخراجه وأشرف على طبعه قصي محب الدين الخطيب،المطبعة السلفية ومكتبتها، بدون تاريخ للنشر.

٣١. الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، خالد الدبيان، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٩هـ.

٣٢. جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن، ابن تيمية، طبع على نفقة محمد الصالح، وقف على طبعه يوسف النافع، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٧٥هـ.

٣٣. الجيل المثالي. محب الدين الخطيب. الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها. ط ٤، ١٤٠٣هـ.

٣٤. حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، د/ جميل عبدالله محمد المصري، دار أم القرى، الأردن، ط ٣، ١٤١٧هـ: ١٩٩٦م.

٣٥. حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، ص: ١٩٨٢٠٠، دار المجتمع، ط ٤، بدون تاريخ نشر.

٣٦. حملة رسالة الإسلام الأولون وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير وكيف شوّه المغرضون جمال سيرتهم، محب الدين الخطيب، تحقيق د/ محمد بن صامل السلمي، دار الوطن للنشر، بدون تاريخ للنشر.

٣٧. الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، محب الدين الخطيب، المكتبة المكية، دار عمار، ط ١، سنة: ١٤٢٠هـ: ١٩٩٩م.

٣٨. دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه، عبد السلام بن محسن آل عيسى، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ: ٢٠٠٢م.

٣٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، ٥: ٦٦، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد الهند، ط ٢، ١٣٩٢هـ: ١٩٢٧م.

٤٠. الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، د/ إسماعيل أحمد ياغي.

٤١. الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، سليمان البستاني، مطبعة الأخبار، أكتوبر ١٩٠٨م.

٤٢. ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه د/ عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت لبنان، حلب – سورية، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٤٣. ديوان الطرماح، تحقيق د/ عزة حسن، ط ٢، دار الشرق العربي، بيروت لبنان، حلب سورية، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٤٤. ذكريات علي الطّنطاوي، علي الطنطاوي، دارالمنارة - جدة، ١٤٠٥ - ١٩٨٢، عدد المجلدات: ٨.

٤٥. ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، بدون تاريخ للنشر.

٤٦. رحلة الشتاء والصيف، محمد بن عبد الله بن محمد، تحقيق الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي، ط ٢، ١٣٨٥هـ.

٤٧. رد هيئة كبار العلماء على كتاب الإسلام وأصول الحكم، للشيخ علي عبد الرزاق، تقديم الأستاذ د/ السيد تقي الدين، رئيس التحرير د علي أحمد الخطيب، هدية مجلة الأزهر المجانية، ربيع الأول ١٤١٤هـ.

٤٨. رشيد رضا، الإمام المجاهد، د/ إبراهيم أحمد العدوي، من سلسلة: أعلام العرب رقم ٣٣،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ للنشر.

٤٩. سير أعلام النّبلاء، الذّهبي، ٢٠: ٤٥١. تحقيق شعيب أرناؤوط، ومحمّد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ط ٩، بدون تاريخ للنشر.

٥٠. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، ط: ٨، دار القلم – دمشق، ١٤٢٧هـ.

٥١. الشريف الحسين بن علي والخلافة، نضال داود المومني، منشورات لجنة تاريخ الأردن، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة، دائرة المكتبة الوطنية، ١٩٩٦م.

٥٢. شهداء الحرب العالمية الكبرى، أدهم الجندي، دمشق، مطبعة العروبة، سنة: ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٥٣. الصحافة المصرية في مائة عام، د/ عبد اللطيف أحمد حمزة، دار القلم، بدون تاريخ للنشر.

٥٤. صفة جزيرة الأندلس، أبو عبد الله الحميري، نشرها وصححها وعلق حواشيها: لافي بروفنصال، دار الجيل، بيروت لبنان، ط ٢، ١٤٠٨هـ: ١٩٨٨م.

٥٥. الصنم، بحث علمي يتناول حياة مصطفى كمال أتاتورك، ودوره في هدم الخلافة الإسلامية، فتحي بشير البلعاوي، الجامعة الإسلامية، غزة المحاصرة فلسطين المحتلة، ٢٠٠٨م.

٥٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، صححه وأخرجه وطبعه ونشره محب الدين الخطيب، ط ٢، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، سنة: ١٣٩٤هـ.

٥٧. العبر في خبر من غبر، الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ للنشر.

٥٨. العدة شرح العمدة، بهاء الدين المقدسي، قدم له، وعلق عليه، وطبعه، ونشره محب الدين الخطيب، ط ٢، بدون تاريخ للنشر.

٥٩. العقيدة الواسطية، ابن تيمية، المطبعة السلفية ومكتبتها، ط ٩، ١٣٩٩هـ.

٦٠. علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله آل بسام، دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ.

٦١. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ابن العربي، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمود مهدي الإستانبولي، حققه وعلق حواشيه: الشيخ محب الدين الخطيب، وثقه وزاد في تحقيقه والتعليق عليه: مركز السنة للبحث العلمي، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة، لصاحبها شرف حجازي، ط ٦، ١٤١٢هـ.

٦٢. الغارة على العالم الإسلامي، مسيوشاتليه، لخصها ونقلها إلى اللغة العربية مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط ١، القاهرة: ١٣٥٠هـ، ط ٢، جدة: ١٣٨٧هـ.

٦٣. غرر الشام، عبد العزيز الخطيب، دمشق، دار حسان، ١٤١٧هـ: ١٩٩٦م.

٦٤. غزو في الصميم، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم بدمشق، وبيروت، ط ٢ ١٤٢٠هـ.

٦٥. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، مكتبة لبنان، ١٩٨٩م. مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ: ٢٠٠٥م.

٦٦. قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب، رغداء زيدان.

٦٧. كنوز الأجداد، محمد كرد علي، ص:٩، دمشق، دار الفكر، ط ٢، سنة: ١٤٠٤هـ: ١٩٨٤م.

٦٨. كواشف زيوف، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم دمشق، ط ٢، ١٤١٢هـ: ١٩٩١م.

٦٩. كيف ندعو الناس، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٧٠. لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، بدون تاريخ للنشر.

٧١. لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣ ١٣٩٩هـ: ١٩٧٩م.

٧٢. مجموعة التوحيد النجدية، محمد بن عبد الوهاب، صححها، وأخرجها، وطبعها، ونشرها، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط ١، ١٣٧٥هـ.

٧٣. مجلة الفتح، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٨ جزءا، بدون تاريخ للنشر.

٧٤. محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ.

٧٥. محب الدين الخطيب حياته بقلمه، دمشق، مطبوعات جمعيّة التّمدن الإسلاميّ،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

٧٦. محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان،رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط ١، ١٤١٤ هـ.

٧٧. مختار الصحاح، محمد الرازي، مكتبة لبنان، ١٩٨٩م.
٧٨. مختصر التحفة الإثني عشرية، شاه عبد العزيز الدهلوي، تحقيق محب الدين الخطيب، ص: ب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، بدون تاريخ للنشر.
٧٩. المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، بدون تاريخ للنشر.
٨٠. مذكرات غليوم الثاني، اشترك في نقلها إلى اللغة العربية: أسعد داغر، ومحب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، سنة: ١٣٤١هـ.
٨١. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
٨٢. مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، محمد بن عبد الوهاب، ضمن مجموعة الحديث النجدية، المطبعة السلفية ومكتبتها، المدينة المنورة، ١٣٧٥هـ.
٨٣. مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط ١، ١٣٢٩هـ: ١٩٧٢م.
٨٤. مع الرعيل الأول، محب الدين الخطيب، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ: ١٩٨٥م.
٨٥. معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م: ١٤٢٤هـ.

٨٦. معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق أحمد فريد الرّفاعي، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٧هـ: ١٩٨٧م،

٨٧. معجم الشعراء، المرزباني، تصحيح وتعليق الأستاذ د/: ف. كرونكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٢، ١٤٠٢هـ: ١٩٨٢م.

٨٨. المعجم المختص بالمحدثين، الذهبي، تحقيق د/ محمد الحبيب الهيلة، ط ١، مكتبة الصديق – الطائف، سنة: ١٤٠٨هـ.

٨٩. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دمشق، طبعة مكتبة المثنى.

٩٠. معجم دمشق التاريخي، الشهابي، دمشق، منشورات وزارة الثّقافة، ١٤١٩هـ: ١٩٩٩م.

٩١. معرفة الصحابة، أبو عبد الله ابن منده، تحقيق الأستاذ د/ عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢٦هـ: ٢٠٠٥م.

٩٢. معرفة الصحابة، أبو نعيم، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ: ١٩٩٨م.

٩٣. المغرب في تاريخ المعرب المطرزي، تحقيق محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، ط١، مكتبة أسامة بن زيد –حلب، ١٩٧٩م.

٩٤. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د/: جواد علي، دار الساقي، ط ١٤٢٢،٤هـ/ ٢٠٠١م.

٩٥. مقال الشيخ في أول كتاب: دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه، تأليف ثلاثة من الأعلام.

٩٦. من إلهامات الهجرة، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، بدون تاريخ للنشر.

٩٧. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، ابن تيمية، حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب، طبع على نفقة بعض المحسنين، تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٣هـ.

٩٨. منهج الثقافة الإسلامية، محب الدين الخطيب، نشرها: قصي محب الدين الخطيب، دار أم القرى للطباعة، بدون تاريخ للنشر.

٩٩. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ابن تغري، حققه ووضع حواشيه د/ محمد محمد أمين، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٤م.

١٠٠. مؤتمر النجف، السيد عبد الله السويدي، حققه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، بدون تاريخ للنشر.

١٠١. موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، أحمد معمور العسيري، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ : ١٩٩٦م.

١٠٢. موسوعة أعلام سورية في القرن العشرين، سليمان البواب، بيروت، دار المنارة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٠٣. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢، دار السلاسل – الكويت، ١٤٢٧هـ.

١٠٤. موسوعة المستشرقين، د/ عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م.

١٠٥. موسوعة بيت الحكمة في القرنين التاسع عشر والعشرين، مجموعة مؤلفين، ط ١، بغداد، ١٤٢٠هـ: ٢٠٠٠م.

١٠٦. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، المرزباني، حققه، وفهرسه، وطبعه، ونشره، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، سنة: ١٣٤٣هـ.

١٠٧. الميسر والقداح، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، نسخه وصححه وعلق عليه ووضع فهارسه السيد محب الدين الخطيب، تلخيص للكتاب كاملا، ط ٢، المطبعة السلفية ومكتبتها، بدون تاريخ للنشر.

١٠٨. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر، تحقيق: عبد الله ضيف الله الرحيلي، ط١، مطبعة سفير الرياض، ١٤٢٢هـ..

١٠٩. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

١١٠. وحدة الوجود عند شيخ الإسلام مصطفى صبري، عبد الحليم قفاف، رسالة ماجستير، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة بن يوسف بن خدة، ١٤٢٥هـ: ٢٠٠٤م.

١١١. ويكبيديا الموسوعة الحرة، الرابط: /https://ar.wikipedia.org/wiki

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
التمهيـــد	١٠
المقدِّمة	٢
أهمية الموضوع	٢
أسباب اختيار الموضوع	٢
أهداف الدراسة	٣
تساؤلات الدراسة	٣
مشكلة الدراسة	٣
منهج البحث	٤
الدراسات السابقة	٥
الصعوبات التي واجهتني في البحث	٥
خطة البحث	٥
شكر وتقدير	٨
الفصـــل الأول: جهود الشيخ محبُّ الدين الخطيب في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية	٤٤
المبحث الأول: جهوده في خدمة القرآن الكريم	٤٥
المطلب الأول: تصحيح المفاهيم الخاطئة نحو آيات القرآن الكريم	٤٦
المسلك الأول: تصحيح مفهوم خاطئ نحو الآيات الكونية في القرآن الكريم.	٤٦
المسلك الثاني: تصديه لمحاولات إلغاء حكم تعدد الزوجات الوارد في القرآن الكريم.	٤٩
المسلك الثالث: رده على من أنكر الوجود الحقيقي للشيطان بتأويل فاسد لبعض آيات القرآن الكريم.	٥٠

العنوان	الصفحة
المطلب الثاني: الردُّ على اليهود في إنكارهم قولهم عزير ابن الله	٥٢
المطلب الثالث: التصدِّي لمسألة ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية	٥٤
المبحث الثاني: جهوده في خدمة السنة النبوية	٥٧
المطلب الأول: جهود الشيخ في دعوة الناس إلى الالتزام بالسنة	٥٨
المسلك الأول: دعوة الشيخ للاستفادة من السنة في واقع المسلمين.	٥٨
المسلك الثاني: دعوة الشيخ إلى التمسك بالسنة، وتطبيقها باطنا وظاهرا.	٥٩
المطلب الثاني: جهود الشيخ في الشرح، والتعليق، والتحقيق، والطباعة، والنشر للسنة	٦١
المسلك الأول: شرح وتحقيق صحيح البخاري.	٦١
المسلك الثاني: شرح حديث "الإيمان بضع وسبعون شعبة."	٦١
المطلب الثالث: جهود الشيخ في الردِّ على المتطاولين على السنة النبوية	٦٤
المسلك الأول: الردُّ على علي عبد الرزاق.	٦٤
المسلك الثاني: ردُّه على محمود أبو رية في كتابيْه: (أضواء على السنة النبوية)، وكتاب (شيخ المضيرة أبو هريرة)	٧٢
المطلب الرابع: جهود الشيخ في محاربة البدع.	٧٥
المبحث الثالث: جهوده في خدمة تراث السلف الصالح	٧٧
المطلب الأول: كتاب "الميسر والقداح"	٧٨
المطلب الثاني: كتاب "أيمان العرب في الجاهلية"	٨١
المطلب الثالث: كتاب "العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم"	٨٢
المطلب الرابع: كتاب "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال"	٨٤

العنوان	الصفحة
المطلب الخامس: كتاب "العقيدة الواسطية"	٨٦
المطلب السادس: كتاب "جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أنّ (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن"	٨٨
المطلب السابع: كتاب "مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية"	٩٠
المطلب الثامن: كتاب "طريق الهجرتيْن وباب السعادتيْن"	٩١
المطلب التاسع: كتاب "العدة شرح العمدة"	٩٣
المطلب العاشر: كتاب "الموشَّح في مآخذ العلماء على الشعراء"	٩٥
المطلب الحادي عشر: كتاب "التوسُّل والوسيلة"	٩٧
المطلب الثاني عشر: كتاب "مجموعة التوحيد النجدية"	٩٨
المطلب الثالث عشر: مطالبة الشيخ بكتب ومعاجم يحتاجها التراث الإسلامي.	٩٩
المبحث الرابع: جهوده في خدمة التاريخ الإسلامي	١٠٢
المطلب الأول: التأليف	١٠٣
المسلك الأول: كتاب "ذي النوريْن عثمان بن عفان –رضي الله عنه."	١٠٣
المسلك الثاني: كتاب "مع الرعيل الأول."	١٠٤
المسلك الثالث: كتيب "الجيل المثالي."	١٠٥
المسلك الرابع: كتاب "حملة رسالة الإسلام الأوَّلون، وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير، وكيف شوّه بعض المؤرِّخين والمغرضين جمال سيرتهم."	١٠٦
المسلك الخامس/كتاب بعنوان: "من إلهامات الهجرة."	١٠٨
المسلك السادس: كتاب بعنوان: "اتِّجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب."	١٠٩

العنوان	الصفحة
المسلك السابع: كتيب بعنوان "الأزهر، ماضيه وحاضره	١١١
المسلك الثامن: كتاب بعنوان: "تقويمنا الشمسي."	١١٣
المسلك التاسع: بحث بعنوان: "مدينة الزهراء."	١١٥
المطلب الثاني: عنايته بشرح الأحداث التاريخية الإسلامية	١١٨
المسلك الأول: حادثة الهجرة.	١١٨
المسلك الثاني: موقعة بدر الكبرى.	١٢٠
المسلك الثالث: فتح مكة.	١٢٣
المطلب الثالث: التعريف بالشخصيات الإسلامية التاريخية	١٢٥
المسلك الأول: الصحابي الجليل حكيم بن حزام.	١٢٦
المسلك الثاني: الصحابي الجليل: عمرو بن العاص رضي الله عنه	١٢٧
المسلك الثالث: الصحابي الجليل: (النعمان بن مقرن المزني	١٣٠
المسلك الرابع: القائد الفاتح الأحنف بن قيس.	١٣٢
المطلب الرابع: الردُّ على الشبهات المُثارة حول التاريخ الإسلامي	١٣٥
المسلك الأول: ترجمته مقالاً لكاتب فرنسوي منصف للتاريخ الإسلامي.	١٣٥
المسلك الثاني: ردُّه على من زعم اضطهاد المسلمين لغيرهم، بأخذ الجزية منهم.	١٣٥
المسلك الثالث: ردُّه على شبهة أنَّ المقوقس ملك مصر إنما أهدى مارية القبطية وأختها رضي الله عنهما للرسول عليه الصلاة والسلام اتِّقاءً لشرِّ العرب.	١٣٦
المسلك الرابع: الردُّ على كاتب تركي ادَّعى أنَّ إبراهيم عليه السلام تركي.	١٣٧
المطلب الخامس: دعوة المسلمين للرجوع لتاريخ أسلافهم والاقتداء به	١٣٩

العنوان	الصفحة
المسلك الأول: الفخر بالشخصيات الإسلامية المعاصرة	١٣٩
المسلك الثاني: الاعتزاز بالحركات الإسلامية التاريخية الصادقة العازمة على إعلاء كلمة الله، وتحكيم شرعه في الأرض.	١٤٠
المسلك الثالث: إجابة الطلب بكتابة المقالات المستنهِضة لهِمَم المسلمين	١٤٠
المسلك الرابع: تعريفه بكتاب تحصَّل عليه من دار الآثار الوطنية بأسبانيا، يشيد بتاريخ المسلمين.	١٤١
المسلك الخامس: اعتراضه على تغيير اسم منطقة (الفسطاط) إلى: (مصر العتيقة، و ماري جرجس).	١٤١
المسلك السادس: الاهتمام بالمساجد التاريخية.	١٤٢
المطلب السادس: سباب استعادة التاريخ الإسلامي وإصلاح الحاضر	١٤٤
المسلك الأول: دعوته إلى تخصيص مؤرخين أمناء لكتابة تاريخنا الإسلامي.	١٤٤
المسلك الثاني: التحذير من العوامل المساعدة على تشويه التاريخ الإسلامي	١٤٥
المسلك الثالث: كتابة التاريخ الإسلامي بصورة صحيحة.	١٤٦
المسلك الرابع: الأخذ بمقوّمات التاريخ الإسلامي لإصلاح الحاضر بها، والتركيز عليها في كتابة التاريخ الإسلامي.	١٤٦
المبحث الخامس: منهج الشيخ في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية	١٤٨
المطلب الأول: منهجه في خدمة القرآن الكريم	١٤٩
المطلب الثاني: منهجه في خدمة السنة النبوية	١٥٠
المطلب الثالث: منهجه في خدمة تراث السلف الصالح	١٥١
المطلب الرابع: منهجه في خدمة التاريخ الإسلامي	١٥٢
الفصل الثاني: : جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في خدمة القضايا	١٥٥

العنوان	الصفحة
الإسلامية	
المبحث الأول: جهوده في خدمة قضايا التعليم	١٥٦
المطلب الأول: التعليم الذي يريده الشيخ	١٥٧
المسلك الأول: أهمية توظيف التعليم للنهوض بعد الحرب العالمية لأولى، وقيام الثورة المصرية سنة: ١٩١٩م.	١٥٧
المسلك الثاني: التفريق بين الثقافات والعلم.	١٦٠
المسلك الثالث: الجوانب التي غفل عنها التعليم في مصر من منظور الشيخ.	١٦١
المسلك الرابع: الجوانب التي لا ينبغي للتعليم في مصر الاهتمام بها من منظور الشيخ.	١٦٢
المطلب الثاني: رؤيته للواقع التعليمي (غير الأزهري) في بلاد المسلمين	١٦٤
سيطرة الاستعمار على التعليم، ومساعدة عملاء الاستعمار على توجيه التعليم لأغراض الاستعمار.	١٦٤
المطلب الثالث: تحذيره من آفات خطيرة في مجال التعليم	١٦٩
المسلك الأول: تعلّم العلم للحصول على الوظيفة فقط، دون الانتفاع به في الحياة.	١٦٩
المسلك الثاني: عدم الاعتزاز باللغة العربية.	١٧٠
المسلك الثالث: عدم الاهتمام بالجانب السلوكي في التعليم.	١٧١
المسلك الرابع: عجز المقرَّرات في مصر عن تأهيل الطلاب تأهيلاً جيدًا.	١٧٢
المسلك الخامس: ضعف الطالب المصري، ونقص المقررات الدراسية.	١٧٤
المسلك السادس: مبادئ تعليمية خطيرة في التعليم.	١٧٥
المطلب الرابع: رؤيته لإصلاح التعليم في الجامع الأزهر، وردُّه على	١٧٧

العنوان	الصفحة
خصوم الجامع الأزهر	
المسلك الأول: رؤيته لإصلاح التعليم في الجامع الأزهر.	١٧٧
المسلك الثاني: ردُّه على خصوم الجامع الأزهر.	١٧٩
المطلب الخامس: رؤيته لإصلاح التعليم غير الأزهري	١٨٢
المسلك الأول: ضرورة إصلاح الفساد الدانلوبي في التعليم.	١٨٢
المسلك الثاني: المطالبة بإعطاء الشعب المصري المساهمة في صنع القرار التعليمي.	١٨٣
المسلك الثالث: المطالبة بالاستفادة من تجارب الآخرين التعليمية الناجحة.	١٨٥
المسلك الرابع: دعوته إلى تعريب العلوم الجامعية وغيرها.	١٩١
المسلك الخامس: تأييد الرؤى التعليمية الناجحة.	١٩٢
المسلك السادس: الدعوة إلى تأسيس جمعيات خيرية لدعم التعليم.	١٩٢
المسلك السابع: الدعوة إلى إنشاء مدارس إسلامية في البلاد غير المسلمة.	١٩٣
المسلك الثامن: الدعوة إلى تشجيع المبدعين واكتشاف مواهبهم.	١٩٣
المسلك التاسع: تحديد الأهداف التعليمية النافعة والمسارعة في تحقيقها.	١٩٤
المسلك العاشر: نصائح تعليمية صادقة، للآباء، والمعلمين، والطلاب، وغيرهم	١٩٥
المبحث الثاني: جهوده في خدمة قضايا الشباب المسلم	١٩٨
المطلب الأول:مشاركته في تأسيس جمعية الشبان المسلمين، وغيرها.	١٩٩
المطلب الثاني: عنايته بتوجيه الشباب المسلم	٢٠٢
المطلب الثالث: دعوته إلى استثمار طاقات الشباب	٢٠٤

العنوان	الصفحة
المطلب الرابع: رصده لبعض الانحرافات عند الشباب، وعلاجه لها	٢٠٥
المطلب الخامس: استغلال المراسلات، لإصلاح الشباب.	٢٠٦
المطلب السادس: بيانه دور شباب مصر في المحافظة على مكانة مصر الإسلامية والعربية	٢٠٨
المطلب السابع: تشجيع وتحفيز الشباب	٢٠٩
المطلب الثامن: بيانه واجبات الأمة الإسلامية تجاه الشباب	٢١٠
المطلب التاسع: متابعة نصح الشباب المسلم	٢١٢
المطلب العاشر: رؤيته في توجيه دور السينما بمصر لصالح الشباب المسلم	٢١٣
المبحث الثالث: جهوده في خدمة قضايا المرأة	٢١٤
المطلب الأول: إدراك الشيخ واقع المرأة في عصره	٢١٥
المسلك الأول: المرأة في تركيا.	٢١٥
المسلك الثاني: استهداف الأعداء المرأة المسلمة في مصر.	٢١٦
المسلك الثالث: المرأة في سوريا.	٢١٧
المطلب الثاني: الاهتمام بإصلاح حال المرأة المسلمة	٢١٩
المسلك الأول: التعريف بنساء العصر الفضليات.	٢١٩
المسلك الثاني: وعظه للمرأة المسلمة.	٢٢٠
المسلك الثالث: بيانه ضرورة الحفاظ على الأعراض وصيانتها.	٢٢٠
المسلك الأول: إسراف المرأة المسلمة في شراء الكماليات.	٢٢٢
المسلك الثاني: رفضها تعدُّد الزوجات.	٢٢٢
المطلب الثالث: تحذيره من مخالفات تقع فيها المرأة المسلمة	٢٢٢
المطلب الرابع: رده على شبهات تتعلق بالمرأة المسلمة وحقوقها في الإسلام.	٢٢٤

العنوان	الصفحة
المسلك الأول: تصديه للمطالبة بالمساواة التامة في كل شيء بين الرجل والمرأة.	٢٢٤
المسلك الثاني: شبهة تقليل الإسلام قدر المرأة، بجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل.	٢٢٥
المطلب الخامس: الاهتمام بالزواج والعشرة والآداب	٢٢٧
المسلك الأول: بيانه صفات الزوجة المسلمة.	٢٢٧
المسلك الثاني: توجيهه إلى مراعاة آداب العشرة بين الزوجيْن.	٢٢٧
المسلك الثالث: آداب يجب على المرأة المسلمة التمسُّك بها.	٢٢٨
المطلب السادس: قضايا تتعلّق بالزواج	٢٣٠
المسلك الأول: تحذيره من الزواج من الأجنبيات، بلا ضوابط شرعية.	٢٣٠
المسلك الثاني: مكافحة البغاء، بكل صوره.	٢٣١
المسلك الثالث: محاربته لظاهرة العزوف عن الزواج.	٢٣٣
المبحث الرابع: جهـــوده في الترجمـــة	٢٣٥
المطلب الأول: ترجمة بحث لمستشرق، كشفا لخطط التنصير والاحتلال	٢٣٦
المطلب الثاني: ترجمة مذكرات امبراطور ألمانيا تحتوي على شؤون سياسية تهم الأمة.	٢٣٨
المطلب الثالث: ترجمة مذكرة تاريخية بعنوان: أسباب هزيمة الجيش العثماني والأرنؤوط.	٢٣٩
المطلب الرابع: ترجمة المقالات والروايات المتعلقة بأحوال الأمة.	٢٤١
المسلك الأول: ترجمة المقالات	٢٤١
المسلك الثاني: ترجمة رواية، تؤرخ لتركيا، ومحاولات تدميرها.	٢٤٤
المبحث الخامس: منهج الشيخ محبِّ الدين في خدمة القضايا الإسلامية	٢٤٥

العنوان	الصفحة
المطلب الأول: منهج الشيخ في خدمة قضايا التعليم	٢٤٦
المطلب الثاني: منهج الشيخ في خدمة قضايا الشباب المسلم	٢٤٧
المطلب الثالث: منهج الشيخ في خدمة قضايا المرأة	٢٤٩
المطلب الرابع: منهج الشيخ في خدمة الترجمة	٢٥١
الفصـل الثالث: جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في مقاومة الغزو الفكري	٢٥٢
المبحث الأول: جهوده في مقاومة التنصير	٢٥٣
المطلب الأول: رصده واقع التنصير في العالم الإسلامي	٢٥٤
المسلك الأول: التنصير في السودان.	٢٥٤
المسلك الثاني: ثناء الشيخ على حكومة السعودية في مقاومتها للتنصير.	٢٥٤
المسلك الثالث: رصده للتنصير في تركيا.	٢٥٥
المسلك الرابع: متابعته لمحاولات التنصير في الأردن.	٢٥٦
المطلب الثاني: بيانه أسباب انتشار التنصير في بلاد المسلمين	٢٥٧
المطلب الثالث: كشفه أساليب التنصير وتحذير الشيخ منها	٢٥٩
المسلك الأول: إغراء الفتيات المسلمات وإفسادهن.	٢٥٩
المسلك الثاني: السيطرة على مناهج التعليم.	٢٦٠
المسلك الثالث: التأثير على الصحافة وتوجيهها لخدمة أهدافهم. (الأهرام أنموذجا.)	٢٦٢
المطلب الرابع: ثناء الشيخ على جهود المجتمع المسلم في مقاومة التنصير	٢٦٦
المسلك الأول: احتجاج الطلاب الفلسطينيين على محاولات التنصير داخل الأزهر.	٢٦٦
المسلك الثاني: احتجاج المغاربة في بلادهم على دعم الاحتلال	٢٦٦

العنوان	الصفحة
للتنصير.	
المسلك الثالث: الإشادة بتصريحات مقاومة للتنصير، من رئيس وزراء مصر.	٢٦٧
المسلك الرابع: الإشادة بسيدة أوقفت منزلين لها لمواجهة التنصير.	٢٦٧
المسلك الخامس: متابعة الشيخ لنتائج المقاومة للتنصير	٢٦٨
المطلب الخامس: فضح الشيخ للمنصِّرين، ونشره لمؤتمراتهم وخطبهم، تحذيرا منها.	٢٦٩
المسلك الأول: فضح المنصِّرين بنشر مؤتمراتهم المخططة والداعمة للتنصير.	٢٦٩
المسلك الثاني: فضح المنصِّرين بنشر خطبة لأحدهم، تدعو التنصير.	٢٧١
المطلب السادس: رؤية وخطة الشيخ لمقاومة التنصير في بلاد المسلمين	٢٧٣
المبحث الثاني: جهوده في مقاومة الاستشراق	٢٧٦
المطلب الأول: أغراض الاستشراق.	٢٧٧
المطلب الثاني: بيانه تاريخ الاستشراق، ورحلات المستشرقين	٢٧٨
المطلب الثالث: بيانه مشاهير المستشرقين، وأهم أعمالهم، للتحذير منها	٢٨٠
المطلب الرابع: رصده لمؤتمرات المستشرقين	٢٨٤
المسلك الأول: المؤتمرات الستة عشر.	٢٨٤
المسلك الثاني: مؤتمر الاستشراق السابع عشر.	٢٨٥
المطلب الخامس: أهم المكتبات الغربية التي تضم كتبًا ومخطوطات إسلامية شرقية	٢٨٧
المطلب السادس: رؤية الشيخ لمقاومة الاستشراق	٢٨٨
المبحث الثالث: جهوده في مقاومة التغريب	٢٨٩
المطلب الأول: أساليب التغريب كما يراها الشيخ	٢٩١

العنوان	الصفحة
المسلك الأول: خلط التغريب بين مفهوم الثقافة، ومفهوم العلم.	٢٩١
المسلك الثاني: الترويج للمدنية الغربية.	٢٩١
المسلك الثالث: استخدام القوة والقهر في فرض التغريب.	٢٩٢
المسلك الرابع: السيطرة على اقتصاد المسلمين، لضمان تبعيتهم للغرب.	٢٩٣
المسلك الخامس: سعي التغريب إلى زعزعة التمسُّك بالدين في نفوس المسلمين.	٢٩٣
المسلك السادس: تزيين الباطل، وخداعهم للمسلمين.	٢٩٤
المسلك السابع: تتابع الموجات التغريبية وسرعتها، للقضاء على تماسك المسلمين، وإضعافا لهم.	٢٩٤
المسلك الثامن: تمجيد التغريب للمسلمين المتبنين للتغريب، والإشادة بهم، دعما لهم، ودعاية لهم.	٢٩٥
المطلب الثاني: توضيحه وسائل التغريب كما يراها.	٢٩٧
المسلك الأول: التغلغل في أجهزة الدولة المصرية، وغيرها من دول المسلمين.	٢٩٧
المسلك الثاني: تغريب مظاهر المجتمع المسلم، والنظام الأسري.	٢٩٨
المسلك الثالث: الدعوة لتحديد نسل المسلمين، وإفساد الأسرة المسلمة	٣٠٠
المسلك الرابع: تغريب الإعلام، والسيطرة عليه.	٣٠٢
المطلب الثالث: بيانه أسباب انتشار التغريب في المجتمع المصري	٣٠٣
المسلك الأول: اعتماد أكثرية الشعب على الحكومة في شؤونهم العامة، وعدم قيام الشعب بدوره وواجبه.	٣٠٣
المسلك الثاني: عدم أخذ المسلمين بأسباب القوة المادية، مما أدى إلى سيطرة الغرب عليهم.	٣٠٤
المسلك الثالث: سكوت كثير من العلماء في مصر عن مقاومة التغريب، والتحذير منه.	٣٠٤

العنوان	الصفحة
المطلب الرابع: كشفه السياسة التغريبية في بعض بلاد المسلمين	٣٠٦
المسلك الأول: كشفه واقع التغريب في تركيا، على يد العلمانيين.	٣٠٦
المسلك الثاني: كشفه للتغريب في الجزائر، على يد الاحتلال الفرنسي عملائه	٣٠٨
المطلب الخامس: أساليب الشيخ في مقاومة التغريب	٣٠٩
المسلك الأول: الكتابة في الصحف والمجلات، للتحذير من التغريب وعملائه.	٣٠٩
المسلك الثاني: الإشادة بمَن يقاوم التغريب من المسؤولين في مصر.	٣١٢
المسلك الثالث: الردُّ على شبه التغريبيين، وكشفها.	٣١٣
المطلب السادس: كشفه الأفراد والقوى الداعمة للتغريب في بلاد المسلمين	٣١٥
المسلك الأول: الأفراد الداعمون للتغريب في بلاد المسلمين.	٣١٥
المسلك الثاني: كشفه القوى الداعمة للتغريب في بلاد المسلمين.	٣١٧
المطلب السابع: تبيينه الفرق بين التجديد من منظور أوروبي، والتجديد من منظور حكام المسلمين	٣١٨
المطلب الثامن: رؤية الشيخ المعتدلة فيما نأخذه من الغرب، وما يجب تركه.	٣١٩
المبحث الرابع: منهج الشيخ في مقاومة الغزو الفكري	٣٢٠
المطلب الأول: منهج الشيخ في مقاومة التنصير	٣٢١
المطلب الثاني: منهج الشيخ في مقاومة الاستشراق	٣٢٣
المطلب الثالث: منهج الشيخ في مقاومة التغريب	٣٢٤
الفصل الرابع: جهود الشيخ محبِّ الدين الخطيب في مواجهة الفِرَق المنحرفة	٣٢٥

العنوان	الصفحة
المبحث الأول: جهوده في بيان بطلان مذهب الرافضة	٣٢٦
المطلب الأول: ما ألّفه الشيخ في بيان بطلان مذهبهم	٣٢٨
المطلب الثاني: ما نشره الشيخ لبيان بطلان مذهبهم	٣٣٢
المطلب الثالث: تحقيقه وتعليقه على الكتب التي بيَّنت بطلان مذهبهم	٣٣٧
المبحث الثاني: جهوده في بيان بطلان مذهب البهائية	٣٤٨
المطلب الأول:بيانه الأساس الذي قامت عليه البهائية.	٣٤٩
المطلب الثاني: توضيحه عقيدة البهائيين	٣٥٠
المطلب الثالث: كشفه علاقة البهائيين بالشيعة	٣٥٣
المطلب الرابع: رصده علاقة البهائيين بالاستعمار	٣٥٤
المطلب الخامس: جهد الشيخ في وضع خطة للأزهر لمقاومة البهائية	٣٥٥
المبحث الثالث: جهوده في بيان بطلان مذهب الصوفية	٣٥٦
المطلب الأول: معالجة قضية المولد النبوي	٣٥٧
المطلب الثاني: الردُّ على عقيدة الحلول والاتِّحاد في الهند	٣٦١
المطلب الثالث: دور الصوفية التيجانية في التمكين للاستعمار	٣٦٢
المبحث الرابع: منهج الشيخ في مواجهة الفرق المنحرفة	٣٦٨
المطلب الأول: منهجه في بيان بطلان مذهب الرافضة	٣٦٩
المطلب الثاني: منهجه في بيان بطلان مذهب البهائية	٣٧١
المطلب الثالث: منهجه في بيان بطلان مذهب الصوفية	٣٧٢
الفصل الخامس: جهود الشيخ محبّ الدين الخطيب في مواجهة المذاهب الفكرية المنحرفة	٣٧٣
المبحث الأول: جهوده في مواجهة الإلحاد	٣٧٤
المطلب الأول: بيانه أهمية الدين في حياة الأمم واستقرارها	٣٧٥

العنوان	الصفحة
المطلب الثاني: تعريفه بالإلحاد، والردُّ على شُبَهه	٣٧٩
المسلك الأول: تعريفه للإلحاد.	٣٧٩
المسلك الثاني: الردُّ على شُبَهه.	٣٨٠
المطلب الثالث: بيانه خطورة الإلحاد، وآثاره	٣٨٤
المسلك الأول: مساوئ فرض الإلحاد بالقوة.	٣٨٤
المسلك الثاني: تطاول الإلحاد على الأديان، خاصة الدين الإسلامي.	٣٨٥
المسلك الثالث: محاولة الملحدين ردَّة المسلمين عن دينهم.	٣٨٦
المسلك الرابع: سعي الإلحاد إلى فرض السيطرة، والهيمنة، والاحتلال، لدول إسلامية.	٣٨٦
المطلب الرابع: فضحه لدعاة الإلحاد ومخططاتهم	٣٨٨
المسلك الأول: فضحه لطه حسين، وطلب البرلمان المصري محاكمته	٣٨٨
المسلك الثاني: فضح الشيخ لعلي عبد الرزاق، الداعي للإلحاد والعلمانية.	٣٩١
المسلك الثالث: فضحه لجريدة "السياسة" الداعية إلى الإلحاد	٣٩٣
المسلك الرابع: تحذيره من دعم روسيا للإلحاد	٣٩٤
المطلب الخامس: خطته في مقاومة الإلحاد في مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامي	٣٩٦
المسلك الأول: بيان الواجب على الحكومة المصرية.	٣٩٦
المسلك الثاني: بيان الواجب على علماء المسلمين، وعامتهم، في كل أنحاء العالم الإسلامي.	٣٩٧
المسلك الثالث: بيان الواجب على الأزهر، وعلى العلماء في مصر.	٣٩٨
المبحث الثاني: جهوده في مواجهـــة العلمانية	٣٩٩
المطلب الأول: بيانه أن العلمانية سبب من أسباب انحطاط المسلمين	٤٠٠

العنوان	الصفحة
وتأخر نهضتهم	
المطلب الثاني: بيانه نشأة العلمانية	٤٠١
المطلب الثالث: تحذيره من مخاطر العلمانية، وضرورة التصدي لها	٤٠٣
المطلب الرابع: بيانه دور العلمانية في دولة تركيا، وما يتبعها من دول	٤٠٤
المسلك الأول: العلمانية في دولة تركيا.	٤٠٤
المسلك الثاني: تحذيره من العلمانية في ولايات الدولة العثمانية.	٤٠٥
المطلب الخامس: وضع الشيخ وسائل لمقاومة العلمانية	٤٠٧
المطلب السادس: رد الشيخ على شبهتين للعلمانية	٤٠٩
المطلب السابع: جهود الشيخ في مقاومة العلمانية عن طريق حركة النشر والتأليف	٤١١
المبحث الثالث: جهوده في مواجهة القومية	٤١٣
المطلب الأول: حقيقة القومية العربية التي يدعو الشيخ إلى تحقيقها، وحقيقتها في دعوة الغرب	٤١٤
المسلك الأول: حقيقة القومية العربية التي يدعو الشيخ إلى تحقيقها.	٤١٤
المسلك الثاني: حقيقة القومية التي يدعو التغريب إلى تحقيقها في بلادنا.	٤١٦
المطلب الثاني: أهمية الأخوة الإسلامية التي تضم المسلمين عربا وعجما، والاهتمام بسكان البلاد العربية	٤١٧
المسلك الأول: أهمية الأخوة الإسلامية التي تضم المسلمين عربا وعجما.	٤١٧
المسلك الثاني: الاهتمام بسكان البلاد العربية.	٤١٨
المطلب الثالث: أسباب قيام كيان القومية العربية، وموانع ذلك	٤٢٠
المطلب الرابع: بيانه أسباب جعل دولة مصر أولى دولة عربية لحمل لواء القومية الإسلامية العربية، ومبررات ذلك	٤٢٥
المسلك الأول: أسباب جعل مصر أولى دولة عربية لحمل لواء القومية	٤٢٥

العنوان	الصفحة
الإسلامية العربية.	
المسلك الثاني: مبررات الشيخ في جعله مصر أولى دولة عربية لحمل لواء القومية الإسلامية العربية.	٤٢٥
المسلك الثالث: مبررات الشيخ لحديثه عن القومية الإسلامية العربية، والتنظير لها.	٤٢٦
المطلب الخامس: دعمه للتحالف الإسلامي العربي بين ملوك العرب	٤٢٧
المسلك الأول: العوامل المساعدة على إتمام الحلف الإسلامي العربي.	٤٢٧
المسلك الثاني: المرتكزات الأساسية لمشروع الحلف الإسلامي العربي.	٤٢٨
المسلك الثالث: اقتراحه بتأسيس مصرف مالي إسلامي عربي.	٤٢٩
المسلك الرابع: معوق أساسي يحول دون إتمام الحلف العربي.	٤٣٠
المطلب السابع: تعاون الشيخ مع الشريف الحسين بن علي لتحقيق القومية الإسلامية العربية	٤٣٦
المسلك الأول: التعاون مع الشريف الحسين بن علي لتحقيق القومية الإسلامية العربية.	٤٣٦
المسلك الثاني: تأسيس وإنشاء جريدة القبلة في مكة المكرمة.	٤٣٩
المطلب الثامن: تصدّي الشيخ لأعداء الإسلام وأعداء العروبة	٤٤١
المسلك الأول: تصدّي الشيخ لأعداء الإسلام والعروبة في داخل البلاد الإسلامية العربية	٤٤١
المسلك الثاني: تصدّي الشيخ لأعداء الإسلام والعروبة في خارج البلاد الإسلامية العربية.	٤٤٣
المبحث الرابع: جهوده في مواجهة القاديانية	٤٤٦
المطلب الأول: تعريف الشيخ بحقيقة القاديانية، وأهدافها	٤٤٧
المسلك الأول: حقيقة القاديانية كما رآها الشيخ.	٤٤٧

العنوان	الصفحة
المسلك الثاني: أهداف القاديانية، وخطورتها على أمة الإسلام.	٤٤٨
المطلب الثاني: جهود الشيخ في مقاومة القاديانية ومخططاتها	٤٥٠
المسلك الأول: ردُّه على مغالطات القاديانيين	٤٥٠
المسلك الثاني: دعوته الأزهر ليقوم بدوره في مقاومة القاديانية.	٤٥٢
المسلك الثالث: وضع خطة للعالم الإسلامي لمواجهة القاديانية.	٤٥٤
المبحث الخامس: منهج الشيخ في مواجهة المذاهب الفكرية المنحرفة	٤٥٨
المطلب الأول: منهجه في مواجهة الإلحاد	٤٥٩
المطلب الثاني: منهجه في مواجهة العلمانية	٤٦١
المطلب الثالث: منهجه في مواجهة القومية	٤٦٣
المطلب الرابع: منهجه في مواجهة القاديانية	٤٦٥
الخاتمة	٤٦٦
فهرس الآيات	٤٦٠
فهرس الأحاديث	٤٦٣
فهرس الأعلام	٤٦٤
فهرس البلدان	٤٦٨
فهرس المصادر والمراجع	٤٦٩
فهرس الموضوعات	٤٨٢